# سورة النجم

[٨٧٣] أخرج الواحدي والطبراني وابن المنذر وابن أبي حاتم(١) عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير هو صديق فبلغ ذلك النبي [ﷺ] فقال: **«كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمه إلا أنه شقي أو سعيد»** فأنزل الله عند ذلك هذه الآية: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾(٢) الآية.

[٨٧٤] وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة أن النبي [ﷺ] خرج في مغزاه فجاء رجل يريد أن يحمل فلم يجد ما يخرج عليه فلقي صديقاً له فقال: أعطني شيئاً فقال: أعطيك بكري هذا على أن تتحمل ذنوبي فقال له: نعم فأنزل الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾(٣) الآيات.

[٨٧٥] وأخرج(٤) عن دراج أبي السمح قال: خرجت سرية غازية فسأل رجل رسول الله [ﷺ] أن يحمله فقال: **«لا أجد ما أحملك عليه»** فانصرف حزيناً فمر برجل رحاله منيخة بين يديه فشكا إليه فقال له الرجل: هل لك أن أحملك فتلحق الجيش بحسناتك فقال: نعم فركب فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾(٥).

[٨٧٦] وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: أن رجلاً أسلم فلقيه بعض من يعيره فقال: أتركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت أنهم في النار قال: إني خشيت عذاب الله قال: أعطني شيئاً وأنا أحمل كل عذاب كان عليك فأعطاه شيئاً فقال:

---

[٨٧٣] (١) الحديث رواه أحمد في مسنده (٣/٥٣) وابن أبي عاصم (١/١١٠) والبخاري في تاريخه (٧/٢٣) وعبد الرزاق في مصنفه (٤٩٢٤) والواحدي في أسباب النزول ص (٢٢٦) وأصل الحديث في سنن الترمذي (١١٣٦) وأبي داود (٢١٧١).

(٢) سورة النجم: الآية (٣٢).

[٨٧٤] (٣) سورة النجم: الآية (٣٣).

[٨٧٥] (٤) راجع فقرة (٥٤٨).

(٥) سورة النجم: الآية (٣٣ و٤١).

زدني فتعاسرا حتى أعطاه شيئاً وكتب كتاباً وأشهد له ففيه نزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾(١).

[٨٧٧] وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كانوا يمرون على رسول الله [ﷺ] وهو يصلي شامخين فنزلت: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾(٢).

* * *

---

[٨٧٦] (١) سورة النجم: الآية (٣٣).

[٨٧٧] (٢) سورة النجم: الآية (٦١) ـ قلت وروى الواحدي في أسباب النزول ص (٢٢٧) من طريق الصهباء عن عائشة. قالت: مرّ رسول الله [ﷺ] بقوم يضحكون فقال: لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً فنزل عليه جبريل عليه السلام بقوله **﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾** سورة النجم: الآية (٤٣) ـ فرجع إليهم فقال: ما خطوت أربعين خطوة حتى أتاني جبريل عليه السلام فقال: ائت هؤلاء وقل لهم إن الله عزّ وجل يقول **﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾**.

# (٥٣) سورة النجم مكية وآياتها ثنتان وستون

سورة النجم مكية وهي تتناول أهداف السور المكية ، العقيدة بموضوعاتها الرئيسية « الوحدانية ، الرسالة ، البعث والنشور » وتسير السورة في مقاطع أربعة تعرض فيها ظلالَ السورة الكريمة ، ومقاصدها السامية بأوضح بيان ، وأجلى برهان .

**تبتدىء** السورة الكريمة بالحديث عن « الوحي » في المقطع الأول ، تستهدف به بيان حقيقة الوحي الذي كذَّب به المشركون ، وأنكروا على الرسول ﷺ أن يكون الله قد أوحى له أو أرسله ، وتصف مشهدين من مشاهد الوحي التقى فيها أمينُ السماء بأمين الأرض ، وأوحى إليه عن ربه ما أوحى ، وتؤكد الآياتُ الكريمة أن الرسول ﷺ تلقَّى عن جبريل ما تلقَّى ، عن رؤيةٍ وتمكنٍ ودقة ، وأنه رآه رأي العين مرتين : مرَّةً في الأرض حيث تطلع الشمس في الأفق الأعلى ، ومرةً أخرى عند سدرة المنتهى ، في السموات العُلَى ، في ليلة الإسراء والمعراج ، وقدرآه في المرتين في صورته الحقيقية كما قال ابن مسعود : إن رسول الله ﷺ لم ير جبريل في صورته إلا مرتين : أما الأولى فإنه سأله أن يراه فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلّى إليه فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح سدَّ بها الأفق ، وأما الثانية فحين صعد معه إلى السموات العلى .. وقد ذكرت السورة الكريمة هاتين المرتين ، وبدأ تعالى السورة بالقسم بالنجم الساطع اللامع

على أن محمداً رسوله وأن جبريل قد أوحى إليه بأمره تعالى ﴿ والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحيٌ يُوحى . علَّمه شديد القُوى . ذو مِرَّة – أي ذو قوة – فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قابَ قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نَزْلَة أخرى . عند سِدْرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذْ يَغْشى السدرةَ ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ .

وتنتقل السورة لتتحدث في المقطع الثاني عن آلهتهم المزعومة ، وأوهامهم عن الملائكة ، وأساطيرهم في شفاعة الأصنام وشفاعة الملائكة الكرام ، واعتمادهم في هذا كله على الظنِّ الذي لا يغني من الحق شيئاً ، بينما الرسول ﷺ يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد عن تثبتٍ وصدق ويقين ﴿ أفرأيتم اللاتَ والعُزّى . ومناةَ الثالثةَ الأخرى . ألكم الذَّكَرُ وله الأنثى ؟ تلكَ إذن قِسْمَةٌ ضِيزَى . إن هي إلا أسماءٌ سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إنْ يتبعونَ إلا الظنَّ وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهُدى . أم للإنسان ما تمنَّى ؟ فلِلَّهِ الآخرة والأولى . وكم من مَلَك في السمواتِ لا تُغْني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذنَ اللهُ لمن يشاءُ ويرضى . إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى . وما لهم به من علم إن يتبعونَ إلا الظنَّ ، وإن الظنَّ لا يُغني من الحق شيئاً﴾ . وفي المقطع الثالث يلقّنُ الرسول ﷺ الإعراض عمن يتولى عن ذكر الله ، ويشغل نفسه بالدنيا وحدها ، ويقف عند هذا الحدِّ لا يعلم وراءه شيئاً ، ويشير إلى الآخرة وما فيها من جزاء عادل يقوم على عمل الخلق ، وعلى علم الله بهم منذ أنشأهم من الأرض ، ومنذ أن كانوا أجنةً في

بطون أمهاتهم ، فهو أعلم بهم من أنفسهم ، وعلى أساس هذا العلم اليقيني – لا على الظن والوهم – يكون حسابهم وجزاؤهم ، ويصير أمرهم في نهاية المطاف ﴿ فأعرضْ عَمَّنْ تولَّى عن ذكرنا ولم يُرِدْ إلا الحياةَ الدنيا . ذلك مبلغُهم من العلم ، إنَّ ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله ، وهو أعلم بمن اهتدى . ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللَّمم ، إن ربك واسع المغفرة ، هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض ، وإذ أنتم أجنةٌ في بطون أمهاتكم ، فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ وفي المقطع الأخير تستعرض السورة الكريمة أصول العقيدة – كما هي ثابتة منذ أقدم الرسالات ، من عهد إبراهيم صاحب الحنيفية الأولى – من فردية التَّبِعة ، ودقة الحساب ، وعدالة الجزاء ، ومن انتهاء الخلق إلى ربهم المتصرِّفِ في أمرهم كلِّه تصرف المشيئة المطلقة ﴿ أفرأيت الذي تولَّى . وأعطى قليلاً وأكدى . أعنده علم الغيب فهو يرى ؟ أم لم يُنبَّأ بما في صحف موسى . وإبراهيمَ الذي وفَّى . ألاَّ تزر وازرةٌ وزر أخرى . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى ثم يُجزاه الجزاء الأوفى﴾ ؟ وبعد أن تذكر السورة آثار قدرة الله ووحدانيته ، ودلائل عظمته وجلاله ، وتلفت أنظار المشركين إلى مصارع الغابرين ، تختم بهذا الإنذار الرهيب ، الذي يتناسق مع جوِّ السورة وموضوعها ﴿ هذا نذيرٌ من النُّذر الأولى . أزفت الآزفة . ليس لها من دون الله كاشفة . أفمن هذا الحديث تعجبون . وتضحكون ولا تبكون . وأنتم سامدون ؟ فاسجدوا للهِ واعبدوا﴾ ويا له من إنذار رهيب ، تتقطع له القلوب ، وتنخلع لهوله الأفئدة ! !

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة النجم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[١]

قوله عز وجل: **والنجم إذا هوى**، قيل: المراد هو النجوم أنفسها فأقسم بها على أن[2] محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى على ما قاله[3] الكفرة، وبه يقول الأصم. وقيل: أراد بقوله:[4] **والنجم**، نزول القرآن نجما فنجما على التفاريق، أقسم بالقرآن أنه لم يَضلَّ ولم يَغْوِ. وقال مجاهد: أقسم بالثُّريا إذا غابت،[5] والعرب تسمّي[6] الثريا، وهي ستة أنجمٍ ظاهرةٍ، نجما.[7] وقال أبو عبيدة:[8] أقسم بالنجم إذا سقط في الغَور[9] فكأنه لم يَخُصَّ الثريا دون غيرها.[10] فإن كان التأويل هو الأول فهو لِمَا جعل الله تعالى للنجوم محلا في قلوب الخلق وأعلاما يستخرجون بها جميع ما ينزل بالخلق، وما يكون لهم من المنافع والمضار من كثرة الأنزال والسعة والضيق، وما ينزل بهم من المصائب والشدائد، وما يكون من انقلاب الأمور، وما جعل فيها من المنافع:

---

[1] ر – سورة النجم؛ ن م: ذكر أن سورة النجم مكية؛ ث + وهي اثنتان وستون آيات مكية.

[2] ر – أن.

[3] ر: على أقاله.

[4] ن: أن لا نقوله.

[5] جميع النسخ: إذا غاب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١و.

[6] جميع النسخ: يسمي. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] م – نجما. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٧.

[8] جميع النسخ: أبو عبيد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١و.

[9] ر: في العود.

[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٧.

من معرفة[1] القبلة وطرق الأمكنة النائية ومعرفة الأوقات وغيرها مما يكثر عَدَها. فأقسم بنفسها أو بالذي أنشأ النجوم وما جعل فيها من المنافع أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غَوى. وإن كان النجم هو[2] النجومَ التي أنزل القرآن فيها نجوما على التفاريق فالقسم بالذي أنزل القرآن على التفاريق.

وقوله عز وجل: **إذا هوى**، أي[3] سقطت، كقوله تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ،[4] أي بمساقطها. والأشبه أن يكون قوله: **إذا هوى**، أي إذا سارت[5] سيرا دائما في سيرها؛ لأنها أبدا يكون في السير، وفي سيرها منافع الخلق من الاهتداء للطرق وغيرها وإلا[6] ليس في مساقط النجوم وغيبوبتها كثير حكمة حتى يقسم بذلك. *والله أعلم*.

**﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **ما ضل صاحبكم وما غوى**، يخرج على وجهين. أحدهما أي ما ضل عما نزل به القرآن وعما أُمر به، لأنهم كانوا يدّعون عليه الضلال، إذ[7] خالف دينهم ودين آبائهم فقال: ما ضل هو عما أُمر به وما غوى. والثاني **ما ضل صاحبكم وما غوى**، إذ ليس بساحر ولا شاعر، لأنهم كانوا يقولون: إنه شاعر وإنه ساحر، فقال: ليس هو كذلك ما ضل بالسحر وما غوى بالشعر على ما قال: وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ،[8] بل رشد واهتدى.

**﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[٣] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٤] ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[٥] ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾[٦]**

وهو ما قال تعالى: **وما ينطق عن الهوى**، أي لا ينطق[9] عما يَهوَى به نفسه بل إنما ينطق عن الوحي، بقوله: **إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى**.

---

[1] ن: من المنافع ومعرفة.
[2] ث – هو.
[3] ن + إذا.
[4] سورة الواقعة، ٥٦/٧٥.
[5] ر م: أي سقطت كقوله تعالى إذا صارت.
[6] ر م: وأما؛ ن: فأما؛ ث: ولما.
[7] ر ث م: أن.
[8] سورة الشعراء، ٢٦/٢٢٤.
[9] ر ث م: ما ينطق.

وإلا جائز أن يصرف قوله تعالى: **علمه شديد القوى،** إلى الله تعالى إذ الله تعالى قد أضاف تعليمه إلى نفسه بقوله عز وجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾.[1] لكن أبان بقوله: **ذو مِرّة فاستوى،** أن المراد[2] غيره إذ هو لا يوصف بأنه: **ذو مرة فاستوى،** وهو جبريل عليه الصلاة والسلام على ما قاله[3] أهل التأويل. [وأصله من قوى الحبل وهي طاقاته، والواحدة قوة. فالإضافة إلى جبريل لما منه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وتلقّف].[4]

ثم أضاف التعليم مرة إلى جبريل عليه السلام ومرة إلى نفسه. فالإضافة إلى جبريل صلوات الله عليه لما منه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وتلقف، والإضافة إلى الله تعالى يخرج على وجهين. أحدهما أضاف[5] إلى نفسه لما أنه هو الباعث لجبريل إليه والآمر له[6] بالتعليم والخالقُ لفعل التعليم من جبريل عليه السلام.

والثاني لما يكون من الله سبحانه وتعالى من اللطف الذي يحصل به العلم عند التعليم. ولهذا يختلف المتعلمون في حصول العلم مع التساوي في التعليم لاختلافهم في آثار اللطف. ***والله الموفق.***[7]

وقوله عز وجل: **ذو مِرّة فاستوى،** الآية،[8] قال أهل التأويل: **ذو مرة،** أي ذو قوة، وقيل: **ذو مرة،** أي ذو إحكام. وأصله من قوى الحبل وهي طاقته، والواحد قوة. وأصل المرة الفَتْل.[9]

وقوله: **فاستوى،** يحتمل: استوى[10] محمد صلى الله عليه وسلم لنزول الوحي إليه. وقيل: استوى[11] جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته، لما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم سأل[12] ربه عز وجل أن يريه جبريل عليه السلام على صورته[13] فاستوى جبريل على صورته[14] فرآه كذلك.

---

[1] سورة الرحمن، ٥٥/١-٢.
[2] م: أي المراد.
[3] ر ث م: قال.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧١و.
[5] ر: أحدهما إضافة؛ ن: وجهين أضاف.
[6] ر ث: والأمن له؛ ن: لجبريل عليه السلام والآمر له.
[7] ث: والله أعلم الموفق.
[8] ن – الآية.
[9] ر: المرة اة لفتل.
[10] ر ن م + أي؛ ث: يحتمل أي استوى. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ + أي. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر ث م: سئل. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن – لما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل أن يريه جبريل عليه السلام على صورته.
[14] ر: على صورة.

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾[٧]

[٧٥٩ظ] وقوله عز وجل: **وهو بالأفق**، أي جبريل بالأفق الأعلى. / ثم يحتمل: **الأفق الأعلى**، أي أفق السماء، ويحتمل أن يكون الأفق الأعلى مكان الملائكة ومسكنهم فأخبر أنه عليه الصلاة والسلام رآه[١] على صورته في مكانه. وجائز أن يكون الأفق ما ذكر في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يرى جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته فسأله أن يُريه فقال: إن الأرض لا تَسَعُني[٢] ولكن انظر إلى الأفق الأعلى فنظر فرآه. وفي بعض الأخبار: إنك لا تقدر أن تراني في صورتي ولكن انظر إلى الأفق الأعلى.[٣] ثم جائز أن يكون ما ذكر من النظر إلى الأفق الأعلى لما أن بصره كان لا يحتمل النظر إليه من قرب، ويحتمل ذلك من البعد. وذلك معروف فيما بين الخلق أن الشيء إذا كان له شعاع أو نور أو بياض شديد[٤] [فـ]إن البصر لا يحتمل النظر إليه من القرب في أول ملاقاته، ويحتمل إذا كان يبعد منه.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾[٨]

وعلى هذا قوله: **ثم دنا فتدلى**، يحتمل دنا منه جبريل عليه الصلاة والسلام شيئا بعد شيء وقرب منه كذلك ليحتمله، إذ جُبل الإنسان على طبيعة تحتمل الأشياء إذا انتهت[٥] إليه على التفاريق ما لو أتته[٦] بدُفْعة واحدة في وقت[٧] واحد لما احتملها كالحَرّ[٨] يأتي الخلقَ[٩] بعد شدة البرد شيئا فشيئا، وكذلك البرد[١٠] بعد شدة الحر شيئا فشيئا حتى يشتد ما لو أتيا بدفعة واحدة [لما احتملها الأنفس].[١١] فعلى ذلك جائز أن لا يحتمل البصر رؤية شيء بدُفعة واحدة[١٢]

---

[١] جميع النسخ: رأى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.

[٢] جميع النسخ: لا يسعني. والتصحيح من المرجع السابق.

[٣] روي عن ابن مسعود أنه قال: إن محمدا لم ير جبريل في صورته إلا مرتين، أمّا مرة فإنه سأله أن يريه نفسه في صورته، فأراه صورته فسَدَّ الأفق، وأمّا الأخرى فإنه صَعد معه حين صَعد به (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/٤٠٧).

[٤] ن - شديد.

[٥] جميع النسخ: يحتمل الأشياء إذا انتهى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.

[٦] ر ن م: أتيه.

[٧] م - وقت.

[٨] جميع النسخ: احتملها الأنفس كالحر. والترجيح من المرجع السابق.

[٩] م - الخلق.

[١٠] ن: البر.

[١١] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

[١٢] ر ث م - فعلى ذلك جائز أن لا يحتمل البصر رؤية شيء بدفعة واحدة.

إذا كان قريبا منه، ويحتمل من البعد ثم يقرب ويدنو[١] قليلا قليلا حتى يحتمل من القرب. *والله أعلم*. ثم من الناس من يقول: إن قوله تعالى: **ثم دنا فتدلى** على التقديم والتأخير، أي تدلى فدنا[٢] لأنه يكون التدلي أولا ثم الدنو منه. ومنهم من قال: بل هو على ما قال وهما سواء أعني التدلِّيَ والدنوَّ،[٣] بمنزلة القرب والدنو. ***والله أعلم***.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **فكان قاب قوسين أو أدنى**، اختلف فيه. قال بعضهم: القاب هو صدر القوس، أي فكان قدرَ[٤] صدر القوس[٥] من الوَتَر مرتين. وقال بعضهم: أي قدر قوسين حقيقة. وقال القُتَبِي: **قابَ**، قدرَ **قوسين**، عَرَبِيَّتَيْن.[٦] وقال أبو عَوْسَجَة: القاب قدر الطُّول. وقيل: القوس الذراع هاهنا، أي كان قدر ما بينهما[٧] ذراعين، قال: والأول أعجب إليَّ لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَقَابُ قوسِ أحدكم، أو موضع[٨] قِدِّه خير من الدنيا وما فيها»،[٩] والقِدُّ السَّوط.

فنقول: أيّ الوجوه كانت[١٠] ففيه[١١] دليل أنه لم يكن جبريل عليه السلام يبعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لا يحيط به لأن الشيء إذا بعد عن البصر يعرفه[١٢] بالاجتهاد

---

[١] ر م: ويدنوا.

[٢] جميع النسخ: قربا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.

[٣] ر: والدنوا.

[٤] ن م + قوس.

[٥] ث: فكان قد صدر القوس.

[٦] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٨.

[٧] ن: ما بينها.

[٨] جميع النسخ: أي موضع. والتصحيح من رواية الحديث.

[٩] روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «لَغَدْوة في سبيل الله أو رَوْحةٌ خير من الدنيا وما فيها، ولَقاب قوس أحدكم أو موضع قده [وفي الترمذي: أو موضع يده] يعني سوطه من الجنة، خير من الدنيا وما فيها، ولو اطَّلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض، لملأت ما بينهما ريحا ولطاب ما بينهما، ولَنَصِيفُها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣/١٤١؛ *وسنن الترمذي*، فضائل الجهاد ١٨). «وفي صفة الحور: "ولَنَصيف إحداهن خير من الدنيا وما فيها" هو الخمار، وقيل: المِعْجَر» (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، ٩٠٦).

[١٠] جميع النسخ: كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.

[١١] ن: فيه.

[١٢] ر ث م: لعرفه.

ولا يدركه حقيقة، وكذلك[1] إذا قرب منه حتى ماسّه والتصق به قصر البصر عن إدراكه. وإذا كان بين البعد والقرب أحاط به وأدركه. فيخبر الله تعالى أنه أحاط به علما وأدركه حقيقة لا أن كان معرفته إياه بطريق الاجتهاد. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أو أدنى**، قال أهل التأويل: حرف "أو" حرف شك، وذلك غير محتمل من الله تعالى ولكن معناه على الإيجاب، أي بل أدنى. وقال بعضهم: **أو أدنى** في اجتهادكم ووهمكم لو نظرتم إليهما لقلتم إنهما بالقرب والدنو قدر قوسين أو أدنى.

## ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **فأوحى إلى عبده ما أوحى**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على التقديم والتأخير.[2] أي فأوحى جبريل ما أوحى [الله تعالى][3] إليه إلى محمد عبده ورسوله عليهما الصلاة والسلام. والثاني فأوحى الله جل وعلا إلى عبده جبريل[4] ما أوحى هو إلى محمد عليهما الصلاة والسلام.

## ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[١١]

وقوله عز وجل: **ما كذب الفؤاد ما رأى**، قرئ كَذَبَ مخفف الذال ومُشدَّده.[5] فمن قرأ بالتخفيف أي ما كذَب عبدُه في ما رأى، أي ما رأى حق. وقال أبو عُبيدٍ:[6] ما كذب في رؤيته، أي رؤيته قد صدقت. ومن قرأ بالتشديد أي لم يجعل الفؤادُ رؤية العين كذِبا. وعندنا أي ما رد الفؤاد ما رأى[7] البصر. وأصله أن الفؤاد مما يوعَى به، يقول: قد وعى[8] ما رأى

---

[1] ن: وكذا.

[2] ن – والتأخير.

[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.

[4] م – جبريل.

[5] قرأ أبو جعفر وهشام: ﴿ما كَذَّبَ الْفُؤَادُ﴾ مشددة الذال، وقرأ الباقون: ﴿ما كَذَبَ﴾ خفيفة الذال (انظر: *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤١٨؛ *والنشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٣).

[6] هو أبو عُبيد القاسم بن سَلَّام البغدادي، الإمام المشهور، ذو التصانيف، له كتب في معاني القرآن وغريب الحديث والفقه وغير ذلك. وكان ثقة علامة. مات سنة ٢٢٤هـ/٨٣٩م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٤٩٠-٥٠٩؛ وتقريب *التهذيب* لابن حجر، ٤٥٠.

[7] م + أي.

[8] ر + يقول قد وعى به؛ م + به.

[أي][1] لم يتركه و لم يضيعه.[2] وقيل: **ما كذب الفؤاد ما رأى**، أي ما علم، والرؤية كناية عن العلم. لكن لو كان المراد منه العلم فلا يحتمل ما ذكر: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى،[3] ولا يتصور أن يعلم مرتين، وكذا ذكر أنه رأى ربه مرتين ولا يحتمل العلم مرتين فدل أن الحمل على العلم لا يصح.

وأصله عندنا **ما كذب الفؤاد ما رأى** من الآيات، دليله ما ذكر في آخره: لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى،[4] وقال: وَلَقَدْ رَآهُ[5] نَزْلَةً أُخْرَى. وعن الحسن أي رأى[6] عظمة من عظمة الله وأمرا من أمره.[7] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «رأى جبريلَ عليه السلام على صورته مرتين»،[8] أي ما كذب الفؤاد ما رأى البصر جبريل عليه الصلاة والسلام ولقد رآه أيضا مرة أخرى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى.[9]

ومنهم من قال: إنه رأى ربه على العِيان بعينه. فهو خلاف ما ثبت من وعد الرؤية في الآخرة بالكتاب والسنة المتواترة،[10] ولأنه لو رأى ربه تعالى على ما قالوا لكان لا يَحتاج إلى أن يرى آياته الكبرى لأن رؤية الآيات إنما يُحتاج إليها[11] عند ما يُعرَف الشيء بالاجتهاد. فأما عند المشاهدة وارتفاع الموانع لا حاجة تقع[12] إليها إلا أن يقال برؤية[13] القلب على ما ذكر في الخبر أنه سئل عن ذلك فقيل: هل رأيت ربك؟ فقال: «رأيته مرتين بقلبي». وفي بعض الأخبار قال: «أما بعيني فلا وأما بفؤادي فقد رأيته مرتين».[14] ويفسرون رؤية / القلب بالعلم [٧٦٠و]
ولكن الإشكال عليه ما ذكرنا فإن ثبت الحديث فهو على ما كان وأراد لا يفسر ذلك،

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧١ظ.
[2] ر: ولم يضيقه.
[3] الآية ١٣ من هذه السورة.
[4] الآية ١٨ من هذه السورة.
[5] ر: وقال أراه.
[6] ر: أو رأى.
[7] انظر: *تفسير الحسن البصري*، ٣٠٨/٣؛ و*تفسير ابن كثير*، ٤٢٥/٧.
[8] *سنن الترمذي*، التفسير ٥٣.
[9] انظر: الآية ١٣ و ١٤ من هذه السورة.
[10] ر م: المتواتر.
[11] ن + إلى أن يرى آياته الكبرى لأن رؤية الآيات إنما يحتاج إليها.
[12] جميع النسخ: يقع.
[13] ن: يريد.
[14] روي عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ أنه قال: رأى محمد ربه عز وجل بقلبه مرتين (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٢٣/١؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ٢٨٥).

وكذلك قول من يقول[1] في قوله تعالى: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى:[2] "إنه دنا من ربه"[3] قولٌ وَحْش فيه إثبات المكان والتشبيه، تعالى الله عن ذلك. ولكن المراد ما ذكرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دنا من جبريل عليه الصلاة والسلام على ما ذكرنا.

ثم في قوله تعالى:[4] **ما كذب الفؤاد ما رأى**، وقوله تعالى: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى،[5] إلى آخره[6] ذِكرُ[7] خصوصية رسولنا صلى الله عليه وسلم من بين غيره من الخلائق؛ منها رؤية جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته، ورؤية الرب تعالى بقلبه إن ثبت الحديث عنه، وبلوغه إلى سدرة المنتهى إذ لم يذكر لأحد من رسل الله تعالى أنه بلغ هذا المبلغ سواه.

## ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **أفتمارونه على ما يرى**، عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس[8] أنهما قرءا[9] مفتوحة التاء بغير ألف،[10] ومعناه: أفتجحدونه؟ وعن الحسن بالألف مضمومة التاء وقال: معناه أفتجادلونه؟[11] وعن شريح مثله.[12] قال أبو عبيد: فالأولى[13] أن يقرأ بمعنى الجحود، وذلك أن المشركين إنما كان شأنهم الجحودَ فيما يأتيهم من الخبر السماوي وهو أكثر[14] من المماراة والمجادلة.

---

[1] ن + ثم.

[2] الآية ٨ و ٩ من السورة.

[3] ن + أنه.

[4] ن + ثم.

[5] الآية ١٣ و ١٤ من السورة.

[6] م: إلى آخر ما.

[7] ن: ذلك.

[8] ن ث: عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما (ن: عنهم).

[9] ر م: قرأ.

[10] قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف: ﴿أَفَتَمْرُونَه على ما يَرى﴾ بفتح التاء وسكون الميم من غير ألف، وقرأ الباقون: ﴿أَفَتُمَارُونَه﴾ بالألف وضم التاء (انظر: *والمبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤١٩؛ *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٣).

[11] ن – وعن الحسن بالألف مضمومة التاء وقال معناه أ فتجادلونه.

[12] *الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٤٧.

[13] جميع النسخ: بالأولى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢و.

[14] ر ث م: أكبر.

وقيل: أفَتَمْرونه،[1] أي أفتُشَكّكونه[2] على ما يرى.[3] وقال أبو بكر الأصم: لا يصح القراءة بغير ألف ولا تأويله إنما القراءة بالألف وتأويله: أفتجادلونه. ونحن نقول بأن تأويل ما ذكر[4] من الجحود والقراءة صحيح. وتأويل من قال: أفتجادلونه[5] على ما يرى لا يحتمل، لأن مجادلتهم لا يكون فيما يَرى لكن يجادلونه على ما يخبر أنه يرى[6] إذ في الخبر يقع التكذيب وبه يجادلونه. *والله أعلم*.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **ولقد رآه نزلة أخرى**، فهو على ما ذكرنا من اختلاف الناس أن ما رأى[7] أيشٍ هو. *والله أعلم*.

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **عند سدرة المنتهى**، قيل: سمى ذلك الموضع سدرة لما انتهى إليه علم الخلق فلا يجاوزه، وقيل: لما انتهى إليه كرامات الخلق لا يجاوز كراماتهم عنها. وقيل: السدرة الشجرة، ويروون[8] في ذلك خبرا مرفوعا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: «رأيت جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى عليه كذا كذا من جناح».[9] وقيل: سميت سدرة المنتهى لما ينتهي إليها أرواح الشهداء. ثم جائز أن يكون رسول الله[10] صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام أولا عند سدرة المنتهى من الأرض إما برفع الحجب عنه وإما بزيادة قوة وضعت في بصره ثم رآه مرة أخرى هنالك أيضا بعد ما رفع صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى. *والله أعلم*.

---

[1] وفي هامش *الشرح*: أفتمرونه بفتح التاء وتسكين الميم من غير ألف كوفي غير عاصم ويعقوب، ورقة ١٧٢و.
[2] ر ث م: تشككونه؛ ن: يشككونه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢و.
[3] ن ث: ترى.
[4] ث: من ذكر.
[5] ن - ونحن نقول بأن تأويل ما ذكر من الجحود والقراءة صحيح وتأويل من قال أفتجادلونه.
[6] جميع النسخ: جرى. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ث م - رأى.
[8] ر: ويرون.
[9] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤١٢/١، ٤٦٠.
[10] ن - رسول الله.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **عندها جنة المأوى**، قرئت بنصب الجيم وخفضه. روي أنه قيل: لسعد[١] بن أبي وقاص رضي الله عنه: إن فلانا يقرأ بالخفض: عندها جِنة المأوى،[٢] فقال سعد: ما كذا جَنة الله وقرأ بالفتح. وعن الأعمش[٣] قال: قالت [عائشة:] من قرأ جِنة المأوى فأجنه الله.[٤] وعن أبي العالية قال: سئل عنها ابن عباس رضي الله عنه فقال: لي كيف تقرأها[٥] يا أبا العالية؟ فقلت: **جَنة المأوى**، بفتح الجيم، فقال: صدقت وهي مثل الأخرى: فَلَهُمْ جَنَّاتُ[٦] الْمَأْوَى.[٧] وعن الحسن أنه قرأ: **جَنة المأوى**، وقال: إنها من الجِنان ويصدّقها[٨] حديث الإسراء أنه أُرِيَ الجنةَ وأُدخلها. قال: ودلت الآية أن الجنة [هي] التي يأوي إليها المؤمنون في السماء.

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **إذ يغشى السدرة ما يغشى**، قال عامة[٩] أهل التأويل: يغشاها فراش من ذهب، وكذا ذكر في خبر مرفوع أنه قال: «رأيت عليها[١٠] فراشا من ذهب».[١١] ولكن لا تفسر[١٢] ما الذي يغشى السدرة بل نُبهم كما أبهم الله تعالى إلا بحديث ثبت عن تواتر. *والله أعلم*.

---

[١] ر م: لسعيد.

[٢] ن – قرئت بنصب الجيم وخفضه روي أنه قيل لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إن فلانا يقرأ بالخفض عندها جنة المأوى.

[٣] ر: وعن الأعش.

[٤] ن: من قرأ جنة المأوى جنة المأوى قال جنة الله.

[٥] ر ث م: يقرأها.

[٦] ر ث م: جنة.

[٧] سورة السجدة، ١٩/٣٢. ورويناء عن قرطب قال: سأل ابن عباس أبا العالية: كيف تقرءونها يا أبا العالية؟ فقال: ﴿عندها جَنَّةُ المأوى﴾ فقال: صدقت، هي مثل الأخرى: ﴿جنَّات المأوى﴾ فقالت عائشة رحمة الله عليها: من قرأ ﴿جِنَّةُ المأوى﴾ يريد جُن عليه، فأجنه الله. قال أبو حاتم: روي عن ابن عباس وعائشة وابن الزبير قالوا من قرأها ﴿جِنَّةُ المأوى﴾ فأجنه الله، قال: وقال سعد بن مالك: وقيل إن فلانا يقرأ: ﴿جِنَّةُ المأوى﴾ فقال: ماله أجنه الله (*المحتسب* لابن جني، ٣٤٣/٢).

[٨] جميع النسخ: وتصديقها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢ظ.

[٩] ن – عامة.

[١٠] ر ث م – أنه قال رأيت عليها؛ ر ث م + غشاها.

[١١] *الدر المنثور* للسيوطي: ٦٥١/٧.

[١٢] جميع النسخ: لا يفسر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢ظ.

وقال بعضهم في قوله تعالى: **إذ يغشى السدرة ما يغشى**، أي ما يغشى[١] من أمر الله تعالى، ويروون خبرا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما انتهيت إلى السدرة رأيت ورقها أمثال آذان الفيلة، ورأيت نَبْقَها أمثال القِلال؛ فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت...» فذكر الياقوت.[٢] إن ثبت هذا الخبر ففيه دليل أن السدرة[٣] شجرة إذ ذكر ورقها وفيه أن الذي يغشاها أمر الله تعالى. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: **إذ يغشى السدرة ما يغشى**، الملائكة.[٤] *والله أعلم*.[٥]

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **ما زاغ البصر وما طغى**، قال أبو بكر [الأصم]: أي ما قَصُر البصر عن الحد الذي أمر وجُعل له. **وما طغى**، وما جاوز عنه، أو كلام نحوه. ويحتمل: **ما زاغ**، أي ما مال وما عدل يمينا وشمالا، **وما طغى**، وما جاوز. وقال أبو عَوْسَجَة: **ما زاغ البصر**،[٦] أي ما مال، **وما طغى**، من الارتفاع، طغى الماء إذا ارتفع يَطغَى طُغيانا.

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **لقد رأى من آيات ربه الكبرى**، جائز أن تكون[٧] آيات ربه التي ذكر أنه رأى هو جبريل عليه السلام حيث رآه بصورته، وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه «رآه بصورته مرتين»،[٨] و[هو] تأويل الآية، ويحتمل غيره من التأويلات.[٩] ولكن لا نفسرها. *والله أعلم*.

---

[١] ن + أي ما يغشى.

[٢] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انتهيت إلى السدرة فإذا نبقها مثل الجرار وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت ياقوتة أو زمردا أو نحو ذلك» (*مسند أحمد بن حنبل* ١٢٨/٣)؛ وانظر: *مصنف ابن أبي شيبة*، ٤٢٧/٧).

[٣] ر: أن الدرة.

[٤] *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٥٦٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٥١/٧.

[٥] ن + والله أعلم.

[٦] ن – البصر؛ ث – ما زاغ أي ما مال وما عدل يمينا وشمالا وما طغى وما جاوز وقال أبو عوسجة ما زاغ البصر.

[٧] جميع النسخ: أن يكون.

[٨] *سنن الترمذي*، التفسير ٥٣.

[٩] جميع النسخ: من الآيات.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾[١٩] ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾[٢٠] ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾[٢١] ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[٢٢]

[٧٦٠ظ] وقوله عز وجل: **أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى،** / الآية، يخرج تأويل هذه الآية على وجوه، وإلا ليس في هذا الموضع لظاهر قوله عز وجل: **ومنات الثالثة الأخرى،** جواب ولا لقوله: **ألكم الذكر وله الأنثى.** أحدها أن يقول: أهؤلاء الذين يعبدونهم من اللات والعزى ومناةَ أخبروكم وقالوا لكم: إنه اصطفى لنفسه البنات ولكم البنين وإن الملائكة بنات الله ونحوه، أخذتم ذلك منها؟ أو ممن أخذتم ذلك وأنتم قوم لا تؤمنون[١] بالرسل والكتب؟ وقد عرفوا أنها لم تخبرهم[٢] بذلك، فيذكر بذلك سفههم.

[والثاني] يقول:[٣] **أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى،** التي سميتموها آلهة وعبدتموها دون الله ونسبتم[٤] البنات إليه والبنين إلى أنفسكم؟ ثم لم يذكر جوابها أنه من أمرهم بذلك ومن اختار لهم ذلك أو ممن أخذوا ذلك؟ ثم قال: إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ،[٥] الآية، كأنه يقول -والله أعلم-: إنكم إنما سميتموها[٦] آلهة واخترتم لأنفسكم البنين وله البنات بلا سلطان ولا حجة لكم، إنما هي أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم بلا حجة ولا سلطان[٧] إنما هو هوى النفس والظن.

و[الثالث] يحتمل أن يقول: **أفرأيتم اللات والعزَى ومناتَ الثالثةَ الأُخرى،** [هل] أَمَرَتْكم[٨] بصرف شكر ما أنعم الله تعالى عليكم [إلى غيره]، و[بعدم] قبولِ ما وهب لكم من البنات على ما أخبر أنها من مواهب الله[٩] بقوله تعالى: يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ،[١٠] وبردِّ مواهبه ودفنها حَيَاتٍ[١١] ودَسِّها في التراب، وبصرف العبادة إلى غير المنعم،

---

[١] جميع النسخ: لا يؤمنون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢ظ.
[٢] ر م: لم يجزهم؛ ن ث: لم يخبرهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] جميع النسخ: أو يقول.
[٤] ر: ونسبتكم.
[٥] الآية التالية.
[٦] ر م - أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان الآية كأنه يقول والله أعلم إنكم إنما سميتموها.
[٧] ن: وسلطان.
[٨] جميع النسخ: أمركم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢ظ.
[٩] ن + من.
[١٠] سورة الشورى، ٤٢/٤٩.
[١١] م: حيا.

وقسمة البنين لأنفسكم والبنات له؟ ثم أخبر وقال: **تلك**[١] **إذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى**، أي تلك قسمة جور وظلم؛ أي صرف شكر النعم[٢] إلى غير المنعم وتوجيه العبادة إلى[٣] من لا يستحقه ورد مواهبه. على هذه الوجوه يشبه أن تخرج[٤] الآية وإلا فلا يُدْرَى[٥] ظاهرها[٦] وما تأويلها وما جواب هذا الحرف؟ ***والله أعلم***.

ثم قوله: **اللات**، قرأ مجاهد وغيره مشدد التاء.[٧] فقالوا هو رجل كان يقوم على آلهتهم ويَلُتّ لها السويق بالزيت فيُطعمه الناس.[٨] وروى ابن الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان يَلُتّ السويق للحاجّ.[٩] ومن قرأ مخفف التاء[١٠] جعلوه اسم الصنم مثل العزى ومناةَ وهي آلهة كانوا يعبدونها. ذكر قتادة في تفسيره: كان اللات بالطائف والعزى ببطن نخلة[١١] ومناةُ بِقُدَيدٍ.[١٢]

وقوله عز وجل: **تلك إذا قسمة ضِيزَى**، قال القُتَبي: هي في الأصل ضُيْزَى على وزن فُعْلَى فكسرت الضاد للياء، وليس[١٣] في النعوت فِعْلَى، أي قسمة جائرة.[١٤] وقال أبو عَوْسَجَة: **ضيزى**، أي غير مُنْصِفة، والضَّيْز في الأصل الجور،[١٥] وقال أبو عُبَيْدة: ناقصة.[١٦]

---

[١] ن – تلك.

[٢] ر ث م: المنعم.

[٣] ر م – إلى.

[٤] جميع النسخ: أن يخرج.

[٥] ث: يدرا.

[٦] جميع النسخ: ظاهره. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٢ظ.

[٧] *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٣.

[٨] اللَّتُّ الفِعْلُ من اللُّتاتِ وكلُّ شيء يُلَتُّ به سَويقٌ أو غيره نحو السَّمْن ودُهْنِ الأَلْيَةِ، وفي حديث مجاهدٍ في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾؟ قال كان رجلٌ يَلُتُّ السويقَ لهم (*لسان العرب*، «لتت»).

[٩] روى أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿اللات والعزى﴾: «كان اللات رجلا يلت سويق الحاج» (*صحيح البخاري*، التفسير ٥٣).

[١٠] *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٣.

[١١] ن: نحلة.

[١٢] *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٤٤٨؛ و*المعجم الكبير* للطبراني، ١١/٣٩٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٥٣.

[١٣] ن – وليس.

[١٤] ر ث م: جائزة. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٨.

[١٥] ر: الجوز.

[١٦] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٣٧.

وقال بعض الناس: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما تلا قوله تعالى: **أفريتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى**، ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغَرَانِيق العُلى شفاعتُهن تُرتَجَى ومثلُهن لا تُنسى.[1] ثم قال بعضهم: الغرانيق العلى الملائكة، وقال بعضهم: الأصنام التي يعبدونها على رجاء الشفاعة لهم بقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[2]

لكن لا يحتمل أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم أو يجري على لسانه ما ذكروا[3] والله تعالى قال: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ،[4] ولو جاز أن يجري على لسانه لَتُوُهِم منه التقول وذلك بعيد. وقال في آية أخرى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ.[5] ولو جاز ذلك لجاز أن يُجري الله الكذب على لسانه فلا يكونُ فيمن[6] وجد من الحرج في قضائه ما ذكر وهو الكفر. دل أن ما ذكروه فاسد. فإن ثبت ما ذكر أنه جرى على لسانه تلك الكلمات أو ألقى الشيطان في فمه يريد: تلك[7] الغرانيق العلى شفاعتهن ترتجى[8] عندهم وفي زعمهم؛ وهو كقول موسى عليه السلام: وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا،[9] أي إلى إلهك الذي هو عندك إله، وإلا لا يحتمل أن يكون موسى عليه السلام يسمي العِجْل إلها؛ وكقوله تعالى: فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ،[10] أي إلى آلهة عندهم؛ وقوله عز وجل: أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ،[11] أنها شركائي. فقد ذكرنا هذا على التمام في سورة الحج في قوله[12] عز وجل: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ،[13] الآية. ***والله أعلم***.

---

[1] انظر: تفسير الآية ٥٢ من سورة الحج؛ وانظر: *تفسير الطبري*، ١٧/١٨٧، ١٨٨؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٧/١٧٦.

[2] سورة يونس، ١٠/١٨.

[3] جميع النسخ: ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٣و.

[4] سورة الحاقة، ٦٩/٤٤-٤٦.

[5] سورة النساء، ٤/٦٥.

[6] م: في ما.

[7] جميع النسخ: بذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٣و.

[8] ث: يرتجى.

[9] سورة طه، ٢٠/٩٧.

[10] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال أ لا تأكلون ما لكم لا تنطقون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٩١-٩٢).

[11] سورة القصص، ٢٨/٦٢، ٧٤.

[12] جميع النسخ: وقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٣و.

[13] سورة الحج، ٢٢/٥٢.

**﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾**[٢٣]

وقوله عز وجل: **ما أنزل الله بها من سلطان**، أي ما أنزل الله على[1] تسميتكم الأصنامَ آلهةً وعبادتكم إياها ونسبتِكم[2] البنين إلى أنفسكم والبنات إلى الله تعالى من حجة وبرهان إنما هو من هوى النفس والظن، وذلك قوله تعالى: **إن يتبعون إلا الظن**، في قولهم: الملائكة بنات الله، أو قولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[3] أو تسميتهم[4] الأصنام آلهة وظنِّهم[5] أن آباءهم كانوا على الحق. واستدلوا على حقيقة ما كانوا عليه من الدين حيث تركهم وما اختاروا ولم يهلكهم، وقالوا: لو كانوا على باطل ما تركهم على ذلك. واستدلوا بذلك أيضا على رضاه منهم بذلك وأمرِه إياهم، كما أخبر عنهم بقوله: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[6] هذا ظنهم بالله تعالى.

[٧٦١و] وقوله: **وما تهوى الأنفس**، أي[7] يتبعون هوى[8] النفس. / فالنفس إنما تعرف[9] المنافع الحاضرة والمضار الحاضرة فأما ما غاب عنها فلا تعرف،[10] وإنما يُعرَف ذلك[11] بالتفكر والنظر؛ وهي لا تعرف[12] لما تكره[13] النظر والتفكر ولا ترغب[14] في الشدائد ولا فيما يثقل عليها. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **ولقد جاءهم من ربهم الهدى**، أي جاءهم من ربهم ما لو تفكروا ونظروا لاهتدوا ولو اتبعوا الحق والهدى لعرفوه.

---

[1] ن: من.
[2] ر م: وتسميتكم.
[3] سورة يونس، ١٠/١٨.
[4] ر م: وتسميتهم.
[5] جميع النسخ: وظنوا.
[6] سورة الأعراف، ٧/٢٨.
[7] ر م: إن.
[8] ر: هو.
[9] ر ث م: ما يعرف؛ ن: إنما يعرف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٣و.
[10] جميع النسخ: فلا يعرف. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ث: هذا.
[12] ن: لا يعرف.
[13] جميع النسخ: لما يكره.
[14] جميع النسخ: ولا يرغب. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾[٢٤]﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **أم للإنسان ما تمنى**، أي [ليس][١] للإنسان[٢] ما تمنى. ثم يحتمل تمنيهم شفاعة ما[٣] عبدوه، أو ما اختاروا من البنين لأنفسهم والبنات لله تعالى، أو ما سموا واتخذوا الأصنام آلهة، أو ما ظنوا[٤] على الله وادّعوا أمره ورضاه في فعلهم وغير ذلك مما كانوا يتمنّون. يقول: ليس للإنسان ما تمنى أن يكون له إنما يكون ذلك له بجعل[٥] الله الذي له الدنيا والآخرة. وذلك قوله تعالى: **فلله[٦] الآخرة والأولى**.

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**، يخرج هذا على وجهين. أحدهما أي كم من[٧] ملك له شفاعة لا ينفع شفاعته وإن يشفع إلا لمن ذكر. والثاني أي كم[٨] من ملك في السماوات لا شفاعة[٩] له ولا يشفع إلا لمن يشاء الله ويرضى أن يشفع، وهو كقوله تعالى: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[١٠] أي ليست لهم شفاعة تنفع[١١] لهم.[١٢] وقال أبو بكر الأصم: إنما يشفعون في الآخرة لمن شَفَعُوا في الدنيا واستغفروا لهم، كقوله تعالى: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ،[١٣] وقوله تعالى:[١٤]

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٣و.
[٢] جميع النسخ: للإنسي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر م: شيئا.
[٤] ر: آلهة وما ظنوا.
[٥] ر ث م: يجعل.
[٦] جميع النسخ: ولله.
[٧] ر ث م – من.
[٨] م + كم.
[٩] ن: ولا شفاعة.
[١٠] سورة المدثر، ٤٨/٧٤.
[١١] جميع النسخ: ينفع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٣ظ.
[١٢] م + شفاعته.
[١٣] ﴿تكاد السماوات يتفطَّرن مِن فوقهن والملائكةُ يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض﴾ (سورة الشورى، ٥/٤٢).
[١٤] ث – ويستغفرون لمن في الأرض وقوله تعالى.

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا، الآية، وقولهم: رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ،[١] وقد ذكرنا في ما تقدم الوجه في ذلك.[٢]

**﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى﴾**[٢٧]

وقوله عز وجل: **إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى،** [لا كل من لم يؤمن بالآخرة يسمي الملائكة تسمية الأنثى][٣] وإنما يسمي ذلك قوم.[٤] وقد أضاف ذلك إلى الكل في الظاهر لأن الذين يسمون الملائكة تسمية الأنثى[جماعة فكأن معناه أن جماعة من الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى].[٥] ***والله أعلم***. ويجوز أن يذكر الكل ويراد به البعض في اللغة ومثله في القرآن كثير. ***والله أعلم***.

**﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾**[٢٨]

وقوله:[٦] **وما لهم به من علم،** أي ما لهم بما يسمون الملائكة تسمية الأنثى من علم لأن العلم بمعرفة الأنثى من الذَّكَر بطريقين. أحدهما المشاهدة يشاهد ويعاين فيعرف الأنثى من الذكر، وهم لم يشاهدوا[٧] الملائكة فكيف يعرفون ذلك. والثاني خبر الرسول المؤيد بالمعجزة، وهؤلاء قوم لا يؤمنون بالرسل؛ ولا يعرف بالاستدلال. وطرقُ العلم الثلاثةُ [هي] التي ذكرنا. فإذا[٨] كان [ما ذكرنا][٩] حصل قولهم بلا علم ولكن على الظن، وذلك قوله تعالى: **إن يتبعون إلا الظن،** أي ما يتبعون في قولهم الذي قالوا إلا الظن، ووجه ظنهم ما ذكرنا. ثم أخبر أن ظنهم لا يغنيهم من الحق شيئا، فهو يخرج على وجهين. أحدهما أن الظن الذي ظنوا لا يدفع عنهم ما عليهم من اتباع الحق ولزومه. والثاني أن ظنهم الذي ظنوا في الدنيا لا يدفع عنهم ما لزمهم من العذاب في الآخرة.

---

[١] سورة المؤمن، ٤٠/٧-٨.
[٢] انظر: تفسير هاتين الآيتين.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٣ظ.
[٤] ر م: قيوم.
[٥] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٦] ر + وقوله.
[٧] ر: لم يشاهدو.
[٨] ن: فماذا.
[٩] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **فأعرض عمن تولى عن ذكرنا**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على ترك مكافأتهم، أي لا تكافئهم لصنيعهم وأذاهم. والثاني يخرج على الإياس له من إيمانهم، أي لا تشتغل بهم فإنهم لا يؤمنون أبدا. فهو في قوم خاص علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون.

وقوله[١] عز وجل: **ولم يرد إلا الحياة الدنيا**، يحتمل أنهم كانوا لا يؤمنون بالآخرة فلم يريدوا بحسناتهم التي فعلوا إلا الحياة الدنيا، لأنهم كانوا يتصدقون ويَصِلُون الأرحام لكن لم يريدوا[٢] بذلك إلا ما ذكر في الحياة الدنيا. وجائز أن يكون الإرادة هاهنا كناية عن العمل. وقوله عز وجل: **ولم يرد إلا الحياة الدنيا**، أي لم يعمل للآخرة رأسًا، يخبر عنهم أنهم يعملون للدنيا[٣] لا للآخرة، وهو كقوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ، وقوله عز وجل: وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ،[٤] الآية، ونحو ذلك.

﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **ذلك مبلغهم من العلم**، بأن لا يؤمنوا بالآخرة ولا يعملوا لها. وقال بعضهم: **ذلك مبلغهم من العلم**،[٥] أي ذلك مبلغ رأيهم من العلم أن الملائكة بنات[٦] الله وأنها تشفع لهم.

وقوله عز وجل: **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى**، مثل هذا الكلام إنما يخرج على إثر خصومات كانت من أولئك الكفرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كأن أولئك الكفرة قالوا: نحن على الهدى وأنتم على الضلال. فقال عند ذلك: فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا،[٧] ثم قال: **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى**، أي هو أعلم بمن ضل عن سبيله فيجزيه جزاء ضلالة في الآخرة وهو أعلم بمن اهتدى فيجزيه[٨] جزاء الهدى. ***والله أعلم.***

---

[١] ن: قوله.

[٢] جميع النسخ + إلا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٣ظ.

[٣] ر: الدنيا.

[٤] سورة الإسراء، ١٧/١٨-١٩.

[٥] ن ث – بأن لا يؤمنوا بالآخرة ولا يعملوا لها وقال بعضهم ذلك مبلغهم من العلم، صح هـ.

[٦] ر ن: آيات.

[٧] الآية السابقة.

[٨] ر م: فنجزيه.

**﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾**[٣١]

وقوله عز وجل: **ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول: **لله ما في السماوات وما في الأرض**، وهو غني عن عبادتكم وإنما يأمركم وينهاكم ليجزيكم بأعمالكم لا لمنافع يرجع إليه. والثاني **لله ما في السماوات وما في الأرض**، / أي إنما أنشأ أهل السماوات والأرض [٧٦١ظ] ليمتحنهم بالأمر والنهي ثم ليجزي الذين أساؤا جزاء الإساءة والذين أحسنوا جزاء الإحسان. ولو كان على ما قال أولئك الكفرة أن لا بعث ولا جزاء لكان خلْقهم وخلقُ ما ذكر عبثا باطلا، وفي الحكمة التفريق بين المسيء والمحسن وفي الدنيا تحققت التسوية بينهما، فدل ذلك على دار أخرى يفرِّق[1] بينهما فيها. ثم يحتمل جزاء إساءة أولئك في الدنيا والآخرة؛ في الدنيا القهر والدَّبْرة والهزيمة، وفي الآخرة النار؛ وجزاء المحسن في الدنيا النصر والظفر، وفي الآخرة الجنة.

**﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾**[٣٢]

ثم نعت الذين أحسنوا[2] بالحسنى[3] وهو التوحيد فقال: **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش**، ثم يحتمل أن يكون الكبائر ما يعرفها كل أحد أنها كبيرة، والفاحشة ما يعرفها كل أحد أنها فاحشة، واللمم[4] على هذا يجيء أن يكون من[5] تلك[6] الكبائر والفواحش لأنه استثناه[7] منها[8] فيجب أن يكون من جنسها، لكنه استثناها[9] وعفا عنها لما يقعون فيها

[1] ن: تفرق.
[2] ر م: أحسن.
[3] ر م: الحسى.
[4] ر: واللهم.
[5] ر م – من.
[6] ر: ذلك.
[7] جميع النسخ: الفواحش لأنه استثناها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٤و.
[8] ر ث م – منها.
[9] يبدو أن كلمة "اللمم" قد تستعمل مؤنثة رعاية لمعنى الجنس.

عن غفلة[1] وسهو أو عن[2] غلبة شهوة ونحوها،[3] وهو الأشبه بتأويل الآية. وقال أهل التأويل: الكبائر والفواحش هي التي ذُكر فيها الحد في الدنيا والعقوبةُ في الآخرة، واللمم[4] التي لم يذكر لها حد في الدنيا ولا عقوبة في الآخرة. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال:[5] «زنا العين النظر وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي ويصدّق ذلك ويُكذبه الفرج، فإن تقدم فهو زنا وإلا فهو لمم».[6] وفي رواية: «إن تقدم كان[7] زنا وإن تأخر كان لمما».[8] وعن[9] ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت أشبه باللمم مما[10] قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا مَحالةَ، فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق[11] والنفس يتمنى ويشتهي والفرج يُصدق ذلك كله أو يكذّبه».[12] وعن أبي هريرة أنه [قال]:[13] النظْرة والغمزة والقُبْلة والمباشرة.[14] وعنه: إن اللمم[15] النكاح. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: اللمم لمم[16] الجاهلية، كقوله تعالى: وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ.[17] وعن ابن عباس رضي الله عنه: هو أن يُلِمّ[18] المرأة.[19]

---

[1] ر: من غفلة.

[2] ث + غفلة.

[3] ن ث: ونحو هذا.

[4] ر: واللحم.

[5] ن – أنه قال.

[6] ر: لحم. *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٢٥٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٥٥.

[7] ن: فهو.

[8] م: لمم.

[9] جميع النسخ: عن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٤و.

[10] م: ما.

[11] ث: المنطق.

[12] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٢٧٦، ٣٧٩؛ وصحيح *البخاري*، الاستئذان ١٢، القدر ٩؛ وصحيح *مسلم*، القدر ٢٠؛ وسنن *أبي داود*، النكاح ٤٣.

[13] م – أنه. الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٤و.

[14] تفسير *الطبري*، ٢٧/٨٧؛ وتفسير ابن كثير، ٧/٤٣٦.

[15] ر: إن اللحم.

[16] ر: اللحم لحم.

[17] سورة النساء، ٤/٢٣.

[18] ث: تلم.

[19] تفسير *الطبري*، ٢٧/٨٩.

وقيل: **اللمم**، الهمّ[١] بالخطيئة من جهة حديث النفس[٢] شيئا من غير عزم. وقيل: إن اللمم[٣] مقاربة[٤] الشيء من غير دخول فيه.

وعن[٥] ابن عباس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

إن تغفِر اللهمّ[٦] تَغفرْ[٧] جَمّا وأيّ عبدٍ لك لا أَلَمّا.[٨]

وقيل: اللمم[٩] الصغير من الذنوب لقوله: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ،[١٠] الآية.[١١] وقال القُتَيِي: اللمم[١٢] الصغار من الذنوب، وهو من أَلَمّ بالشيء إذا لم يتعمق فيه و لم يَلزمه.[١٣] وقال بعضهم: اللمم[١٤] ما بين الحدين: حد الدنيا وحدِ الآخرة، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه،[١٥] وذلك يحتمل والأول أقرب. وقال أبو بكر الأصم: اللمم[١٦] التي يتوب عنها فإنهم إذا تابوا عنها يتجاوز عنهم. فهو يجعل اللمم[١٧] من تلك الكبائر والفواحش، لكنه يقول:[١٨] إنما استثنى لما يتوب عنها لما يقعون فيها على السهو والغفلة أو لغلبة شهوة على حسن الظن بربه فيغفر له، أو يتوب عليه فيعفو[١٩] عنها. وعلى تأويل أهل التأويل اللمم[٢٠] ما دون الكبائر والفواحش.

---

[١] ر: اللحم الهم.
[٢] ن – وعن ابن عباس رضي الله عنه هو أن يلم المرة وقيل اللمم الهم بالخطيئة من جهة حديث النفس، صح ه.
[٣] ر: اللحم.
[٤] ر ث م: مقارنة.
[٥] ن: عن.
[٦] جميع النسخ: لاهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٤و.
[٧] ن: يغفر يغفر.
[٨] انظر: *لسان العرب*، «لمم».
[٩] ر: اللحم.
[١٠] سورة النساء، ٤/٣١.
[١١] ن – الآية.
[١٢] ر: اللحم.
[١٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٩.
[١٤] ر: اللحم.
[١٥] *تفسير ابن عباس*، ٨٤٦؛ و*تفسير الطبري*، ٢٧/٩٠.
[١٦] ر: اللحم.
[١٧] ر: اللحم.
[١٨] ن: تقول.
[١٩] ر: فيعفوا.
[٢٠] ر: اللحم.

وجائز أن يكون الكبائر والفواحش التي ذكر كبائر الشرك وفواحشه،[1] كقوله عز وجل: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً،[2] الآية، وقوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا.[3] فيكون اللمم[4] على هذا ما دون الشرك، فهو في مشيئة الله تعالى إن شاء عفى عنها وإن شاء عذب عليها، كقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.[5]

وقوله عز وجل: **إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض**، أي هو أعلم بكم وبأحوالكم ووقوعكم فيها على السهو والغفلة عفا عنكم، أي عن اللمم. وعلى قول أبي بكر: **إن ربك واسع المغفرة**، لمن تاب عنها وهو أعلم بكم[6] أنكم تتوبون[7] عنها. وعندنا ما ذكرنا[8] هو واسع المغفرة لمن شاء تاب عنها أو لم يتب. ثم إن كانت المغفرة هي الستر[9] فهي تعم[10] المؤمن والكافر في الدنيا، وإن كانت التجاوز فهي للمؤمنين خاصة. ***والله الموفق***.

وقوله عز وجل: **هو أعلم بكم**، عندنا هو أعلم بكم[11] بأنكم تعملون وتقعون فيها على السهو والغفلة، أو هو أعلم بأحوالكم وأفعالكم وما يكون منكم. ويحتمل:[12] **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم**، ما لو اجتمع حكماء البشر ما أدركوا معنى الإنسان في ذلك ولا أدركوا معنى تصوير اليدين والعينين وغيرهما[13] من الجوارح

---

[1] ر: وفواحشة.

[2] ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله و لم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٣٥).

[3] ﴿ ... من دونه من شيء﴾ (سورة النحل، ١٦/٣٥).

[4] ر: اللحم.

[5] سورة النساء، ٤/٤٨.

[6] ن - وبأحوالكم ووقوعكم فيها على السهو والغفلة عفا عنكم أي عن اللمم وعلى قول أبي بكر إن ربك واسع المغفرة لمن تاب عنها وهو أعلم بكم.

[7] ر ن م: يتوبون.

[8] ر ث م: ما ذكر.

[9] ر ث م:أيسر.

[10] ن: يعم.

[11] ر - عندنا هو أعلم بكم.

[12] ر ث م - يحتمل.

[13] ر م: وغيرها.

وقتَ ما كنتم أَجِنَّة في بطون أمهاتكم. ثم نِسْبَتُنا[١] إلى الأرض بقوله تعالى: **إذ أنشأكم**[٢] **من الأرض**، يحتمل وجهين. إما الخلق أصلنا من الأرض، كقوله تعالى: خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ،[٣] ونحوه. أو لجعل أقواتنا منها لقوله تعالى: وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا،[٤] إذ لا قوام لنا إلا بذلك الغذاء والقوت الذي يخرج من الأرض. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فلا تزكوا أنفسكم**، في ظاهر / الآية نهيٌ عن التزكية، وأَمَر في آية أخرى [٧٦٢و] بالتزكية ورغّب فيها حيث قال: وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ.[٥] لكن فيما أمر بالتزكية أمر بإصلاح أنفسهم في أنفسهم وتزكيتها فعلا وفي ما نهى عن التزكية نهى عن أن يَصِفوا أنفسهم بالتزكية والصلاح والتُّقَى والبراءة، لعل ذلك ليس بتزكية في الحقيقة إذ[٦] يكون فيهم من الفساد ما لا يستحق التزكية والوصف بالبراءة.[٧] *والله أعلم*.

فإن قيل: إن الله تعالى لما نهانا عن التزكية فكيف جاز لنا أن نقول لأنفسنا إنا مؤمنون ومسلمون[٨] إذ ذلك مدح وتزكية.

قيل: إنا أمرنا بقول الإيمان والإسلام ابتداء حيث قال: قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ،[٩] الآية، وقوله: وَأَسْلِمُوا،[١٠] ونحو ذلك، ولم نؤمر[١١] بمثله ابتداء في الصلاح ونحوه بأن نقول:[١٢] نحن صلحاء أتقياء. فجاز أن لا نمتنع في الإيمان ونمتنع[١٣] في غيره من الطاعات. والثاني أنْ ليس في نفس الإيمان تزكيةٌ لأن كل أهل[١٤] الأديان مؤمنون بشيء كافرون بشيء، بقوله: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ،[١٥]

---

[١] ن: يستثني.
[٢] ر ث م - إذ أنشأكم.
[٣] سورة الروم، ٢٠/٣٠؛ وسورة فاطر، ١١/٣٥؛ وسورة المؤمن، ٦٧/٤٠.
[٤] سورة فصلت، ١٠/٤١.
[٥] سورة البقرة، ١٥١/٢.
[٦] جميع النسخ: أو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٤ظ.
[٧] ن: والبراءة.
[٨] ن: مسلمون.
[٩] سورة البقرة، ١٣٦/٢.
[١٠] ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾ (سورة الزمر، ٥٤/٣٩).
[١١] ر م: ولم يؤمر.
[١٢] ر م: يقول.
[١٣] ر م: أن لا يمتنع في الإيمان ويمتنع. ن ث: أن لا يمتنع في الإيمان ويمتنع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٤ظ.
[١٤] ث: لأن أهل كل.
[١٥] سورة البقرة، ٢٥٦/٢.

وقول أولئك: نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ،[1] وقوله:[2] يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ،[3] وفي نفس التقى والصلاح تزكية.

وقيل: **ولا تزكوا أنفسكم**، أي لا تزكوا[4] أهل دينكم ومذهبكم. وذلك متعارف في الناس أنهم يزكون أهل مذهبهم وإن كانوا لا يعرفون صلاحهم وتقواهم ويذمون أهل خلافهم في مذهبهم وإن لم يعرفوا منهم الشر وما به يجب المذمة وذلك محتمل. ويحتمل[5] ما ذكرنا أنه نهى كلا في نفسه أن يزكّيَ. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **هو أعلم بمن اتقى**، أي اتقى محارم الله ومناهيه، ويحتمل أي اتقى الكفر بالله والشرك به.

## ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾[٣٣] ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾[٣٤]

وقوله[6] عز وجل: **أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما **أفرأيت الذي تولى**، من كبراء[7] الكفرة وعظمائهم، **وأعطى قليلا**، من المال لضَعفَة أهل الإيمان ليَرجعوا عن الإيمان بمحمد والتصديق له ويَكذِبوا عليه. وقوله: **وأكدى**، أي قطع عنهم في وقت أيضا، وكذا قال القُتَبِي: **وأكدى**، أي قطع. وهو من كُدْيَة الرَّكِيّة، وهي الصلابة فيها إذا بلغها الحافر يئس من حفرها فقَطَع الحَفْرَ.[8] وقيل لكل من طلب شيئا فلم يبلغ أو أعطى فلم يُتمم: أكدى.[9] وقال أبو عَوْسَجَة: أكدى بخل،[10] ورجل مُكْدٍ[11] بخيل.[12]

---

[1] سورة النساء، ١٥٠/٤.
[2] ر ن م: وقولهم.
[3] سورة النساء، ٥١/٤.
[4] ن: ولا تزكوا.
[5] ر م: يحتمل.
[6] ن: قوله.
[7] ر: من الكبير؛ ث م: من كبر.
[8] كَدَى الرجل يكدِي وأكدى: قلّل عطاءه، وقيل بخل. وفي التنزيل العزيز: ﴿وأعطى قليلا وأكدى﴾، قيل: أي وقطع القليل. قال الفراء: أكدى: أمسك من العطية وقطع. وقال الزجاج: معنى أكدى: قطع. وأصله من الحفر في البئر. يقال: للحافر إذا بلغ في حفر البئر إلى حجر لا يمكنه من الحفر: قد بلغ إلى الكُدْيَة، وعند ذلك يقطع الحفر. والركية: البئر تحفر، والجمع: ركي وركايا (*لسان العرب*، «كدى»، «ركو»).
[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٩.
[10] ث: يحل.
[11] جميع النسخ: مكدي.
[12] ر: تبجيل.

﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾[٣٥]

وقوله: **أعنده علم الغيب فهو يرى**، فهو -والله أعلم- أعنده علم الغيب فيأمر بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ويأذن له بالتولي عنه وإعطاءِ المال على التكذيب له، أي ليس عنده علم الغيب لأنهم قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب، وأسباب العلم هذا.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾[٣٦] ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى**، كأن هذا مقطوع من الأول، كان أولئك الكفرة يقولون لأتباعهم: إنا نتحمّل منكم الظلم والوزر، فلا تأتوا محمدا ولا تصدقوه، كقوله تعالى حكاية عنهم: اِتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ،[١] فقال عند ذلك: **أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وَفَّى** أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، أي قد بينا في صحفهما: أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى. وقيل: إنما سمي وفيا[٢] لأنه بلّغ ما أمر بتبليغه، وقيل:[٣] لأنه كان يصلي أربع ركعات عند الضحى. وعلى ذلك يروون خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أتدرون ما وفّى؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال[٤] «وفّى أربع ركعات»[٥] فإن ثبت هذا اُكْتُفِي عن تأويلٍ آخرَ. وأصله أنه سماه وَفِيًّا لما قام بوفاء ما أمر به.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **ألا تزر وازرة وزر أخرى**، فيه أن هذا في الكتب كلها: في صحف إبراهيم وموسى وغيرهما من الكتب أن لا يحمل أحد وزر آخر إنما يحمل وزر نفسه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:[٦] لا يؤخذ الرجل بذنب غيره.[٧] وعن عمرو بن أويس[٨] قال: كان الرجل يؤخذ في الجاهلية بذنب غيره حتى نزلت الآية.[٩]

---

[١] سورة العنكبوت، ١٢/٢٩.

[٢] ر: وفيتا.

[٣] ر: قيل.

[٤] ر م - قال.

[٥] *تفسير الطبري*، ٧٣٥/١؛ و*تفسير ابن كثير*، ٤٣٩/٧.

[٦] ر + قال.

[٧] عن ابن عباس ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ قال: كانوا قبل إبراهيم يأخذون الولي بالولي، حتى كان إبراهيم، فبلّغ ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ لا يؤاخذ أحد بذنب غيره (*تفسير الطبري*، ٩٥/٢٧).

[٨] جميع النسخ: أوس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٥و.

[٩] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٥٩٩/٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٦١/٧.

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى،**[١] يشبه أن يكون قوله: **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى،** أي ليس على الإنسان إلا ما سعى لأنه جل وعلا يثيب ويعطي الزيادة على ما سعى بفضله وكرمه، كقوله تعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا؛[٢] ونحو الصغار التي لا سعي لهم قد يعطيهم[٣] الثواب بفضله. وأما جزاء الشر فإنه لا يكون إلا بالمثل، كقوله تعالى: فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا. وجائز أن يكون "له" بمعنى "عليه" في اللغة،[٤] كقوله تعالى: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[٥] أي فعليها. ويحتمل أن تكون[٦] الآية في أولئك الكافرين[٧] الذي نزل فيهم قوله تعالى: أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى،[٨] يقول: ليس لذلك الإنسان إلا ما سعى.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **وأن سعيه سوف يرى،** وحرف "سوف" من الله سبحانه وتعالى على التحقيق والإيجاب كحرف "لعل وعسى" فيكون قوله تعالى: **سوف يرى،** أي يَرَى جزاءَ عمله لا محالة.

﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾[٤١]

ثم قوله عز وجل: **ثم يجزاه الجزاء الأوفى،** جزاءُ الآخرة على الوفاء لا نقصان فيه، خيرا كان أو شرا. ويحتمل أن يكون ذلك للكافر يجزى جزاءَ الشرك وجميعِ ما يعمل من السوء. فأما المؤمن فإنه يكفِّر سيئاته ويجزَى جزاءَ الخيرات، كقوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ

[٧٦٢ظ] أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا / وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ [فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ].[٩]

---

[١] ر ث م + الآية.

[٢] ﴿... ومن جاء بالسيئة فلا يُجزى إلا مثلها وهم لا يُظلَمون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٦٠).

[٣] ن: فلا يعطيهم.

[٤] أي وأن ليس على الإنسان.

[٥] سورة الإسراء، ١٧/٧.

[٦] ر ن م: أن يكون.

[٧] ر م: الكافرون.

[٨] الآية السابقة.

[٩] سورة الأحقاف، ٤٦/١٦.

﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **وأن إلى ربك المنتهى**، سَمّى الآخرة منتهى ومصيرا ورجوعا، ويحتمل أي إلى جزاء ربك ينتهي.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **وأنه هو أضحك وأبكى**، بين الله عز وجل قدرته وسلطانه في إنشاء أنفسهم وأحوالهم وأفعالهم. أما بيان قدرته في أنفسهم حيث قال: هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ.[١] وأما بيان قدرته في أحوالهم ما ذكر من قوله تعالى: وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى،[٢] وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا.[٣] وأما في أفعالهم قوله: **وأنه هو أضحك وأبكى**، يذكر قدرته وسلطانه بما ذكر ليعلموا أنه لا يعجزه شيء. ثم قوله عز وجل: **وأنه هو أضحك وأبكى**، يخرج على وجهين. أحدهما على الكناية والاستعارة، جعل الضحك كناية عن السرور والبكاء كناية عن الحزن. وكذا العرف في الناس أنه إذا اشتد بهم السرور[٤] ضحكوا وإذا اشتد بهم الحزن بكوا.[٥] والثاني على حقيقة الضحك والبكاء، فهو على وجهين. أحدهما أي أنشأهم بحيث يضحكون ويبكون. والثاني يخلق منهم فعل الضحك والبكاء. فهو[٦] أشبه التأويلين عندنا.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **وأنه هو أمات وأحيا**، قوله: **أمات**، يحتمل وجهين. أحدهما أي جعلهم بحيث يموتون وبحيث يَحيَون. والثاني **أمات** بإخراج روحهم، **وأحيا** بإدخال الروح فيهم، وهو كقوله تعالى: خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ،[٧] وقوله عز وجل: [اَللهُ الَّذِي] خَلَقَكُمْ [ثُمَّ رَزَقَكُمْ] ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ،[٨] فيحتمل إماتتهم في الدنيا وإحياءهم في الآخرة وأصل ذلك أنه يفعل بهم كل ما ذكرنا.

---

[١] الآية ٣٢ من هذه السورة.
[٢] الآية ٤٨ من هذه السورة.
[٣] الآية التالية.
[٤] ن + والضحك.
[٥] ر: بكو.
[٦] ن ث: وهو.
[٧] سورة الملك، ٢/٦٧.
[٨] سورة الروم، ٤٠/٣٠.

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى**، اسم الزوج يحتمل الشكل، ويحتمل المقابل. أي يجعل أحدهما شكلا للآخر وإن كانا ضدين نحو الذكر والأنثى. ويحتمل زوجين مقابلين ضدين.[١] يقول جعلهم بحيث يتزاوجون ويتشاكلون أو يتقابلون ويتضادّون. *والله أعلم*.

﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **من نطفة إذا تمنى**، أي تقذف.[٢] قال الأصم: دل قوله: **من نطفة إذا تمنى**، أنها إذا لم تقذف[٣] تصير[٤] مَذِيًا، وإنما تقذف[٥] التي تخرج[٦] على شهوة فأما التي تخرج[٧] لا على شهوة فإنها[٨] تكون[٩] مذيا ولا يوجب الاغتسال. *والله أعلم*.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **وأن عليه النشأة الأخرى**، أي في الحكمة عليه النشأة الأخرى،[١٠] لأنه لو لم تكن[١١] النشأة الأخرى كانت النشأة الأولى باطلا[١٢] عبثا غير حكمة. أو نقول:[١٣] **أن عليه النشأة الأخرى**، ليعلم أن له قدرة عليها كما له القدرة على الأولى، لأن أولئك الكفرة كانوا مقرين بالأولى والقدرة عليها وينكرون الأخرى، فيخبر أن له القدرةَ عليهما. *وبالله التوفيق*.

---

[١] ر ث م - نحو الذكر والأنثى ويحتمل زوجين مقابلين ضدين.
[٢] جميع النسخ: يقذف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٥و.
[٣] ر ن م: إذا لم يقذف.
[٤] جميع النسخ: يصير. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ن م: يقذف.
[٦] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: فإنه.
[٩] جميع النسخ: يكون.
[١٠] ث - أي في الحكمة عليه النشأة الأخرى.
[١١] جميع النسخ: لو لم يكن. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ث - باطلا.
[١٣] ر م: تقول.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **وأنه هو أغنى وأقنى**،[١] يحتمل قوله: **أغنى**، أي وسّع عليهم، **وأقنى**، أي صيّر لهم[٢] ما يقتنون به[٣] من الخَدَم وغيرها، فيكون الإغناء هو التوسيع[٤] بأنواع الأموال، والإقناء هو[٥] إعطاء القِنية من الخادم وما يحتاج إليه للمهنة، فيكون في جعل الخَدَم له فضلُ حاجةٍ لا غِنًى. وذلك دليل على صحة مذهبنا في استجازتهم دفع الزكاة إلى من له الخدم. وقيل: **أغنى**، أي أعطى ما يغنيه ويستغني به، **وأقنى**، أي أقنعه وأرضاه. وقيل: على العكس: **أغنى**، أي أرضى،[٦] **وأقنى**، أي أخدم. وعن ابن عباس رضي الله عنه: **أغنى وأقنى**، أي أكثر.[٧] وقال عطاء: يا ابن[٨] آدم، هو أغناك وأقناك، أي أعطاك الخدم على ما ذكرنا. وقال القُتَبِي: هو من القِنْيَة والنَّشَب،[٩] يقال أقنيته كذا.[١٠] وقال أبو عَوْسَجَة: هو من القُنُوّ، قَنا، [أي][١١] أعطاه مالاً يَقْنُو[١٢] قُنُوًا.[١٣]

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **وأنه هو رب الشعرى**، قيل: إن الشعرى اسم كوكب كان يعبده بعض العرب، فكأنهم ظنوا أن ما في ذلك الكوكب من الحسن والجمال لِقَدْرٍ له عند الله

---

[١] ر ث م + الآية.

[٢] جميع النسخ: أي صيرهم.

[٣] ر ث م – به.

[٤] ن: التوسع.

[٥] ر ث م: وهو.

[٦] ث – وقيل على العكس أغنى أي أرضى.

[٧] *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٦٤/٧.

[٨] ر ث م: يابن.

[٩] ر ن: والسبب؛ ث م: والتبب. وفي التنزيل العزيز: ﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾، قال أبو إسحاق: قيل في أَقْنَى قولان، أحدهما أَقْنَى أَرْضَى، والآخر جعل قِنْية أي جعل الغنى أصلاً لصاحبه ثابتًا. ومنه قولك: قد اقتنيتُ كذا وكذا، أي عملت على أنه يكون عندي لا أُخرجه من يدي. قال الفراء: أَغْنَى رَضَّى الفقير بما أغناه به، وأَقْنَى من القِنية والنَّشَب. ابن الأعرابي: أَقْنى، أعطاه ما يدّخره بعد الكِفاية. النشب: المال والعقار (*لسان العرب*، «قنو»، «قني»، «نشب»).

[١٠] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٠.

[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٥ظ.

[١٢] جميع النسخ: يقني. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٣] قَنَا يَقنو قَنْوا وقُنوّا: جمع المال واتخذه لنفسه (*المنجد*، «قنو»).

ومنزلة وأن تدبيرهم يرجع إليه فعبدوه لذلك. ويحتمل أنهم عبدوه لما لم يروا لأنفسهم أهلية لعبادة[1] الرب تعالى فعبدوا مَن دونَه رَجاءَ التقرب إليه على ما يخدم المرء المتصلين بملوك الأرض. ولكنّ هذا فاسد لأن من خدم المتصلين بملوك الأرض إنما يخدم لما لم يَسبِق لهم النهي[2] من خدمة متّصِليه[3] ولا الإذنِ بعبادة[4] أنفسهم وخدمتهم. فأما الله تعالى قد أمرهم بعبادة نفسه ونهاهم عن عبادة غيره، فلم يسعْ[5] لهم بعد الأمر بعبادته والنهي عن عبادة غيره عبادةُ[6] مَنْ دُونَه. ذكر سفههم في عبادتهم الشِّعْرَى وأمثالِها. أي أعبدوا رب الشعرى فإنما فيه من الحسن والجمال هو الذي فعل فإليه اصرفوا العبادة.

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾[٥٠]

وقوله: **وأنه أهلك عادا الأولى**، قرئ **عادا الأولى**، بإظهار التنوين والهمزة وبغير الهمزة ولا إظهار التنوين حتى يصير كأنها لام مثقلة.[7] ثم هذا ليس نوعَ ما ذكر من قبلُ، إنما ذكر هذا لهم لينزجروا عن صنيعهم، أي إذا أهلك[8] عادا، وهم أشد منكم قوة وأكثر عددًا وأموالا، فلما لم ينزجروا بمواعظ الرب تعالى أهلكهم. فعلى ذلك يفعل[9] بكم يا أهل مكة إن لم تتعظوا.[10] أو أنه أهلك عادا فلم يتهيأ لهم القيام بدفع عذاب الله تعالى مع قوتهم فكيف أنتم يا أهل مكة؟ ثم اختلف في قوله تعالى: **عادا الأولى**. منهم من قال: كانوا عادَين: أحدهما قوم هود وهم[11]
[٧٦٣و] أوّلُ فأهلكوا بالريح، وكانت أخرى / في زمن فارسَ الأولِ. ومنهم من قال: **عادا الأولى**، الذين أهلكوا من قبل من الأمم، وأهل مكة وهؤلاء عاد أخرى.

---

[1] ن: عبادة.
[2] جميع النسخ: إليهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٥ظ.
[3] ث: متصلية.
[4] ن: بعباده.
[5] ن: فلم يسمع.
[6] م – عبادة.
[7] ن: منقله. قرأ نافع وأبو عمرو: ﴿عادَ لُّولَى﴾ موصولة مدغمة، وقرأ الباقون: ﴿عادًا الأولى﴾ منونة (*حجة القراءات* لابن زنجلة، ٦٨٧).
[8] ر م: هلك.
[9] ر ث م: نفعل؛ ن + ذلك.
[10] ن: لم يتعظوا.
[11] ر م: وهو.

﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **وثمود فما أبقى**، أي أهلك ثمودا أيضا. وقوله:[١] **فما أبقى**، قال بعضهم: أي استأصلهم لم يُبق منهم أحدا، أي ما أبقى لهم نسلا يذكرون بذلك بعد هلاكهم كما أبقى للأنبياء[٢] والرسل عليهم الصلاة والسلام من النسل. أو ما أبقى[٣] لهم[٤] من آثار الخير شيئا كما أبقى للرسل وأتباعهم[٥] إلى آخر الأبد. *والله أعلم*.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى**، أي كانوا أفحش ظلما وأكثر طغيانا؛ لأن نوحا عليه السلام دعاهم إلى توحيد الله: أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا،[٦] فما زادهم إلا نفورا واستكبارا على ما أخبر: فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا.[٧]

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **والمؤتفكة أهوى**، قيل: قَرَيات لوطٍ عليه السلام أي أهلكها أيضا.

وقوله: **أهوى**، قيل: أي أهوى إلى النار، وقيل: أي أهوى من السماء إلى الأرض على ما ذكر أن جبريل عليه السلام رفعها إلى السماء وأرسلها[٨] إلى الأرض.[٩]

﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **فغشاها ما غشى**، قيل: غشاها الحجارة بعد ذلك فسواها بالأرض، وقيل: غشى الحجارة مسافريهم ومن غاب عنهم. وقيل: المؤتفكة المكذّبة: من الإفك[١٠] وهو الكَذِب.

---

[١] ن: قوله.

[٢] ر ث م: الأنبياء.

[٣] ر ث م - أبقى.

[٤] ن - لهم.

[٥] ر ث + عليهم السلام.

[٦] ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ (سورة العنكبوت، ١٤/٢٩).

[٧] سورة نوح، ٦/٧١.

[٨] ر: وأسلها.

[٩] *تفسير الطبري*، ١٠٤/٢٧.

[١٠] ر ن م: من الأول.

وقيل: المنقلبة:[1] ائتفكت أي انقلبت. **فغشاها**، أي غشى قريات لوط عليه السلام من العذاب ما غشى أولئك الذين ذكر من قبلُ من[2] عاد ومن قوم نوح، وهو قول القُتَبِي.[3] وقال أبو عبيدة:[4] المؤتفكة المخسوفة.[5]

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **فبأي آلاء ربك تتمارى؟** فظاهر هذا وظاهر[6] قوله تعالى: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟[7] مشكل، لأنه ذكر آلاء ولو عرف أنه آلاء ربه لكان لا يكذبه [ولا يتمارى].[8] لكن يخرج على وجوه: على التقديم والتأخير والإضمار، كأنه يقول: فبأي آلاءٍ من آلاء ربكم شاهدتموه وعاينتموه تتمارون؟[9] وكذلك فبأي آلاء ربكما الذي أقررتم به تكذبونَ؟[10] أو نقول:[11] فبأي آلائه وإحسانه تتمارى؟ فكيف أنكرتم إحسانه بمحمد صلى الله عليه وسلم أو كيف صرفتم شكر نعمه إلى غيره؟ أو يكون الآلاء هاهنا هي الحجج، يقول: فبأي حجة من حجج ربك تنكر[12] رسالة محمد عليه أفضل الصلوات[13] أو تُمارِي[14] فيها، أي لا حجة لك في تكذيبك إياه أو إنكارك رسالته.

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **هذا نذير من النذر الأولى**، أي الذي يوعدكم[15] وينبئكم محمد صلى الله عليه وسلم من النذر الأولى التي أنبأها الرسل الأولون وأوعدوا قومهم، فيكون صلة قوله عز وجل:

---

[1] ث: المتقلبة.

[2] ث – من.

[3] ﴿فغشى﴾: من العذاب والحجارة؛ ﴿ما غشى﴾ (*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٠).

[4] ر ث: فقال أبو عبيدة؛ م: فقال أبو عبيد.

[5] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٣٩.

[6] ن: فظاهر.

[7] سورة الرحمن، ٥٥/١٣.

[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٦و.

[9] ث: يتمارون.

[10] جميع النسخ: تكذبوني. والتصحيح من المرجع السابق.

[11] ر ث م: أو يقول.

[12] جميع النسخ: ينكر. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] ن – أفضل الصلوات.

[14] جميع النسخ: تتماري. والتصحيح من المرجع السابق.

[15] جميع النسخ: يدعوكم. والتصحيح من المرجع السابق.

وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى،[١] إلى آخره.[٢] وقيل: **هذا نذير من النذر الأولى**، هذا نذير أي محمد صلى الله عليه وسلم من النذر الأولى،[٣] أي الرسل الأولى. وتمام هذا التأويل أي هذا نذير من البشر كالذين كانوا من قبل. وقيل: هذا الذي يُنذر محمد صلى الله عليه وسلم هو من النُذُر التي في اللوح المحفوظ أي مما ينذر به. ***والله أعلم.***

﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **أزفت الآزفة**، أي قربت القيامة. سمى الله تعالى القيامة بأسماءٍ مختلفة، مرة الآزفة، ومرة الساعة، ومرة القيامة. فسماها آزفة لقربها إلى الخلق ووقوعها عليهم وكذلك الساعة.

﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **ليس لها من دون الله كاشفة**، دلت الآية على أن الله تعالى لم يؤت علم قيام الساعة ووقوعِها أحدا، وهو كقوله تعالى: لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ.[٤]

وللباطنية أدنى تعلق في هاتين الآيتين، لأنهم قالوا: إن الآخرة للحال كائنةٌ لكنها مختفية مستترة يظهر ويكشف عند فناء هذه الأجسام وذهاب هذه الأبدان، ويستدلون بقوله تعالى: لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، وبقوله تعالى: **ليس لها من دون الله كاشفة**، ويقولون: إن لفظ التجلي والكشف إنما يستعملان فيما هو كائن ثابت يظهر عند ارتفاع السواتر[٥] وما يخفيها إلا[٦] في الإنشاء ابتداء.

ولكنْ عندنا أن حرف الكشف والتجلي يستعمل في ابتداء الإحداث والإنشاء وفي إظهار ما كان كامنا[٧] خفيا، فإذا كان كذلك بطل استدلالهم بذلك؛ وهو كقوله تعالى: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،[٨] هو عالم بما كان خفيا عن[٩] الخلق وما هو شاهد[١٠] ظاهر، وعالم بما يكون وبما هو كائن للحال. ***والله الموفق.***

---

[١] سورة النجم، ٥٣/٥٠.
[٢] ث: الخ.
[٣] ر ث م – هذا نذير أي محمد صلى الله عليه وسلم من النذر الأولى.
[٤] سورة الأعراف، ٧/١٨٧.
[٥] ر م: التواتر.
[٦] ن: لا.
[٧] ث: منا.
[٨] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٦/٧٣؛ وسورة التوبة، ٩/٩٤، ١٠٥.
[٩] ر ث م: بحق؛ ن: نحو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦و.
[١٠] ر: شاء.

﴿أَفَمِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾[٥٩] ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون**، كانوا يعجبون[١] من أمرين. أحدهما من بعث الرسل من البشر،[٢] كقوله تعالى: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ،[٣] ومن البعث بعد ما يفنَون ويبلَون[٤] كقوله تعالى: وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا،[٥] الآية.

وقوله عز وجل: **وتضحكون**، الضحك هاهنا كناية عن الاستهزاء ليس على حقيقة الضحك، أو يكون[٦] الضحك كناية عن السرور، أي تُسَرُّون[٧] على ما أنتم عليه. وقوله عز وجل: **ولا تبكون**، أيضا ليس على حقيقة البكاء ولكن كناية عن الحزن، أي ولا تحزنون[٨] على ما فرط منكم من الأعمال وسوء الصنيع والمعاملة.

﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **وأنتم سامدون**، [عن ابن عباس رضي الله عنهما: سامدون][٩] لاهون [٧٦٣ظ] معرضون، وعن الحسن وسعيد بن جبير: **سامدون** غافلون.[١٠] وقيل: / **سامدون**، حَزِنُون على رسالة محمد صلوات الله عليه وغائظون على ما أنزل عليه. وعن[١١] عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: **وأنتم سامدون**، قال: هو الغِناء بلغة اليمن، يقول اليماني: أُسْمُدْ لنا أي غَنِّ لنا، قال: كانوا إذا سمعوا القرآن تغنَّوا وتَلَعَّبوا.[١٢]

---

[١] ر ن م: تعجبون.

[٢] ر ث م – من البشر.

[٣] سورة ق، ٥٠/٢.

[٤] ر م: ويبلغون.

[٥] سورة الرعد، ١٣/٥.

[٦] جميع النسخ: ويكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦و.

[٧] ر ن م: يسرون.

[٨] ر ث م: ولا يحزنون.

[٩] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

[١٠] *تفسير الطبري*، ٢٧/١٠٩.

[١١] م: عن.

[١٢] جميع النسخ: ويلعبوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦و. *تفسير الطبري*، ٢٧/١٠٨. سَمَدَ يَسْمُد سُمودًا، والسُّمود اللهو وسَمَد سُمُودًا لها وسمَّده ألهاه وسمَد سُمودًا غَنَّى. قال ثعلب: وهي قليلة. وقوله عز وجل: ﴿وأنتم سامِدون﴾ فُسِّر باللهو وفسر بالغِناء، وقيل: سامدون لاهُون. وقال ابن عباس: سامدون مستكبرون. وقال الليث: سامدون ساهون، والسُّمود في الناس الغفلة والسَّهْوُ عن الشيء. وروي عن ابن عباس أنه قال: السُّمود الغناء بلغة حِمْيَر يقال: اسْمُدي لنا أي غَنِّي لنا (*لسان العرب*، «سمد»).

﴿فَاسْجُدُوا لِلّٰهِ وَاعْبُدُوا﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **فاسجدوا لله واعبدوا**،[١] أي اخضعوا لله واستسلموا له، إذ الأمر بالسجود عند التلاوة في غير سجود الصلاة أمر بالخشوع له والاستسلام، والأمر بالسجود هاهنا للتلاوة[٢] للأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين. روَى الأسود عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قرأ سورة النجم فسجد فيها ولم يبق معه أحد إلا سجد[٣] إلا شيخ من قريش فإنه أخذ كفا من حَصًى فرفعه[٤] إلى جبهته.[٥] وروى أبو هريرة والمطلب بن[٦] أبي وَدَاعة أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها.[٧] وروي عن عمر وعثمان رضي الله عنهما: أنهما سجدا فيها.[٨] وعن علي رضي الله عنه أنه قال: عزائم السجود أربع: تَنْزِيلُ السجدة،[٩] وحم السجدة،[١٠] وَالنَّجْمِ، واقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ.[١١] وما روي عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فلم يسجد،[١٢] يحتمل أن يكون التلاوة واقعة في وقت يكره السجود فيه.[١٣] والحديث حكاية فعل لا عمومَ له. والله أعلم بحقيقة ما أراد. والحمد لله رب العالمين[١٤] وبه نستعين.[١٥]

---

[١] ر ث م + الآية.
[٢] ن: التلاوة.
[٣] م – إلا سجد.
[٤] ر ن م: فرفعته.
[٥] صحيح *البخاري*، سجود القرآن ١، ٤؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ١٠٥.
[٦] ر: ابن.
[٧] مصنف عبد *الرزاق*، ٣/٣٣٩؛ ومصنف *ابن أبي* شيبة، ١/٤٦٠.
[٨] مصنف عبد الرزاق، ٣/٣٣٩؛ ومصنف *ابن أبي* شيبة، ١/٤٦٠.
[٩] سورة السجدة، ٣٢.
[١٠] سورة فصلت، ٤١.
[١١] سورة العلق، ٩٦. *السنن الكبرى* للبيهقي، ٢/٤٤٦؛ *والجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٠/١٢٨.
[١٢] صحيح *البخاري*، سجود القرآن ٦؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ١٠٦.
[١٣] ر م – فيه.
[١٤] ر + والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين؛ ث + والصلاة والسلام على محمد وآله.
[١٥] ر ث – وبه نستعين؛ ن – بحقيقة ما أراد والحمد لله رب العالمين وبه نستعين.

# سورة النجم

## ستون وآيتان مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

### قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝﴾

**وقبل الشروع في التفسير نقدم مسائل ثم نتفرغ للتفسير وإن لم تكن منه:**

**المسألة الأولى**: أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها لفظًا ومعنى: أما اللفظ فلأن ختم الطور بالنجم، وافتتاح هذه بالنجم مع واو القسم، وأما المعنى فنقول: الله تعالى لما قال لنبيّه ﷺ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩] بيّن له أنه جزاه في أجزاء مكايدة النبي ﷺ، بالنجم وبعده فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ٢].

**المسألة الثانية**: السورة التي تقدمت وافتتاحها بالقسم بالأسماء دون الحروف وهي الصافات والذاريات، والطور، وهذه السورة بعدها بالأولى فيها القسم لإثبات الوحدانية كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصافات: ٤] وفي الثانية لوقوع الحشر والجزاء كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [الذاريات: ٥، ٦] وفي الثالثة لدوام العذاب بعد وقوعه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧، ٨]. وفي هذه السورة لنبوة النبي ﷺ لتكمل الأصول الثلاثة: الوحدانية، والحشر، والنبوة.

**المسألة الثالثة**: لم يقسم الله على الوحدانية ولا على النبوة كثيرًا، أما على الوحدانية فلأنه أقسم بأمر واحد في سورة الصافات، وأما على النبوة فلأنه أقسم بأمر واحد في هذه السورة وبأمرين في سورة الضحى، وأكثر من القسم على الحشر وما يتعلق به، فإن قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١] وقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١] وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] إلى غير ذلك - كلها فيها الحشر أو ما يتعلق به، وذلك لأن دلائل الوحدانية كثيرة كلها عقلية كما قيل:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ[1]

ودلائل النبوة أيضًا كثيرة وهي المعجزات المشهورة والمتواترة، وأما الحشر فإمكانه يثبت بالعقل، وأما وقوعه فلا يمكن إثباته إلا بالسمع، فأكثر القسم ليقطع به المكلف ويعتقده اعتقادًا جازمًا.

---

(١) هذا البيت لأبي العتاهية، وتقدم ترجمته.

**وأما التفسير ففيه مسائل:**

**الأولى:** الواو للقسم بالنجم أو برب النجم، ففيه خلاف قدمناه، والأظهر أنه قسم بالنجم، يقال ليس للقسم في الأصل حرف أصلاً لكن الباء والواو استعملتا فيه لمعنى عارض، وذلك لأن الباء في أصل القسم هي الباء التي للإلصاق والاستعانة، فكما يقول القائل: استعنت بالله، يقول: أقسمت بالله، وكما يقول: أقوم بعون الله على العدو، يقول: أقسم بحق الله، فالباء فيهما بمعنى كما تقول: كتب بالقلم، فالباء في الحقيقة ليست للقسم غير أن القسم كثر في الكلام فاستغنى عن ذكره، وغيره لم يكثر فلم يستغن عنه، فإذا قال القائل: (بحق زيد) فُهم منه القسم لأن المراد لو كان هو مثل قوله: ادخل زيد، أو اذهب بحق زيد، أو لم يقسم بحق زيد لذكر كما ذكر في هذه الأشياء لعدم الاستغناء، فلما لم يذكر شيء علم أن الحذف للشهرة والاستغناء، وذلك ليس في غير القسم فعُلم أن المحذوف فعل القسم، فكأنه قال: أقسم بحق زيد، فالباء في الأصل ليس للقسم لكن لما عرض ما ذكرنا من الكثرة والاشتهار قيل الباء للقسم، ثم إن المتكلم نظر فيه فقال: هذا لا يخلو عن التباس فإني إذا قلت: (بالله) توقف السامع فإن سمع بعده فعلاً غير القسم كقوله: بالله استعنت وبالله قدرت وبالله مشيت وأخذت، لا يحمله على القسم، وإن لم يسمع حمله على القسم إن لم يتوهم وجود فعل ما ذكرته ولم يسمعه، أما إن توهم أني ذكرت مع قولي بالله شيئًا آخر وما سمعه هو أيضًا يتوقف فيه ففي الفهم توقف، فإذا أراد المتكلم الحكيم إذهاب ذلك مع الاختصار وترك ما استغنى عنه، وهو فعل القسم، أبدل الباء بالتاء، وقال: تالله، فتكلم بها في كلمة الله لاشتهار كلمة الله والأمن من الالتباس، فإن التاء في أوائل الكلمات قد تكون أصلية، وقد تكون للخطاب والتأنيث، فلو أقسم بحرف التاء بمن اسمه داعي أو راعي أو هادي أو عادي يقول (تداعى أو تراعى أو تهادى أو تعادى) فيلتبس، وكذلك فيمن اسمه رومان أو توران إذا قلت ترومان أو تتوران، على أنك تقسم بالتاء تلتبس بتاء الخطاب والتأنيث في الاستقبال، فأبدلوها واوًا. لا يقال: عليه إشكالان:

**الأول:** مع الواو لم يؤمن الالتباس، نقول ولى فتلتبس الواو الأصلية بالتي للقسم لأنا نقول: ذلك لم يلزم فيما ذهبنا إليه، وإنما كان ذلك في الواو حيث يدل وينبئ عن العطف وإن لم يستعمل الواو للقسم، كيف وذلك في الباء التي هي كالأصل متحقق، تقول: برام في جمع برمة، وبهام في جمع بهمة، وبغال للبسية الباء الأصلية التي في البغال والبرام بالباء التي تلصقها بقولك مال ورأى فتقول بمال، وأما التاء لما استعملت للقسم لزم من ذلك الاستعمال الالتباس حيث لم يكن من قبل حرفًا من الأدوات كالباء والواو.

**الإشكال الثاني:** لـمَ تركت مما لا التباس فيه كقولك: تالرحيم وتالعظيم؟ نقول: لما كانت كلمة الله تعالى في غاية الشهرة والظهور استعملت التاء فيها على خلاف الأصل، بمعنى لم يجز أن يقال عليها إلا ما يكون في شهرتها، وأما غيرها فربما يخفى عند البعض، فإن من يسمع

الرحيم وسمع في الندرة تر بمعنى قطع ربما يقول ترحيم فعل وفاعل أو فعل ومفعول، وإن كان ذلك في غاية البعد لكن الاستواء في الشهرة في المنقول منه والمنقول إليه لازم، ولا مشهور مثل كلمة الله، على أنا نقول: لمَ قلت: إن عند الأمن لا تُستعمل، ألا ترى أنه نُقل عن العرب برب الكعبة، والذي يؤيد ما ذكرنا أنك تقول أقسم بالله ولا تقول أقسم تالله. لأن التاء فيه مخافة الالتباس عند حذف الفعل من القسم، وعند الإتيان به لم يخف ذلك فلم يجز.

**المسألة الثانية**: اللام في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ لتعريف العهد في قول ولتعريف الجنس في قول، والأول قول من قال: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ المراد منه الثريا، قال قائلهم:

إنْ بَدَا النَّجْمُ عَشِيًّا ابْتَغَى الرَّاعِي كَسِيًّا

**والثاني فيه وجوه: أحدها**: النجم هو نجم السماء التي هي ثابتة فيها للاهتداء، وقيل: لا بل النجوم المنقضة فيها التي هي رجوم للشياطين. ثانيها: نجوم الأرض وهي من النبات ما لا ساق له. ثالثها: نجوم القرآن.

ولنذكر مناسبة كل وجه ونبيّن فيه المختار منها، أما على قولنا: (المراد الثريا) فهو أظهر النجوم عند الرائي لأن له علامة لا يلتبس بغيره في السماء، ويظهر لكل أحد والنبي ﷺ تميز عن الكل بآيات بينات فأقسم به، ولأن الثريا إذا ظهرت من المشرق بالبكر حان إدراك الثمار، وإذا ظهرت بالعشاء أواخر الخريف نقل الأمراض، والنبي ﷺ لما ظهر قلَّ الشك والأمراض القلبية وأدركت الثمار الحكمية والحلمية، وعلى قولنا (المراد هي النجوم التي في السماء للاهتداء) نقول: النجوم بها الاهتداء في البراري، فأقسم الله بها لما بينهما من المشابهة والمناسبة، وعلى قولنا (المراد الرجوم من النجوم)، فالنجوم تبعد الشياطين عن أهل السماء، والأنبياء يبعدون الشياطين عن أهل الأرض، وعلى قولنا (المراد القرآن) فهو استدل بمعجزة النبي ﷺ على صدقه وبراءته فهو كقوله تعالى: ﴿يسٓ ۞ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس: ١ - ٤] ما ضللت ولا غويت، وعلى قولنا (النجم هو النبات)، فنقول: النبات به ثبات القوى الجسمانية وصلاحها، والقوة العقلية أَوْلى بالإصلاح، وذلك بالرسل وإيضاح السبل، ومن هذا يظهر أن المختار هو النجوم التي هي في السماء لأنها أظهر عند السامع، وقوله ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ أدل عليه، ثم بعد ذلك القرآن أيضًا فيه ظهور ثم الثريا.

**المسألة الثالثة**: القول في ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ كالقول في ﴿وَٱلطُّورِ﴾ حيث لم يقل والنجوم ولا الأطوار، وقال: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ وقد تقدم ذكره.

**المسألة الرابعة**: ما الفائدة في تقييد القسم به بوقت هو به؟ نقول: النجم إذا كان في وسط السماء يكون بعيدًا عن الأرض لا يهتدي به الساري؛ لأنه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال، فإذا زال تبين بزواله جانب المغرب من المشرق والجنوب من الشمال، كذلك النبي ﷺ خفض جناحه للمؤمنين وكان على خلق عظيم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وكما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فإن قيل: الاهتداء بالنجم إذا كان على أفق المشرق كالاهتداء به إذا كان على أفق المغرب، فلم يبق ما ذكرت جوابًا عن السؤال. نقول: الاهتداء بالنجم وهو مائل إلى المغرب أكثر لأنه يهدي في الطريقين الدنيوي والديني، أما الدنيوي فلِما ذكرنا، وأما الديني فكما قال الخليل: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] وفيه لطيفة، وهي أن الله لما أقسم بالنجم شرَّفه وعظَّمه، وكان من المشركين من يعبده فقرن بتعظيمه وصفًا يدل على أنه لم يبلغ درجة العبادة، فإنه هاوٍ آفل.

## قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝﴾

**ثم قال تعالى:** ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ أكثر المفسرين لم يفرقوا بين الضلال والغي، والذي قاله بعضهم عند محاولة الفرق: أن الضلال في مقابلة الهدى، والغي في مقابلة الرشد، قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦] وقال تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وتحقيق القول فيه أن الضلال أعم استعمالاً في الوضع، تقول: ضل بعيري ورحلي، ولا تقول: غوى، فالمراد من الضلال أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقًا أصلاً، والغواية أن لا يكون له طريق إلى المقصد مستقيم، يدلك على هذا أنك تقول للمؤمن الذي ليس على طريق السداد إنه سفيه غير رشيد، ولا تقول إنه ضال، والضال كالكافر، والغاوي كالفاسق، فكأنه تعالى قال: ﴿مَا ضَلَّ﴾ أي ما كفر، ولا أقل من ذلك فما فسق، ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦] أو نقول: الضلال كالعدم، والغواية كالوجود الفاسد في الدرجة والمرتبة.

**وقوله:** ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ فيه وجهان: الأول: سيدكم. والآخر: مصاحبكم، يقال: صاحب البيت ورب البيت، ويحتمل أن يكون المراد من قوله: ﴿مَا ضَلَّ﴾ أي ما جُن، فإن المجنون ضال، وعلى هذا فهو كقوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ١ - ٣] فيكون إشارة إلى أنه ما غوى، بل هو رشيد مرشد دال على الله بإرشاد آخر، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الشعراء: ١٠٩] وقال: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] إشارة إلى قوله هاهنا: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ فإن هذا خلق عظيم، ولنبين الترتيب فنقول: قال أولاً: ﴿مَا ضَلَّ﴾ أي هو على الطريق ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ أي طريقه الذي هو عليه مستقيم ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ أي هو راكب متنه آخذ سمت المقصود، وذلك لأن من يسلك طريقًا ليصل إلى مقصده فربما يبقى بلا طريق، وربما يجد إليه طريقًا بعيدًا فيه متاعب ومهالك، وربما يجد طريقًا واسعًا آمنًا، ولكنه يميل يمنة ويسرة فيبعد عنه المقصد، ويتأخر عليه الوصول، فإذا سلك الجادة وركب متنها كان أسرع وصولاً، ويمكن أن

يقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ دليل على أنه ما ضل وما غوى، تقديره: كيف يضل أو يغوى وهو لا ينطق عن الهوى، وإنما يضل من يتبع الهوى. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] فإن قيل: ما ذكرت من الترتيب الأول على صيغة الماضي في قوله ﴿مَا ضَلَّ﴾ وصيغة المستقبل في قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ في غاية الحسن، أي ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون في صغره ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ حين اختلى بنفسه ورأى في منامه ما رأى، وما ينطق عن الهوى الآن حيث أرسل إليكم وجعل رسولاً شاهدًا عليكم، فلم يكن أولاً ضالاً ولا غاويًا، وصار الآن منقذًا من الضلالة ومرشدًا وهاديًا. وأما على ما ذكرت أن تقديره كيف يضل وهو لا ينطق عن الهوى فلا توافقه الصيغة؟ نقول: بلى، وبيانه أن الله تعالى يصون من يريد إرساله في صغره عن الكفر، والمعايب القبيحة كالسرقة والزنا واعتياد الكذب، فقال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ﴾ في صغره؛ لأنه لا ينطق عن الهوى، وأحسن ما يقال في تفسير الهوى أنها المحبة، لكن من النفس يقال: (هويته) بمعنى أحببته، لكن الحروف التي في هوى تدل على الدنو والنزول والسقوط ومنه الهاوية، فالنفس إذا كانت دنيئة، وتركت المعالي وتعلقت بالسفاسف، فقد هوت فاختص الهوى بالنفس الأمارة بالسوء، ولو قلت: (أهواه بقلبي) لزال ما فيه من السفالة، لكن الاستعمال بعد استبعاد استعمال القرآن حيث لم يستعمل الهوى إلا في الموضع الذي يخالف المحبة، فإنها مستعملة في موضع المدح، والذي يدل على ما ذكرنا قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النازعات: ٣٧، ٣٨] إلى قوله: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] إشارة إلى علو مرتبة النفس.

## قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾

بكلمة البيان، وذلك لأنه تعالى لما قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣] كأن قائلاً قال: فبماذا ينطق أعن الدليل أو الاجتهاد؟ فقال: لا، وإنما ينطق عن الله بالوحي.

**وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى:** ﴿إِنْ﴾ استعملت مكان (ما) للنفي، كما استعملت (ما) للشرط مكان (إنْ)، قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] والمشابهة بينهما من حيث اللفظ والمعنى، أما اللفظ فلأن (إنْ) من الهمزة والنون، وما من الميم والألف، والألف كالهمزة والنون كالميم، أما الأول فبدليل جواز القلب، وأما الثاني فبدليل جواز الإدغام ووجوبه، وأما المعنى فلأن (إنْ) تدل على النفي من وجه، وعلى الإثبات من وجه، ولكن دلالتها على النفي أقوى وأبلغ؛ لأن الشرط والجزاء في صورة استعمال لفظة (إنْ) يجب أن يكون في الحال معدومًا إذا كان المقصود الحث أو المنع، تقول: إن تحسن فلك الثواب، وإن تسئ فلك العذاب، وإن كان المراد بيان حال القسمين المشكوك فيهما كقولك: إن كان هذا الفص زجاجًا فقيمته نصف، وإن كان جوهرًا فقيمته ألف، فهاهنا وجود شيء منهما غير معلوم وعدم العلم حاصل، وعدم

العلم ههنا كعدم الحصول في الحث والمنع، فلا بد في صور استعمال إن عدم، إما في الأمر، وإما في العلم، وإما الوجود فذلك عند وجود الشرط في بيان الحال، ولهذا قال النحاة: لا يحسن أن يقال: (إن احمر البسر آتيك)، لأن ذلك أمر سيوجد لا محالة، وجوزوا استعمال (إنْ) فيما لا يوجد أصلاً، يقال في قطع الرجاء (إن ابيضَّ القار تغلبني)، قال الله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾[الأعراف: ١٤٣] ولم يوجد الاستقرار ولا الرؤية، فعُلم أن دلالته على النفي أتم، فإن مدلوله إلى مدلول (ما) أقرب فاستعمل أحدهما مكان الآخر، هذا هو الظاهر، وما يقال: (إن وما)، حرفان نافيان في الأصل، فلا حاجة إلى الترادف.

**المسألة الثانية:** (هو) ضمير معلوم أو ضمير مذكور؟ نقول: فيه وجهان: أشهرهما: أنه ضمير معلوم وهو القرآن، كأنه يقول: ما القرآن إلا وحي، وهذا على قول من قال: النجم ليس المراد منه القرآن. وأما على قول من يقول: هو القرآن. فهو عائد إلى مذكور. والوجه الثاني: أنه عائد إلى مذكور ضمنًا وهو قول النبي ﷺ وكلامه، وذلك لأن قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾[النجم: ٣] في ضمنه النطق وهو كلام وقول، فكأنه تعالى يقول: وما كلامه وهو نطقه إلا وحي وفيه. وجه آخر أبعد وأدق: وهو أن يقال: قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ﴾[النجم: ٢] قد ذكر أن المراد منه في وجه أنه ما جُن وما مسّه الجن فليس بكاهن، وقوله: ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ أي ليس بينه وبين الغواية تعلّق، فليس بشاعر، فإن الشعراء يتبعهم الغاوون، وحينئذٍ يكون قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾[النجم: ٣] ردًّا عليهم حيث قالوا: قوله قول كاهن. وقالوا: قوله قول شاعر. فقال: ما قوله إلا وحي وليس بقول كاهن ولا شاعر. كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[الحاقة: ٤١، ٤٢].

**المسألة الثالثة:** الوحي اسم أو مصدر؟ نقول: يحتمل الوجهين، فإن الوحي اسم معناه الكتاب ومصدر وله معانٍ منها الإرسال والإلهام، والكتابة والكلام والإشارة والإفهام. فإن قلنا: هو ضمير القرآن، فالوحي اسم معناه الكتاب، كأنه يقول: ما القرآن إلا كتاب ويوحى بمعنى يرسل، ويحتمل على هذا أيضًا أن يقال: هو مصدر، أي ما القرآن إلا إرسال وإلهام، بمعنى المفعول، أي مرسل، وإن قلنا: المراد من قوله: ﴿إِنۡ هُوَ﴾ قوله وكلامه، فالوحي حينئذٍ هو الإلهام ملهم من الله، أو مرسل. **وفيه مباحث:**

**البحث الأول:** الظاهر خلاف ما هو المشهور عند بعض المفسرين، وهو أن النبي ﷺ ما كان ينطق إلا عن وحي، ولا حجة لمن توهم هذا في الآية؛ لأن قوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ إن كان ضمير القرآن فظاهر وإن كان ضميرًا عائدًا إلى قوله، فالمراد من قوله هو القول الذي كانوا يقولون فيه إنه قول شاعر، وردَّ الله عليهم فقال: ولا بقول شاعر، وذلك القول هو القرآن، وإن قلنا بما قالوا به فينبغي أن يفسر الوحي بالإلهام.

**البحث الثاني:** هذا يدل على أنه ﷺ لم يجتهد، وهو خلاف الظاهر، فإنه في الحروب اجتهد

وحَرَّم ما قال الله، لم يحرم، وأذن. لمن قال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، نقول على ما ثبت لا تدل الآية عليه.

**البحث الثالث:** (يُوحَى) يحتمل أن يكون من وحي يوحى ويحتمل أن يكون من أوحى يوحي، تقول: عدم يعدم، وأعدم يعدم، وكذلك علم يعلم وأعلم يُعلم، فنقول: يوحى من أوحى لا من وحى، وإن كان وحى وأوحى كلاهما جاء بمعنى، ولكن الله في القرآن عند ذكر المصدر لم يذكر الإيحاء الذي هو مصدر أوحى، وعند ذكر الفعل لم يذكر وحي، الذي مصدره وحى، بل قال عند ذكر المصدر الوحي، وقال عند ذكر الفعل (أوحى) وكذلك القول في أحب وحب فإن حب وأحب بمعنى واحد، والله تعالى عند ذكر المصدر لم يذكر في القرآن الإحباب، وذكر الحب قال: ﴿أَشَدُّ حُبًّا﴾ [البقرة: ١٦٥] وعند الفعل لم يقل حبه الله بل قال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾ [الحجرات: ١٢] وقال: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] إلى غير ذلك، وفيه سر من علم الصرف وهو أن المصدر والفعل الماضي الثلاثي فيهما خلاف، قال بعض علماء الصرف، المصدر مشتق من الفعل الماضي، والماضي هو الأصل، والدليل عليه وجهان: لفظي ومعنوي:

أما اللفظي فإنهم يقولون مصدر فعل يفعل إذا كان متعديًا فَعْلاً بسكون العين، وإذا كان لازمًا فُعول في الأكثر، ولا يقولون الفعل الماضي من فعول فعلى، وهذا دليل ما ذكرنا.

وأما المعنوي فلأن ما يوجد من الأمور لا يوجد إلا وهو خاص وفي ضمنه العام، مثاله الإنسان الذي يوجد ويتحقق يكون زيدًا أو عمرًا أو غيرهما، ويكون في ضمنه أنه هندي أو تركي وفي ضمن ذلك أنه حيوان وناطق، ولا يوجد أولاً إنسان ثم يصير تركيًّا ثم يصير زيدًا أو عمرًا.

إذا علمت هذا فالفعل الذي يتحقق لا ينفك من أن يكون ماضيًا أو مستقبلاً، وفي ضمنه أنه فعل مع قطع النظر عن مضيه واستقباله، مثاله الضرب إذا وُجد فإما أن يكون قد مضى أو بعد لم يمض، والأول ماضٍ والثاني حاضر أو مستقبل، ولا يوجد الضرب من حيث إنه ضرب خاليًا عن المضي والحضور والاستقبال، غير أن العاقل يدرك من فعل وهو يفعل الآن وسيفعل غدًا أمرًا مشتركًا فيسميه فعلاً، كذلك يدرك في ضرب وهو يضرب الآن وسيضرب غدًا أمرًا مشتركًا فيسميه ضربًا فضَرَب يوجد أولاً ويستخرج منه الضرب، والألفاظ وُضعت لأمور تتحقق فيها فيعبر بها عنها، والأمور المشتركة لا تتحقق إلا في ضمن أشياء أُخر، فالوضع أولاً لما يوجد منه لا يدرك منه قبل الضرب، وهذا ما يمكن أن يقال لمن يقول الماضي أصل والمصدر مأخوذ منه.

وأما الذي يقول (المصدر أصل والماضي مأخوذ منه) فله دلائل، منها أن الاسم أصل، والفعل متفرع، والمصدر اسم، ولأن المصدر معرب والماضي مبني، والإعراب قبل البناء، ولأن قال وقال، وراع وراع، إذا أردنا الفرق بينهما نرد أبنيتهما إلى المصدر فنقول: قال الألف منقلبة من واو بدليل القول، وقال ألف منقلبة من ياء بدليل القيل، وكذلك الروع والريع. وأما المعقول

فلأن الألفاظ وُضعت للأمور التي في الأذهان، والعام قبل الخاص في الذهن، فإن الموجود إذا أدرك يقول المدرك هذا الموجود جوهر أو عرض، فإذا أدرك أنه جوهر يقول: إنه جسم أو غير جسم عند من يجعل الجسم جوهرًا وهو الأصح الأظهر، ثم إذا أدرك كونه جسمًا يقول: هو تام. وكذلك الأمر إلى أن ينتهي إلى أخص الأشياء إن أمكن الانتهاء إليه بالتقسيم، فالوضع الأول الفعل وهو المصدر من غير زيادة، ثم إذا انضم إليه زمان تقول: (ضرب أو سيضرب) فالمصدر قبل الماضي، وهذا هو الأصح، إذا علمت هذا فنقول: على مذهب من يقول المصدر في الثلاثي من الماضي فالحب وأحب كلاهما في درجة واحدة لأن كليهما من حب يحب، والمصدر من الثلاثي قبل مصدر المنشعبة بمرتبة، وعلى مذهب من يقول الماضي في الثلاثي مأخوذ من المصدر، فالمصدر الثلاثي قبل المصدر في المنشعبة بمرتبتين، فاستعمل مصدر الثلاثي لأنه قبل مصدر المنشعبة، وأما الفعل في أحب وأوحى فلأن الألف فيهما تفيد فائدة لا يفيدها الثلاثي المجرد؛ لأن أحب أدخل في التعدية وأبعد عن توهم اللزوم فاستعمله.

**المسألة الرابعة:** ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ﴾ أبلغ من قول القائل: (هو وحي)، وفيه فائدة غير المبالغة وهي أنهم كانوا يقولون هو قول كاهن، هو قول شاعر. فأراد نفي قولهم، وذلك يحصل بصيغة النفي فقال: (ما هو كما يقولون) وزاد فقال: (بل هو وحي)، وفيه زيادة فائدة أخرى وهو قوله: ﴿يُوحَىٰ﴾ ذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] وفيه تحقيق الحقيقة، فإن الفرس الشديد العَدْو ربما يقال: هو طائر، فإذا قال يطير بجناحيه، يزيل جواز المجاز، كذلك يقول بعض من لا يحترز في الكلام ويبالغ في المبالغة: (كلام فلان وحي)، كما يقول: شعره سحر، وكما يقول: (قوله معجزة)، فإذا قال: (يوحى) يزول ذلك المجاز أو يبعد.

## قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾

وفيه وجهان أشهرهما عند المفسرين أن الضمير في ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ عائدًا إلى الوحي، أي الوحي علَّمه شديد القوى، والوحي وإن كان هو الكتاب فظاهر، وإن كان الإلهام فهو كقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] والأَوْلى أن يقال: الضمير عائد إلى محمد ﷺ تقديره: علَّم محمدًا شديد القوى جبريل، وحينئذٍ يكون عائدًا إلى صاحبكم، تقديره: علَّم صاحبكم شديد القوى هو جبريل، أي قواه العلمية والعملية كلها شديدة فيعلم ويعمل.

**وقوله:** ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ فيه فوائد: الأولى: أن مدح المعلم مدح المتعلم، فلو قال: (علَّمه جبريل) ولم يصفه ما كان يحصل للنبي ﷺ فضيلة ظاهرة الثانية: هي أن فيه ردًّا عليهم حيث قالوا: أساطير الأولين سمعها وقت سفره إلى الشام، فقال: لم يعلِّمه أحد من الناس بل معلمه شديد القوى، والإنسان خُلق ضعيفًا وما أوتي من العلم إلا قليلاً. الثالثة: فيه وثوق بقول جبريل عليه السلام، فقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ جمع ما يوجب الوثوق لأن قوة الإدراك شرط الوثوق بقول القائل؛ لأنا إن ظننا بواحد فساد ذهن ثم نقل إلينا عن بعض الأكابر مسألة مشكلة،

لا نثق بقوله ونقول: هو ما فهم ما قال. وكذلك قوة الحفظ حتى لا نقول أدركها لكن نسيها. وكذلك قوة الأمانة حتى لا نقول: حرَّفها وغيَّرها. فقال: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ ليجمع هذه الشرائط فيصير كقوله تعالى: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠] إلى أن قال: ﴿أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١] الرابعة: فيه تسلية النبي ﷺ وهي من حيث إن الله تعالى لم يكن مختصًا بمكان فنسبته إلى جبريل كنسبته إلى محمد ﷺ فإذا علم بواسطته يكون نقصًا عن درجته فقال: ليس كذلك لأنه شديد القوى يَثبت لمكالمتنا، وأنت بعد ما استويت فتكون كموسى حيث خر، فكأنه تعالى قد علَّمه بواسطة ثم علَّمه من غير واسطة كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣] وقال ﷺ: «أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي»(١).

## قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝﴾

**ثم قال تعالى:** ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ وجوه: أحدها: ذو قوة. ثانيها: ذو كمال في العقل والدين جميعًا. ثالثها: ذو منظر وهيبة عظيمة. رابعها: ذو خلق حسن. فإن قيل: على قولنا (المراد ذو قوة) قد تقدم بيان كونه ذا قوى في قوله: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] فكيف نقول: قواه شديدة وله قوة؟ نقول: ذلك لا يحسن إن جاء وصفًا بعد وصف، وأما إن جاء بدلاً لا يجوز، كأنه قال: علَّمه ذو قوة وترك شديد القوى فليس وصفًا له، وتقديره: ذو قوة عظيمة أو كاملة، وهو حينئذٍ كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩، ٢٠] فكأنه قال: علَّمه ذو قوة فاستوى. والوجه الآخر في الجواب هو أن إفراد قوة بالذكر ربما يكون لبيان أن قواه المشهورة شديدة، وله قوة أخرى خصّه الله بها، يقال: فلان كثير المال، وله مال لا يعرفه أحد، أي أمواله الظاهرة كثيرة وله مال باطن، على أنا نقول: المراد ذو شدة، وتقديره: علَّمه مَن قُواه شديدة وفي ذاته أيضًا شدة، فإن الإنسان ربما تكون قواه شديدة وفي جسمه صغر وحقارة ورخاوة، وفيه لطيفة وهي أنه تعالى أراد بقوله: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ قوته في العلم.

**ثم قال تعالى:** ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي شدة في جسمه فقدَّم العلمية على الجسمية، كما قال تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] وفي قوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ وجهان، المشهور أن المراد جبريل، أي فاستوى جبريل في خلقه.

**ثم قال تعالى:** ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ والمشهور أن هو ضمير جبريل، وتقديره: استوى كما

---

(١) ضعيف: أورده الفتني في (تذكرة الموضوعات) (١/ ٨٧)، وقال: سنده ضعيف، ولا يُعرف له إسناد ضعيف ثابت. وأورده السيوطي في (الدرر المنتثرة) (١/ ١). وقال: رواه أبو سعد بن السمعاني في أدب الإملاء من حديث ابن مسعود، والعسكري في الأمثال، وابن الجوزي في الأحاديث الواهية من حديث علي، وقال: لا يصح. وصححه أبو الفضل بن ناصر.

قلت: وأخرج ابن عساكر من طريق محمد بن عبد الرحمن الزهري، عن أبيه، عن جده: أن أبا بكر قال: يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم، فما سمعت أفصح منك فمن أدبك؟ قال: «أدبني ربي، ونشأت في بني سعد» انتهى.

خلقه الله تعالى بالأفق الشرقي، فسَدَّ المشرق لعظمته، والظاهر أن المراد محمد ﷺ معناه استوى بمكان وهو بالمكان العالي رتبة ومنزلة في رفعة القدر لا حقيقة في الحصول في المكان، فإن قيل: كيف يجوز هذا والله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] إشارة إلى أنه رأى جبريل بالأفق المبين؟ نقول: وفي ذلك الموضع أيضًا نقول كما قلنا هاهنا: إنه ﷺ رأى جبريل وهو بالأفق المبين، يقول القائل: رأيت الهلال. فيقال له: أين رأيته؟ فيقول: فوق السطح. أي أن الرائي فوق السطح لا المرئي و﴿ٱلْمُبِينِ﴾ هو الفارق من أبان، أي فرق، أي هو بالأفق الفارق بين درجة الإنسان ومنزلة الملك فإنه ﷺ انتهى وبلغ الغاية وصار نبيًّا كما صار بعض الأنبياء نبيًّا يأتيه الوحي في نومه وعلى هيئته، وهو واصل إلى الأفق الأعلى، والأفق الفارق بين المنزلتين، فإن قيل: ما بعده يدل على خلاف ما تذهب إليه، فإن قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨] إلى غير ذلك، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣، ١٤] كل ذلك يدل على خلاف ما ذكرته؟ نقول: سنبين موافقته لما ذكرنا إن شاء الله في مواضعه عند ذكر تفسيره، فإن قيل: الأحاديث تدل على خلاف ما ذكرته حيث ورد في الأخبار أن جبريل ﷺ أرى النبي ﷺ نفسه على صورته فسَدَّ المشرق. فنقول: نحن ما قلنا: إنه لم يكن، وليس في الحديث أن الله تعالى أراد بهذه الآية تلك الحكاية حتى يلزم مخالفة الحديث، وإنما نقول: إن جبريل أرى النبي ﷺ نفسه مرتين وبسط جناحيه وقد ستر الجانب الشرقي وسده، لكن الآية لم ترد لبيان ذلك.

## قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾

**ثم قال تعالى:** ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾. **وفيه وجوه مشهورة:**

**أحدها:** أن جبريل دنا من النبي ﷺ أي بعد ما مد جناحه وهو بالأفق، عاد إلى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقَرُب من النبي ﷺ وعلى هذا ففي (تدلى) ثلاثة وجوه: أحدها: فيه تقديم وتأخير تقديره: ثم تدلى من الأفق الأعلى فدنا من النبي ﷺ. الثاني: الدنو والتدلي بمعنى واحد كأنه قال: دنا فقرب. الثالث: دنا أي قصد القرب من محمد ﷺ وتحرك عن المكان الذي كان فيه فتدلى فنزل إلى النبي ﷺ.

**الثاني:** على ما ذكرنا من الوجه الأخير في قوله: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النجم: ٧] أن محمدًا ﷺ دنا من الخلق والأمة ولان لهم وصار كواحد منهم ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ أي فتدلى إليهم بالقول اللين والدعاء الرفيق فقال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [فصلت: ٦] وعلى هذا ففي الكلام كمالان، كأنه تعالى قال إلا وحي يوحي جبريل على محمد، فاستوى محمد وكمل فدنا من الخلق بعد علوه وتدلى إليهم وبلغ الرسالة.

**الثالث وهو ضعيف سخيف:** وهو أن المراد منه هو ربه تعالى، وهو مذهب القائلين بالجهة

والمكان، اللّهم إلا أن يريد القرب بالمنزلة، وعلى هذا يكون فيه ما في قوله ﷺ حكاية عن ربه تعالى: «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَمَنْ مَشَى إِلَيَّ أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» إشارة إلى المعنى المجازي، وههنا لما بيّن أن النبي ﷺ استوى وعلا في المنزلة العقلية لا في المكان الحسي قال: وقرب الله منه تحقيقًا لما في قوله: «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا».

**ثم قال تعالى:** ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي بين جبرائيل ومحمد عليهما السلام مقدار قوسين أو أقل، وورد هذا على استعمال العرب وعادتهم، فإن الأميرين منهم أو الكبيرين إذا اصطلحا وتعاهدا خرجا بقوسيهما ووتر كل واحد منهما طرف قوسه بطرف قوس صاحبه، ومَن دونهما من الرعية يكون كفه بكفه فينهيان باعيهما، ولذلك تسمى مسايعة، وعلى هذا ففيه لطيفة وهي أن قوله: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ على جعل كونهما كبيرين، وقوله: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ لفضل أحدهما على الآخر، فإن الأمير إذا بايعه الرعية لا يكون مع المبايع قوس فيصافحه الأمير، فكأنه تعالى أخبر أنهما كأميرين كبيرين فكان بينهما مقدار قوسين، أو كان جبرائيل عليه السلام سفيرًا بين الله تعالى ومحمد ﷺ فكان كالتبع لمحمد ﷺ فصار كالمبايع الذي يمد الباع لا القوس، هذا على قول من يفضل النبي ﷺ على جبرائيل عليه السلام، وهو مذهب أهل السنة إلا قليلاً منهم إذ كان جبرائيل رسولاً من الله واجب التعظيم والاتباع، فصار النبي ﷺ عنده كالتبع له على قول من يفضل جبريل على النبي ﷺ، وفيه وجه آخر على ما ذكرنا، وهو أن يكون القوس عبارة عن بُعد، مِن قاس يقوس، وعلى هذا فنقول: ذلك البعد هو البعد النوعي الذي كان للنبي ﷺ، فإنه على كل حال كان بشرًا، وجبريل على كل حال كان ملكًا، فالنبي ﷺ وإن زال عن الصفات التي تخالف صفات الملك من الشهوة والغضب والجهل والهوى، لكن بشريته كانت باقية، وكذلك جبريل وإن ترك الكمال واللطف الذي يمنع الرؤية والاحتجاب، لكن لم يخرج عن كونه ملكًا، فلم يبق بينهما إلا اختلاف حقيقتهما، وأما سائر الصفات الممكنة الزوال فزالت عنهما، فارتفع النبي ﷺ حتى بلغ الأفق الأعلى من البشرية، وتدلى جبريل عليه السلام حتى بلغ الأفق الأدنى من الملكية، فتقاربا ولم يبق بينهما إلا حقيقتهما.

وعلى هذا ففي فاعل (أوحى) الأول وجهان: أحدهما: أن الله تعالى أوحى، وعلى هذا ففي (عبده) وجهان: أحدهما: أنه جبريل عليه السلام، ومعناه أوحى الله إلى جبريل، وعلى هذا ففي فاعل (أوحى) الأخير وجهان: أحدهما الله تعالى أيضًا، والمعنى حينئذٍ أوحى الله تعالى إلى جبريل عليه السلام الذي أوحاه إليه تفخيمًا وتعظيمًا للموحي. ثانيهما: فاعل أوحى ثانيًا جبريل، والمعنى أوحى الله إلى جبريل ما أوحى جبريل إلى كل رسول، وفيه بيان أن جبرائيل أمين لم يخن في شيء مما أوحي إليه، وهذا كقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] وقوله: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١] الوجه الثاني: في (عبده) على قولنا (الموحي هو الله) أنه محمد ﷺ معناه أوحى الله إلى محمد ما أوحى إليه للتفخيم والتعظيم، وهذا على ما ذكرنا من

أن التفسير ورد على ترتيب في غاية الحسن، وذلك لأن محمدًا ﷺ في الأول حصل في الأفق الأعلى من مراتب الإنسان وهو النبوة، ثم دنا من جبريل وهو في مرتبة النبوة، فصار رسولاً فاستوى وتكامل، ودنا من الأمة باللطف، وتدلى إليهم بالقول الرفيق، وجعل يتردد مرارًا بين أمته وربه، فأوحى الله إليه من غير واسطة جبريل ما أوحى. والوجه الثاني في فاعل (أوحى) أولاً هو أنه جبريل أوحى أي عبده إلى عبد الله، والله معلوم وإن لم يكن مذكورًا، وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١] ما يوجب القطع بعدم جواز إطلاق هذا اللفظ على النبي ﷺ، وعلى هذا ففاعل (أوحى) ثانيًا يحتمل وجهين: أحدهما: أنه جبريل، أي أوحى جبريل إلى عبد الله ما أوحاه جبريل للتفخيم وثانيهما: أن يكون هو الله تعالى، أي أوحى جبريل إلى محمد ﷺ ما أوحى الله إليه.

وفي (ما) وجوه: **أولها:** الذي أوحى الصلاة. **ثانيها:** أن أحدًا من الأنبياء لا يدخل الجنة قبلك، وأمة من الأمم لا تدخل الجنة قبل أمتك. **ثالثها:** أن (ما) للعموم والمراد كل ما جاء به جبريل.

وهذا على قولنا بأن المراد جبريل صحيح، والوجهان المتقدمان على قولنا المراد محمد عليه الصلاة والسلام أظهر.

وفيه وجه غريب من حيث العربية مشهور معناه عند الأصوليين، ولنبين ذلك في معرض الجواب عن سؤال، وهو أن يقال: بم عرف محمد ﷺ أن جبريل ملك من عند الله وليس أحدًا من الجن، والذي يقال: (إن خديجة كشفت رأسها) امتحانًا في غاية الضعف إن ادعى ذلك القائل أن المعرفة حصلت بأمثال ذلك، وهذا إن أراد القصة والحكاية، وإن خديجة فعلت هذا لأن فعل خديجة غير منكر وإنما المنكر دعوى حصول المعرفة بفعلها وأمثالها، وذلك لأن الشيطان ربما تستر عند كشف رأسها أصلاً فكان يشتبه بالملائكة فيحصل اللبس والإبهام؟ والجواب الصحيح من وجهين: أحدهما: أن الله أظهر على يد جبريل معجزة عرفه النبي ﷺ بها، كما أظهر على يد محمد معجزات عرفناه بها. وثانيهما: أن الله تعالى خلق في محمد ﷺ علمًا ضروريًا بأن جبريل من عند الله ملك لا جني ولا شيطان، كما أن الله تعالى خلق في جبريل علمًا ضروريًّا أن المتكلم معه هو الله تعالى وأن المرسِل له ربه لا غيره.

إذا علم الجوابان فنقول قوله تعالى:

## قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾

**قوله تعالى:** ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾. **فيه وجهان:**

**أحدهما:** أوحى إلى محمد ﷺ ما أوحاه إلى جبريل، أي كلمه الله أنه وحي أو خَلَق فيه علمًا ضروريًّا.

**ثانيهما:** أوحى إلى جبريل ما أوحى إلى محمد دليله الذي به يعرف أنه وحي، فعلى هذا يمكن أن يقال: (ما) مصدرية، تقديره: فأوحى إلى محمد ﷺ الإيحاء، أي العلم بالإيحاء؛ ليفرق بين الملك والجن.

**ثم قال تعالى:** ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ **وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى**: الفؤاد فؤاد من؟ نقول: المشهور أنه فؤاد محمد ﷺ معناه أنه ما كذب فؤاده، واللام لتعريف ما علم حاله لسبق ذكر محمد عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ وفي قوله: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النجم: ٧] وقوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ [النجم: ٢] ويحتمل أن يقال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ أي جنس الفؤاد لأن المكذب هو الوهم والخيال، يقول: كيف يرى الله أو كيف يرى جبريل مع أنه ألطف من الهواء والهواء لا يرى، وكذلك يقول الوهم والخيال: إن رأى ربه رأى في جهة ومكان وعلى هيئة، والكل ينافي كون المرئي إلهًا، ولو رأى جبريل عليه السلام مع أنه صار على صورة دحية أو غيره فقد انقلبت حقيقته، ولو جاز ذلك لارتفع الأمان عن المرئيات. فنقول: رؤية الله تعالى ورؤية جبريل عليه السلام على ما رآه محمد عليه الصلاة والسلام جائزة عند من له قلب، فالفؤاد لا ينكر ذلك، وإن كانت النفس المتوهمة والمتخيلة تنكره.

**المسألة الثانية**: ما معنى ﴿مَا كَذَبَ﴾؟ نقول: فيه وجوه: الوجه الأول: ما قاله الزمخشري وهو أن قلبه لم يكذب وما قال: إن ما رآه بصرك ليس بصحيح، ولو قال فؤاده ذلك لكان كاذبًا فيما قاله. وهو قريب مما قاله المبرد حيث قال: معناه صدق الفؤاد، فيما رأى، (رأى) شيئًا فصدق فيه. الثاني: قرئ (ما كذَّب الفؤاد) بالتشديد ومعناه ما قال: إن المرئي خيال لا حقيقة له. الثالث: هو أن هذا مقرر لما ذكرنا من أن محمدًا ﷺ لما رأى جبريل عليه السلام خلق الله له علمًا ضروريًّا علم أنه ليس بخيال، وليس هو على ما ذكرنا قصد الحق، وتقديره ما جوّز أن يكون كاذبًا وفي الوقوع، وإرادة نفي الجواز كثير، قال الله تعالى: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾ [غافر: ١٦] وقال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ﴾ [النمل: ٩٣] والكل لنفي الجواز، بخلاف قوله تعالى: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦] و﴿لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، و﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] فإنه لنفي الوقوع.

**المسألة الثالثة**: الرائي في قوله: ﴿مَا رَأَىٰٓ﴾ هو الفؤاد أو البصر أو غيرهما؟ نقول: فيه وجوه: الأول: الفؤاد، كأنه تعالى قال: ما كذب الفؤاد ما رآه الفؤاد، أي لم يقل: إنه جني أو شيطان بل تيقن أن ما رآه بفؤاده صدق صحيح. الثاني: البصر أي ما كذب الفؤاد ما رآه البصر، ولم يقل: إن ما رآه البصر خيال. الثالث: ما كذب الفؤاد ما رأى محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا على قولنا الفؤاد للجنس ظاهر، أي القلوب تشهد بصحة ما رآه محمد ﷺ (من الرؤيا) وإن كانت الأوهام لا تعترف بها.

**المسألة الرابعة**: ما المرئي في قوله: ﴿مَا رَأَىٰٓ﴾؟ نقول: على الاختلاف السابق والذي يحتمل

الكلام وجوه ثلاثة: الأول: الرب تعالى. والثاني: جبريل عليه السلام. والثالث: الآيات العجيبة الإلهية. فإن قيل: كيف تمكن رؤية الله تعالى بحيث لا يقدح فيه ولا يلزم منه كونه جسمًا في جهة؟ نقول: اعلم أن العاقل إذا تأمل وتفكر في رجل موجود في مكان، وقال: هذا مرئي الله تعالى يراه الله، و(إذا) تفكر في أمر لا يوجد أصلاً وقال: هذا مرئي الله تعالى يراه الله تعالى. يجد بينهما فرقًا وعقله يصحح الكلام الأول ويكذب الكلام الثاني، فذلك ليس بمعنى كونه معلومًا لأنه لو قال الموجود معلوم الله والمعدوم معلوم الله لما وجد في كلامه خللاً واستبعادًا، فالله راءٍ بمعنى كونه عالمًا، ثم إن الله يكون رائيًا ولا يصير مقابلاً للمرئي، ولا يحصل في جهة ولا يكون مقابلاً له، وإنما يصعب على الوهم ذلك من حيث إنه لم ير شيئًا إلا في جهة فيقول: إن ذلك واجب، ومما يصحح هذا أنك ترى في الماء قمرًا وفي الحقيقة ما رأيت القمر حالة نظرك إلى الماء إلا في مكانه فوق السماء، فرأيت القمر في الماء؛ لأن الشعاع الخارج من البصر اتصل به فردّ الماء ذلك الشعاع إلى السماء، لكن وهمك لما رأى أكثر ما رآه في المقابلة لم يعهد رؤية شيء يكون خلفه إلا بالتوجه إليه، قال: إني أرى القمر، ولا رؤية إلا إذا كان المرئي في مقابلة الحدقة ولا مقابل للحدقة إلا الماء، فحكم إذن بناء على هذا أنه يرى القمر في الماء، فالوهم يغلب العقل في العالم لكون الأمور العاجلة أكثرها وهمية حسية، وفي الآخرة تزول الأوهام وتنجلي الأفهام فترى الأشياء لوجودها لا لتحيزها.

واعلم أن من ينكر جواز رؤية الله تعالى يلزمه أن ينكر جواز رؤية جبريل عليه السلام، وفيه إنكار الرسالة، وهو كفر، وفيه ما يكاد أن يكون كفرًا، وذلك لأن من شك في رؤية الله تعالى يقول: لو كان الله تعالى جائز الرؤية لكان واجب الرؤية لأن حواسنا سليمة، والله تعالى ليس من وراء حجاب ولا هو في غاية البعد عنا لعدم كونه في جهة ولا مكان، فلو جاز أن يرى ولا نراه، للزم القدح في المحسوسات المشاهدات، إذ يجوز حينئذٍ أن يكون عندنا جبل ولا نراه، فيقال لذلك القائل: قد صح أن جبريل عليه السلام كان ينزل على محمد ﷺ وعنده غيره وهو يراه، ولو وجب ما يجوز لرآه كل أحد، فإن قيل: إن هناك حجابًا. نقول: وجب أن يرى هناك حجابًا فإن الحجاب لا يحجب إذا كان مرئيًا على مذهبهم، ثم إن النصوص وردت أن محمدًا ﷺ رأى ربه بفؤاده [1] فجعل بصره في فؤاده أو رآه ببصره فجعل فؤاده في بصره، وكيف لا، وعلى مذهب أهل السنة الرؤية بالإرادة لا بقدرة العبد، فإذا حصَّل الله تعالى العلم بالشيء من طريق البصر كان رؤية، وإن حصَّله من طريق القلب كان معرفة، والله قادر على أن يحصِّل العلم بخلق مدرك للمعلوم في البصر كما قدر على أن يحصله بخلق مدرك في القلب، والمسألة مختلف فيها بين الصحابة في الوقوع، واختلاف الوقوع مما ينبئ عن الاتفاق على الجواز، والمسألة مذكورة في الأصول فلا نطولها.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم في (صحيحه) (١/ ١٥٨/ ١٧٦)، من طريق أبي العالية عن ابن عباس... به.

قوله تعالى: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ ﴾

**ثم قال تعالى:** ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ أي كيف تجادلونه وتوردون شكوككم عليه، مع أنه رأى ما رأى عين اليقين؟ ولا شك بعد الرؤية فهو جازم متيقن، وأنتم تقولون أصابه الجن. ويمكن أن يقال: هو مؤكد للمعنى الذي تقدم، وذلك لأن من تيقن شيئًا قد يكون بحيث لا يزول عن نفسه تشكيك.

**وأكده بقوله تعالى:** ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ وذلك لأنه ﷺ لما رآه وهو على بسيط الأرض كان يحتمل أن يقال: إنه من الجن احتمالاً في غاية البعد، لما بينا أنه ﷺ حصل له العلم الضروري بأنه ملك مرسل، واحتمال البعيد لا يقدح في الجزم واليقين، ألا ترى أنا إذا نمنا بالليل وانتبهنا بالنهار نجزم بأن البحار وقت نومنا ما نشفت ولا غارت، والجبال ما عدمت ولا سارت، مع احتمال ذلك فإن الله قادر على ذلك وقت نومنا، ويعيدها إلى ما كانت عليه في يومنا، فلما رآه عند سدرة المنتهى وهو فوق السماء السادسة، لم يحتمل أن يكون هناك جن ولا إنس، فنفى ذلك الاحتمال أيضًا فقال تعالى: أفتمارونه على ما يرى رأي العين، وكيف وهو قد رآه في السماء فماذا تقدرون فيه؟

**وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى:** الواو يحتمل أن تكون عاطفة، ويحتمل أن تكون للحال على ما بيناه، أي كيف تجادلونه فيما رآه، على وجه لا يشك فيه؟ ومع ذلك لا يحتمل إيراد الشكوك عليه، فإن كثيرًا ما يشك المعتقد لشيء فيه ولكن تردد عليه الشكوك ولا يمكنه الجواب عنها، ولا تثريب مع ذلك في أن الأمر كما ذكرنا من المثال؛ لأنا لا نشك في أن البحار ما صارت ذهبًا والجبال ما صارت عهنًا، وإذا أورد علينا مُورِد شكًا، وقال: وقت نومك يحتمل أن الله تعالى قلبها ثم أعادها. لا يمكننا الجواب عنه مع أنا لا نشك في استمرارها على ما هي عليه، لا يقال: اللام تنافي كون الواو للحال، فإن المستعمل يقال أفتمارونه، وقد رأى من غير لام، لأنا نقول: الواو التي للحال تدخل على جملة، والجملة تتركب من مبتدأ وخبر، أو من فعل وفاعل، وكلاهما يجوز فيه اللام.

**المسألة الثانية:** قوله: ﴿ نَزْلَةً ﴾ فَعْلة من النزول فهي كجَلْسة من الجلوس، فلا بد من نزول، فذلك النزول لمن كان؟ نقول: فيه وجوه، وهي مرتبة على أن الضمير في رآه عائد إلى من؟ وفيه قولان: الأول: عائد إلى الله تعالى، أي رأى الله نزلة أخرى، وهذا على قول من قال: ﴿ مَا رَأَىٰٓ ﴾ في قوله: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم: ١١] هو الله تعالى. وقد قيل بأن النبي ﷺ رأى ربه بقلبه مرتين [١]، وعلى هذا فالنزلة تحتمل وجهين: أحدهما: أنها لله، وعلى هذا فوجهان: أحدهما: قول من يجوز على الله تعالى الحركة والانتقال وهو باطل. وثانيهما: النزول بالقرب

(١) انظر سابقه.

المعنوي لا الحسي، فإن الله تعالى قد يقرب بالرحمة والفضل من عبده ولا يراه العبد، ولهذا قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي﴾[البقرة: ٢٦٠] أي أزِل بعض حجب العظمة والجلال، وادن من العبد بالرحمة والإفضال لأراك.

**الوجه الثاني:** أن محمدًا ﷺ رأى الله نزلة أخرى، وحينئذٍ يحتمل ذلك وجهين: أحدهما: أن النبي ﷺ نزل على متن الهوى ومركب النفس ولهذا يقال لمن ركب متن هواه: إنه علا في الأرض واستكبر، قال تعالى: ﴿عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[القصص: ٤] ثانيهما: أن المراد من النزلة ضدها وهي العرجة، كأنه قال: رآه عرجة أخرى، وإنما اختار النزلة لأن العرجة التي في الآخرة لا نزلة لها فقال: (نزلة) ليعلم أنها من الذي كان في الدنيا.

**والقول الثاني:** أنه عائد إلى جبريل عليه السلام، أي رأى جبريل نزلة أخرى، والنزلة حينئذٍ يحتمل أن تكون لمحمد ﷺ كما ذكرناه؛ لأن النبي ﷺ على ما ورد في بعض أخبار ليلة المعراج جاوز جبريل عليه السلام، وقال له جبريل عليه السلام لو دنوت أنملة لاحترقت[١]، ثم عاد إليه فذلك نزلة. فإن قيل: فكيف قال: ﴿أُخْرَىٰ﴾؟ نقول: لأن النبي ﷺ في أمر الصلاة تردد مرارًا، فربما كان يجاوز كل مرة، وينزل إلى جبريل، ويحتمل أن تكون لجبريل عليه السلام، وكلاهما منقول، وعلى هذا الوجه فنزلة أخرى ظاهر لأن جبريل كان له نزلات، وكان له نزلتان عليه وهو على صورته.

**وقوله تعالى:** ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ المشهور أن السدرة شجرة في السماء السابعة وعليها مثل النبق، وقيل: في السماء السادسة، وورد في الخبر أنه ﷺ قال: «**نَبِقُهَا كَقِلَالِ هَجَرَ، وَوَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ**»[٢] وقيل: سدرة المنتهى هي الحيرة القصوى من السدرة، والسدرة كالركبة من الراكب عندما يحار العقل حيرة لا حيرة فوقها، ما حار النبي ﷺ وما غاب ورأى ما رأى.

**وقوله:** ﴿عِندَ﴾ ظرف مكان، أو ظرف زمان في هذا الموضع؟ نقول: المشهور أنه ظرف مكان، تقديره رأى جبريل أو غيره بقرب سدرة المنتهى. وقيل: ظرف زمان، كما يقال: صليت عند طلوع الفجر، وتقديره رآه عند الحيرة القصوى، أي في الزمان الذي تحار فيه عقول العقلاء، والرؤية من أتم العلوم وذلك الوقت من أشد أوقات الجهل والحيرة، فهو عليه الصلاة والسلام ما حار وقتًا من شأنه أن يحار العاقل فيه، والله أعلم.

**المسألة الثالثة:** إن قلنا: معناه رأى الله كيف يفهم ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾؟ قلنا: فيه أقوال:

**الأول:** قول من يجعل الله في مكان وهو باطل، وقد بالغنا في بيان بطلانه في سورة السجدة.

**الثاني:** رآه محمد ﷺ وهو ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ لأن الظرف قد يكون ظرفًا للرائي كما ذكرنا من المثال، يقال: رأيت الهلال، فيقال: لقائله أين رأيته؟ فيقول: على السطح. وربما يقول: عند

---

(١) تتقدم تخريجه.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب (بدء الخلق)، باب: (ذكر المؤاكلة) (٦/ ٣٤٨)، حديث رقم (٣٢٠٧) من طريق همام... به، ومسلم في كتاب (الإيمان)، باب: (الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات) (١/ ٢٦٤/ ١٤٩) من طريق سعيد... به، جميعًا (همام، سعيد، هشام الدستوائي) عن قتادة... به.

الشجرة الفلانية. وأما إن قلنا: إن المراد جبريل عليه السلام. فالوجهان ظاهران، وكون النبي ﷺ مع جبريل عند سدرة المنتهى أظهر.

**المسألة الرابعة**: إضافة السدرة إلى المنتهى من أي (أنواع) الإضافة؟ نقول: يحتمل وجوهًا: أحدها: إضافة الشيء إلى مكانه، يقال: أشجار بلدة كذا لا تطول من البرد. ويقال: أشجار الجنة لا تيبس ولا تخلو من الثمار، فالمنتهى حينئذٍ موضع لا يتعداه ملك، وقيل: لا يتعداه روح من الأرواح. وثانيها: إضافة المحل إلى الحالّ فيه، يقال: كتاب الفقه، ومحل السواد، وعلى هذا فالمنتهى عند السدرة، تقديره سدرة عند منتهى العلوم. ثالثها: إضافة المِلك إلى مالكه، يقال: دار زيد وأشجار زيد. وحينئذٍ فالمنتهى إليه محذوف، تقديره سدرة المنتهى إليه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]فالمنتهى إليه هو الله، وإضافة السدرة إليه حينئذٍ كإضافة البيت إليه للتشريف والتعظيم، ويقال في التسبيح: يا غاية مناه، ويا منتهى أملاه.

## قوله تعالى: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾

وفي الجنة خلاف، قال بعضهم: جنة المأوى هي الجنة التي وُعد بها المتقون، وحينئذٍ الإضافة كما في قوله تعالى: ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ [فاطر: ٣٥]وقيل: هي جنة أخرى عندها يكون أرواح الشهداء، وقيل: هي جنة للملائكة وقرئ: (جَنَّهُ) بالهاء من جن بمعنى أجن يقال: جن الليل وأجن، وعلى هذه القراءة يحتمل أن يكون الضمير في قوله: ﴿ عِندَهَا﴾ عائدًا إلى النزلة، أي عند النزلة جن محمدًا المأوى، والظاهر أنه عائد إلى السدرة، وهي الأصح، وقيل: إن عائشة أنكرت هذه القراءة، وقيل: إنها أجازتها.

## قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾

**فيه مسائل:**

**المسألة الأولى**: العامل في ﴿ إِذْ﴾ ما قبلها أو ما بعدها فيه وجهان، فإن قلنا: ما قبلها ففيه احتمالان: أظهرهما ﴿رَءَاهُ﴾ [النجم: ١٣]أي رآه وقت ما يغشى السدرة الذي يغشى، والاحتمال الآخر العامل فيه الفعل الذي في النزلة، تقديره رآه نزلة أخرى تلك النزلة وقت ما يغشى السدرة ما يغشى، أي نزوله لم يكن إلا بعد ما ظهرت العجائب عند السدرة وغشيها ما غشى، فحينئذٍ نزل محمد نزلة إشارة إلى أنه لم يرجع من غير فائدة، وإن قلنا: ما بعده، فالعامل فيه ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ [النجم: ١٧]أي ما زاغ بصره وقت غشيان السدرة ما غشيها، وسنذكره عند تفسير الآية.

**المسألة الثانية**: قد ذكرت أن في بعض الوجوه ﴿سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٤]هي الحيرة القصوى، وقوله: ﴿ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ﴾ على ذلك الوجه ينادي بالبطلان، فهل يمكن تصحيحه؟ نقول: يمكن أن يقال: المراد من الغشيان غشيان حالة على حالة، أي ورد على حالة الحيرة

حالة الرؤية واليقين، ورأى محمدﷺ عندما حار العقل ما رآه وقت ما طرأ على تلك الحالة ما طرأ من فضل الله تعالى ورحمته، والأول هو الصحيح، فإن النقل الذي ذكرنا من أن السدرة نبقها كقلال هجر يدل على أنها شجرة.

**المسألة الثالثة**: ما الذي غشى السدرة؟ نقول: فيه وجوه: الأول: فَراش أو جراد من ذهب. وهو ضعيف؛ لأن ذلك لا يثبت إلا بدليل سمعي، فإن صح فيه خبر فلا يبعد من جواز التأويل، وإن لم يصح فلا وجه له. الثاني: الذي يغشى السدرة ملائكة يغشونها كأنهم طيور، وهو قريب؛ لأن المكان مكان لا يتعداه الملك، فهم يرتقون إليه متشرفين به متبركين زائرين، كما يزور الناس الكعبة فيجتمعون عليها. الثالث: أنوار الله تعالى، وهو ظاهر؛ لأن النبيﷺ لما وصل إليها تجلى ربه لها، كما تجلى للجبل، وظهرت الأنوار، لكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت، فجعل الجبل دكًّا، ولم تتحرك الشجرة، وخر موسى صعقًا، ولم يتزلزل محمد. الرابع: هو مبهم للتعظيم، يقول القائل: (رأيت ما رأيت عند الملك)، يشير إلى الإظهار من وجه، وإلى الإخفاء من وجه.

**المسألة الرابعة**: ﴿يَغۡشَىٰ﴾ يستر، ومنه الغواشي أو من معنى الإتيان، يقال: فلا يغشاني كل وقت، أي يأتيني. والوجهان محتملان، وعلى قول من يقول: الله يأتي ويذهب، فالإتيان أقرب.

## قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾

**وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى**: اللام في ﴿ٱلۡبَصَرُ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: المعروف وهو بصر محمد ﷺ، أي ما زاغ بصر محمد، وعلى هذا فعدم الزيغ على وجوه، إن قلنا (الغاشي للسدرة هو الجراد والفراش)، فمعناه لم يتلفت إليه ولم يشتغل به، ولم يقطع نظره عن المقصود، وعلى هذا فغشيان الجراد والفراش يكون ابتلاء وامتحانًا لمحمد ﷺ. وإن قلنا (أنوار الله)، ففيه وجهان: أحدهما: لم يلتفت يمنة ويسرة، واشتغل بمطالعتها. وثانيهما: ما زاغ البصر بصعقة بخلاف موسى عليه السلام، فإنه قطع النظر وغشي عليه، وفي الأول بيان أدب محمد ﷺ، وفي الثاني بيان قوته.

**الوجه الثاني في اللام**: أنه لتعريف الجنس، أي ما زاغ بصر أصلاً في ذلك الموضع لعظمة الهيبة، فإن قيل: لو كان كذلك لقال (ما زاغ بصر)، لأنه أدل على العموم؛ لأن النكرة في معرض النفي تعم، نقول: هو كقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ولم يقل: لا يدركه بصر.

**المسألة الثانية**: إن كان المراد محمدًا، فلو قال (ما زاغ قلبه) كان يحصل به فائدة قوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ﴾؟ نقول: لا، وذلك لأن من يحضر عند ملك عظيم يرى من نفسه أنه يهابه ويرتجف

إظهارًا لعظمته مع أن قلبه قوي، فإذا قال: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ يحصل منه فائدة أن الأمر كان عظيمًا، ولم يزغ بصره من غير اختيار من صاحب البصر.

**المسألة الثالثة:** ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ عطف جملة مستقلة على جملة أخرى، أو عطف جملة مقدرة على جملة، مثال المستقلة: خرج زيد ودخل عمرو، ومثال المقدرة: خرج زيد ودخل، فنقول: الوجهان جائزان، أما الأول: فكأنه تعالى قال عند ظهور النور: ما زاغ بصر محمد ﷺ، وما طغى محمد بسبب الالتفات، ولو التفت لكان طاغيًا. وأما الثاني: فظاهر على الأوجه، أما على قولنا: غشي السدرة جراد فلم يلتفت إليه ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي ما التفت إلى غير الله، فلم يلتفت إلى الجراد، ولا إلى غير الجراد سوى الله. وأما على قولنا غشيها نور، فقوله: ﴿مَا زَاغَ﴾ أي ما مال عن الأنوار ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي ما طلب شيئًا وراءها. وفيه لطيفة وهي أن الله تعالى قال: ما زاغ وما طغى، ولم يقل: (ما مال وما جاوز)، لأن الميل في ذلك الموضع والمجاوزة مذمومان، فاستعمل الزيغ والطغيان فيه، وفيه وجه آخر وهو أن يكون ذلك بيانًا لوصول محمد ﷺ إلى سدرة اليقين الذي لا يقين فوقه، ووجه ذلك أن بصر محمد ﷺ ﴿مَا زَاغَ﴾ أي ما مال عن الطريق، فلم ير الشيء على خلاف ما هو عليه، بخلاف من ينظر إلى عين الشمس مثلاً، ثم ينظر إلى شيء أبيض، فإنه يراه أصفر أو أخضر يزيغ بصره عن جادة الأبصار ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ ما تخيل المعدوم موجودًا، فرأى المعدوم مجاوزًا الحد.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾

**ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى:** فيه دليل على أن النبي ﷺ رأى ليلة المعراج آيات الله، ولم ير الله، وفيه خلاف، ووجهه هو أن الله تعالى ختم قصة المعراج ههنا برؤية الآيات، وقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ إلى أن قال: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١] ولو كان رأى ربه لكان ذلك أعظم ما يمكن، فكانت الآية الرؤية، وكان أكبر شيء هو الرؤية، ألا ترى أن من له مال يقال له: سافِر لتربح، ولا يقال: سافِر لتتفرج؛ لما أن الربح أعظم من التفرج.

**المسألة الثانية:** قال بعض المفسرين: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ وهي أنه رأى جبريل عليه السلام في صورته. فهل هو على ما قاله؟ نقول: الظاهر أن هذه الآيات غير تلك، وذلك لأن جبريل عليه السلام وإن كان عظيمًا، لكن ورد في الأخبار أن لله ملائكة أعظم منه، والكبرى تأنيث الأكبر، فكأنه تعالى يقول: رأى من آيات ربه آيات هن أكبر الآيات، فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ [المدثر: ٣٥] مع أن أكبر من سقر عجائب الله، فكذلك الآيات الكبرى تكون جبريل وما فيه، وإن كان لله آيات أكبر منه. نقول: سقر إحدى الكُبَر، أي إحدى الدواهي

الكُبَر، ولا شك أن في الدواهي سقر عظيمة كبيرة، وأما آيات الله فليس جبريل أكبرها ولأن سقر في نفسها أعظم وأعجب من جبريل عليه السلام، فلا يلزم من صفتها بالكبر صفتها بالكبرى.

**المسألة الثالثة**: (الكبرى) صفة ماذا؟ نقول: فيه وجهان: أحدهما: صفة محذوف، تقديره: لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى. ثانيهما: صفة آيات ربه، وعلى هذا يكون مفعول رأى محذوفًا تقديره: رأى من الآيات الكبرى آية أو شيئًا.

**ثم قال تعالى**: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغي أن يبتدئ به الرسول وهو التوحيد ومَنْع الخلق عن الإشراك، فقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ إشارة إلى إبطال قولهم بنفس القول، كما أن ضعيفًا إذا ادعى المُلك ثم رآه العقلاء في غاية البعد عما يدعيه يقولون: (انظروا إلى هذا الذي يدعي المُلك)، منكرين عليه غير مستدلين بدليل لظهور أمره، فلذلك قال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ أي كما هما فكيف تشركونهما بالله، والتاء في اللات تاء تأنيث كما في المناة لكنها تُكتب مطولة لئلا يوقف عليها فتصير هاء فيشتبه باسم الله تعالى، فإن الهاء في الله أصلية ليست تاء تأنيث وقف عليها فانقلبت هاء، وهي صنم كانت لثقيف بالطائف، قال الزمخشري: هي فَعْلة من لوى يلوي، وذلك لأنهم كانوا يلوون عليها. وعلى ما قال فأصله لوية أُسكنت الياء وحُذفت لالتقاء الساكنين فبقيت لوة قلبت الواو ألفًا لفتح ما قبلها فصارت لات، وقرئ (اللاتّ) بالتشديد من لت، قيل: إنه مأخوذ من رجل كان يلت بالسمن الطعام ويطعم الناس فعُبد واتخذ على صورته وثن وسموه باللات، وعلى هذا فاللات ذكر.

وأما العزى فتأنيث الأعز وهي شجرة كانت تُعبد، فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه فقطعها وخرجت منها شيطانة مكشوفة الرأس منشورة الشعر، تضرب رأسها وتدعو بالويل والثبور، فقتلها خالد وهو يقول:

يَا عُزُّ كُفْرَانَكِ لاَ سُبْحَانَكِ ... إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكِ

ورجع إلى النبي ﷺ وأخبره بما رأى وفعل فقال: «**تلك العزى ولن تُعبد أبدًا**»، وأما مناة فهي فعلة صنم الصفا، وهي صخرة كانت لهذيل وخزاعة. **وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى**: الآخر لا يصح أن يقال إلا إذا كان الأول مشاركًا للثاني، فلا يقال: رأيت امرأة ورجلاً آخر، ويقال: رأيت رجلاً ورجلاً آخر. لاشتراك الأول والثاني في كونهما من الرجال، وهاهنا قوله: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ يقتضي على ما ذكرنا أن تكون العزى ثالثة أولى ومناة ثالثة أخرى، وليس كذلك. والجواب عنه من وجوه: الأول: الأخرى كما هي تستعمل للذم، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٩] أي لمتأخرتهم وهم الأتباع، ويقال لهم الأذناب لتأخرهم في المراتب فهي صفة ذم، كأنه تعالى يقول: ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة، ونقول على هذا: للأصنام الثلاثة ترتيب، وذلك لأن الأول كان وثنًا على صورة آدمي، والعزى

صورتها صورة نبات، ومناة صورتها صورة صخرة هي جماد، فالآدمي أشرف من النبات، والنبات أشرف من الجماد، فالجماد متأخر، والمناة جماد فهي في الأخريات من المراتب. الجواب الثاني: فيه محذوف تقديره: أفرأيتم اللات والعزى المعبودين بالباطل ومناة الثالثة المعبودة الأخرى. والجواب الثالث: هو أن الأصنام كان فيها كثرة واللاّت والعزى إذا أخذتا متقدمتين فكل صنمة توجد فهي ثالثة، فهناك ثوالث، فكأنه يقول: لهما ثوالث كثيرة وهذه ثالثة أخرى، وهذا كقول القائل يومًا ويومًا. والجواب الرابع: فيه تقديم وتأخير تقديره: ومناة الأخرى الثالثة، ويحتمل أن يقال: الأخرى تستعمل لموهوم أو مفهوم وإن لم يكن مشهورًا ولا مذكورًا يقول من يكثر تأذيه من الناس إذا آذاه إنسان: الآخر جاء يؤذينا. وربما يسكت على قوله (أنت الآخر)، فيفهم غرضه كذلك ههنا.

**المسألة الثانية**: وهي في الترتيب أولى ما فائدة الفاء في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ وقد استعمل في مواضع بغير الفاء؟ قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٤] ﴿أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ﴾ [فاطر: ٤٠]، نقول: لما قدم من عظمة آيات الله في ملكوته أن رسول الله إلى الرسل الذي يسد الآفاق ببعض أجنحته ويهلك المدائن بشدته وقوته - لا يمكنه أن يتعدى السدرة في مقام جلال الله وعزته، قال: أفرأيتم هذه الأصنام مع زلتها وحقارتها شركاء الله مع ما تقدم، فقال بالفاء أي عقيب ما سمعتم من عظمة آيات الله تعالى الكبرى ونفاذ أمره في الملأ الأعلى وما تحت الثرى، فانظروا إلى اللات والعزى تعلموا فساد ما ذهبتم إليه وعولتم عليه.

**المسألة الثالثة**: أين تتمة الكلام الذي يفيد فائدة ما؟ نقول: قد تقدم بيانه وهو أنه يقول: هل رأيتم هذه حق الرؤية، فإن رأيتموها علمتم أنها لا تصلح شركاء. نظيره ما ذكرنا فيمن ينكر كون ضعيف يدعي مُلكًا، يقول لصاحبه: (أما تعرف فلانًا) مقتصرًا عليه مشيرًا إلى بطلان ما يذهب إليه.

## قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾

**ثم قال تعالى**: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ وقد ذكرنا ما يجب ذكره في سورة (والطور) في قوله: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩] ونعيد هاهنا بعض ذلك أو ما يقرب منه، فنقول: لما ذكر اللاّت والعزى ومناة ولم يذكر شيئًا آخر قال: إن هذه الأشياء التي رأيتموها وعرفتموها تجعلونها شركاء لله، وقد سمعتم جلال الله وعظمته، وإن الملائكة مع رفعتهم وعلوهم ينتهون إلى السدرة ويقفون هناك، لا يبقى شك في كونهم بعيدين عن طريقة المعقول أكثر مما بعدوا عن طريقة المنقول، فكأنهم قالوا: نحن لا نشك أن شيئًا منها ليس مثلاً لله تعالى ولا قريبًا من أن يماثله، وإنما صَوَّرنا هذه الأشياء على صور الملائكة المعظمين الذين اعترف بهم الأنبياء، وقالوا: إنهم يرتقون ويقفون عند سدرة المنتهى ويرد عليهم الأمر والنهي، وينهون إلى الله ما يصدر من عباده في أرضه وهم بنات الله، فاتخذنا صورًا على صور الإناث وسميناها أسماء الإناث، فاللاّت تأنيث اللوة وكان أصله أن يقال: (اللاهة) لكن في التأنيث يوقف عليها فتصير

اللاهة فأسقط إحدى الهاءين وبقيت الكلمة على حرفين أصليين وتاء التأنيث، فجعلناها كالأصلية كما فعلنا بذات مال وذا مال، والعزى تأنيث الأعز، فقال لهم: كيف جعلتم لله بنات وقد اعترفتم في أنفسكم أن البنات ناقصات والبنين كاملون، والله كامل العظمة، فالمنسوب إليه كيف جعلتموه ناقصًا وأنتم في غاية الحقارة والذلة حيث جعلتم أنفسكم أذل من خمار وعبد، ثم صخرة وشجرة، ثم نسبتم إلى أنفسكم الكامل؟! فهذه القسمة جائزة على طريقتكم أيضًا حيث أذللتم أنفسكم ونسبتم إليها الأعظم من الثقلين، وأبغضتم البنات ونسبتموهن إلى الأعظم وهو الله تعالى، وكان على عادتكم أن تجعلوا الأعظم للعظيم والأنقص للحقير، فإذن أنتم خالفتم الفكر والعقل والعادة التي لكم.

**وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢﴾ فيه مسائل:**

**المسألة الأولى:** (تلك) إشارة إلى ماذا؟ نقول: إلى محذوف، تقديره: تلك القسمة قسمة ضيزى، أي غير عادلة، ويحتمل أن يقال: معناه تلك النسبة قسمة، وذلك لأنهم ما قسموا وما قالوا لنا البنون وله البنات، وإنما نسبوا إلى الله البنات وكانوا يكرهونهن، كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢] فلما نسبوا إلى الله البنات حصل من تلك النسبة قسمة جائزة، وهذا الخلاف لا يرهق.

**المسألة الثانية:** ﴿إِذًا﴾ جواب ماذا؟ نقول: يحتمل وجوهًا: الأول: نسبتكم البنات إلى الله تعالى إذا كان لكم البنون قسمة ضيزى. الثاني: نسبتكم البنات إلى الله تعالى مع اعتقادكم أنهن ناقصات واختياركم البنين مع اعتقادكم أنهم كاملون إذا كنتم في غاية الحقارة، والله تعالى في نهاية العظمة قسمة ضيزى، فإن قيل: ما أصل ﴿إِذًا﴾؟ قلنا: هو (إذا) التي للظرف قُطعت الإضافة عنها فحصل فيها تنوين، وبيانه هو أنك تقول (آتيك إذا طلعت الشمس) فكأنك أضفت (إذا) لطلوع الشمس وقلت (آتيك وقت طلوع الشمس)، فإذا قال قائل (آتيك) فتقول له (إذن أكرمك) أي إذا أتيتني أكرمك، فلما حذفت الإتيان لسبق ذكره في قول القائل أتيت بدله بتنوين وقلت (إذن) كما تقول: وكلًا آتيناه.

**المسألة الثالثة:** ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ قرئ بالهمزة وبغير همزة، وعلى الأولى هي فِعْلى بكسر الفاء كذكرى على أنه مصدر وُصف به كرجل عَدْل، أي قسمة ضائزة. وعلى القراءة الثانية هي فُعْلى وكان أصلها ضِوْزى لكن عين الكلمة كانت يائية فكسرت الفاء لتسلم العين عن القلب، كذلك فُعل بِبِيض فإن جمع أفعل فُعْل تقول أسود وسود وأحمر وحمر، وتقول أبيض وبيض، وكان الوزن بُيض وكان يلزم منه قلب العين فكُسرت الباء وتُركت الباء على حالها، وعلى هذا ضيزى للمبالغة من ضائزة، تقول فاضل وأفضل وفاضلة وفضلى وكبير وأكبر وكبيرى وكبرى، كذلك ضائز وضوز وضائزة وضوزى على هذا نقول أضوز من ضائز وضيزى من ضائزة، فإن قيل: قد قلت من قبل: إن قوله: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩] ليس بمعنى إنكار الأمرين بل بمعنى إنكار الأول وإظهار النكر بالأمر الثاني، كما تقول: أتجعلون لله أندادًا وتعلمون أنه خلق كل ما

سواه؟ فإنه لا ينكر الثاني، وهاهنا قوله: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ دلّ على أنه أنكر الأمرين جميعًا، نقول: قد ذكرنا هناك أن الأمرين محتملان: أما إنكار الأمرين فظاهر في المشهور، أما إنكار الأول فثابت بوجوه، وأما الثاني فلما ذكرنا أنه تعالى قال: كيف تجعلون لله البنات وقد صار لكم البنون بقدرته؟ كما قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩] خالق البنين لكم لا يكون له بنات، وأما قوله: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ فنقول: قد بينا أن تلك عائدة إلى النسبة، أي نسبتكم البنات إلى الله تعالى مع أن لكم البنين - قسمة ضائزة، فالمنكر تلك النسبة، وإن كان المنكر القسمة نقول: يجوز أن يكون تقديره أيجوز جعل البنات لله تعالى؟ كما أن واحدًا إذا كان بينه وبين شريكه شيء مشترك على السوية فيأخذ نصفه لنفسه ويعطي من النصف الباقي نصفه لظالمه ونصفه لصاحبه، فقال: هذه قسمة ضائزة لا لكونه أخذ النصف فذلك حقه، بل لكونه لم يوصل إليه النصف الباقي.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾

**ثم قال تعالى:** ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ وفيه مباحث تدق عن إدراك اللغوي إن يكن عنده من العلوم حظ عظيم، ولنذكر ما قيل فيه أولاً فنقول: قيل معناه: إن هي إلا أسماء، أي كونها إناثًا وكونها معبودات أسماء لا مسمى لها، فإنها ليست بإناث حقيقة ولا معبودات، وقيل أسماء، أي قلتم بعضها عزى ولا عزة لها، وقيل: قلتم إنها آلهة وليست بآلهة، والذي نقوله: هو أن هذا جواب عن كلامهم، وذلك على ما بينا أنهم قالوا: نحن لا نشك في أن الله تعالى لم يلد كما تلد النساء، ولم يولد كما تولد الرجال بالمجامعة والإحبال، غير أنا رأينا لفظ الولد مستعملاً عند العرب في المسبب تقول: بنت الجبل وبنت الشفة لِما يظهر منهما ويوجد، لكن الملائكة أولاد الله، بمعنى أنهم وُجدوا بسببه من غير واسطة فقلنا: إنهم أولاده، ثم إن الملائكة فيها تاء التأنيث فقلنا: هم أولاد مؤنثة، والولد المؤنث بنت، فقلنا: لهم بنات الله، أي لا واسطة بينهم وبين الله تعالى في الإيجاد. كما تقول الفلاسفة، فقال تعالى: هذه الأسماء استنبطتموها أنتم بهوى أنفسكم، وأطلقتم على الله ما يوهم النقص وذلك غير جائز، وقوله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] وقوله (بيده الخير) أسماء موهمة غير أنه تعالى أنزلها، وله أن يسمي نفسه بما اختار، وليس لأحد أن يسمي بما يوهم النقص من غير ورود الشرع به.

**ولنبين التفسير في مسائل:**

**المسألة الأولى:** ﴿هِىَ﴾ ضمير عائد إلى ماذا؟ نقول: الظاهر أنها عائدة إلى أمر معلوم وهو الأسماء، كأنه قال: ما هذه الأسماء التي وضعتموها أنتم. وهو المشهور، ويحتمل أن يقال:

هي عائدة إلى الأصنام بأنفسها، أي ما هذه الأصنام إلا أسماء. وعلى هذا فهو على سبيل المبالغة والتجوز، يقال لتحقير إنسان: ما زيد إلا اسم وما الملك إلا اسم، إذا لم يكن مشتملاً على صفة تعتبر في الكلام بين الناس، ويؤيد هذا القول قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً﴾ [يوسف: ٤٠] أي ما هذه الأصنام إلا أسماء.

**المسألة الثانية**: ما الفائدة في قوله: ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ مع أن جميع الأسماء وضعوها أو بعضها هم وضعوها ولم ينكر عليهم؟ نقول: المسألة مختلف فيها ولا يتم الذم إلا بقوله تعالى: ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ وبيانه هو أن الأسماء إن أنزلها الله تعالى فلا كلام فيها، وإن وضعها للتفاهم فينبغي أن لا يكون في ضمن تلك الفائدة مفسدة أعظم منها، لكن إيهام النقص في صفات الله تعالى أعظم منها، فالله تعالى ما جوّز وضع الأسماء للحقائق إلا حيث تسلم عن المحرم، فلم يوجد في هذه الأسماء دليل نقلي ولا وجه عقلي؛ لأن ارتكاب المفسدة العظيمة لأجل المنفعة القليلة لا يجوزه العاقل، فإذًا ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ ووَضْع الاسم لا يكون إلا بدليل نقلي أو عقلي، وهو أنه يقع خاليًا عن وجوه المضار الراجحة.

**المسألة الثالثة**: كيف قال: ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ﴾ مع أن هذه الأسامي لأصنامهم كانت قبلهم؟ نقول: فيه لطيفة وهي أنهم لو قالوا: ما سميناها، وإنما هي موضوعة قبلنا. قيل لهم: كل من يطلق هذه الألفاظ فهو كالمبتدئ الواضع، وذلك لأن الواضع الأول لهذه الأسماء لما لم يكن واضعًا بدليل عقلي لم يجب اتباعه، فمن يطلق اللفظ لأن فلانًا أطلقه لا يصح منه، كما لا يصح أن يقول: أضلني الأعمى. ولو قاله لقيل له: بل أنت أضللت نفسك حيث اتبعت من عرفت أنه لا يصلح للاقتداء به.

**المسألة الرابعة**: الأسماء لا تسمى، وإنما يسمى بها، فكيف قال: ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾؟ نقول عنه جوابان: أحدهما لغوي: وهو أن التسمية وضع الاسم، فكأنه قال: أسماء وضعتموها. فاستعمل سميتموها استعمال وضعتموها، ويقال: سميته زيدًا وسميته بزيد، فسميتموها بمعنى سميتم بها. وثانيهما معنوي: وهو أنه لو قال (أسماء سميتم بها) لكان هناك غير الاسم شيء يتعلق به الباء في قوله: ﴿بِهَا﴾ لأن قول القائل: (سميت به) يستدعي مفعولاً آخر، تقول: سميت بزيد ابني أو عبدي أو غير ذلك، فيكون قد جعل للأصنام اعتبارًا وراء أسمائها، وإذا قال: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي وضعتموها في أنفسها لا مسميات لها، لم يكن ذلك. فإن قيل: هذا باطل بقوله تعالى: ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٣٦] حيث لم يقل: (وإني سميتها بمريم) ولم يكن ما ذكرت مقصودًا وإلا لكانت مريم غير ملتفت إليها كما قلت في الأصنام؟ نقول: بينهما بون عظيم وذلك لأن هناك قال: ﴿سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ فذكر المفعولين فاعتبر حقيقة مريم بقوله: ﴿سَمَّيْتُهَا﴾ واسمها بقوله: ﴿مَرْيَمَ﴾ وأما هاهنا فقال: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي ما هناك إلا أسماء موضوعة، فلم تعتبر الحقيقة هاهنا واعتبرت في مريم.

المسألة الخامسة: ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ على أي وجه استعملت الباء في قوله: ﴿بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾؟ نقول: كما يستعمل القائل: (ارتحل فلان بأهله ومتاعه)، أي ارتحل ومعه الأهل والمتاع، كذا هاهنا.

**ثم قال تعالى:** ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ .

**وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: قرئ (إن تتبعون) بالتاء على الخطاب، وهو ظاهر مناسب لقوله تعالى: ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ على المغايبة، وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون الخطاب معهم لكنه يكون التفاتًا، كأنه قطع الكلام معهم، وقال لنبيه: إنهم لا يتبعون إلا الظن، فلا تلتفت إلى قولهم. ثانيهما: أن يكون المراد غيرهم، وفيه احتمالان: أحدهما: أن يكون المراد آباؤهم وتقديره هو أنه لما قال: ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ﴾ كأنهم قالوا: هذه ليست أسماء وضعناها نحن، وإنما هي كسائر الأسماء تلقيناها ممن قبلنا من آبائنا. فقال وسماها آباؤكم وما يتبعون إلا الظن، فإن قيل: كان ينبغي أن يكون بصيغة الماضي، نقول: وبصيغة المستقبل أيضًا، كأنه يفرض الزمان بعد زمان الكلام كما في قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف: ١٨]. ثانيهما: أن يكون المراد عامة الكفار، كأنه قال: إن يتبع الكافرون إلا الظن.

المسألة الثانية: ما معنى الظن وكيف ذمهم به وقد وجب علينا اتباعه في الفقه وقال ﷺ عن الله تعالى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»؟ نقول: أما الظن فهو خلاف العلم، وقد استعمل مجازًا مكان العلم والعلم مكانه، وأصل العلم الظهور ومنه العَلَم والعالم، وقد بينا في تفسير العالمين أن حروف (ع ل م) في تقاليبها فيها معنى الظهور، ومنها لمع الآل إذا ظهر وميض السراب ولمع الغزال إذا عدا وكذا النعام وفيه الظهور، وكذلك علمت، والظن إذا كان في مقابلة العلم ففيه الخفاء، ومنه بئر ظنون لا يُدرى أفيها ماء أم لا، ومنه الظنين: المتهم لا يدرى ما يظن، نقول: يجوز بناء الأمر على الظن الغالب عند العجز عن درك اليقين، والاعتقاد ليس كذلك لأن اليقين لم يتعذر علينا وإلى هذا إشارة بقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣] أي اتبعوا الظن، وقد أمكنهم الأخذ باليقين، وفي العمل يمتنع ذلك أيضًا.

المسألة الثالثة: (ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ خبرية أو مصدرية؟ نقول: فيه وجهان: أحدهما: مصدرية، كأنه قال: إن يتبعون إلا الظن وهوى الأنفس، فإن قيل: ما الفائدة في العدول عن صريح المصدر إلى الفعل مع زيادة ما وفيه تطويل؟ نقول: فيه فائدة، وإنها في أصل الوضع ثم نذكرها هنا فنقول: إذا قال القائل: (أعجبني صنعك) يعلم من الصيغة أن الإعجاب من مصدر قد تحقق، وكذلك إذا قال (أعجبني ما تصنع) يعلم أن الإعجاب من مصدر هو فيه، فلو قال: (أعجبني صنعك) وله صنع أمس وصنع اليوم لا يُعلم أن المعجب أي صنع هو، إذا علمت هذا فنقول: هاهنا قوله: ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ يُعلم منه أن المراد أنهم يتبعون ما

تهوى أنفسهم في الحال والاستقبال، إشارة إلى أنهم ليسوا بثابتين على ضلال واحد وما هوت أنفسهم في الماضي شيئًا من أنواع العبادة فالتزموا به وداموا عليه، بل كل يوم هم يستخرجون عبادة، وإذا انكسرت أصنامهم اليوم أتوا بغيرها غدًا، ويغيرون وضع عبادتهم بمقتضى شهوتهم اليوم. ثانيهما: أنها خبرية، تقديره: والذي تشتهيه أنفسهم. والفرق بين المصدرية والخبرية أن المتبع على الأول الهوى، وعلى الثاني مقتضى الهوى، كما إذا قلت: أعجبني مصنوعك.

**المسألة الرابعة**: كيف قال: ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ بلفظ الجمع مع أنهم لا يتبعون ما تهواه كل نفس، فإن من النفوس ما لا تهوى ما تهواه غيرها؟ نقول: هو من باب مقابلة الجمع بالجمع، معناه اتبع كل واحد منهم ما تهواه نفسه، يقال: خرج الناس بأهليهم، أي كل واحد بأهله، لا كل واحد بأهل الجمع.

**المسألة الخامسة**: بيِّن لنا معنى الكلام جملة. نقول: قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ أمران مذكوران يحتمل أن يكون ذكرهما لأمرين تقديريين يتبعون الظن في الاعتقاد ويتبعون ما تهوى الأنفس في العمل والعبادة، وكلاهما فاسد؛ لأن الاعتقاد ينبغي أن يكون مبناه على اليقين، وكيف يجوز اتباع الظن في الأمر العظيم، وكلما كان الأمر أشرف وأخطر كان الاحتياط فيه أوجب وأحذر، وأما العمل فالعبادة مخالفة الهوى فكيف تبنى على متابعته، ويحتمل أن يكون في أمر واحد على طريقة النزول درجة درجة فقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ أي وما دون الظن لأن القرونة تهوى ما لا يظن به خير.

**وقوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ إشارة إلى أنهم على حال لا يعتد به؛ لأن اليقين مقدور عليه، وتحقق بمجيء الرسل، والهدى فيه وجوه ثلاثة: الأولى: القرآن. الثاني: الرسل. الثالث: المعجزات.

## قوله تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾

**ثم قال تعالى:** ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ المشهور أن (أم) منقطعة، معناه: ألِلإنسان ما اختاره واشتهاه؟ وفي ﴿مَا تَمَنَّىٰ﴾ وجوه: الأول: الشفاعة تمنوها وليس لهم شفاعة. الثاني: قولهم: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] الثالث: قول الوليد بن المغيرة: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧] الرابع: تمنى جماعة أن يكونوا أنبياء ولم تحصل لهم تلك الدرجة الرفيعة، فإن قلت: هل يمكن أن تكون (أم) هاهنا متصلة؟ نقول: نعم والجملة الأولى حينئذٍ تحتمل وجهين: أحدهما: أنها مذكورة في قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٢١] كأنه قال: ألكم الذكر وله الأنثى على الحقيقة أو تجعلون لأنفسكم ما تشتهون وتتمنون؟ وعلى هذا فقوله: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٢] وغيرها جمل اعترضت بين كلامين متصلين. ثانيهما: أنها محذوفة، وتقرير ذلك هو أنا بينا أن قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ [النجم: ١٩] لبيان فساد قولهم، والإشارة إلى

ظهور ذلك من غير دليل، كما إذا قال قائل: (فلان يصلح للمُلك) فيقول آخر لثالث: (أما رأيت هذا الذي يقوله فلان؟) ولا يذكر أنه لا يصلح للمُلك، ويكون مراده ذلك فيذكره وحده منبهًا على عدم صلاحه، فهاهنا قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] أي يستحقان العبادة أم للإنسان أن يعبد ما يشتهيه طبعه وإن لم يكن يستحق العبادة، وعلى هذا فقوله: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ﴾ أي هل له أن يعبد بالتمني والاشتهاء؟ ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ أي عبدتم بهوى أنفسكم ما لا يستحق العبادة، فهل لكم ذلك؟

**ثم قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى**: في تعلق الفاء بالكلام، وفيه وجوه: الأول: أن تقديره الإنسان إذا اختار معبودًا في دنياه على ما تمناه واشتهاه، فلله الآخرة والأولى يعاقبه على فعله في الدنيا، وإن لم يعاقبه في الدنيا فيعاقبه في الآخرة، وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ﴾ [النجم: ٢٦] يكون مؤكدًا لهذا المعنى، أي عقابهم يقع ولا يشفع فيهم أحد ولا يغنيهم شفاعة شافع. الثاني: أنه تعالى لما بيّن أن اتخاذ اللات والعزى باتباع الظن وهوى الأنفس كأنه قرره وقال: إن لم تعلموا هذا فلله الآخرة والأولى، وهذه الأصنام ليس لها من الأمر شيء فكيف يجوز الإشراك؟! وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ على هذا الوجه جواب كلام، كأنهم قالوا: لا نشرك بالله شيئًا، وإنما هذه الأصنام شفعاؤنا فإنها صورة ملائكة مقربين. فقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ الثالث: هذه تسلية، كأنه تعالى قال ذلك لنبيه حيث بيّن رسالته ووحدانية الله ولم يؤمنوا فقال: لا تأس فللّه الآخرة والأولى، أي لا يعجزون الله. الرابع: هو ترتيب حق عليَّ دليله، بيانه هو أنه تعالى لما بيّن رسالة النبي ﷺ بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤] إلى آخره وبيّن بعض ما جاء به محمد ﷺ وهو التوحيد، قال: إذا علمتم صدق محمد ببيان رسالة الله تعالى: فللّه الأخرة والأولى لأنه ﷺ أخبركم عن الحشر فهو صادق. الخامس: هو أن الكفار كانوا يقولون للمؤمنين: أهؤلاء أهدى منا؟ وقالوا: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] فقال تعالى: إن الله اختار لكم الدنيا وأعطاكم الأموال، ولم يعط المؤمنين بعض ذلك الأمر بل قلتم: لو شاء الله لأغناهم وتحققتم هذه القضية ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ قولوا في الآخرة ما قلتم في الدنيا: يهدي الله من يشاء كما يغني الله من يشاء.

**المسألة الثانية**: ﴿ٱلْءَاخِرَةُ﴾ صفة ماذا؟ نقول: صفة الحياة أو صفة الدار، وهي اسم فاعل من فعل غير مستعمل، تقول: أخرته فتأخر، وكان من حقه أن تقول: فأخَر، كما تقول: غبّرته فغبّر، فمنعت منه سماعًا، ولهذا البحث فائدة ستأتي إن شاء الله.

**المسألة الثالثة**: ﴿وَٱلْأُولَىٰ﴾ فعلى للتأنيث، فالأول إذن أفعل صفة. **وفيه مباحث:**

**البحث الأول:** لا بد من فاعل أُخذ منه الأفعل والفُعلى، فإن كل فُعلى وأفعل للتأنيث والتذكير له أصل فليؤخذ منه كالفضلى والأفضل من الفاضلة والفاضل، فما ذلك؟ نقول: هاهنا أُخذ من

أصل غير مستعمل كما قلنا: إن الآخر فاعل من فعل غير مستعمل، وسبب ذلك هو أن كل فعل مستعمل فله آخر، وذلك لأن له ماضيًا فإذا استعملت ماضيه لزم فراغ الفعل، وإلا لكان الفاعل بعد في الفعل فلا يكون ماضيًا فإنك لا تقول لمن هو بعد الأكل: (أكَل) إلا متجوزًا عندما يبقى له قليل، فيقول: (أكَل) إشارة إلى أن ما بقي غير معتدٍّ به، وتقول لمن قرب من الفراغ: فرغت؟ فيقول: فرغت بمعنى أن ما بقي قليل لا يُعتد به فكأني فرغت، وأما الماضي في الحقيقة لا يصح إلا عند تمام الشيء والفراغ عنه، فإذًا للفعل المستعمل آخر فلو كان لقولنا آخر على وزن فاعل فعل هو آخر يأخر كأمر يأمر لكان معناه صدر مصدره كجلس معناه صدر الجلوس منه بالتمام والكمال، فكان ينبغي أن القائل إذا قال: (فلان آخر) كان معناه وُجد منه تمام الآخرية وفرغ منها، فلا يكون بعد ما يكون آخر، لكن تقدم أن كل فعل فله آخر بعده، لا يقال: يشكل بقولنا تأخر فإن معناه صار آخرًا لأنا نقول: وزن الفعل ينادي على صحة ما ذكرنا، فإنه من باب التكلف والتكبر إذا استعمل في غير المتكبر، أي يرى أنه آخر، وليس في الحقيقة كذلك.

إذا علمت هذا فنقول: الآخر فاعل ليس له فعل، ومبالغته بأفعل وهو كقولنا: أأُخر، فنقلت الهمزة إلى مكان الألف، والألف إلى مكان الهمزة، فصارت الألف همزة والهمزة ألفًا، ويدل عليه التأويل في المعنى، فإن آخر الشيء جزء منه متصل به، والآخَر مباين عنه منفصل والمنفصل بعد المتصل، والآخر أشد تأخرًا عن الشيء من آخره، والأول أفعل ليس له فاعل، وليس له فعل، والأول أبعد عن الفعل من الآخر، وذلك لأن الفعل الماضي عُلم له آخر من وصفه بالماضي، ولولا ذلك الوصف لما علم له آخر، وأما الفعل لتفسير كونه فعلاً علم له أول لأن الفعل لا بد له من فاعل يقوم به، أو يوجد منه، فإذًا الفاعل أولاً ثم الفعل، فإذا كان الفاعل أول الفعل كيف يكون الأول له فعل يوجد منه فلا فعل له ولا فاعل، فلا يقال: آل الشيء بمعنى سبق، كما يقال: قال من القول، أو نال من النيل، لا يقال: إن قولنا سَبَق أُخذ منه السابق ومن السابق الأسبق، مع أن الفاعل يسبق الفعل، وكذلك يقال: تقدم الشيء مع أن الفاعل متقدم على الفعل إلى غير ذلك، نقول: أما تقدم قد مضى الجواب عنه في تأخر، وأما (سبق) يقول القائل: سابقته فسبقته، فتجيب عنه بأن ذلك مفتقر إلى أمر يصدر من فاعل فالسابق إن استعمل في الأول فهو بطريق المشابهة لا بطريق الحقيقة، والفاعل أول الفعل بمعنى قبل الفعل، وليس سابق الفعل؛ لأن الفاعل والفعل لا يتسابقان، فالفاعل لا يسبقه، والذي يوضح ما ذكرنا أن الآخر أبعد من الأول عن الفعل بخلاف الآخر، وما يقال: إن أول بمعنى جعل الآخر أولاً لاستخراج معنى من الكلام، فبعيد وإلا لم يكن آخر دونه في إفادة ذلك، بل التأويل من آل شيء إذا رجع، أي رجعه إلى المعنى المراد، وأبعد من اللفظين قبل وبعد، فإن الآخر فاعل من غير فعل، والأول أفعل من غير فاعل ولا فعل، وقبل وبعد لا فاعل ولا أفعل فلا يفهم من فعل أصلاً لأن الأول أول لما فيه من معنى قبل، وليس قبل قبلاً لما فيه من معنى الأول، والآخر آخر لما فيه من معنى

بعد، وليس بعد بعدًا لما فيه من معنى الآخر، يدلك عليه أنك تعلل أحدهما بالآخر ولا تعكسه فتقول: هذا آخر من جاء لأنه جاء بعد الكل ولا تقول: هو جاء بعد الكل لأنه آخر من جاء، ويؤيده أن الآخر لا يتحقق إلا ببعدية مخصوصة وهي التي لا بعدية بعدها، وبعد ليس لا يتحقق إلا بالآخر، فإن المتوسط بعد الأول ليس بآخر. وهذا البحث من أبحاث الزمان ومنه يعلم معنى قوله ﷺ: «لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ الدَّهْرَ هُوَ اللَّهُ»[1] أي الدهر هو الذي يفهم منه القبلية والبعدية، والله تعالى هو الذي يفهم منه ذلك، والبعدية والقبلية حقيقة لإثبات الله، ولا مفهوم للزمان إلا ما به القبلية والبعدية، فلا تسبوا الدهر فإن ما تفهمونه منه لا يتحقق إلا في الله وبالله، ولولاه لما كان قبل ولا بعد.

**البحث الثاني:** ورد في كلام العرب الأولة تأنيث الأول، وهو ينافيه صحة استعمال الأُولى لأن الأُولى تدل على أن الأول أفعل للتفضيل، وأفعل للتفضيل لا يلحقه تاء التأنيث فلا يقال زيد أعلم وزينب أعلمة لسبب يطول ذكره، وسنذكره في موضع آخر إن شاء الله تعالى، نقول: الجواب عنه هو أن أول لما كان أفعل وليس له فاعل شابه الأربع والأرنب، فجاز إلحاق التاء به، ولما كان صفة شابه الأكبر والأصغر فقيل أُولى.

**المسألة الرابعة:** أُولى تدل على أن أول لا ينصرف فكيف يقال أفعله أولاً ويقال جاء زيدًا أولاً وعمرو ثانيًا، فإن قيل: جاز فيه الأمران بناء على أولة وأولى، فمن قال بأن تأنيث أول أولة فهو كالأربع والأربعة فجاز التنوين، ومن قال: أُولى لا يجوز، نقول: إذا كان كذلك كان الأشهر ترك التنوين لأن الأشهر أن تأنيثه أولى وعليه استعمال القرآن، فإذن الجواب أن عند التأنيث الأَوْلى أن يقال أُولى نظرًا إلى المعنى، وعند العرب أولة لأنه هو الأصل ودل عليه دليل، وإن كان أضعف من الغير، وربما يقال بأن منع الصرف من أفعل لا يكون إلا إذا لم يكن تأنيثه إلا فُعلى، وأما إذا كان تأنيثه بالتاء أو جاز ذلك فيه لا يكون غير منصرف.

**قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾**

وقد علم وجه تعلقها بما قبلها في الوجوه المتقدمة في قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ [النجم: ٢٥] إن قلنا: إن معناه: إن اللات والعزى وغيرهما ليس لهم من الأمر شيء ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ﴾ [النجم: ٢٥] فلا يجوز إشراكهم فيقولون: نحن لا نشرك بالله شيئًا، وإنما نقول: هؤلاء شفعاؤنا. فقال: كيف تشفع هذه ومن في السموات لا يملك الشفاعة؟!

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم في (صحيحه) (٤/ ١٧٦٣/ ٢٢٤٦) من طريق هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة... به، وأحمد في (مسنده) (٢/ ٣٩٥)، حديث رقم (٩١٢٦) من طريق خلاس ومحمد عن أبي هريرة... به، وأيضًا في (٢/ ٤٩١)، حديث رقم (١٠٣٧٢) من طريق هشام عن محمد عن أبي هريرة... به.

**وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى**: ﴿وَكَم﴾ كلمة تستعمل في المقادير، إما لاستبانتها فتكون استفهامية، كقولك: كم ذراعًا طوله وكم رجلاً جاءك؟ أي كم عدد الجائين؟ تستبين المقدار وهي مثل (كيف) لاستبانة الأحوال و(أي) الاستبانة الأفراد، و(ما) لاستبانة الحقائق، وإما لبيانها على الإجمال فتكون خبرية كقولك: كم رجل أكرمني، أي كثير منهم أكرموني. غير أن عليه أسئلة: الأول: لمَ لم يجز إدخال (مِن) على الاستفهامية وجاز على الخبرية؟ الثاني: لمَ نصب مميز الاستفهامية وجر الذي للخبرية؟ الثالث: هي تستعمل في الخبرية في مقابلة (رُب) فلمَ جُعل اسمًا مع أن رب حرف.

أما الجواب عن الأول فهو أن (مِن) يستعمل في الموضع المتعين بالإضافة، تقول: خاتم من فضة، كما تقول: خاتم فضة، ولما لم تضف في الاستفهامية لم يجز استعمال ما يضاهيه، وسنبين هذا الجواب. والجواب عن السؤال الثاني هو أن نقول: إن الأصل في المميز الإضافة. وعن الثالث هو أن كم يدخل عليه حرف الجر فتقول: إلى كم تصبر؟ وفي كم يوم جئت؟ وبكم رجل مررت؟ ومن حيث المعنى إن (كم) إذا قرن بها (مِن) وجُعل مميزه جمعًا كما في قول القائل: كم من رجال خدمتهم. ويكون معناه كثير من الرجال خدمتهم. ورُب وإن كانت للتقليل لكن لا تقوم مقام القليل، فلا يمكن أن يقال في رُب: إنها عبارة عن قليل كما قلنا في كم إنه عبارة عن كثير.

**المسألة الثانية**: قال (شفاعتهم) على عود الضمير إلى المعنى، ولو قال (شفاعته) لكان العود إلى اللفظ فيجوز أن يقال كم من رجل رأيته، وكم من رجل رأيتهم، فإن قلت: هل بينهما فرق معنوي؟ قلت: نعم، وهو أنه تعالى لما قال: ﴿لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ﴾ [النجم: ٢٦] يعني شفاعة الكل، ولو قال: (شفاعته) لكان معناه كثير من الملائكة كل واحد لا تغني شفاعته، فربما كان يخطر ببال أحد أن شفاعتهم تغني إذا جُمعت، وعلى هذا ففي الكلام أمور كلها تشير إلى عظم الأمر، أحدها: كم فإنه للتكثير. ثانيها: لفظ المَلَك فإنه أشرف أجناس المخلوقات. ثالثها: في السموات فإنها إشارة إلى علو منزلتهم ودنو مرتبتهم من مقر السعادة. رابعها: اجتماعهم على الأمر في قوله: ﴿شَفَٰعَتُهُمۡ﴾ وكل ذلك لبيان فساد قولهم: إن الأصنام يشفعون، أي كيف تشفع مع حقارتها وضعفها ودناءة منزلتها؟! فإن الجماد أخس الأجناس والملائكة أشرفها وهم في أعلى السموات ولا تُقبل شفاعة الملائكة، فكيف تُقبل شفاعة الجمادات؟!

**المسألة الثالثة**: ما الفائدة في قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ﴾ بمعنى كثير من الملائكة مع أن كل من في السموات منهم لا يملك الشفاعة؟ نقول: المقصود الرد عليهم في قولهم: هذه الأصنام تشفع. وذلك لا يحصل ببيان أن ملكًا من الملائكة لا تقبل شفاعته فاكتفى بذكر الكثير، ولم يقل: (ما منهم أحد يملك الشفاعة) لأنه أقرب إلى المنازعة فيه من قوله (كثير) مع أن المقصود

حاصل به، ثم ههنا بحث وهو أن في بعض الصور يستعمل صيغة العموم والمراد الكثير، وفي البعض يستعمل الكثير والمراد الكل، وكلاهما على طريقة واحدة، وهو استقلال الباقي وعدم الاعتداد، ففي قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأحقاف: ٢٥] كأنه يجعل الخارج عن الحكم غير ملتفت إليه، وفي قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٧٥] وقوله: ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[سبأ: ٤١] يجعل المخرج غير ملتفت إليه، فيجعل كأنه ما أخرجه كالأمر الخارج عن الحكم كأنه ما خرج، وذلك يختلف باختلاف المقصود من الكلام، فإن كان الكلام مذكورًا لأمر فيه يبالغ يستعمل الكل، مثاله يقال للمَلِك: كل الناس يدعون لك، إذا كان الغرض بيان كثرة الدعاء له لا غير، وإن كان الكلام مذكورًا لأمر خارج عنه لا يبالغ فيه؛ لأن المقصود غيره فلا يستعمل الكل، مثاله إذا قال المَلِك لمن قال له اغتنم دعائي، كثير من الناس يدعون لي، إشارة إلى عدم احتياجه إلى دعائه لا لبيان كثرة الدعاء له، فكذلك هاهنا.

**المسألة الرابعة:** قال: ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ﴾ ولم يقل: (لا يشفعون) مع أن دعواهم أن هؤلاء شفعاؤنا لا أن شفاعتهم تنفع أو تغني، وقال تعالى في مواضع أخرى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة: ٢٥٥] فنفى الشفاعة بدون الإذن وقال: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾[السجدة: ٤] نفى الشفيع، وهاهنا نفى الإغناء؟ نقول: هم كانوا يقولون: هؤلاء شفعاؤنا وكانوا يعتقدون نفع شفاعتهم، كما قال تعالى: ﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر: ٣] ثم نقول: نفي دعواهم يشتمل على فائدة عظيمة، أما نفي دعواهم لأنهم قالوا: الأصنام تشفع لنا شفاعة مقربة مغنية. فقال: ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ﴾ بدليل أن شفاعة الملائكة لا تغني، وأما الفائدة فلأنه لما استثنى بقوله: ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ أي فيشفع ولكن لا يكون فيه بيان أنها تُقبل وتغني أو لا تُقبل، فإذا قال: ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ﴾ ثم قال: ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ فيكون معناه تغني فيحصل البشارة؛ لأنه تعالى قال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[غافر: ٧] وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾[الشورى: ٥] والاستغفار شفاعة. وأما قوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة: ٢٥٥] فليس المراد نفي الشفاعة وقبولها كما في هذه الآية، حيث رد عليهم قولهم، وإنما المراد عظمة الله تعالى، وأنه لا ينطق في حضرته أحد ولا يتكلم، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾[النبأ: ٣٨].

**المسألة الخامسة:** اللام في قوله: ﴿لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ تحتمل وجهين: أحدهما: أن تتعلق بالإذن وهو على طريقين: أحدهما: أن يقال: إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة ويرضى. الثاني: أن يكون الإذن في المشفوع له لأن الإذن حاصل للكل في الشفاعة للمؤمنين لأنهم جميعهم يستغفرون لهم، فلا معنى للتخصيص، ويمكن أن ينازع فيه. وثانيهما: أن تتعلق بالإغناء، يعني إلا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة، فتغني شفاعتهم لمن يشاء. ويمكن أن يقال بأن هذا بعيد؛ لأن ذلك يقتضي أن تشفع الملائكة،

والإغناء لا يحصل إلا لمن يشاء، فيجاب عنه بأن التنبيه على معنى عظمة الله تعالى فإن المَلَك إذا شفع فالله تعالى على مشيئته بعد شفاعتهم يغفر لمن يشاء.

المسألة السادسة: ما الفائدة في قوله تعالى: ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾؟ نقول: فيه فائدة الإرشاد، وذلك لأنه لما قال: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ كان المكلف مترددًا لا يعلم مشيئته فقال: ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ ليعلم أنه العابد الشاكر لا المعاند الكافر، فإنه تعالى قال: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] فكأنه قال: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ ثم قال: ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ بيانًا لمن يشاء، وجواب آخر على قولنا: لا تغني شفاعتهم شيئًا ممن يشاء، هو أن فاعل يرضى المدلول عليه (لمن يشاء) كأنه قال ويرضى هو، أي تغنيه الشفاعة شيئًا صالحًا فيحصل به رضاه، كما قال: ويرضى هو أي تغنيه الشفاعة، وحينئذٍ يكون (يرضى) للبيان لأنه لما قال: ﴿لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ﴾ إشارة إلى نفي كل قليل وكثير كان اللازم عنده بالاستثناء أن شفاعتهم تغني شيئًا ولو كان قليلاً، ويرضى المشفوع له ليعلم أنها تغني أكثر من اللازم بالاستثناء، ويمكن أن يقال: ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ لتبيين أن قوله: ﴿يَشَآءُ﴾ ليس المراد المشيئة التي هي الرضا، فإن الله تعالى إذا شاء الضلالة بعبد لم يرض به، وإذا شاء الهداية رضي فقال: ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ ليعلم أن المشيئة ليست هي المشيئة العامة، إنما هي الخاصة:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾

وقد بينا ذلك في سورة الطور واستدللنا بهذه الآية، ونذكر ما يقرب منه هاهنا فنقول: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ هم الذين لا يؤمنون بالرسل ولا يتبعون الشرع، وإنما يتبعون ما يدّعون أنه عقل فيقولون: أسماء الله تعالى ليست توقيفية، ويقولون: الولد هو الموجود من الغير. ويستدلون عليه بقول أهل اللغة: كذا يتولد منه كذا، يقال: الزجاج يتولد من الآجُر بمعنى يوجد منه، وكذا القول في بنت الكرم وبنت الجبل، ثم قالوا: الملائكة وُجدوا من الله تعالى فهم أولاده بمعنى الإيجاد، ثم إنهم رأوا في الملائكة تاء التأنيث وصح عندهم أن يقال: سجدت الملائكة فقالوا: بنات الله، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ أي كما سمي الإناث بنات. **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: كيف يصح أن يقال: إنهم لا يؤمنون بالآخرة مع أنهم كانوا يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وكان من عادتهم أن يربطوا مركوبًا على قبر من يموت ويعتقدون أنه يُحشر عليه؟ فنقول: الجواب عنه من وجهين: أحدهما: أنهم لما كانوا لا يجزمون به كانوا يقولون: لا حشر، فإن كان فلنا شفعاء. يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] ثانيهما: أنهم ما كانوا يعترفون بالآخرة على الوجه (الحق) وهو ما ورد به الرسل.

**المسألة الثانية**: قال بعض الناس: أُنثى فُعلى من أفعل، يقال في فعلها: آنث ويقال في فاعلها: أنيث يقال: حديد ذكَر وحديد أنيث، والحق أن الأنثى يستعمل في الأكثر على خلاف ذلك بدليل جمعها على إناث.

**المسألة الثالثة**: كيف قال تسمية الأنثى ولم يقل تسمية الإناث؟ نقول: عنه جوابان: أحدهما: ظاهر والآخر دقيق، أما الظاهر فهو أن المراد بيان الجنس، وهذا اللفظ أليق بهذا الموضع لما جاء على وفقه آخر الآيات. والدقيق هو أنه لو قال: (يسمونهم تسمية الإناث) كان يحتمل وجهين: أحدهما: البنات. وثانيهما: الأعلام المعتادة للإناث كعائشة وحفصة، فإن تسمية الإناث كذلك تكون، فإذا قال (تسمية الأنثى) تعيَّن أن تكون للجنس وهي البنت والبنات، ومناسبة هذه الآية لما قبلها هي أنهم لما قيل لهم: إن الصنم جماد لا يشفع، وبيّن لهم أن أعظم أجناس الخلق لا شفاعة لهم إلا بالإذن، قالوا: نحن لا نعبد الأصنام لأنها جمادات وإنما نعبد الملائكة بعبادتها فإنها على صورها وننصبها بين أيدينا ليذكرنا الشاهد والغائب، فنُعظم المَلَك الذي ثبت أنه مقرب عظيم الشأن رفيع المكان. فقال تعالى ردًّا عليهم: كيف تعظمونهم وأنتم تسمونهم تسمية الأنثى؟! ثم ذكر فيه مستندهم في ذلك وهو لفظ الملائكة، ولم يقل إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى بل قال: ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ فإنهم اغتروا بالتاء، واغترارهم باطل لأن التاء تجيء لمعانٍ غير التأنيث الحقيقي، والبنت لا تطلق إلا على المؤنث الحقيقي بالإطلاق، والتاء فيها لتأكيد معنى الجمع كما في صياقلة وهي تشبه تلك التاء، وذلك لأن الملائكة في المشهور جمع ملك، والملك اختصار من الملأك بحذف الهمزة، والملأك قلب المألك من الألوكة وهي الرسالة، فالملائكة على هذا القول مَفاعِلة، والأصل مفاعل ورُد إلى ملائكة في الجمع فهي تشبه فعائل وفعائلة، والظاهر أن الملائكة فعائل جمع مليكي منسوب إلى المليك بدليل قوله تعالى: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرِۭ﴾ [القمر: ٥٥] في وعد المؤمن، وقال في وصف الملائكة: ﴿ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] وقال أيضًا في الوعد: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ [ص: ٤٠] وقال في وصف الملائكة: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] فهم إذن عباد مكرمون اختصهم الله بمزيد قربه ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] كأمر الملوك والمستخدمين عند السلاطين الواقفين بأبوابهم منتظرين لورود أمر عليهم، فهم منتسبون إلى المليك المقتدر في الحال فهم مليكيون وملائكة، فالتاء للنسبة في الجمع كما في الصيارفة والبياطرة.

**فإن قيل: هذا باطل من وجوه: الأول:** أن أحدًا لم يستعمل لواحد منهم مليكي كما استعمل صيرفي. والثاني: أن الإنسان عندما يصير عند الله تعالى يجب أن يكون من الملائكة، وليس كذلك لأن المفهوم من الملائكة جنس غير الآدمي. الثالث: هو أن فعائلة في جمع فَعِيلي لم يُسمع وإنما يقال: فعيلة كما يقال جاء بالتميمة والحقيبة. الرابع: لو كان كذلك لما جمع ملك؟

**نقول الجواب عن الأول:** أما عدم استعمال واحده فمسلَّم وهو لسبب، وهو أن الملك كلما كان

أعظم كان حكمه وخدمه وحشمه أكثر، فإذا وُصف بالعظمة وُصف بالجمع فيقال: صاحب العسكر الكثير ولا يوصف بواحد وصف تعظيم، وأما ذلك الواحد فإن نسب إلى المليك عين للخبر بأن يقال: هذا مليكي وذلك عندما تعرف عينه فتجعله مبتدأ وتخبر بالمليكي عنه، والملائكة لم يُعرفوا بأعيانهم إلا قليلاً منهم كجبريل وميكائيل، وحينئذٍ لا فائدة في قولنا جبريل مليكي؛ لأن من عرف الخبر ولا يصاغ الحمل إلا لبيان ثبوت الخبر للمبتدأ فلا يقال للإنسان حيوان أو جسم لأنه إيضاح واضح، اللّهم إلا أن يستعمل ذلك في ضرب مثال أو في صورة نادرة لغرض، وأما أن ينسب إلى المليك وهو مبتدأ فلا؛ لأن العظمة في أن يقول واحد من الملائكة فنبه على كثرة المقربين إليه كما تقول: واحد من أصحاب الملك. ولا تقول: صاحب الملك، فإذا أردت التعظيم البالغ فعند الواحد استعمل اسم الملك غير منسوب بل هو موضوع لشدته وقوته كما قال تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٦]و﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ [التكوير: ٢٠]فقال: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] و(م ل ك) تدل على الشدة في تقاليبها على ما عرف، وعند الجمع استعمل الملائكة للتعظيم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

**الجواب عن الثاني:**نقول: قد يكون الاسم في الأول لوصف يختص ببعض من يتصف به، وغيره لو صار متصفًا بذلك الوصف لا يسمى بذلك الاسم كالدابة فاعلة من دب، ولا يقال للمرأة ذات الدب دابة اسمًا وربما يقال لها صفة عند حالة ما تدب بدب مخصوص غير الدب العام الذي في الكل، كما لو دبت بليل لأخذ شيء أو غيره، أو يقال: إنما سميت الملائكة ملائكة لطول انتسابهم من قبل خلق الآدمي بسنين لا يعلم عددها إلا الله، فمن لم يصل إلى الله ويقوم ببابه لا يحصل له العهد والانتساب فلا يسمى بذلك الاسم.

**الجواب عن الثالث:**نقول: الجموع القياسية لا مانع لها كفِعال في جمع فَعَل كجبال وثمار وأفعال كأثقال وأشجار وفعلان وغيرها، وأما السماع وإن لم يرد إلا قليلاً فاكتفى بما فيه من التعظيم من نسبة الجمع إلا باب الله، ويكون من باب المرأة والنساء.

**الجواب عن الرابع:** فالمنع ولعل هذا منه أو نقول: حمل فَعيلي على فعيل في الجمع كما حمل فيعل في الجمع على فعيل فقيل في جمع جيد جياد ولا يقال في فعيل أفاعل، ويؤيد ما ذكرنا أن إبليس عندما كان واقفًا بالباب كان داخلاً في جملة الملائكة، فنقول: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الكهف: ٥٠]عندما صرف وأبعد خرج عنهم وصار من الجن.

وأما ما قاله بعض أهل اللغة من أن الملائكة جمع ملأك، وأصل ملأك مألك من الألوكة وهي الرسالة. ففيه تعسفات أكثر مما ذكرنا بكثير، منها أن الملك لا يكون فَعَل بل هو مَفعَل وهو خلاف الظاهر، ولمَ لم يستعمل مألك على أصله كمآرب ومآثم ومآكل وغيرها مما لا يعد إلا بتعسف؟ ومنها أن ملكًا لم جعل ملأك ولم يفعل ذلك بأخواته التي ذكرناها؟ ومنها أن التاء لم

أُلحقت بجمعه ولم لم يقل ملائك كما في جمع كل مفعل؟ والذي يرد قولهم قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١] فهي غير الرسل، فلا يصح أن يقال: جعلت الملائكة رسلاً، كما لا يصح جعلت الرسل مرسلين وجعل المقترب قريبًا؛ لأن الجعل لا بد فيه من تغيير، ومما يدل على خلاف ما ذكروا أن الكل منسوبون إليه موقوفون بين يديه منتظرون أمره لورود الأوامر عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾

**ثم قال تعالى:** ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ﴾ وفيما يعود إليه الضمير في (به) وجوه: أحدها: ما نقله الزمخشري وهو أنه عائد إلى ما كانوا يقولون من غير علم. ثانيها: أنه عائد إلى ما تقدم في الآية المتقدمة من علم، أي ما لهم بالله من علم فيشركون، وقرئ: (مَا لَهُم بِهَا). وفيه وجوه أيضًا: أحدها: ما لهم بالآخرة. وثانيها: ما لهم بالتسمية. ثالثها: ما لهم بالملائكة، فإن قلنا: ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الشورى: ٢٠] فهو جواب لما قلنا إنهم وإن كانوا يقولون الأصنام شفعاؤنا عند الله. وكانوا يربطون الإبل على قبور الموتى ليركبوها، لكن ما كانوا يقولون به عن علم، وإن قلنا بالتسمية قد تكون وهو أن العلم بالتسمية حاصل لهم، فإنهم يعلمون أنهم ليسوا في شك، إذ التسمية قد تكون وضعًا أوليًّا وهو لا يكون بالظن بل بالعلم بأنه وضع، وقد يكون استعمالاً معنويًّا ويتطرق إليه الكذب والصدق والعلم.

مثال الأول: من وضع أولاً اسم السماء لموضوعها وقال: هذا سماء.

مثال الثاني: إذا قلنا بعد ذلك للماء والحجر: هذا سماء. فإنه كذب، ومن يعتقده فهو جاهل، وكذلك قولهم في الملائكة: (إنها بنات الله)، لم تكن تسمية وضعية، وإنما أرادوا به أنهم موصوفون بأمر يجب استعمال لفظ البنات فيهم، وذلك كذب ومعتقده جاهل، فهذا هو المراد بما ذكرنا أن الظن يتبع في الأمور المصلحية، والأفعال العرفية أو الشرعية عند عدم الوصول إلى اليقين، وأما في الاعتقادات فلا يغني الظن شيئًا من الحق، فإن قيل: أليس الظن قد يصيب، فكيف يحكم عليه بأنه لا يغني أصلاً؟ نقول: المكلف يحتاج إلى يقين يميز الحق من الباطل؛ ليعتقد الحق ويميز الخير من الشر ليفعل الخير، لكن في الحق ينبغي أن يكون جازمًا لاعتقاد مطابقه، والظان لا يكون جازمًا، وفي الخير ربما يعتبر الظن في مواضع، ويحتمل أن يقال: المراد من الحق هو الله تعالى، ومعناه أن الظن لا يفيد شيئًا من الله تعالى، أي الأوصاف الإلهية لا تستخرج بالظنون، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: ٦] وفيه لطيفة، وهي أن الله تعالى في ثلاثة مواضع منع من الظن، وفي جميع تلك المواضع كان المنع عقيب التسمية، والدعاء باسم، موضعان منها في هذه السورة أحدهما: قوله تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [النجم: ٢٣]. والثاني: قوله تعالى:

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾، والثالث: في الحجرات، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِٱلْأَلْقَـٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ⑪ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١١، ١٢] عقيب الدعاء بالقلب، وكل ذلك دليل على أن حفظ اللسان أَوْلى من حفظ غيره من الأركان، وأن الكذب أقبح من السيئات الظاهرة من الأيدي والأرجل، وهذه المواضع الثلاثة أحدها مدح من لا يستحق المدح كاللات والعزى من العز. وثانيها ذم من لا يستحق الذم، وهم الملائكة الذين هم عباد الرحمن يسمونهم تسمية الأنثى. وثالثها ذم من لم يعلم حاله، وأما مدح من حاله لا يعلم، فلم يقل فيه: لا يتبعون إلا الظن، بل الظن فيه معتبر، والأخذ بظاهر حال العاقل واجب.

**ثم قال تعالى:** ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي اترك مجادلتهم فقد بلَّغت وأتيت بما كان عليك، وأكثر المفسرين يقولون بأن كل ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ﴾ منسوخ بآية القتل. وهو باطل، فإن الأمر بالإعراض موافق لآية القتال، فكيف ينسخ به؟ وذلك لأن النبي ﷺ كان مأمورًا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة، فلما عارضوه بأباطيلهم قيل له: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥] ثم لما لم ينفع، قال له ربه: فأعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان، فإنهم لا يتبعون إلا الظن، ولا يتبعون الحق، وقابِلهم بالإعراض عن المناظرة بشرط جواز المقابلة، فكيف يكون منسوخًا، والإعراض من باب أشكاه والهمزة فيه للسلب، كأنه قال: أزل العرض، ولا تعرض عليهم بعد هذا أمرًا.

**وقوله تعالى:** ﴿عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ لبيان تقديم فائدة العرض والمناظرة؛ لأن من لا يصغي إلى القول كيف يفهم معناه؟

وفي ﴿ذِكْرِنَا﴾ وجوه: الأول: القرآن. الثاني: الدليل والبرهان. الثالث: ذكر الله تعالى، فإن من لا ينظر في الشيء كيف يعرف صفاته؟ وهم كانوا يقولون: نحن لا نتفكر في آلاء الله لعدم تعلقنا بالله، وإنما أمرنا مع من خلقنا، وهم الملائكة أو الدهر، على اختلاف أقاويلهم وتباين أباطيلهم.

**وقوله تعالى:** ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ إشارة إلى إنكارهم الحشر، كما قالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [المؤمنون: ٣٧] وقال تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [التوبة: ٣٨] يعني لم يُثبتوا وراءها شيئًا آخر يعملون له، فقوله: ﴿عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ إشارة إلى إنكارهم الحشر؛ لأنه إذا ترك النظر في آلاء الله تعالى لا يعرفه، فلا يتبع رسوله فلا ينفعه كلامه. وإذا لم يقل بالحشر والحساب لا يخاف فلا يرجع عما هو عليه، فلا يبقى إذن فائدة في الدعاء.

واعلم أن النبي ﷺ كان طبيب القلوب، فأتى على ترتيب الأطباء، وترتيبهم أن الحال إذا أمكن إصلاحه بالغذاء لا يستعملون الدواء، وما أمكن إصلاحه بالدواء الضعيف لا يستعملون الدواء القوي، ثم إذا عجزوا عن المداواة بالمشروبات وغيرها عدلوا إلى الحديد والكي، وقيل:

آخر الدواء الكي، فالنبي ﷺ أولاً أمر القلوب بذكر الله فحسب، فإن بذكر الله تطمئن القلوب، كما أن بالغذاء تطمئن النفوس، فالذكر غذاء القلب، ولهذا قال أولاً: (قولوا لا إله إلا الله) أمر بالذكر لمن انتفع مثل أبي بكر وغيره ممن انتفع، ومن لم ينتفع ذكر لهم الدليل، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ [الأعراف: ١٨٤] ﴿قُلِ انظُرُوا﴾ [يونس: ١٠١] ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ [الغاشيه: ١٧] إلى غير ذلك، ثم أتى بالوعيد والتهديد، فلما لم ينفعهم قال: أعرِض عن المعالجة، واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ۝٣٠﴾

**ثم قال تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ فيه وجوه الأول: أظهرها أنه عائد إلى الظن، أي غاية ما يبلغون به أنهم يأخذون بالظن وثانيها: إيثار الحياة الدنيا مبلغهم من العلم، أي ذلك الإيثار غاية ما بلغوه من العلم ثالثها: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ﴾ [النجم: ٢٩] وذلك الإعراض غاية ما بلغوه من العلم، والعلم على هذا يكون المراد منه العلم بالمعلوم، وتكون الألف واللام للتعريف، والعلم بالمعلوم هو ما في القرآن، وتقرير هذا أن القرآن لما ورد بعضهم تلقاه بالقبول وانشرح صدره فبلغ الغاية القصوى، وبعضهم قبله من حيث إنه معجزة، واتبع الرسول فبلغ الدرجة الوسطى، وبعضهم توقف فيه كأبي طالب، وذلك أدنى المراتب، وبعضهم رده وعابه، فالأولون لم يجز الإعراض عنهم، والآخرون وجب الإعراض عنهم، وكان موضع بلوغه من العلم أنه قطع الكلام معه الإعراض عنه، وعليه سؤال وهو: أن الله تعالى بين أن غايتهم ذلك: ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها والمجنون الذي لا علم له، والصبي لا يؤمر بما فوق احتماله فكيف يعاقبهم الله؟

نقول ذكر قبل ذلك أنهم تولوا عن ذكر الله، فكأن عدم علمهم لعدم قبولهم العلم، وإنما قدر الله توليهم ليضاف الجهل إلى ذلك فيحقق العقاب، قال الزمخشري: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ كلام معترض بين كلامين، والمتصل قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وعلى ما ذكرنا المقصود لا يتم إلا به، يكون كأنه تعالى قال: أعرض عنهم فإن ذلك غايتهم، ولا يوجد وراء ما ظهر منهم شيء، وكأن قوله: ﴿عَن مَّن تَوَلَّىٰ﴾ إشارة إلى قطع عذرهم بسبب الجهل، فإن الجهل كان بالتولي وإيثار العاجل.

**ثم ابتدأ وقال:** ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ وفي المناسبة وجوه الأول: أنه تعالى لما قال: للنبي ﷺ، أعرض وكان النبي ﷺ شديد الميل إلى إيمان قومه وكان ربما هجس في خاطره، أن في الذكرى بعد منفعة، وربما يؤمن من الكافرين قوم آخرون من غير قتال فقال له: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ علم أنه لن يؤمن بمجرد الدعاء كل أحد من المكلفين، وإنما ينفع فيهم أن يقع السيف والقتال فأعرض عن الجدال وأقبل على القتال، وعلى هذا فقوله: ﴿بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي علم في الأزل، من ضل في تقديره ومن اهتدى، فلا يشتبه عليه الأمران، ولا يأس في الإعراض ويعد في العرف مصلحة ثانيها: هو على معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] وقوله تعالى: ﴿يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف: ٨٧] ووجهه أنهم كانوا يقولون: نحن على الهدى وأنتم مبطلون وأقام النبي ﷺ الحجة

عليهم فلم ينفعهم، فقال تعالى: أعرض عنهم وأجرك وقع على الله، فإنه يعلم أنكم مهتدون، ويعلم أنهم ضالون، والمتناظران إذا تناظرا عند ملك قادر مقصودهم ظهور الأمر عند الملك فإن اعترف الخصم بالحق فذاك، وإلا فغرض المصيب يظهر عند الملك فقال تعالى: جادلت وأحسنت، والله أعلم بالمحق من المبطل ثالثها: أنه تعالى لما أمر نبيه بالإعراض وكان قد صدر منهم إيذاء عظيم وكان النبي ﷺ يتحمله رجاء أن يؤمنوا، فنسخ جميع ذلك فلما لم يؤمنوا فكأنه قال: سعيي وتحملي لإيذائهم وقع هباء، فقال الله تعالى: إن الله يعلم حال المضلين والمهتدين: لله ما في السموات والأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا من المهتدين، **وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى:** ﴿هُوَ﴾ يسمى عمادًا وفصلاً، ولو قال: إن ربك أعلم لتمَّ الكلام، غير أن عند خلو الكلام عن هذا العماد ربما يتوقف السامع على سماع ما بعده، ليعلم أن: ﴿أَعْلَمُ﴾ خبر: ﴿رَبَّكَ﴾ أو هو مع شيء آخر خبر، مثاله لو قال: إن زيدًا أعلم منه عمرو يكون خبر زيد الجملة التي بعده، فإن قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ انتفى ذلك التوهم.

**المسألة الثانية:** ﴿أَعْلَمُ﴾ يقتضي مفضلاً عليه يقال: زيد أعلم من عمرو، والله أعلم ممن؟ نقول: أفعل يجيء كثيرًا بمعنى عالم لا عالم مثله، وحينئذ إن كان هناك عالم فذلك مفضل عليه وإن لم يكن ففي الحقيقة هو العالم لا غير، وفي كثير من المواضع أفعل في صفات الله بذلك المعنى يقال: الله أكبر وفي الحقيقة لا كبير مثله ولا أكبر إلا هو، والذي يناسب هذا أنه ورد في الدعوات يا أكرم الأكرمين كأنه قال: لا أكرم مثلك، وفي الحقيقة لا أكرم إلا هو وهذا معنى قول من يقول: ﴿أَعْلَمُ﴾ بمعنى عالم بالمهتدي والضال، ويمكن أن يقال: أعلم منْ كل عالم بفرض عالم غيره.

**المسألة الثالثة:** علمته وعلمت به مستعملان، قال الله تعالى في الأنعام: ﴿هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٧] ثم ينبغي أن يكون المراد من المعلوم العلم إذا كان تعلقه بالمعلوم أقوى، إما لقوة العلم وإما لظهور المعلوم وإما لتأكيد وجوب العلم به، وإما لكون الفعل له قوة، أما قوة العلم فكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ﴾ [المزمل: ٢٠] وقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] لما كان علم الله تعالى تامًا شاملاً علقه بالمفعول الذي هو حال من أحوال عبده الذي هو بمرأى منه من غير حرف، ولما كان علم العبد ضعيفًا حادثًا علقه بالمفعول الذي هو صفة من صفات الله تعالى الذي لا يحيط به علم البشر بالحرف أو لما كان كون الله رائيًا لم يكن محسوسًا به مشاهدًا علق الفعل به بنفسه وبالآخر بالحرف، وأما ظهور المعلوم فكما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الزمر: ٥٢] وهو معلوم ظاهر وأما تأكيد وجوب العلم به كما في قوله تعالى ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] ويمكن أن يقال: هو من قبيل الظاهر، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٢] وأما قوة الفعل فقال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ لما كان

المستعمل صفة الفعل علقه بالمفعول بغير حرف وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن﴾ كما كان المستعمل اسمًا دالاً على فعل ضعف عمله لتعلقه بالمفعول.

**المسألة الرابعة**: قدم العلم بمن ضل على العلم بالمهتدي في كثير من المواضع منها في سورة الأنعام ومنها في سورة: ﴿نٓ﴾ ومنها في هذه السورة، لأن في المواضع كلها المذكور نبيه ﷺ والمعاندون، فذكرهم أولاً تهديدًا لهم وتسلية لقلب نبيه عليه الصلاة والسلام.

**المسألة الخامسة**: قال في موضع واحد من المواضع: ﴿هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٧] وفي غيره قال: ﴿بِمَن ضَلَّ﴾ فهل عندك فيه شيء؟ قلت: نعم، ونبين ذلك ببحث عقلي وآخر نقلي: أما العقلي: فهو أن العلم القديم يتعلق بالمعلوم على ما هو عليه، إن وجد أمس علم أنه وجد أمس في نهار أمس، وليس مثل علمنا حيث يجوز أن يتحقق الشيء أمس، ونحن لا نعلمه إلا في يومنا هذا بل: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣] ولا يتأخر الواقع عن علمه طرفة عين وأما النقلي: فهو أن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل إذا كان بمعنى المستقبل ولا يعمل عمله إذا كان ماضيًا فلا تقول: أنا ضارب زيدًا أمس، والواجب إن كنت تنصب أن تقول: ضربت زيدًا وإن كنت تستعمل اسم الفاعل فالواجب الإضافة تقول: ضارب زيد أمس أنا ويجوز أن يقال: أنا غدًا ضارب زيدًا والسبب فيه أن الفعل إذا وجد فلا تجدد له في (غَيْرِ) الاستقبال، ولا تحقق له في الحال فهو عدم وضعف عن أن يعمل، وأما الحال وما يتوقع فله وجود فيمكن إعماله. إذا ثبت هذا فنقول: لما قال ﴿ضَلَّ﴾ كان الأمر ماضيًا وعلمه تعلق به وقت وجوده فعلم، وقوله ﴿أَعْلَمُ﴾ بمعنى عالم فيصير كأنه قال: عالم بمن ضل فلو ترك الباء لكان إعمالاً للفاعل بمعنى الماضي، ولما قال: ﴿يُضِلُّ﴾ كان يعلم الضلال عند الوقوع وإن كان قد علم في الأزل أنه سيضل لكن للعلم بعدَ ذلك تعلق آخر سيوجد، وهو تعلقه بكون الضلال قد وقع وحصل ولم يكن ذلك في الأزل، فإنه لا يقال: إنه تعالى علم أن فلانًا ضل في الأزل، وإنما الصحيح أن يقال: علم في الأزل، فإنه سيضل، فيكون كأنه يعلم أنه يضل فيكون اسم الفاعل بمعنى المستقبل وهو يعمل عمل الفاعل، فلا يقال: زيد أعلم مسألتنا من عمرو، وإنما الواجب أن يقال: زيد أعلم بمسألتنا من عمرو، ولهذا قالت النحاة في سورة الأنعام ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ﴾ [الأنعام: ١١٧] يعلم من يضل وقالوا: ﴿أَعْلَمُ﴾ للتفضيل لا يبنى إلا من فعل لازم غير متعد، فإن كان متعديًا يرد إلى لازم.

**وقولنا**: علم كأنه من باب عُلم بالضم وكذا في التعجب إذا قلنا: ما أعلمه بكذا كأنه من فعل لازم. وأما أنا فقد أجبت عن هذا بأن قوله: ﴿أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ﴾ معناه عالم، وقد قدمنا ما يجب أن يعتقد في أوصاف اللهِ في أكثر الأمر أن معناه أنه عالم ولا عالم مثله فيكون أعلم على حقيقته وهو أحسن من أن يقال: هو بمعنى عالم لا غير، فإن قيل: فلم قال هاهنا: ﴿بِمَن ضَلَّ﴾ وقال هناك: ﴿يَضِلُّ﴾؟ قلنا: لأن هاهنا حصل الضلال في الماضي وتأكد حيث حصل يأس

الرسول ﷺ وأمر بالإعراض، وأما هناك فقال تعالى من قبل: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

**ثم قال تعالى:** ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ﴾ بمعنى إن ضللت يعلمك الله فكان الضلال غير حاصل فيه فلم يستعمل صيغة الماضي.

**المسألة السادسة**: قال في الضلال عن سبيله ولم يقل في الاهتداء إلى سبيله لأن الضلال عن السبيل هو الضلال وهو كاف في الضلال لأن الضلال لا يكون إلا في السبيل، وأما بعد الوصول فلا ضلال أو لأن من ضل عن سبيله لا يصل إلى المقصود سواء سلك سبيلاً أو (لَمْ) يسلك وأما من اهتدى إلى سبيل فلا وصول إن لم يسلكه، ويصحح هذا أن من ضل في غير سبيله فهو ضال ومَن اهتدى إليها لا يكون مهتديًا إلا إذا اهتدى إلى كل مسألة يضر الجهل بها بالإيمان فكان الاهتداء اليقيني هو الاهتداء المطلق فقال ﴿بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ وقال ﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم: ٧].

## قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾

إشارة إلى كمال غناه وقدرته ليذكر بعد ذلك ويقول: إن ربك هو أعلم من الغني القادر لأن من علم ولم يقدر لا يتحقق منه الجزاء فقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ **وفي الآية مسائل:**

**المسألة الأولى**: قال الزمخشري: ما يدل على أنه يعتقد أن اللام في قوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ كاللام في قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النحل: ٨]وهو جري في ذلك على مذهبه فقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ معناه خلق ما فيهما لغرض الجزاء وهو لا يتحاشى مما ذكره لما عرف من مذهب الاعتزال، وقال الواحدي: اللام للعاقبة كما في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص: ٨]أي أخذوه وعاقبته أنه يكون لهم عدوًا، والتحقيق فيه وهو أن حتى ولام الغرض متقاربان في المعنى، لأن الغرض نهاية الفعل، وحتى للغاية المطلقة فبينهما مقاربة فيستعمل أحدهما مكان الآخر، يقال: سرت حتى أدخلها ولكي أدخلها، فلام العاقبة هي التي تستعمل في موضع حتى للغاية، ويمكن أن يقال: هنا وجه أقرب من الوجهين وإن كان أخفى منهما وهو أن يقال: إن قوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بقوله: ضل واهتدى لا بالعلم ولا بخلق ما في السموات، تقديره كأنه قال: هو أعلم بمن ضل واهتدى: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ أن من ضل واهتدى يجزي الجزاء، والله أعلم به، فيصير قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ كلامًا معترضًا، ويحتمل أن يقال: هو متعلق بقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ﴾ [النجم: ٢٩]أي أعرض عنهم ليقع الجزاء، كما يقول المريد فعلاً لمن يمنعه منه زرني لأفعله، وذلك لأن ما دام النبي ﷺلم ييأس ما كان العذاب ينزل والإعراض وقت اليأس، وقوله تعالى: ﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ حينئذ يكون مذكورًا ليعلم أن العذاب الذي عند إعراضه يتحقق ليس مثل الذي قال تعالى فيه: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً

﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] بل هو مختص بالذين ظلموا وغيرهم لهم الحسنى، وقوله تعالى في حق المسيء ﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾ وفي حق المحسن ﴿بِٱلْحُسْنَى﴾ فيه لطيفة لأن جزاء المسيء عذاب فنبه على ما يدفع الظلم فقال: لا يعذب إلا عن ذنب، وأما في الحسنى فلم يقل: بما عملوا لأن الثواب إن كان لا على حسنة يكون في غاية الفضل فلا يخل بالمعنى هذا إذا قلنا الحسنى هي المثوبة بالحسنى، وأما إذا قلنا الأعمال الحسنى ففيه لطيفة غير ذلك، وهي أن أعمالهم لم يذكر فيها التساوي، وقال في أعمال المحسنين ﴿ٱلْحُسْنَى﴾ إشارة إلى الكرم والصفح حيث ذكر أحسن الاسمين والحسنى صفة أقيمت مقام الموصوف كأنه تعالى قال بالأعمال الحسنى كقوله تعالى: ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وحينئذ هو كقوله تعالى: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٧] أي يأخذ أحسن أعمالهم ويجعل ثواب كل ما وجد منهم لجزاء ذلك الأحسن أو هي صفة المثوبة، كأنه قال: ويجزي الذين أحسنوا بالمثوبة الحسنى أو بالعاقبة الحسنى أي جزاؤهم حسن العاقبة وهذا جزاء فحسب، وأما الزيادة التي هي الفضل بعد الفضل فغير داخلة فيه.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾

**ثم قال تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ (الذين) يحتمل أن يكون بدلاً عن الذين أحسنوا وهو الظاهر، وكأنه تعالى قال ليجزي الذين أساءوا ويجزي الذين أحسنوا، ويتبين به أن المحسن ليس ينفع الله بإحسانه شيئًا وهو الذي لا يسيء ولا يرتكب القبيح الذي هو سيئة في نفسه عند ربه فالذين أحسنوا هم الذين اجتنبوا ولهم الحسنى، وبهذا يتبين المسيء والمحسن لأن من لا يجتنب كبائر الإثم يكون مسيئًا والذي يجتنبها يكون محسنًا، وعلى هذا ففيه لطيفة وهو أن المحسن لما كان هو من يجتنب الآثام فالذي يأتي بالنوافل يكون فوق المحسن، لكن الله تعالى وعد المحسن بالزيادة فالذي فوقه يكون له زيادات فوقها وهم الذين لهم جزاء الضعف، ويحتمل أن يكون ابتداء كلام تقديره الذين يجتنبون كبائر الإثم يغفر الله لهم والذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ وعلى هذا تكون هذه الآية مع ما قبلها مبينة لحال المسيء والمحسن وحال من لم يحسن ولم يسيء وهم الذين لم يرتكبوا سيئة وإن لم تصدر منهم الحسنات، وهم كالصبيان الذين لم يوجد فيهم شرائط التكليف ولهم الغفران وهو دون الحسنى، ويظهر هذا بقوله تعالى بعده: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ أي يعلم الحالة التي لا إحسان فيها ولا إساءة، كما علم من أساء وضل ومن أحسن واهتدى، **وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى:** إذا كان بدلاً عن الذين أحسنوا فلم خالف ما بعده بالمضي والاستقبال حيث

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ [النجم: ٣١] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ ولم يقل اجتنبوا؟ نقول: هو كما يقول القائل الذين سألوني أعطيتهم، الذين يترددون إليّ سائلين أي الذين عادتهم التردد والسؤال سألوني وأعطيتهم فكذلك ههنا قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ أي الذين عادتهم ودأبهم الاجتناب لا الذين اجتنبوا مرة وقدموا عليها أخرى، فإن قيل: في كثير من المواضع قال في الكبائر ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧] وقال في عباد الطاغوت: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ١٧] فما الفرق؟ نقول: عبادة الطاغوت راجعة إلى الاعتقاد والاعتقاد إذا وجد دام ظاهرًا فمن اجتنبها اعتقد بطلانها فيستمر، وأما مثل الشرب والزنا أمر يختلف أحوال الناس فيه فيتركه زمانًا ويعود إليه ولهذا يستبرأ الفاسق إذا تاب ولا يستبرأ الكافر إذا أسلم، فقال في الآثام: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ دائمًا، ويثابرون على الترك أبدًا، وفي عبادة الأصنام: ﴿ٱجْتَنَبُواْ﴾ بصيغة الماضي ليكون أدل على الحصول، ولأن كبائر الإثم لها عدد أنواع فينبغي أن يجتنب عن نوع ويجتنب عن آخر ويجتنب عن ثالث ففيه تكرر وتجدد فاستعمل فيه صيغة الاستقبال، وعبادة الصنم أمر واحد متحد، فترك فيه ذلك الاستعمال وأتى بصيغة الماضي الدالة على وقوع الاجتناب لها دفعة.

**المسألة الثانية**: الكبائر جمع كبيرة وهي صفة فما الموصوف؟ نقول: هي صفة الفعلة كأنه يقول: الفعلات الكبائر من الإثم، فإن قيل: فما بال اختصاص الكبيرة بالذنوب في الاستعمال، ولو قال قائل: الفعلة الكبيرة الحسنة لا يمنعه مانع؟ نقول: الحسنة لا تكون كبيرة لأنها إذا قوبلت بما يجب أن يوجد من العبد في مقابلة نعم الله تعالى تكون في غاية الصغر، ولولا أن الله يقبلها لكانت هباء لكن السيئة من العبد الذي أنعم الله عليه بأنواع النعم كبيرة، ولولا فضل الله لكان الاشتغال بالأكل والشرب والإعراض عن عبادته سيئة، ولكن الله غفر بعض السيئات وخفف بعضها.

**المسألة الثالثة**: إذا ذكر الكبائر فما الفواحش بعدها؟ نقول: الكبائر إشارة إلى ما فيها من مقدار السيئة، والفواحش إشارة إلى ما فيها من وصف القبح كأنه قال: عظيمة المقادير قبيحة الصور، والفاحش في اللغة مختص بالقبيح الخارج قبحه عن حد الخفاء وتركيب الحروف في التقاليب يدل عليه فإنك إذا قلبتها وقلت: حشف كان فيه معنى الرداءة الخارجة عن الحد، ويقال: فشحت الناقة إذا وقفت على هيئة مخصوصة للبول فالفحش يلازمه القبح، ولهذا لم يقل: الفواحش من الإثم وقال في الكبائر: ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ لأن الكبائر إن لم يميزها بالإضافة إلى الإثم لما حصل المقصود بخلاف الفواحش.

**المسألة الرابعة**: كثرت الأقاويل في الكبائر والفواحش، فقيل: الكبائر ما أوعد الله عليه بالنار صريحًا وظاهرًا، والفواحش ما أوجب عليه حدًا في الدنيا، وقيل: الكبائر ما يكفر مستحله، وقيل: الكبائر مالا يغفر الله لفاعله إلا بعد التوبة وهو على مذهب المعتزلة، وكل هذه

التعريفات تعريف الشيء بما هو مثله في الخفاء أو فوقه، وقد ذكرنا أن الكبائر هي التي مقدارها عظيم، والفواحش هي التي قبحها واضح فالكبيرة صفة عائدة إلى المقدار، والفاحشة صفة عائدة إلى الكيفية، كما يقال مثلاً: في الأبرص علته بياض لطخة كبيرة ظاهرة اللون فالكبيرة لبيان الكمية والظهور لبيان الكيفية وعلى هذا فنقول على ما قلنا: إن الأصل في كل معصية أن تكون كبيرة، لأن نعم الله كثيرة ومخالفة المنعم سيئة عظيمة، غير أن الله تعالى حط عن عباده الخطأ والنسيان لأنهما لا يدلان على ترك التعظيم، إما لعمومه في العباد أو لكثرة وجوده منهم كالكذبة والغيبة مرة أو مرتين والنظرة والقبائح التي فيها شبهة، فإن المجتنب عنها قليل في جميع الأعصار، ولهذا قال أصحابنا: إن استماع الغناء الذي مع الأوتار يفسق به، وإن استمعه من أهل بلدة لا يعتقدون أمر ذلك لا يفسق فعادت الصغيرة إلى ما ذكرنا من أن العقلاء إن لم يعدوه تاركًا للتعظيم لا يكون مرتكبًا للكبيرة، وعلى هذا تختلف الأمور باختلاف الأوقات والأشخاص فالعالم المتقي إذا كان يتبع النساء أو يكثر من اللعب يكون مرتكبًا للكبيرة، والدلال والباعة والمتفرغ الذي لا شغل له لا يكون كذلك، وكذلك اللعب وقت الصلاة، واللعب في غير ذلك الوقت، وعلى هذا كل ذنب كبيرة إلا ما علم المكلف أو ظن خروجه بفضل الله وعفوه عن الكبائر.

**المسألة الخامسة**: في اللمم وفيه أقوال: أحدها: ما يقصده المؤمن ولا يحققه وهو على هذا القول من لم يَلُمُّ إذا جمع فكأنه جمع عزمه وأجمع عليه وثانيها: ما يأتي به المؤمن ويندم في الحال وهو من اللمم الذي هو مس من الجنون كأنه مسه وفارقه ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]ثالثها: اللمم الصغير من الذنب من ألم إذا نزل نزولاً من غير لبث طويل، ويقال: ألم بالطعام إذا قلل من أكله، وعلى هذا فقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ يحتمل وجوهًا: أحدها: أن يكون ذلك استثناء من الفواحش وحينئذ فيه وجهان: أحدهما: استثناء منقطع لأن اللمم ليس من الفواحش وثانيهما: غير منقطع لما بينا أن كل معصية إذا نظرت إلى جانب الله تعالى وما يجب أن يكون عليه فهي كبيرة وفاحشة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ [الأعراف: ٢٨]غير أن الله تعالى استثنى منها أمورًا يقال: الفواحش كل معصية إلا ما استثناه الله تعالى منها ووعدنا بالعفو عنه ثانيها: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى غير وتقديره والفواحش غير اللمم وهذا للوصف إن كان للتمييز كما يقال: الرجال غير أولي الإربة فاللمم عين الفاحشة، وإن كان لغيره كما يقال الرجال غير النساء جاؤوني لتأكيد وبيان فلا وثالثها: هو استثناء من الفعل الذي يدل عليه قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ لأن ذلك يدل على أنهم لا يقربونه فكأنه قال: لا يقربونه إلا مقاربة من غير مواقعة وهو اللمم.

**ثم قال تعالى:** ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ وذلك على قولنا: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ ابتداء الكلام في غاية الظهور، لأن المحسن مجزي وذنبه مغفور، ومجتنب الكبائر كذلك ذنبه الصغير مغفور،

والمقدم على الكبائر إذا تاب مغفور الذنب، فلم يبق ممن لم تصل إليهم مغفرة إلا الذين أساؤا وأصروا عليها، فالمغفرة واسعة وفيه معنى آخر لطيف، وهو أنه تعالى لما أخرج المسيء عن المغفرة بين أن ذلك ليس لضيق فيها، بل ذلك بمشيئة الله تعالى، ولو أراد الله مغفرة كل من أحسن وأساء لفعل، وما كان يضيق عنهم مغفرته، والمغفرة من الستر، وهو لا يكون إلا على قبيح، وكل من خلقه الله إذا نظرت في فعله، ونسبته إلى نعم الله تجده مقصرًا مسيئًا، فإن من جازى المنعم بنعم لا تحصى مع استغنائه الظاهر، وعظمته الواضحة بدرهم أو أقل منه يحتاج إلى ستر ما فعله.

**ثم قال تعالى:** ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ وفي المناسبة وجوه أحدها: هو تقرير لما مر من قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ﴾ [النجم: ٣٠] كأن العامل من الكفار يقول: نحن نعمل أمورًا في جوف الليل المظلم، وفي البيت الخالي فكيف يعلمه الله تعالى؟ فقال: ليس عملكم أخفى من أحوالكم وأنتم أجنة في بطون أمهاتكم، والله عالم بتلك الأحوال ثانيها: هو إشارة إلى أن الضال والمهتدي حصلا على ما هما عليه بتقدير الله، فإن الحق علم أحوالهم وهم في بطون الأمهات، فكتب على البعض أنه ضال، والبعض أنه مهتد ثالثها: تأكيد وبيان للجزاء، وذلك لأنه لما قال: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ [النجم: ٣١] قال الكافرون: هذا الجزاء لا يتحقق إلا بالحشر، وجمع الأجزاء بعد تفرقها وإعادة ما كان لزيد من الأجزاء في بدنه من غير اختلاط غير ممكن، فقال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم﴾ فيجمعها بقدرته على وفق علمه كماأنشأكم **وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى:** العامل في: ﴿إِذْ﴾ يحتمل أن يكون ما يدل عليه: ﴿أَعْلَمُ﴾ أي علمكم وقت الإنشاء، ويحتمل أن يكون اذكروا فيكون تقريرًا لكونه عالمًا ويكون تقديره: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ وقد تم الكلام، ثم يقول: إن كنتم في شك من علمه بكم فاذكروا حال إنشائكم من التراب.

**المسألة الثانية:** ذكرنا مرارًا أن قوله: ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من الناس من قال آدم فإنه من تراب، وقررنا أن كل أحد أصله من التراب، فإنه يصير غذاء، ثم يصير نطفة.

**المسألة الثالثة:** لو قال قائل: لا بد من صرف ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ إلى آدم، لأن ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ عائد إلى غيره، فإنه لم يكن جنينًا، ولو قلت بأن قوله تعالى ﴿إِذْ أَنشَأَكُم﴾ عائد إلى جميع الناس، فينبغي أن يكون جميع الناس أجنة في بطون الأمهات، وهو قول الفلاسفة؟ نقول ليس كذلك، لأنا نقول: الخطاب مع الموجودين حالة الخطاب، وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ خطاب مع كل من بعد الإنزال على قول، ومع من حضر وقت الإنزال على قول، ولا شك أن كل هؤلاء من الأرض وهم كانوا أجنة.

**المسألة الرابعة:** الأجنة هم الذين في بطون الأمهات، وبعد الخروج لا يسمى إلا ولدًا أو سقطًا، فما فائدة قوله تعالى: ﴿فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾؟ نقول: التنبيه على كمال العلم والقدرة، فإن

بطن الأم في غاية الظلمة، ومن علم بحال الجنين فيها لا يخفى عليه ما ظهر من حال العباد.

المسألة الخامسة: لقائل أن يقول: إذا قلنا إن قوله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ تقرير لكونه عالمًا بمن ضل، فقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ تعلقه به ظاهر، وأما إن قلنا إنه تأكيد وبيان للجزاء، فإنه يعلم الأجزاء فيعيدها إلى أبدان أشخاصها، فكيف يتعلق به ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾؟ نقول: معناه حينئذ فلا تبرئوا أنفسكم من العذاب، ولا تقولوا تفرقت الأجزاء فلا يقع العذاب، لأن العالم بكم عند الإنشاء عالم بكم عند الإعادة، وعلى هذا قوله: ﴿أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ أي يعلم أجزاءه فيعيدها إليه، ويثيبه بما أقدم عليه.

المسألة السادسة: الخطاب مع من؟ فيه ثلاثة احتمالات الأول: مع الكفار، وهذا على قولنا إنهم قالوا كيف يعلمه الله، فرد عليهم قولهم الثاني كل من كان زمان الخطاب وبعده من المؤمنين والكفار الثالث هو مع المؤمنين، وتقريره: هو أن الله تعالى لما قال: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ [النجم: ٢٩] قال لنبيه ﷺ: قد علم كونك ومن معك على الحق، وكون المشركين على الباطل، فأعرض عنهم ولا تقولوا: نحن على الحق وأنتم على الضلال، لأنهم يقابلونكم بمثل ذلك، وفوض الأمر إلى الله تعالى، فهو أعلم بمن اتقى ومن طغى، وعلى هذا فقول من قال: ﴿فَأَعْرِضْ﴾ منسوخ أظهر، وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] والله أعلم بجملة الأمور، ويحتمل أن يقال: على هذا الوجه الثالث إنه إرشاد للمؤمنين، فخاطبهم الله وقال: هو أعلم بكم أيها المؤمنون، علم ما لكم من أول خلقكم إلى آخر يومكم، فلا تزكوا أنفسكم رياء وخيلاء، ولا تقولوا لآخر أنا خير منك وأنا أزكى منك وأتقى، فإن الأمر عند الله، ووجه آخر وهو إشارة إلى وجوب الخوف من العاقبة، أي لا تقطعوا بخلاصكم أيها المؤمنون، فإن الله يعلم عاقبة من يكون على التقي، وهذا يؤيد قول من يقول: أنا مؤمن إن شاء الله للصرف إلى العاقبة.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٥﴾﴾

**وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: قال بعض المفسرين: نزلت الآية في الوليد بن المغيرة جلس عند النبي ﷺ وسمع وعظه، وأثرت الحكمة فيه تأثيرًا قويًا، فقال له رجل: لم تترك دين آبائك، ثم قال له: لا تخف وأعطني كذا وأنا أتحمل عنك أوزارك، فأعطاه بعض ما التزمه، وتولى عن الوعظ وسماع الكلام من النبي ﷺ، وقال بعضهم: نزلت في عثمان رضي الله عنه، كان يعطي ماله عطاء كثيرًا، فقال له أخوه من أمه عبد الله بن سعد بن أبي سرح: يوشك أن يفنى مالك فأمسك، فقال له عثمان: إن لي ذنوبًا أرجو أن يغفر الله لي بسبب العطاء، فقال له أخوه: أنا أتحمل عنك

ذنوبك إن تعطي ناقتك مع كذا، فأعطاه ما طلب وأمسك يده عن العطاء، فنزلت الآية، وهذا قول باطل لا يجوز ذكره، لأنه لم يتواتر ذلك ولا اشتهر، وظاهر حال عثمان رضي الله عنه يأبى ذلك، بل الحق أن يقال: إن الله تعالى لما قال لنبيه ﷺ من قبل ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩] وكان التولي من جملة أنواعه تولي المستغني، فإن العالم بالشيء لا يحضر مجالس ذكر ذلك الشيء، ويسعى في تحصيل غيره، فقال ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ عن استغناء، أعلم بالغيب؟.

المسألة الثانية: الفاء تقتضي كلامًا يترتب هذا عليه، فماذا هو؟ نقول: هو ما تقدم من بيان علم الله وقدرته، ووعده المسيء والمحسن بالجزاء وتقديره هو أن الله تعالى لما بين أن الجزاء لا بد من وقوعه على الإساءة والإحسان، وأن المحسن هو الذي يجتنب كبائر الإثم، فلم يكن الإنسان مستغنيًا عن سماع كلام النبي ﷺ واتباعه، فبعد هذا من تولى لا يكون توليه إلا بعد غاية الحاجة ونهاية الافتقار.

المسألة الثالثة: ﴿ ٱلَّذِى﴾ على ما قال بعض المفسرين عائد إلى معلوم، وهو ذلك الرجل وهو الوليد، والظاهر أنه عائد إلى مذكور، فإن الله تعالى قال من قبل ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ [النجم: ٢٩] وهو المعلوم لأن الأمر بالإعراض غير مختص بواحد من المعاندين فقال: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ أي الذي سبق ذكره، فإن قيل: كان ينبغي أن يقول الذين تولوا، لأن (من) في قوله: ﴿عَن مَّن تَوَلَّىٰ﴾ للعموم؟ نقول: العود إلى اللفظ كثير شائع قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ﴾ [القصص: ٨٤] ولم يقل فلهم.

المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ ما المراد منه؟ نقول: على ما تقدم هو المقدار الذي أعطاه الوليد، وقوله: ﴿ وَأَكْدَىٰٓ﴾ هو ما أمسك عنه ولم يعط الكل، وعلى هذا لو قال قائل إن الإكداء لا يكون مذمومًا لأن الإعطاء كان بغير حق، فالامتناع لا يذم عليه، وأيضًا فلا يبقى لقوله ﴿ قَلِيلًا﴾ فائدة، لأن الإعطاء حينئذ نفسه يكون مذمومًا، نقول فيه بيان خروجهم عن العقل والعرف أما العقل فلأنه منع من الإعطاء لأجل حمل الوزر، فإنه لا يحصل به، وأما العرف فلأن عادة الكرام من العرب الوفاء بالعهد، وهو لم يف به حيث التزم الإعطاء وامتنع، والذي يليق بما ذكرنا هو أن نقول: تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا، يعني إعطاء ما وجب إعطاؤه في مقابلة ما يجب لإصلاح أمور الآخرة، ويقع في قوله تعالى: ﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ﴾ في مقابلة قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم: ٣٠] أي لم يعلم الغيب وما في الآخرة وقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٦-٣٨] في مقابلة قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ﴾ إلى قوله: ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟﴾ [النجم: ٣٠، ٣١] لأن الكلامين جميعًا لبيان الجزاء، ويمكن أن يقال: إن الله تعالى لما بين حال المشركين المعاندين العابدين للات والعزى والقائلين بأن الملائكة بنات الله شرع في بيان أهل الكتاب، وقال بعدما رأيت حال

المشرك الذي تولى عن ذكرنا، أفرأيت حال من تولى وله كتاب وأعطى قليلاً من الزمان حقوق الله تعالى، ولما بلغ زمان محمد أكدى فهل علم الغيب فقال شيئًا لم يرد في كتبهم ولم ينزل عليهم في الصحف المتقدمة، ووجد فيها بأن كل واحد يؤاخذ بفعله ويجازى بعمله، وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ يخبر أن المتولي المذكور من أهل الكتاب.

**المسألة الخامسة**: ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ قيل هو من بلغ الكدية وهي الأرض الصلبة لا تحفر، وحافر البئر إذا وصل إليها فامتنع عليه الحفر أو تعسر يقال: أكدى الحافر، والأظهر أنه الرد والمنع يقال: أكديته أي رددته وقوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ قد علم تفسيره جملة أن المراد جهل المتولي وحاجته وبيان قبح التولي مع الحاجة إلى الإقبال وعلم الغيب، أي العلم بالغيب، أي علم ما هو غائب عن الخلق وقوله: ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ تتمة بيان وقت جواز التولي وهو حصول الرؤية وهو الوقت الذي لا ينفع الإيمان فيه، وهناك لا يبقى وجوب متابعة أحد فيما رآه، لأن الهادي يهدي إلى الطريق فإذا رأى المهتدي مقصده بعينه لا ينفيه السماع، فقال تعالى: هل علم الغيب بحيث رآه فلا يكون علمه علمًا نظريًا بل علمًا بصريًا فعصى فتولى وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ يحتمل أن يكون مفعول ﴿يَرَىٰٓ﴾ هو احتمال الواحد وزر الآخر كأنه قال فهو يرى أن وزره محمول ألم يسمع أن وزره غير محمول فهو عالم بالحمل وغافل عن عدم الحمل ليكون معذورًا، ويحتمل أن لا يكون له مفعول تقديره فهو يرى رأي نظر غير محتاج إلى هاد ونذير.

## قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾

**وقوله تعالى**: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ حال أخرى مضادة للأولى يعذر فيها المتولي وهو الجهل المطلق فإن من علم الشيء علمًا تامًا لا يؤمر بتعلمه، والذي جهله جهلاً مطلقًا وهو الغافل على الإطلاق كالنائم أيضًا لا يؤمر فقال: هذا المتولي هل علم الكل فجاز له التولي أولم يسمع شيئًا وما بلغه دعوة أصلاً فيعذر، ولا واحد من الأمرين بكائن فهو في التولي غير معذور، **وفيه مسائل**:

**المسألة الأولى**: قوله تعالى: ﴿بِمَا فِىٓ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون المراد ما فيها لا بصفة كونه فيها، فكأنه تعالى يقول: أم لم ينبأ بالتوحيد والحشر وغير ذلك، وهذه أمور مذكورة في صحف موسى، مثاله: يقول القائل لمن توضأ بغير الماء توضأ بما توضأ به النبي ﷺ وعلى هذا فالكلام مع الكل لأن المشرك وأهل الكتاب نبأهم النبي ﷺ بما في صحف موسى ثانيهما: أن المراد بما في الصحف مع كونه فيها، كما يقول القائل فيما ذكرنا من المثال توضأ بما في القربة لا بما في الجرة فيريد عين ذلك لا جنسه وعلى هذا فالكلام مع أهل الكتاب لأنهم الذين نبئوا به.

المسألة الثانية: صحف موسى وإبراهيم، هل جمعها لكونها صحفًا كثيرة أو لكونها مضافة إلى اثنين كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]؟ الظاهر أنها كثيرة، قال الله تعالى: و﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف: ١٥٠] وكل لوح صحيفة.

المسألة الثالثة: ما المراد بالذي فيها؟ نقول قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٨، ٣٩] وما بعده من الأمور المذكورة على قراءة من قرأ أن بالفتح وعلى قراءة من يكسر ويقول: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] ففيه وجوه أحدها: هو ما ذكره بقوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨] وهو الظاهر، وإنما احتمل غيره، لأن صحف موسى وإبراهيم ليس فيها هذا فقط، وليس هذا معظم المقصود بخلاف قراءة الفتح، فإن فيها تكون جميع الأصول على ما بيَّنَ ثانيها: هو أن الآخرة خير من الأولى يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨-١٩] ثالثها: أصول الدين كلها مذكورة في الكتب بأسرها، ولم يخل الله كتابًا عنها، ولهذا قال لنبيه ﷺ: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] وليس المراد في الفروع، لأن فروع دينه مغايرة لفروع دينهم من غير شك.

المسألة الرابعة: قدم موسى هاهنا ولم يقل كما قال في ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] فهل فيه فائدة؟ نقول: مثل هذا في كلام الفصحاء لا يطلب له فائدة، بل التقديم والتأخير سواء في كلامهم فيصح أن يقتصر على هذا الجواب، ويمكن أن يقال: إن الذكر هناك لمجرد الإخبار والإنذار وهنا المقصود بيان انتفاء الأعذار، فذكر هناك على ترتيب الوجود صحف إبراهيم قبل صحف موسى في الإنزال، وأما هاهنا فقد قلنا إن الكلام مع أهل الكتاب وهم اليهود فقدم كتابهم، وإن قلنا الخطاب عام فصحف موسى عليه السلام كانت كثيرة الوجود، فكأنه قيل لهم انظروا فيها تعلموا أن الرسالة حق، وأرسل من قبل موسى رسل والتوحيد صدق والحشر واقع فلما كانت صحف موسى عند اليهود كثيرة الوجود قدمها، وأما صحف إبراهيم فكانت بعيدة وكانت المواعظ التي فيها غير مشهورة فيما بينهم كصحف موسى فأخر ذكرها.

المسألة الخامسة: كثيرًا ما ذكر الله موسى فأخر ذكره عليه السلام لأنه كان مبتلى في أكثر الأمر بمن حواليه وهم كانوا مشركين ومتهودين والمشركون كانوا يعظمون إبراهيم عليه السلام لكونه أباهم، وأما قوله تعالى: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ ففيه وجهان أحدهما: أنه الوفاء الذي يذكر في العهود وعلى هذا فالتشديد للمبالغة يقال وفَّى وَوَفَى كَقَطَّع وقَطَعَ وقَتَّل وقتل، وهو ظاهر لأنه وفى بالنذر وأضجع ابنه للذبح، وورد في حقه: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّؤْيَآ﴾ [الصافات: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦] وثانيهما: أنه من التوفية التي من الوفاء وهو التمام والتوفية الإتمام يقال وفاه أي أعطاه تامًا، وعلى هذا فهو من قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] وقيل: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ أي أعطى حقوق الله في بدنه، وعلى هذا فهو على ضد من قال تعالى فيه: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٤] مدح إبراهيم ولم يصف موسى عليه السلام، نقول: أما بيان

توفيته ففيه لطيفة وهي أنه لم يعهد عهدًا إلا وفى به، وقال لأبيه: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨] فاستغفر ووفى بالعهد ولم يغفر الله له، فعلم ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] وأن وزره لا تزره نفس أخرى، وأما مدح إبراهيم عليه السلام فلأنه كان متفقًا عليه بين اليهود والمشركين والمسلمين ولم ينكر أحد كونه وفيًا، وموفيًا، وربما كان المشركون يتوقفون في وصف موسى عليه السلام، ثم قال تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨] وقد تقدم تفسيره في سورة الملائكة، والذي يحسن بهذا الموضع مسائل:

**الأولى:** أنا بينا أن الظاهر أن المراد من قوله: ﴿بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ هو ما بينه بقوله ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ فيكون هذا بدلاً عن ما وتقديره أم لم ينبأ بألا تزر وذكرنا هناك وجهين أحدهما: المراد أن الآخرة خير وأبقى وثانيهما: الأصول.

## قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۞ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۞﴾

**المسألة الثانية:** ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ أن خفيفة من الثقيلة كأنه قال: أنه لا تزر وتخفيف الثقيلة لازم وغير لازم جائز وغير جائز، فاللازم عندما يكون بعدها فعل أو حرف داخل على فعل، ولزم فيها التخفيف، لأنها مشبهة بالفعل في اللفظ والمعنى، والفعل لا يمكن إدخاله على فعل فأخرج عن شبه الفعل إلى صورة تكون حرفًا مختصًا بالفعل فتناسب الفعل فتدخل عليه.

**المسألة الثالثة:** إن قال قائل: الآية مذكورة لبيان أن وزر المسيء لا يحمل عنه وبهذا الكلام لا تحصل هذه الفائدة لأن الوازرة تكون مثقلة بوزرها فيعلم كل أحد أنها لا تحمل شيئًا ولو قال لا تحمل فارغة وزر أخرى كان أبلغ نقول ليس كما ظننت، وذلك لأن المراد من الوازرة هي التي يتوقع منها الوزر والحمل لا التي وزرت وحملت كما يقال: شقاني الحمل، وإن لم يكن عليه في الحال حمل، وإذا لم تزر تلك النفس التي يتوقع منها ذلك فكيف تتحمل وزر غيرها فتكون الفائدة كاملة.

**وقوله تعالى:** ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ تتمة بيان أحوال المكلف فإنه لما بين له أن سيئته لا يتحملها عنه أحد بين له أن حسنة الغير لا تجدي نفعًا ومن لم يعمل صالحًا لا ينال خيرًا فيكمل بها ويظهر أن المسيء لا يجد بسبب حسنة الغير ثوابًا ولا يتحمل عنه أحد عقابًا، وفيه أيضًا مسائل:

**الأولى:** ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ﴾ فيه وجهان أحدهما: أنه عام وهو الحق وقيل عليه بأن في الأخبار أن ما يأتي به القريب من الصدقة والصوم يصل إلى الميت والدعاء أيضًا نافع فللإنسان شيء لم يسع فيه، وأيضًا قال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وهي فوق ما سعى، الجواب عنه أن الإنسان إن لم يسع في أن يكون له صدقة القريب بالإيمان لا يكون له صدقته فليس له إلا ما سعى، وأما الزيادة فنقول: الله تعالى لما وعد المحسن بالأمثال والعشرة

وبالأضعاف المضاعفة فإذا أتى بحسنة راجيًا أن يؤتيه الله ما يتفضل به فقد سعى في الأمثال، فإن قيل: أنتم إذن حملتم السعي على المبادرة إلى الشيء، يقال: سعى في كذا إذا أسرع إليه، والسعي في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ معناه العمل يقال: سعى فلان أي عمل، ولو كان كما ذكرتم لقال: إلا ما سعى فيه نقول على الوجهين جميعًا: لا بد من زيادة فإن قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ ليس المراد منه أن له عين ما سعى، بل المراد على ما ذكرت ليس له إلا ثواب ما سعى، أو إلا أجر ما سعى، أو يقال: بأن المراد أن ما سعى محفوظ له مصون عن الإحباط فإذن له فعله يوم القيامة الوجه الثاني: أن المراد من الإنسان الكافر دون المؤمن وهو ضعيف، وقيل بأن قوله: ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ كان في شرع من تقدم، ثم إن الله تعالى نسخه في شرع محمد ﷺ وجعل للإنسان ما سعى وما لم يسع وهو باطل إذ لا حاجة إلى هذا التكلف بعدما بان الحق، وعلى ما ذكر فقوله: ﴿مَا سَعَىٰ﴾ مبقي على حقيقته معناه له عين ما سعى محفوظ عند الله تعالى ولا نقصان يدخله ثم يجزى به كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧].

المسألة الثانية: أن ﴿مَا﴾ خبرية أو مصدرية؟ نقول: كونها مصدرية أظهر بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ أي سوف يرى المسعي، والمصدر للمفعول يجيء كثيرًا يقال: هذا خلق الله أي مخلوقه.

المسألة الثالثة: المراد من الآية بيان ثواب الأعمال الصالحة أو بيان كل عمل، نقول: المشهور أنهما لكل عمل فالخير مثاب عليه والشر معاقب به والظاهر أنه لبيان الخيرات يدل عليه اللام في قوله تعالى: ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾ فإن اللام لعود المنافع وعلى لعود المضار تقول: هذا له، وهذا عليه، ويشهد له ويشهد عليه في المنافع والمضار، وللقائل الأول أن يقول: بأن الأمرين إذا اجتمعا غلب الأفضل كجموع السلامة تذكر إذا اجتمعت الإناث مع الذكور، وأيضًا يدل عليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٤١] والأوفى لا يكون إلا في مقابلة الحسنة، وأما في السيئة فالمثل أو دونه العفو بالكلية.

المسألة الرابعة: ﴿إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ بصيغة الماضي دون المستقبل لزياد الحث على السعي في العمل الصالح وتقريره هو أنه تعالى لو قال: ليس للإنسان إلا ما يسعى، تقول النفس إني أصلي غدًا كذا ركعة وأتصدق بكذا درهمًا، ثم يجعل مثبتًا في صحيفتي الآن لأنه أمر يسعى وله فيه ما يسعى فيه، فقال: ليس له إلا ما قد سعى وحصل وفرغ منه، وأما تسويلات الشيطان وعداته فلا اعتماد عليها.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾

أي يعرض عليه ويكشف له من أريته الشيء، وفيه بشارة للمؤمنين على ما ذكرنا، وذلك

أن الله يريه أعماله الصالحة ليفرح بها، أو يكون يرى ملائكته وسائر خلقه ليفتخر العامل به على ما هو المشهور وهو مذكور لفرح المسلم ولحزن الكافر، فإن سعيه يرى للخلق، ويرى لنفسه ويحتمل أن يقال: هو من رأى يرى فيكون كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٥].

**وفيها وفي الآية التي بعدها مسائل:**

**الأولى:** العمل كيف يرى بعد وجوده ومضيه؟ نقول فيه وجهان: أحدهما: يراه على صورة جميلة إن كان العمل صالحًا. ثانيهما: هو على مذهبنا غير بعيد فإن كل موجود يرى، والله قادر على إعادة كل معدوم فبعد الفعل يرى [1] وفيه وجه ثالث: وهو أن ذلك مجاز عن الثواب يقال: سترى إحسانك عند الملك أي جزاءه عليه وهو بعيد لما قال بعده: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾.

المسألة الثانية: الهاء ضمير السعي أي ثم يجزى الإنسان سعيه بالجزاء، والجزاء يتعدى إلى مفعولين قال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢] ويقال: جزاك الله خيرًا، ويتعدى إلى ثلاثة مفاعيل بحرف يقال: جزاه الله على عمله الخير الجنة، ويحذف الجار ويوصل الفعل فيقال: جزاه الله عمله الخير الجنة، هذا وجه، وفيه وجه آخر وهو أن الضمير للجزاء، وتقديره ثم يجزى جزاء ويكون قوله: ﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ تفسيرًا أو بدلاً مثل قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء: ٣] فإن التقدير والذين ظلموا أسروا النجوى، الذين ظلموا، والجزاء الأوفى على ما ذكرنا يليق بالمؤمنين الصالحين لأنه جزاء الصالح، وإن قال تعالى: ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٣] وعلى ما قيل: يجاب أن الأوفى بالنظر إليه فإن جهنم ضررها أكثر بكثير مع نفع الآثام فهي في نفسها أوفى.

المسألة الثالثة: ﴿ثُمَّ﴾ لتراخي الجزاء أو لتراخي الكلام أي ثم نقول يجزاه فإن كان لتراخي الجزاء فكيف يؤخر الجزاء عن الصالح، وقد ثبت أن الظاهر أن المراد منه الصالح؟ نقول: الوجهان محتملان وجواب السؤال هو أن الوصف بالأوفى يدفع ما ذكرت لأن الله تعالى من أول زمان يموت الصالح يجزيه جزاء على خيره ويؤخر له الجزاء الأوفى، وهي الجنة أو نقول الأوفى إشارة إلى الزيادة فصار كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦] وهي الجنة: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ وهي الرؤية فكأنه تعالى قال وأن سعيه سوف يرى ثم يرزق الرؤية، وهذا الوجه يليق بتفسير اللفظ فإن الأوفى مطلق غير مبين فلم يقل: أوفى من كذا، فينبغي أن يكون أوفى من كل واف ولا يتصف به غير رؤية الله تعالى.

---

(١) ثبت علميًا أن أعمال الإنسان وغيره مثبتة كما هي علي لوحات الأثير كالصورة الفوتوغرافية تماما وكذلك الأصوات فإنها تسجل في الموجات الأثيرية غير أنها تبتعد عنا بتقدم الزمان وقد استطاع العلماء سماع تلك الأصوات بمكبرات صوتية والراديو والتليفزيون أمثلة مصغرة لذلك وهذا من أدلة القدرة الباهرة ومن الأدلة على البعث والحساب فمحال أن يكون حفظها عبثا.

**المسألة الرابعة**: في بيان لطائف في الآيات. الأولى: قال في حق المسيء: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وهو لا يدل إلا على عدم الحمل عن الوازرة وهذا لا يلزم منه بقاء الوزر عليها من ضرورة اللفظ، لجواز أن يسقط عنها ويمحو الله ذلك الوزر فلا يبقى عليها ولا يتحمل عنها غيرها ولو قال: لا تزر وازرة إلا وزر نفسها كان من ضرورة الاستثناء أنها تزر، وقال في حق المحسن: ليس للإنسان إلا ما سعى، ولم يقل: ليس له ما لم يسع لأن العبارة الثانية ليس فيها أن له ما سعى، وفي العبارة الأولى أن له ما سعى، نظرًا إلى الاستثناء، وقال: في حق المسيء بعبارة لا تقطع رجاءه، وفي حق المحسن بعبارة تقطع خوفه، كل ذلك إشارة إلى سبق الرحمة الغضب.

## قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾

القراءة المشهورة فتح الهمزة على العطف على ما، يعني أن هذا أيضًا في الصحف وهو الحق، وقرئ بالكسر على الاستئناف.

**وفيه مسائل:**

**الأولى**: ما المراد من الآية؟ قلنا فيه وجهان: أحدهما: وهو المشهور بيان المعاد أي للناس بين يدي الله وقوف، وعلى هذا فهو يتصل بما تقدم لأنه تعالى لما قال: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ﴾ [النجم: ٤١] كأن قائلاً قال لا ترى الجزاء، ومتى يكون، فقال: إن المرجع إلى الله، وعند ذلك يجازي الشكور ويجزي الكفور. وثانيهما: المراد التوحيد، وقد فسر الحكماء أكثر الآيات التي فيها الانتهاء والرجوع بما سنذكره غير أن في بعضها تفسيرهم غير ظاهر، وفي هذا الموضع ظاهر، فنقول: هو بيان وجود الله تعالى ووحدانيته، وذلك لأنك إذا نظرت إلى الموجودات الممكنة لا تجد لها بدًا من موجد، ثم إن موجدها ربما يظن أنه ممكن آخر كالحرارة التي تكون على وجه يظن أنها من إشراق الشمس أو من النار فيقال الشمس والنار ممكنتان فمم وجودهما؟ فإن استندتا إلى ممكن آخر لم يجد العقل بدًا من الانتهاء إلى غير ممكن فهو واجب الوجود فإليه ينتهي الأمر فالرب هو المنتهى، وهذا في هذا الموضع ظاهر معقول موافق للمنقول، فإن المروي عن أبي بن كعب أنه قال عن النبي ﷺ أنه قال: «وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى، لاَ فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ»[(١)] أي انتهى الأمر إلى واجب الوجود، وهو الذي لا يكون وجوده بموجد ومنه كل وجود، وقال أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا ذُكِرَ الرَّبُّ فَانْتَهُوا»[(٢)] وهو محتمل لما ذكرنا، وأما بعض الناس فيبالغ ويفسر كل آية فيها الرجعى والمنتهى وغيرهما بهذا التفسير حتى قيل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو الشيخ في (العظمة) (١/ ٢١٧/ ٦) من طريق موسى بن حزام عن عبد العزيز بن خالد عن سفيان... فذكره ورواه البغوي في (معالم التنزيل) (٧/ ٤١٧) من طريق أبي جعفر الرازي عن أبي بن كعب... به، وعزاه السيوطي في (الدر المنثور) (٧/ ٦٦٢) والمتقي في (كنز العمال) (٣/ ٣٦٩) الدارقطني في (الإفراد).
(٢) ذكره أهل التفسير بدون إسناد.

[فاطر: ١٠] بهذا المعنى وهذا دليل الوجود، وأما دليل الوحدانية فمن حيث إن العقل انتهى إلى واجب الوجود من حيث إنه واجب الوجود، لأنه لو لم يكن واجب الوجود لما كان منتهى بل يكون له موجد، فالمنتهى هو الواجب من حيث إنه واجب، وهذا المعنى واحد في الحقيقة والعقل، لأنه لا بد من الانتهاء إلى هذا الواجب أو إلى ذلك الواجب فلا يثبت الواجب معنى غير أنه واجب فيبعد إذًا وجوبه، فلو كان واجبان في الوجود لكان كل واحد قبل المنتهى لأن المجموع قبله الواجب فهو المنتهى وهذان دليلان ذكرتهما على وجه الاختصار.

**المسألة الثانية**: قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ في المخاطب وجهان: أحدهما: أنه عام تقديره إلى ربك أيها السامع أو العاقل ثانيهما: الخطاب مع النبي ﷺ وفيه بيان صحة دينه فإن كل أحد كان يدعى ربًا وإلهًا، لكنه ﷺ لما قال: «رَبِّيَ الَّذِي هُوَ أَحَدٌ وَصَمَدٌ»(١) يحتاج إليه كل ممكن فإذًا ربك هو المنتهى، وهو رب الأرباب ومسبب الأسباب، وعلى هذا القول الكاف أحسن موقعًا، أما على قولنا: إن الخطاب عام فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن، لأن قوله: أيها السامع كائنًا من كان إلى ربك المنتهى يفيد الأمرين إفادة بالغة حد الكمال، وأما على قولنا: الخطاب مع النبي ﷺ فهو تسلية لقلبه كأنه يقول: لا تحزن فإن المنتهى إلى الله فيكون كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦] إلى أن قال تعالى في آخر السورة: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣] وأمثاله كثيرة في القرآن.

**المسألة الثالثة**: اللام على الوجه الأول للعهد لأن النبي ﷺ كان يقول: أبدًا إن مرجعكم إلى الله فقال: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ الموعود المذكور في القرآن وكلام النبي ﷺ، وعلى الوجه الثاني للعموم أي إلى الرب كل منتهى وهو مبدأ، وعلى هذا الوجه نقول: منتهى الإدراكات المدركات، فإن الإنسان أولاً يدرك الأشياء الظاهرة ثم يمعن النظر فينتهي إلى الله فيقف عنده.

## ثم قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾

**وفيه مسائل:**

**الأولى**: على قولنا: إليه المنتهى المراد منه إثبات الوحدانية، هذه الآيات مثبتات لمسائل يتوقف عليها الإسلام من جملتها قدرة الله تعالى، فإن من الفلاسفة من يعترف بأن الله المنتهى وأنه واحد لكن يقول: هو موجب لا قادر، فقال تعالى: هو أوجد ضدين الضحك والبكاء في محل واحد والموت والحياة والذكورة والأنوثة في مادة واحدة، وإن ذلك لا يكون إلا من قادر واعترف به كل عاقل، وعلى قولنا: إن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] بيان المعاد

---

(١) لم أجده.

فهو إشارة إلى بيان أمره فهو كما يكون في بعضها ضاحكًا فرحًا وفي بعضها باكيًا محزونًا كذلك يفعل به في الآخرة.

المسألة الثانية: ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ لا مفعول لهما في هذا الموضع لأنهما مسوقتان لقدرة الله لا لبيان المقدور، فلا حاجة إلى المفعول. يقول القائل: فلأن بيده الأخذ والعطاء يعطي ويمنع ولا يريد ممنوعًا ومعطى.

المسألة الثالثة: اختار هذين الوصفين للذكر والأنثى لأنهما أمران لا يعللان فلا يقدر أحد من الطبيعيين أن يبدي في اختصاص الإنسان بالضحك والبكاء وجهًا وسببًا، وإذا لم يعلل بأمر ولا بد له من موجد فهو الله تعالى، بخلاف الصحة والسقم فإنهم يقولون: سببهما اختلال المزاج وخروجه عن الاعتدال، ويدلك على هذا أنهم إذا ذكروا في الضحك أمرًا له الضحك قالوا: قوة التعجب وهو في غاية البطلان لأن الإنسان ربما يبهت عند رؤية الأمور العجيبة ولا يضحك، وقيل: قوة الفرح، وليس كذلك لأن الإنسان يفرح كثيرًا ولا يضحك، والحزين الذي عند غاية الحزن يضحكه المضحك، وكذلك الأمر في البكاء، وإن قيل لأكثرهم علمًا بالأمور التي يدعيها الطبيعيون إن خروج الدمع من العين عند أمور مخصوصة لماذا؟ لا يقدر على تعليل صحيح، وعند الخواص كالتي في المغناطيس وغيرها ينقطع الطبيعي، كما أن عند أوضاع الكواكب ينقطع هو والمهندس الذي لا يفوض أمره إلى قدرة الله تعالى وإرادته.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝﴾

والبحث فيه كما في الضحك والبكاء، غير أن الله تعالى في الأول بين خاصة النوع الذي هو أخص من الجنس، فإنه أظهر وعن التعليل أبعد ثم عطف عليه ما هو أعم منه ودونه في البعد عن التعليل وهي الإماتة والإحياء وهما صفتان متضادتان أي الموت والحياة كالضحك والبكاء والموت على هذا ليس بمجرد العدم وإلا لكان الممتنع ميتًا، وكيفما كان فالإماتة والإحياء أمر وجودي وهما من خواص الحيوان، ويقول الطبيعي في الحياة لاعتدال المزاج، والمزاج من أركان متضادة هي النار والهواء والماء والتراب وهي متداعية إلى الانفكاك ومالا تركيب فيه من المتضادات لا موت له، لأن المتضادات كل أحد يطلب مفارقة مجاوره، فقال تعالى: الذي خلق ومزج العناصر وحفظها مدة قادر على أن يحفظها أكثر من ذلك فإذا مات فليس عن ضرورة فهو بفعل فاعل مختار وهو الله تعالى: فهو الذي أمات وأحيا. فإن قيل: متى أمات وأحيا حتى يعلم ذلك بل مشاهدة الإحياء والإماتة بناء على الحياة والموت؟ نقول: فيه وجوه أحدها: أنه على التقديم والتأخير كأنه قال: أحيا وأمات ثانيها: هو بمعنى المستقبل، فإن الأمر قريب يقال: فلان وصل والليل دخل إذا قرب مكانه وزمانه، فكذلك الإحياء والإماتة ثالثها: أمات أي خلق الموت والجمود في العناصر، ثم ركبها وأحيا أي خلق الحس والحركة فيها.

**ثم قال تعالى:** ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ وهو أيضًا من جملة المتضادات التي تتوارد على النطفة فبعضها يخلق ذكرًا، وبعضها أنثى ولا يصل إليه فهم الطبيعي الذي يقول: إنه من البرد والرطوبة في الأنثى، فرب امرأة أيبس مزاجًا من الرجل، وكيف وإذا نظرت في المميزات بين الصغير والكبير تجدها أمورًا عجيبة منها نبات اللحية، وأقوى ما قالوا في نبات اللحية أنهم قالوا: الشعور مكونة من بخار دخاني ينحدر إلى المسام، فإذا كانت المسام في غاية الرطوبة والتحلل كما في مزاج الصبي والمرأة، لا ينبت الشعر لخروج تلك الأدخنة من المسام الرطبة بسهولة قبل أن يتكون شعرًا، وإذا كانت في غاية اليبوسة والتكاثف ينبت الشعر لعسر خروجه من المخرج الضيق، ثم إن تلك المواد تنجذب إلى مواضع مخصوصة فتندفع، إما إلى الرأس فتندفع إليه لأنه مخلوق كقبة فوق الأبخرة والأدخنة فتتصاعد إليه تلك المواد، فلهذا يكون شعر الرأس أكثر وأطول، ولهذا في الرجل مواضع تنجذب إليها الأبخرة والأدخنة، منها الصدر لحرارة القلب والحرارة تجذب الرطوبة كالسراج للزيت، ومنها بقرب آلة التناسل لأن حرارة الشهوة تجذب أيضًا، ومنها اللحيان فإنها كثيرة الحركة بسبب الأكل، والكلام والحركة أيضًا جاذبة، فإذا قيل لهم: فما السبب الموجب لتلازم نبات شعر اللحية وآلة التناسل فإنها إذا قطعت لم تنبت اللحية؟ وما الفرق بين سن الصبا وسن الشباب وبين المرأة والرجل؟ ففي بعضها يبهت وفي بعضها يتكلم بأمور واهية، ولو فوضها إلى حكمة إلهية لكان أولى **وفيه مسألتان:**

**الأولى:** قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ﴾ ولم يقل: وأنه هو خلق كما قال: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم: ٤٣] وذلك لأن الضحك والبكاء ربما يتوهم متوهم أنه بفعل الإنسان، وفي الإماتة والإحياء وإن كان ذلك التوهم بعيدًا، لكن ربما يقول به جاهل، كما قال من حاج إبراهيم الخليل عليه السلام حيث قال: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فأكد ذلك بذكر الفصل، وأما خلق الذكر والأنثى من النطفة فلا يتوهم أحد أن يفعل أحد من الناس فلم يؤكد بالفصل ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨] حيث كان الإغناء عندهم غير مستند إلى الله تعالى وكان في معتقدهم أن ذلك بفعلهم كما قال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨] ولذلك قال: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٩] لأنهم كانوا يستبعدون أن يكون رب محمد هو رب الشعرى فأكد في مواضع استبعادهم النسبة إلى الله تعالى الإسناد ولم يؤكده في غيره.

المسألة الثانية: الذكر والأنثى اسمان هما صفة أو اسمان ليسا بصفة؟ المشهور عند أهل اللغة الثاني والظاهر أنهما من الأسماء التي هي صفات، فالذكر كالحسن والعزب والأنثى كالحبلى والكبرى وإنما قلنا: إنها كالحبلى في رأي لأنها حيالها أنشئت لا كالكبرى، وإن قلنا: إنها كالكبرى في رأي، وإنما قلنا: إن الظاهر أنهما صفتان، لأن الصفة ما يطلق على شيء ثبت له أمر كالعالم يطلق على شيء له علم والمتحرك يقال لشيء له حركة بخلاف الشجر والحجر، فإن الشجر لا يقال لشيء بشرط أن يثبت له أمر بل هو اسم موضوع لشيء معين، والذكر اسم

يقال لشيء له أمر، ولهذا يوصف به، ولا يوصف بالشجر، يقال جاءني شخص ذكر، أو إنسان ذكر، ولا يقال جسم شجر، والذي ذهب إلى أنه اسم غير صفة إنما ذهب إليه، لأنه لم يرد له فعل، والصفة في الغالب له فعل كالعالم والجاهل والعزب والكبرى والحبلى، وذلك لا يدل على ما ذهب إليه، لأن الذكورة والأنوثة من الصفات التي لا يتبدل بعضها ببعض، فلا يصاغ لها أفعال لأن الفعل لما يتوقع له تجدد في صورة الغالب، ولهذا لم يوجد للإضافيات أفعال كالأبوة والبنوة والأخوة إذ لم تكن من الذي يتبدل، ووجد للإضافيات المتبدلة أفعال يقال: واخاه وتبناه لما لم يكن مثبتًا بتكلف فقبل التبدل.

قوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾

**وقوله تعالى:** ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي قطعة من الماء.

**وقوله تعالى:** ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ من أمنى المني إذا نزل أو منى يمني إذا قدر وقوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ تنبيه على كمال القدرة لأن النطفة جسم متناسب الأجزاء، ويخلق الله تعالى منه أعضاء مختلفة وطباعًا متباينة وخلق الذكر والأنثى منها أعجب ما يكون على ما بينا، ولهذا لم يقدر أحد على أن يدعيه كما لم يقدر أحد على أن يدعي خلق السموات، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] كما قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨].

**ثم قال تعالى:** ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ وهي في قول أكثر المفسرين إشارة إلى الحشر، والذي ظهر لي بعد طول التفكر والسؤال من فضل الله تعالى الهداية فيه إلى الحق، أنه يحتمل أن يكون المراد نفخ الروح الإنسانية فيه، وذلك لأن النفس الشريفة لا الأمارة تخالط الأجسام الكثيفة المظلمة، وبها كرم الله بني آدم، وإليه الإشارة في قوله: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] غير خلق النطفة علقة، والعلقة مضغة، والمضغة عظامًا، وبهذا الخلق الآخر تميز الإنسان عن أنواع الحيوانات، وشارك الملك في الإدراكات فكما قال هنالك: ﴿أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ بعد خلق النطفة قال هاهنا: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ فجعل نفخ الروح نشأة أخرى كما جعله هنالك إنشاء آخر، والذي أوجب القول بهذا هو أن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] عند الأكثرين لبيان الإعادة، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٤١] كذلك فيكون ذكر النشأة الأخرى إعادة، ولأنه تعالى قال بعد هذا: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨] وهذا من أحوال الدنيا، وعلى ما ذكرنا يكون الترتيب في غاية الحسن فإنه تعالى يقول: خلق الذكر والأنثى ونفخ فيهما الروح الإنسانية الشريفة ثم أغناه بلبن الأم وبنفقة الأب في صغره، ثم أقناه بالكسب بعد كبره، فإن قيل: فقد وردت النشأة الأخرى للحشر في قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠] نقول الآخرة من الآخر لا من

الآخر لأن الآخر أفعل، وقد تقدم على أن هناك لما ذكر البدء حمل على الإعادة وههنا ذكر خلقه من نطفة، كما في قوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ ثم قال: ﴿أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

**وفي الآية مسائل:**

**المسألة الأولى**: ﴿عَلَىٰ﴾ للوجوب، ولا يجب على الله الإعادة، فما معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ﴾ قال الزمخشري على ما هو مذهبه عليه عقلاً، فإن من الحكمة الجزاء، وذلك لا يتم إلا بالحشر، فيجب عليه عقلاً الإعادة، ونحن لا نقول بهذا القول، ونقول فيه وجهان الأول: عليه بحكم الوعد فإنه تعالى قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [يس: ١٢] فعليه بحكم الوعد لا بالعقل ولا بالشرع الثاني: عليه للتعيين فإن من حضر بين جمع وحاولوا أمرًا وعجزوا عنه، يقال: وجب عليك إذن أن تفعله أي تعينت له.

**المسألة الثانية**: قرئ: (النَّشْأَة) على أنه مصدر كالضربة على وزن فعلة وهي للمرة، تقول: ضربته ضربتين، أي مرة بعد مرة، يعني النشأة مرة أخرى عليه، وقرئ (النَّشَاءَة) بالمد على أنه مصدر على وزن فعالة كالكفالة، وكيفما قرىء فهي من نشأ، وهو لازم وكان الواجب أن يقال: عليه الإنشاء لا النشأة، نقول فيه فائدة وهي أن الجزم يحصل من هذا بوجود الخلق مرة أخرى، ولو قال: عليه الإنشاء ربما يقول قائل: الإنشاء من باب الإجلاس، حيث يقال في السعة أجلسته فما جلس، وأقمته فما قام فيقال: أنشأ وما نشأ أي قصده لينشأ ولم يوجد، فإذا قال: عليه النشأة أي يوجد النشء ويحققه بحيث يوجد جزمًا.

**المسألة الثالثة**: هل بين قول القائل: عليه النشأة مرة أخرى، وبين قوله: عليه النشأة الأخرى فرق؟ نقول: نعم إذا قال: عليه النشأة مرة أخرى لا يكون النشء قد علم أولاً، وإذا قال: ﴿عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ يكون قد علم حقيقة النشأة الأخرى، فنقول ذلك المعلوم عليه.

## قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾

**ثم قال تعالى**: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ وقد ذكرنا تفسيره فنقول: ﴿أَغْنَىٰ﴾ يعني دفع حاجته ولم يتركه محتاجًا لأن الفقير في مقابلة الغني، فمن لم يبق فقيرًا بوجه من الوجوه فهو غني مطلقًا، ومن لم يبق فقيرًا من وجه فهو غني من ذلك الوجه، قال ﷺ: «**أَغْنُوهُمْ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فِي هَذَا الْيَوْمِ**»(١)

(١) **ضعيف**: رواه البيهقي في (سننه الكبرى) (٤/ ١٧٥) حديث رقم (٧٥٢٨) من طريق محمد بن إسحاق حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي حدثنا أبو الربيع حدثنا أبو معشر عن نافع عن ابن عمر... به، وابن زنجويه في (الأموال) (٥/ ١٤٨) حديث رقم (١٩٦١). من طريق أبي نعيم أخبرنا أبو معشر عن نافع عن ابن عمر... به، الدارقطني في (سننه) (٢/ ١٥٢/ ٦٧) من طريق وكيع عن أبي معشر عن نافع عن ابن عمر... به، وأورده الزيلعي في (نصب الراية) (٢/ ٤٣٢) وقال: قلت غريب بهذا اللفظ وأخرجه الدارقطني في سننه عن أبي معشر عن نافع عن بن عمر قال فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر وقال أغنوهم في هذا اليوم انتهى ورواه بن عدي في الكامل وأعله بأبي معشر نجيح ولفظه وقال أغنوهم عن الطواف في هذا اليوم وأسند تضعيف أبي معشر عن البخاري والنسائي=

وحمل ذلك على زكاة الفطر، ومعناه إذا أتاه ما احتاج إليه، وقوله تعالى: ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ معناه وزاد عليه الإقناء فوق الإغناء، والذي عندي أن الحروف متناسبة في المعنى، فنقول لما كان مخرج القاف فوق مخرج الغين جعل الإقناء لحالة فوق الإغناء، وعلى هذا فالإغناء هو ما آتاه الله من العين واللسان، وهداه إلى الارتضاع في صباه أو هو ما أعطاه الله تعالى من القوت واللباس المحتاج إليهما وفي الجملة كل ما دفع الله به الحاجة فهو إغناء؛ وكل ما زاد عليه فهو إقناء.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ إشارة إلى فساد قول قوم آخرين، وذلك لأن بعض الناس يذهب إلى أن الفقر والغنى بكسب الإنسان واجتهاده فمن كسب استغنى، ومن كسل افتقر وبعضهم يذهب إلى أن ذلك بالبخت، وذلك بالنجوم، فقال: ﴿هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ وإن قائل الغنى بالنجوم غالط، فنقول هو رب النجوم وهو محركها، كما قال تعالى: ﴿هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ وقوله: ﴿هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ لإنكارهم ذلك أكد بالفصل، والشعرى نجم مضيء، وفي النجوم شعريان إحداهما شامية والأخرى يمانية، والظاهر أن المراد اليمانية لأنهم كانوا يعبدونها.

## قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ لما ذكر أنه: ﴿أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨] وكان ذلك بفضل الله لا بعطاء الشعرى وجب الشكر لمن قد أهلك وكفى لهم دليلاً حال عاد وثمود وغيرهم: و﴿عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ قيل: بالأولى تميزت من قوم كانوا بمكة هم عاد الآخرة، وقيل: الأولى لبيان تقدمهم لا لتمييزهم، تقول: زيد العالم جاءني فتصفه لا لتميزه ولكن لتبين علمه، وفيه قراءات (عَادًا الأُولَى) بكسر نون التنوين لالتقاء الساكنين، و(عاد الأُولَى) بإسقاط نون التنوين أيضًا لالتقاء الساكنين كقراءة (عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ) [التوبة: ٣٠] (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ) [الإخلاص: ١-٢] و(عادًا لولى) بإدغام النون في اللام ونقل ضمة الهمزة إلى اللام و(عادًا لؤلى) بهمزة الواو وقرأ هذا القارئ (على سؤقه) ودليله ضعيف وهو يحتمل هذا في موضع (المؤقدة)

---

=وابن معين ومشاه هو وقال مع ضعفه يكتب حديثه انتهى وتقدم هذا الحديث ثم الحاكم في علوم الحديث بزيادة فيه ولم يعله الشيخ في الإمام إلا بأبي معشر قال قال البخاري منكر الحديث انتهى أعني حديث الدارقطني.

حديث آخر رواه بن سعد في الطبقات أخبرنا محمد بن عمر الواقدي ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قال وأخبرنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن بن عمر قال وأخبرنا عبد العزيز بن محمد عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قالوا فرض صوم رمضان بعد ما حولت القبلة إلى الكعبة بشهر في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من مهاجر رسول الله ﷺ وأمر عليه السلام في هذه السنة بزكاة الفطر وذلك قبل أن يفرض الزكاة في الأموال وأن يخرج عن الصغير والكبير والذكر والأنثى والحر والعبد صاع من تمر أو صاع من زبيب أو مدان من بر وأمر بإخراجها قبل الغد وإلى الصلاة وقال أغنوهم يعني المساكين عن الطواف هذا اليوم انتهى.

وأورده الألباني في (الارواء) (٣/ ٣٣٢) حديث رقم (٨٤٤) وضعفه.

و(المؤصدة) للضمة والواو فهي في هذا الموضع تجزي على الهمزة، وكذا في سؤقه لوجود الهمزة في الأصل، وفي موسى وقوله لا يحسن.

**ثم قال تعالى:** ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ يعني وأهلك ثمود وقوله: ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ عائد إلى عاد وثمود أي فما أبقى عليهم، ومن المفسرين من قال: فما أبقاهم أي فما أبقى منهم أحدًا ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨] وتمسك الحجاج على من قال: إن ثقيفًا من ثمود بقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أي أهلكهم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ والمسألة مشهورة في قبل وبعد تقطع عن الإضافة فتصير كالغاية فتبنى على الضمة. أما البناء فلتضمنه الإضافة، وأما على الضمة فلأنها لو بنيت على الفتحة لكان قد أثبت فيه ما يستحقه بالإعراب من حيث إنها ظروف زمان فتستحق النصب والفتح مثله، ولو بنيت على الكسر لكان الأمر على ما يقتضيه الإعراب وهو الجر بالجار فبنى على ما يخالف حالتي إعرابها.

**وقوله تعالى:** ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ أما الظلم فلأنهم هم البادئون به المتقدمون فيه «وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا» والبادئ أظلم، وأما أطغى فلأنهم سمعوا المواعظ وطال عليهم الأمد ولم يرتدعوا حتى دعا عليهم نبيهم، ولا يدعو نبي على قومه إلا بعد الإصرار العظيم، والظالم واضع الشيء في غير موضعه، والطاغي المجاوز الحد فالطاغي أدخل في الظلم فهو كالمغاير والمخالف فإن المخالف مغاير مع وصف آخر زائد، وكذا المغاير والمضاد وكل ضد غير وليس كل غير ضدًا، وعليه سؤال وهو أن قوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ المقصود منه تخويف الظالم بالهلاك، فإذا قال: هم كانوا في غاية الظلم والطغيان فأهلكوا يقول الظالم هم كانوا أظلم فأهلكوا لمبالغتهم في الظلم، ونحن ما بالغنا فلا نهلك، وأما لو قال أهلكوا لأنهم ظلمة لخاف كل ظالم فما الفائدة في قوله: ﴿أَظْلَمَ﴾؟ نقول: المقصود بيان شدتهم وقوة أجسامهم فإنهم لم يقدموا على الظلم والطغيان الشديد إلا بتماديهم وطول أعمارهم، ومع ذلك ما نجا أحد منهم فما حال من هو دونهم من العمر والقوة فهو كقوله تعالى: ﴿أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ [الزخرف: ٨].

## قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾

**المؤتفكة المنقلبة، وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى:** قرئ: (والمؤتفكات) والمشهور فيه أنها قرىء قوم لوط لكن كانت لهم مواضع ائتفكت فهي مؤتفكات، ويحتمل أن يقال المراد كل من انقلبت مساكنه ودثرت أماكنه ولهذا ختم المهلكين بالمؤتفكات كمن يقول: مات فلان وفلان وكل من كان من أمثالهم وأشكالهم.

**المسألة الثانية:** ﴿أَهْوَىٰ﴾ أي أهواها بمعنى أسقطها، فقيل: أهواها من الهوى إلى الأرض

من حيث حملها جبريل عليه السلام على جناحه، ثم قلبها، وقيل: كانت عمارتهم مرتفعة فأهواها بالزلزلة وجعل عاليها سافلها.

**المسألة الثالثة:** قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ على ما قلت: كقول القائل والمنقلبة قلبها وقلب المنقلب تحصيل الحاصل، نقول: ليس معناه المنقلبة ما انقلبت بنفسها بل الله قلبها فانقلبت.

**المسألة الرابعة:** ما الحكمة في اختصاص المؤتفكة باسم الموضع في الذكر، وقال في عاد وثمود، وقوم نوح اسم القوم؟ نقول: الجواب عنه من وجهين أحدهما: أن ثمود اسم الموضع فذكر عادًا باسم القوم، وثمود باسم الموضع، وقوم نوح باسم القوم والمؤتفكة باسم الموضع ليعلم أن القوم لا يمكنهم صون أماكنهم عن عذاب الله تعالى ولا الموضع يحصن القوم عنه فإن في العادة تارة يقوي الساكن فيذب عن مسكنه وأخرى يقوي المسكن فيرد عن ساكنه وعذاب الله لا يمنعه مانع، وهذا المعنى حصل للمؤمنين في آيتين أحدهما قوله تعالى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ [الفتح: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢] ففي الأول لم يقدر الساكن على حفظ مسكنه وفي الثاني لم يقو الحصن على حفظ الساكن والوجه الثاني: هو أن عادًا وثمود وقوم نوح، كان أمرهم متقدمًا، وأماكنهم كانت قد دثرت، ولكن أمرهم كان مشهورًا متواترًا، وقوم لوط كانت مساكنهم وآثار الانقلاب فيها ظاهرة، فذكر الأظهر من الأمرين في كل قوم.

**ثم قال تعالى:** ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ يحتمل أن يكون ما مفعولاً وهو الظاهر، ويحتمل أن يكون فاعلاً يقال: ضربه من ضربه، وعلى هذا نقول: يحتمل أن يكون الذي غَشَّى هو الله تعالى فيكون كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥] ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى سبب غضب الله عليهم أي غشاها عليهم السبب، بمعنى أن الله غضب عليهم بسببه، يقال لمن أغضب ملكًا بكلام فضربه الملك كلامك الذي ضربك.

## قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾

**ثم قال تعالى:** ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ قيل هذا أيضًا مما في الصحف، وقيل هو ابتداء كلام والخطاب عام، كأنه يقول: بأي النعم أيها السامع تشك أو تجادل، وقيل: هو خطاب مع الكافر، ويحتمل أن يقال مع النبي ﷺ، ولا يقال: كيف يجوز أن يقول للنبي ﷺ: ﴿تَتَمَارَىٰ﴾ لأنا نقول هو من باب: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] يعني لم يبق فيه إمكان الشك، حتى أن فارضًا لو فرض النبي ﷺ ممن يشك أو يجادل في بعض الأمور الخفية لما كان يمكنه المراء في نعم الله والعموم هو الصحيح كأنه يقول: بأي آلاء ربك تتمارى أيها الإنسان، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] فإن قيل:

المذكور من قبل نعم والآلاء نعم، فكيف آلاء ربك؟ نقول: لما عد من قبل النعم وهو الخلق من النطفة ونفخ الروح الشريفة فيه والإغناء والإقناء، وذكر أن الكافر بنعمه أهلك قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ فيصيبك مثل ما أصاب الذين تماروا من قبل، أو تقول: لما ذكر الإهلاك، قال للشاك: أنت ما أصابك الذي أصابهم وذلك بحفظ الله إياك: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ وسنزيده بيانًا في قوله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] في مواضع.

**ثم قال تعالى:** ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ : **وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى:** المشار إليه بهذا ماذا؟ نقول فيه وجوه أحدها: محمد ﷺ من جنس النذر الأولى ثانيها: القرآن ثالثها: ما ذكره من أخبار المهلكين، ومعناه حينئذ هذا بعض الأمور التي هي منذرة، وعلى قولنا: المراد محمد ﷺ فالنذير هو المنذر و﴿مِّنَ﴾ لبيان الجنس، وعلى قولنا: المراد هو القرآن يحتمل أن يكون النذير بمعنى المصدر، ويحتمل أن يكون بمعنى الفاعل، وكون الإشارة إلى القرآن بعيد لفظًا ومعنى، أما معنى: فلأن القرآن ليس من جنس الصحف الأولى لأنه معجز وتلك لم تكن معجزة، وذلك لأنه تعالى لما بين الوحدانية وقال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ [النجم: ٥٥] قال: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ إشارة إلى محمد ﷺ وإثباتًا للرسالة، وقال بعد ذلك: ﴿ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧] إشارة إلى القيامة ليكون في الآيات الثلاث المرتبة إثبات أصول ثلاث مرتبة، فإن الأصل الأول هو الله ووحدانيته ثم الرسول ورسالته ثم الحشر والقيامة، وأما لفظًا فلأن النذير إن كان كاملاً، فما ذكره من حكاية المهلكين أولى لأنه أقرب ويكون على هذا من بقي على حقيقة التبعيض أي هذا الذي ذكرنا بعض ما جرى ونبذ مما وقع، أو يكون لابتداء الغاية، بمعنى هذا إنذار من المنذرين المتقدمين، يقال: هذا الكتاب، وهذا الكلام من فلان وعلى الأقوال كلها ليس ذكر الأولى لبيان الموصوف بالوصف وتمييزه عن النذر الآخرة كما يقال: الفرقة الأولى احترازًا عن الفرقة الأخيرة، وإنما هو لبيان الوصف للموصوف، كما يقال: زيد العالم جاءني فيذكر العالم، إما لبيان أن زيدًا عالم غير أنك لا تذكره بلفظ الخبر فتأتي به على طريقة الوصف، وإما لمدح زيد به، وإما لأمر آخر، والأولى على العود إلى لفظ الجمع وهو النذر ولو كان لمعنى الجمع لقال: من النذر الأولين يقال من الأقوام المتقدمة والمتقدمين على اللفظ والمعنى.

## قوله تعالى: ﴿ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾

**ثم قال تعالى:** ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾ وهو كقوله تعالى: ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١] ويقال: كانت الكائنة. وهذا الاستعمال يقع على وجوه منها ما إذا كان الفاعل صار فاعلاً لمثل ذلك الفعل من قبل، ثم صدر منه مرة أخرى مثل الفعل، فيقال: فعل الفاعل أي الذي كان فاعلاً صار فاعلاً مرة أخرى، يقال: حاكه الحائك أي من شغله ذلك من قبل فعله، ومنها ما يصير الفاعل فاعلاً بذلك الفعل، ومنه يقال: (إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ) وإذا غصب العين غاصب ضمنه، فقوله: ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾

يحتمل أن يكون من القبيل الأول أي قربت الساعة التي كل يوم يزداد قربها فهي كائنة قريبة وازدادت في القرب، ويحتمل أن يكون كقوله تعالى: ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي قرب وقوعها وأزفت فاعلها في الحقيقة القيامة أو الساعة، فكأنه قال: أزفت القيامة الآزفة أو الساعة أو مثلها.

**وقوله تعالى:** ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ **فيه وجوه:**

**أحدها:** لا مظهر لها إلا الله فمن يعلمها لا يعلم إلا بإعلام الله تعالى إياه وإظهاره إياها له، فهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] وقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. ثانيها: لا يأتي بها إلا الله، كقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]. **وفيه مسائل:**

**الأولى:** ﴿مِن﴾ زائدة تقديره ليس لها غير الله كاشفة، وهي تدخل على النفي فتؤكد معناه، تقول: ما جاءني أحد وما جاءني من أحد، وعلى هذا يحتمل أن يكون فيه تقديم وتأخير، تقديره ليس لها من كاشفة دون الله، فيكون نفيًا عامًا بالنسبة إلى الكواشف، ويحتمل أن يقال: ليست بزائدة بل معنى الكلام أنه ليس في الوجود نفس تكتشفها أي تخبر عنها كما هي ومتى وقتها من غير الله تعالى يعني من يكشفها فإنما يكشفها من الله لا من غير الله يقال: كشف الأمر من زيد، ودون يكون بمعنى غير كما في قوله تعالى: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: ٨٦] أي غير الله.

المسألة الثانية: كاشفة صفة لمؤنث أي نفس كاشفة، وقيل هي للمبالغة كما في العلامة وعلى هذا لا يقال بأنه نفى أن يكون لها كاشفة بصيغة المبالغة ولا يلزم من الكاشف الفائق نفي نفس الكاشف، لأنا نقول: لو كشفها أحد لكان كاشفًا بالوجه الكامل، فلا كاشف لها ولا يكشفها أحد وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩] من حيث نفى كونه ظالمًا مبالغًا، ولا يلزم منه نفي كونه ظالمًا، وقلنا هناك: إنه لو ظلم عبيده الضعفاء بغير حق لكان في غاية الظلم وليس في غاية الظلم فلا يظلمهم أصلاً.

المسألة الثالثة: إذا قلت: إن معناه ليس لها نفس كاشفة، فقوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ استثناء على الأشهر من الأقوال، فيكون الله تعالى نفسًا لها كاشفة؟ نقول: الجواب عنه من وجوه الأول: لا فساد في ذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] حكاية عن عيسى عليه السلام والمعنى الحقيقة. الثاني: ليس هو صريح الاستثناء فيجوز فيه أن لا يكون نفسًا الثالث: الاستثناء الكاشف المبالغ.

قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۝٦٢﴾

ثم قال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ قيل: من القرآن، ويحتمل أن يقال: هذا إشارة إلى

حديث: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧] فإنهم كانوا يتعجبون من حشر الأجساد وجمع العظام بعد الفساد.

**وقوله تعالى:** ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ يحتمل أن يكون المعنى وتضحكون من هذا الحديث، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ [الزخرف: ٤٧] في حق موسى عليه السلام، وكانوا هم أيضًا يضحكون من حديث النبي والقرآن، ويحتمل أن يكون إنكارًا على مطلق الضحك مع سماع حديث القيامة، أي أتضحكون وقد سمعتم أن القيامة قربت، فكان حقًا أن لا تضحكوا حينئذ.

**وقوله تعالى:** ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ أي كان حقًا لكم أن تبكوا منه فتتركون ذلك وتأتون بضده.

**وقوله تعالى:** ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ أي غافلون، وذكر باسم الفاعل، لأن الغفلة دائمة، وأما الضحك والعجب فهما أمران يتجددان ويعدمان.

**وقوله تعالى:** ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ يحتمل أن يكون الأمر عامًا، ويحتمل أن يكون التفاتًا، فيكون كأنه قال: أيها المؤمنون اسجدوا شكرًا على الهداية واشتغلوا بالعبادة، ولم يقل: اعبدوا الله إما لكونه معلومًا، وإما لأن العبادة في الحقيقة لا تكون إلا لله، فقال: ﴿وَٱعْبُدُوا۟﴾ أي ائتوا بالمأمور، ولا تعبدوا غير الله، لأنها ليست بعبادة، وهذا يناسب السجدة عند قراءته مناسبة أشد وأتم مما إذا حملناه على العموم.

والحمد لله رب العالمين، وصلاته على سيدنا محمد سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

# سورة «والنَّجْم»

## مكِّيّة، وهي إحدى وستون آية

مكِّيَّة كلُّها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية منها وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾[1] الآية [٣٢]. وقيل: اثنتان وستون آية[2]. وقيل: إنَّ السورة كلَّها مدنيَّةٌ. والصحيح أنَّها مكيَّة؛ لما روى ابن مسعود ﷺ أنَّه قال: هي أوَّل سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكَّة[3]. وفي «البخاري»[4] عن ابن عباس: أنَّ النبيَّ ﷺ سجد بالنَّجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجنُّ والإنس. وعن عبد الله أنَّ النبيَّ ﷺ قرأ سورةَ النجم فسجد لها، فما بقي أحدٌ من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفًّا من حصباء أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال: يكفيني هذا. قال عبد الله: فلقد رأيته بَعْدُ قُتِل كافراً. متفق عليه[5]. الرجل يقال له: أميَّة بن خَلَف[6]. وفي «الصحيحين» عن زيد بن ثابت ﷺ أنَّه قرأ على النبيِّ ﷺ سورةَ «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوى» فلم يسجد. وقد مضى في آخر «الأعراف»[7] القول في هذا، والحمد لله.

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٣٨٩ .

(٢) الوسيط ٤/ ١٩٢ .

(٣) أخرجه عنه ابن مردويه كما في الدر المنثور ٦/ ١٢١ ، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٦٢ ، وعزاه لمقاتل.

(٤) في صحيحه (١٠٧١).

(٥) البخاري (١٠٧٠)، ومسلم (٥٧٦)، وهو عند أحمد (٣٦٨٢).

(٦) كذا صرَّح به بعض رواة الحديث كما في البخاري (٤٨٦٣)، وقيل هو: الوليد بن المغيرة. وقيل هو: سعيد بن العاص بن أمية. فتح الباري ٨/ ٦١٥ .

(٧) ٩/ ٤٣٦ ، والحديث عند البخاري (١٠٧٢)، ومسلم (٥٧٧)، وأحمد (٢١٥٩١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: معنى «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى»: والثُّرَيَّا إذَا سقطت مع الفجر(١). والعرب تسمي الثُّرَيَّا نجماً(٢) وإن كانت في العدد نجوماً، يقال: إنَّها سبعةُ أنجم، ستَّة منها ظاهرةٌ، وواحدٌ خَفِيٌّ يَمتحِن الناسُ به أبصارَهم(٣).

وفي «الشِّفا»(٤) للقاضي عياض: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يرى في الثُّريا أَحَدَ عشَر نجماً. وعن مجاهد أيضاً أنَّ المعنى: والقرآنِ إذا نزل؛ لأنه كان يَنزِل نجوماً. وقاله الفراء(٥).

وعنه أيضاً: يعني نجومَ السماء كلّها حين تَغرُب(٦). وهو قول الحسن(٧) قال: أَقسم اللهُ بالنجوم إذا غابت. وليس يمتنع أن يعبر عنها بلفظ واحد ومعناه جَمْع، كقول الراعي:

(١) أخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٥ ، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣١٨ (١٨٦٩٣)، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٢٧ ، وأخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٥٠ .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٢٧ .

(٣) زاد المسير ٨/ ٦٢ .

(٤) ١/ ١٦٤ .

(٥) في معاني القرآن له ٣/ ٩٤ ، وأخرجه عن مجاهد الطبريُّ ٢٢/ ٦ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٤٤ .

(٧) النكت والعيون ٥/ ٣٨٩ .

فَبَاتَتْ تَعُدُّ النَّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ ... سَرِيعٍ بِأَيْدِي الآكِلِينَ جُمُودُهَا[١]

وقال عمر بن أبي ربيعة:

أَحْسَنُ النَّجْمِ فِي السَّمَاءِ الثُّرَيَّا ... وَالثُّرَيَّا فِي الأَرْضِ زَيْنُ النِّسَاءِ[٢]

وقال الحسن أيضاً: المراد بالنجم النجوم إذا سقطَت يومَ القيامة. وقال السُّدِّيُّ: إنَّ النجم ههنا الزُّهرةُ؛ لأنَّ قوماً من العرب كانوا يعبدونها.

وقيل: المراد به النجوم التي تُرجَم بها الشياطين، وسببه أنَّ الله تعالى لما أرَاد بعثة محمَّد ﷺ رسولاً كَثُرَ انقضاض الكواكب قبل مولده، فذُعر أكثرُ العرب منها، وفزعوا إلى كاهن كان لهم ضريراً، كان يُخبِرهم بالحوادث فسألوه عنها فقال: انظروا البروج الاثني عشَر، فإن انقضَّ منها شيءٌ فهو ذهاب الدنيا، فإن لم ينقضَّ منها شيء فسيحدث في الدنيا أمرٌ عظيم، فاستشعروا ذلك، فلما بُعِث رسولُ الله ﷺ كان هو الأمرَ العظيمَ الذي استشعروه، فأنزل اللهُ تعالى: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى» أي: ذلك النجم الذي هوى هو لهذه النبوَّة التي حدثت[٣]. وقيل: النجم هنا هو النبت الذي ليس له ساق[٤].

و«هَوَى» أي: سقط على الأرض[٥]. وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ﵇: «وَالنَّجْمِ» يعني محمَّداً ﷺ، «إِذَا هَوَى» إذا نزل من السماء ليلةَ المعراج[٦]. وعن عروة

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٣٥، والبيت للراعي النميري عبيد بن حصين، وهو في ديوانه ص٩٢.
قال الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٦٩ بعد أن أورد البيت: يصف قدراً كثيرة الدسم، ومعنى: تعدُّ النجم. أي: من صفاء دسمها ترى النجوم فيه، والمستحيرة: القدر، فقال: يجمد على الأيدي الدسم من كثرته.

(٢) لم نقف عليه في ديوانه، وهو في النكت والعيون ٥/ ٣٨٩.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٣٨٩-٣٩٠.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٤٤ وعزاه إلى الأخفش.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٧.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٤٤-٢٤٥.

ابنِ الزبير رضي الله عنهما أنَّ عُتَيْبَةَ[(١)] بنَ أبي لهبٍ وكان تحته بنتُ رسولِ الله ﷺ أراد الخروجَ إلى الشام فقال: لآتينَّ محمَّداً فلأُوذِينَّه، فأتاه فقال: يا محمَّد هو كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلَّى. ثم تَفَلَ في وجه رسول الله ﷺ، وردَّ عليه ابنتَه وطَلَّقها، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمَّ سَلِّط عليه كلباً من كلابك» وكان أبو طالب حاضراً فوجَم لها وقال: ما كان أغناكَ يا بنَ أخي عن هذه الدعوة، فرجع عتيبةُ إلى أبيه فأخبره، ثم خرجوا إلى الشام، فنزلوا منزلاً، فأشرف عليهم راهبٌ من الدَّيْر فقال لهم: إنَّ هذه أرضٌ مُسْبِعةٌ. فقال أبو لهب لأصحابه: أَغيثونا يا معشرَ قريش هذه الليلة! فإنِّي أخاف على ابني من دعوة محمَّد. فجمعوا جِمالهم وأنَاخوها حولهم، وأحدقوا بعتيبة، فجاء الأَسَدُ يتَشمَّم وجوهَهم حتى ضرب عُتيبةَ فقتله، وقال حسان:

مَنْ يَرْجِعِ العامَ إلى أَهْلِهِ ... فَمَا أَكِيلُ السَّبْعِ بالرَّاجِعِ[(٢)]

وأصل النَّجم: الطلوع، يقال: نَجَم السنُّ، ونَجَم فلانٌ ببلاد كذا، أي: خرج على السلطان.

والهُوِيُّ: النزول والسقوط، يقال: هَوَى يَهْوِي هُوِيّاً، مثل مَضَى يَمْضِي مُضِيّاً[(٣)]، قال زهير:

---

(١) في النسخ: عتبة. وكذا في المواضع الآتية، والتصويب من تصحيفات المحدثين للعسكري ٢/ ٧٠٨، والروض الأُنف للسهيلي ٣/ ٦٨، وبعض مصادر التخريج.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٧-٢٨، والحديث أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٣٨١) عن محمد بن كعب القرظي، عن عثمان بن عروة بن الزبير، عن رجال من أهل بيته، والدولابي في الذرية الطاهرة (٧٤) عن محمد ابن كعب القرظي وعثمان بن عروة بن الزبير بنحوه، مع ذكر قصيدة مطولة لحسان وفيها البيت الآنف الذكر، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٣٩ من طريق أبي نوفل بن أبي عقرب، عن أبيه قال: كان لهب بن أبي لهب يسبُّ النبي ﷺ .. فذكره بنحوه مختصراً، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأخرجه أيضاً ابن قانع في معجم الصحابة ٣/ ٢٠٧، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٣٨٠)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٣٨/ ٣٠٢ من طريق عروة بن الزبير، عن هبار بن أسود قال: كان أبو لهب وابنه عتبة بن أبي لهب تجهزا إلى الشام، فتجهزت معهما فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقن إلى محمد ولأوذينه... الخبر بنحوه دون ذكر البيت.

(٣) الصحاح (نجم) و (هوي) بنحوه.

فَشَجَّ بِهَا الأماعِزَ وَهْيَ تَهْوي هُوِيَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَها الرِّشَاءُ[١]

وقال آخر:

بَيْنَما نَحْنُ بالبَلَاكِثِ فالقَا عِ سِرَاعاً والعِيسُ تَهْوِي هُوِيًّا

خَطَرتْ خَطْرَةٌ على القَلْبِ مِن ذِكْـ ـرَاكِ وَهْناً فما استطعْتُ مُضيّاً[٢]

الأصمعي: هَوَى ـ بالفتح ـ يَهْوِي هَوِيّاً، أي: سقط إلى أسفل. قال: وكذلك انهوى في السير إذا مضى فيه، وهَوَى وانْهَوى فيه لغتان بمعنًى، وقد جمعهما الشاعر في قوله:

وكَمْ مَنْزِلٍ لولايَ طِحْتَ كما هَوَى بأَجرامِهِ مَنْ قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِي[٣]

ويقال في الحُبِّ: هَوِيَ ـ بالكسر ـ يَهْوَى هَوًى، أي: أحبَّ.

قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ هذا جواب القَسَم، أي: ما ضلَّ محمَّد ﷺ عن الحقِّ وما حادَ عنه[٤]. ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ الغيُّ: ضدُّ الرشد، أي: ما صار غاوياً[٥]. وقيل: أي: ما تكلَّم بالباطل[٦]. وقيل: أي: ما خاب مما طلب، والغَيُّ: الخيبة، قال الشاعر:

فمن يَلْقَ خيراً يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائِمَا[٧]

---

(١) شرح ديوان زهير ص٦٧، وفيه: شجَّ: علا. بها: بالأُتُن، والأماعز: المكان الغليظ الكثير الحصى. فشبَّه هُوِيَّ الحبل إذا انقطع بهُوِيِّ الأُتُن.

(٢) القائل مجنون ليلى قيس بن الملوَّح، والبيتان في ديوانه ص٢٩١، والبلاكث والقاع: موضعان من المدينة. معجم البلدان ١/ ٤٧٨ و ٤/ ٢٩٨ ونسب البيتين فيه إلى كُثيِّر.

(٣) الصحاح (هوي) وما بعده منه، والبيت ليزيد بن الحكم، وهو في الكامل ٣/ ١٢٧٧، وعيون الأخبار ٣/ ٨٣، وقُلَّة كل شيء: أعلاه. والنِّيق: أرفع موضع في الجبل. لسان العرب (قلل) و (نوق).

(٤) الوسيط ٤/ ١٩٢-١٩٣.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٨.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٤٥.

(٧) النكت والعيون ٥/ ٣٩٠، وما بعده منه، والبيت للمرقِّش، وسلف ١٣/ ٤٧٧.

أي: مَن خاب في طلبه لامه الناس.

ثم يجوز أن يكون هذا إخباراً عما بعد الوحي. ويجوز أن يكون إخباراً عن أحواله على التعميم، أي: كان أبداً موحِّداً لله. وهو الصحيح على ما بيَّنّاه في «الشورى»[١] عند قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الآية: ٥٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾:

**فيه مسألتان:**

**الأولى**: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ قال قتادة: وما ينطق بالقرآن عن هواه، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ إليه[٢]. وقيل: «عَنِ الْهَوَى» أي: بالهوى، قاله أبو عبيدة[٣] كقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٥] أي: فاسأل عنه. النحّاس[٤]: قول قتادة أولى، وتكون «عن» على بابِها، أي: ما يخرج نُطْقه عن رأيه، إنَّما هو بوحْيٍ من الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ بعده: «إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى».

**الثانية**: قد يحتجُّ بهذه الآية من لا يجوِّز لرسول الله ﷺ الاجتهادَ في الحوادث[٥]. وفيها أيضاً دلالة على أنَّ السُّنَّةَ كالوحي المنزل في العمل. وقد تقدَّم في مقدِّمة الكتاب[٦] حديث المِقدام بن معدي كرب في ذلك، والحمد لله.

قال السجستانيُّ: إن شئتَ أبدلتَ «إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» مِن «مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ». قال ابن الأنباري[٧]: وهذا غَلَط؛ لأنَّ «إِنْ» الخفيفة لا تكون مبدلة من «ما»، الدليل على هذا أنَّك لا تقول: واللهِ ما قمتُ، إِنْ أنا لقاعد.

---

(١) ١٨/٥٠٩ - ٥١٠ .

(٢) أخرجه عنه الطبري ٢٢/٨ .

(٣) في مجاز القرآن له ٢/٢٣٦ .

(٤) في معاني القرآن له ٤/ ٢٦٥ بنحوه.

(٥) أحكام القرآن للهراسي ٤/ ٣٩٣ .

(٦) ١/ ٦٥ .

(٧) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩١٠ ، وما قبله منه.

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ يعني: جبريل عليه السلام، في قول سائر المفسرين[١] سوى الحسن، فإنَّه قال: هو الله عزَّ وجلَّ[٢]. ويكون قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ على قول الحسن تمام الكلام، ومعناه: ذو قوَّة، والقوَّة من صفات الله تعالى، وأصله من شدَّة فَتْل الحبل[٣]، كأنَّه استمرَّ به الفَتْل حتى بلغ إلى غاية يَصعُب معها الحَلُّ.

ثم قال: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ يعني: الله عزَّ وجلَّ، أي: استوى على العرش. روي معناه عن الحسن[٤]. وقال الربيع بن أنس والفرَّاء: ﴿فَٱسْتَوَىٰ . وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: استوى جبريل ومحمَّد عليهما الصلاة والسلام[٥]. وهذا على العطف على المضمر المرفوع بـ « هو ». وأكثر العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أَظهروا كنايةَ المعطوف عليه، فيقولون: استوى هو وفلان، وقلَّما يقولون: استوى وفلان[٦]. وأنشد الفرَّاء:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الـنَّـبْـعَ يَـصـلُـبُ عُـودُهُ ... ولا يَسْتـوِي والـخِرْوَعُ الـمتقـصِّفُ[٧]

أي: لا يستوي هو والخِرْوَع، ونظير هذا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ﴾ [النمل:٦٧] والمعنى: أئذا كنَّا تراباً نحن وآباؤنا. ومعنى الآية: استوى جبريل هو ومحمَّد عليهما السلام ليلةَ الإسراء بالأُفُق الأعلى.

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٣٩١ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٦ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٦-١٩٧ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٧ .

(٥) أخرجه عن الربيع الطبري ٢٢/ ١١ ، وأبو الشيخ في العظمة (٣٦٨)، وقول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٩٥ .

(٦) تفسير الطبري ٢٢/ ١١-١٢ .

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ٩٥ ، والبيت لجرير، وهو في شرح ديوانه ٢/ ٩٣٢ ، والنبع: شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي. والخروع: كل نبات قصيف ريان من شجر أو عنب. لسان العرب (نبع) و(خرع). ووقع عند الفراء: يخلق، بدل: يصلب.

وأجاز[١] العطف على الضمير؛ لئلا يتكرَّر. وأنكر ذلك الزَّجَّاج[٢] إلا في ضرورة الشعر، وقيل: المعنى فاستوى جبريل بالأفق الأعلى، وهو أجود. وإذا كان المستوي جبريل فمعنى «ذُو مِرَّةٍ» في وَصْفه: ذو منطق حسَن، قاله ابن عباس. وقال قتادة: ذو خَلْق طويل حَسن[٣].

وقيل: معناه: ذو صحَّة جسم، وسلامة من الآفات، ومنه قول النبيِّ ﷺ: «لا تحلُّ الصدقة لغنيٍّ ولا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ»[٤]. وقال امرؤ القيس:

كـنـتُ فـيـهـم أبـداً ذا حـيـلـة    مُـحْـكَـمَ الـمِـرَّة مـأمُـونَ الْـعُـقَـد[٥]

وقد قيل: «ذُو مِرَّةٍ»: ذو قوَّة. قال الكلبيُّ: وكان من شدَّة جبريل عليه السلام: أنَّه اقتلعَ مدائنَ قومِ لوطٍ من الأرض السفلى، فحملها على جناحه حتى رفعَها إلى السماء، حتى سمع أهلُ السماء نَبْحَ كلابهم وصياح ديكتهم، ثم قَلَبَها. وكان من شدَّته أيضاً: أنَّه أبصر إبليسَ يكلِّم عيسى عليه السلام على بعض عقاب من الأرض المقدَّسة، فنفحه بجناحه نفحةً ألقاه بأقصى جبل في الهند. وكان من شدَّته: صيحته بثمود في عددهم وكثرته، فأصبحوا جاثمين خامدين. وكان من شدَّته: هبوطه من السماء على الأنبياء وصعودهُ إليها في أسرع من الطَّرْف[٦].

وقال قُطْرُب: تقول العرب لكل جَزل الرأي حصيف العقل: ذُو مِرَّةٍ. قال الشاعر:

---

(١) أي: الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٩٥ .

(٢) في معاني القرآن له ٥/ ٧٠ وما بعده منه.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٤٥ ، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ١٠ .

(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ١١ ، والحديث سلف ١٠/ ٢٥٣ .

(٥) كذا أورده الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٩١ ، والبيت في ديوان امرئ القيس ص٢١٩ إلا أن صدره هكذا:

ولـبـيـبٌ أيِّـد ذو حـيـلـة

قال شارحه: الأيِّد: الشديد. ومأمون العُقَد: يؤمن انحلالها.

(٦) الكشاف ٤/ ٢٨ دون عزو، وخبر تعذيب قوم لوط في عرائس المجالس ص١٠٧ .

قَد كُنتُ قبلَ لِقائِكُمْ ذا مِرَّةٍ عندي لِكلِّ مُخاصِمٍ مِيزانُهُ[١]

وكان من جزالة رأيه وحصَافة عقله: أنَّ الله ائتمنه على وَحْيه إلى جميع رسله.

قال الجوهريُّ[٢]: والمِرَّة: إحدى الطبائع الأربع، والمِرَّة: القوَّة، وشدَّة العقل أيضاً. ورجل مرير: أي: قويٌّ ذو مِرةٍ. قال:

تَرى الرَّجُلَ النَّحيفَ فتزدريه وحَشْوُ ثِيابِه أسدٌ مَريرُ[٣]

وقال لَقِيط:

حتى استمرَّت على شَزْرٍ مَريرتُه مُرُّ العزِيمةِ لا رَتّاً ولا ضَرَعَا[٤]

وقال مجاهد وقتادة: «ذُو مِرَّةٍ»: ذو قوَّة، ومنه قول خُفَاف بن نَدْبة:

إنِّي امرؤٌ ذو مِرّةٍ فاستبقِني فِيما يَنُوبُ مِن الخُطُوبِ صَلِيبُ[٥]

فالقوَّة تكون من صفة الله عزَّ وجلَّ، ومن صفة المخلوق.

«فاستوى» يعني: جبريل على ما بيَّنَّا، أي: ارتفع وعلا إلى مكانه في السماء بعد أن علَّم محمَّداً ﷺ، قاله سعيد بن المسيَّب وابن جبير[٦].

وقيل: «فَاسْتَوَى» أي: قام في صورته التي خَلَقه الله تعالى عليها؛ لأنه كان يأتي

---

(١) سلف ١٢/ ١٩١ .

(٢) في الصحاح (مرر).

(٣) القائل العباس بن مرداس، وهو في الحماسة البصرية ٢/ ٧ ، ورواية عجزه هكذا:

وفي أثوابه أسد مزير

والمزير: الشديد القلب القوي. اللسان (مزر).

(٤) الكامل ٢/ ٦٨٢ ، والرتُّ: الرئيس من الرجال في الشرف والعطاء. والضَّرَع: الصغير السنّ الضعيف. اللسان (رتت) و(ضرع).

(٥) النكت والعيون ٥/ ٣٩١ ، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٢٧ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ١٠ . والبيت في الأصمعيات ص٢٧ ، وورد فيه هكذا:

فتعلَّمي أنِّي امرؤ ذو مرَّة فيما ألمَّ من الخطوب صليبُ

(٦) النكت والعيون ٥/ ٣٩٢ وعزاه إلى ابن جبير.

إلى النبيِّ ﷺ في صورة الآدميين كما كان يأتي إلى الأنبياء، فسأله النبيُّ ﷺ أن يُرِيَه نفسَه التي جَبَله الله عليها، فأراه نفسه مرَّتين، مرَّة في الأرض، ومرَّة في السماء، فأما في الأرض ففي الأفُق الأعلى، وكان النبيُّ ﷺ بحراء، فطلع له جبريل من المشرق فسدَّ الأرض إلى المغرب، فخرَّ النبيُّ ﷺ مغشياً عليه، فنزل إليه في صورة الآدميين وضمَّه إلى صدره، وجعل يمسح الغبار عن وجهه، فلما أفاق النبيُّ ﷺ قال: «يا جبريل ما ظننتُ أنَّ الله خلَق أحداً على مثل هذه الصورة». فقال: يا محمَّد إنَّما نَشرتُ جناحَيْن من أَجنحتي، وإنَّ لي ستَّ مئة جناح، سَعة كلِّ جناح ما بين المشرق والمغرب. فقال: «إنَّ هذا لعظيم» فقال: وما أنا في جَنْب ما خلقَه الله إلا يسيراً، ولقد خلَق الله إسرافيلَ له ستُّ مئة جناح، كلُّ جناح منها قَدْر جميع أجنحتي، وإنَّه ليتضاءل أحياناً من مخافة الله تعالى حتى يكون بقَدْر الوصَع. يعني: العصفور الصغير، دليله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ وأما في السماء فعند سِدرة المنتهى، ولم يَرَهُ أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلا محمَّداً ﷺ(١).

وقول ثالث أنَّ معنى «فَاسْتَوَى»: أي: استوى القرآن في صدره. وفيه على هذا وجهان: أحدهما في صدر جبريل حين نزل به عليه. الثاني: في صدر محمَّد ﷺ حين نزل عليه. وقول رابع أنَّ معنى «فَاسْتَوَى»: فاعتدل، يعني: محمَّداً ﷺ. وفيه على هذا وجهان: أحدهما: فاعتدل في قوَّته. الثاني: في رسالته. ذكرهما الماورديُّ(٢).

قلت: وعلى الأوَّل يكون تمام الكلام «ذُو مِرَّةٍ»، وعلى الثاني «شَدِيدُ الْقُوَى».

وقول خامس أنَّ معناه: فارتفع. وفيه على هذا وجهان: أحدهما: أنَّه جبريل عليه

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٤٥ دون قوله: فلما أفاق النبي ﷺ... إلى قوله: يعني العصفور الصغير. حيث أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٢١) عن ابن شهاب مرسلاً بنحوه.

ورؤية النبي ﷺ جبريلَ مرتين أخرجها البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧) عن عائشة رضي الله عنها.

وقول جبريل: إن لي ست مئة جناح. أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) عن ابن مسعود ﷺ.

(٢) في النكت والعيون ٥/ ٣٩٢.

السلام ارتفع إلى مكانه على ما ذكرنا آنفاً. الثاني: أنَّه النبيُّ ﷺ ارتفع بالمعراج[١]. وقول سادس: «فَاسْتَوَى»: يعني الله عزَّ وجلَّ، أي: استوى على العرش، على قول الحسن[٢]. وقد مضى القول فيه في «الأعراف»[٣].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ جملة في موضع الحال، والمعنى: فاستوى عالياً[٤]، أي: استوى جبريل عالياً على صورته، ولم يكن النبيُّ ﷺ قبل ذلك يراه عليها حتى سأله إيَّاها على ما ذكرنا.

والأُفُق: ناحية السماء، وجمعه: آفاق[٥]. وقال قتادة: هو الموضع الذي تأتي منه الشمس[٦]. وكذا قال سفيان: هو الموضع الذي تطلع منه الشمس، ونحوه عن مجاهد. ويقال: أُفْق وأُفُق، مثل عُسْر وعُسُر. وقد مضى في «حم السجدة»[٧]. وفرس أُفُق ـ بالضمِّ ـ أي: رائع، وكذلك الأنثى، قال الشاعر:

أرجِّلُ لِمَّتي وَأَجُرُّ ذَيْلي ... وتَحمِلُ شِكَّتي أفُقٌ كُمَيْتُ[٨]

وقيل: «وَهُوَ» أي: النبيُّ ﷺ «بِالأُفُقِ الأَعْلَى» يعني: ليلةَ الإسراء، وهذا ضعيف، لأنَّه يقال: استوى هو وفلان، ولا يقال: استوى وفلان، إلا في ضرورة الشعر.

والصحيح استوى جبريلُ عليه السلام، وجبريلُ بالأفق الأعلى على صورته الأصليَّة؛ لأنَّه كان يتمثَّل للنبيِّ ﷺ إذا نزل بالوحي في صورة رجل، فأحبَّ النبيُّ ﷺ

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٣٩٢ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٧ .

(٣) ٩/ ٢٣٨ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٦٦ .

(٥) الصحاح (أفق).

(٦) النكت والعيون ٥/ ٣٩٢ عن قتادة ومجاهد، وأخرجه الطبري ٢٢/ ١٣ عن قتادة بنحوه.

(٧) عند الآية (٥٣).

(٨) الصحاح (أفق)، والبيت لعمرو بن قعاس بن عبد يغوث المرادي، وهو في منتهى الطلب لابن ميمون ٨/ ٢٤٥ ، وفيه: ذمَّتي، بدل: لمَّتي، واللِّمَّة: شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة. والشِّكَّة: السلاح. لسان العرب (لمم) و (شكك).

أن يراه على صورته الحقيقيَّة، فاستوى في أفق المشرق، فملأ الأُفق.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ أي: دنا جبريلُ بعد استوائه بالأُفق الأعلى من الأرض «فَتَدَلَّى» فنزل على النبيِّ ﷺ بالوحي[١]. المعنى: أنَّه لما رأى النبيُّ ﷺ من عظمته ما رأى، وهالَه ذلك، ردَّه الله إلى صورة آدميٍّ حين قَرُبَ من النبيِّ ﷺ بالوحي، وذلك قوله تعالى: «فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ» يعني أوحى الله إلى جبريلَ، وكان جبريل «قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» قاله ابن عباس والحسن وقتادة والربيع وغيرهم[٢]. وعن ابن عباس أيضاً في قوله تعالى: «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى» أنَّ معناه: أنَّ الله تبارك وتعالى «دَنَا» من محمَّد ﷺ «فَتَدَلَّى»[٣]. وروى نحوه أنس بن مالك عن النبيِّ ﷺ[٤]. والمعنى: دنا منه أَمْرُه وحُكْمه[٥]. وأصل التدلِّي: النزول إلى الشيء حتى يَقرُب منه، فوضِعَ موضعَ القُرب، قال لبيد:

فَتَدَلَّيْتُ عليه قافِلاً وعلى الأرض غيابَاتُ الطَّفَل[٦]

وذهب الفرَّاء[٧] إلى أنَ الفاء في «فَتَدَلَّى» بمعنى الواو، والتقدير: ثم تدلَّى جبريل عليه السلام ودنا. ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين واحداً، أو كالواحد، قدَّمت أيَّهما شئت، فقلت: فدنا فقرب وقرب فدنا، وشتمني فأساء وأساء فشتمني؛ لأنَّ

---

(١) الوسيط ٤/ ١٩٣ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٤٦ عن ابن عباس والحسن وقتادة، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٥٠ ، ومن طريقه أبو الشيخ في العظمة (٣٦٩)، والطبري ٢٢/ ١٤ عن الحسن وقتادة، والطبري ٢٢/ ١٤ ، وأبو الشيخ في العظمة (٣٦٨) عن الربيع.

(٣) أخرجه الطبري ٢٢/ ١٤ ، والطبراني في الكبير (١١٣٢٨).

(٤) أخرجه البخاري (٧٥١٧)، وينظر كلام ابن حجر حول الحديث في فتح الباري ١٣/ ٤٨٣ وما بعدها.

(٥) الشفا ١/ ٣٩٤ .

(٦) شرح ديوان لبيد ص١٨٩ ، قال شارحه: الغيابة: ظل الشمس، أو كل شيء أظل الإنسان. والطَّفَل: حين تهمُّ الشمس بالوجوب وتدنو للغروب.

(٧) في معاني القرآن له ٣/ ٩٥-٩٦ .

الشتم والإساءة شيء واحد. وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] المعنى ـ والله أعلم ـ: انشقَّ القمر واقتربت الساعة.

وقال الجرجانيُّ: في الكلام تقديم وتأخير، أي: تدَلَّى فدنا؛ لأنَّ التدلِّي سبب الدنوِّ.

وقال ابنُ الأنباري: ثم تدلَّى جبريلُ، أي: نزل من السماء فدنا من محمَّد ﷺ(١).

وقال ابن عباس: تدلَّى الرفرفُ لمحمَّد ﷺ ليلةَ المعراج، فجلس عليه، ثم رُفع فدنا من ربِّه(٢)، وسيأتي.

ومن قال: المعنى: فاستوى جبريلُ ومحمَّد بالأُفق الأعلى، قد يقول: ثم دنا محمَّد من ربِّه دنوَّ كرامةٍ، فتدلَّى، أي: هَوَى للسجود. وهذا قول الضحاك. قال القشيريُّ: وقيل على هذا تدلَّى، أي: تَدلَّلَ، كقولك: تَظَنَّى، بمعنى تَظَنَّنَ. وهذا بعيد؛ لأنَّ الدَّلال غيرُ مرضيٍّ في صفة العبودية.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي: كان محمَّد من ربِّه أو من جبريل «قَابَ قَوْسَيْنِ» أي: قَدْرَ قوسين عربيَّتين(٣). قاله ابن عباس وعطاء(٤) والفرَّاء(٥). الزمخشريُّ(٦): فإن قلتَ: كيف تقدير قوله: «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ»؟ قلت: تقديره:

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٣٩٣.

(٢) الشفا ١/ ٣٩٤، والرفرف: البساط. النهاية ٢/ ٢٤٣.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٢٨.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٤٦.

(٥) في معاني القرآن له ٣/ ٩٥.

(٦) الكشاف ٤/ ٢٩، والبيت الآتي نسب للأسود بن يعفر، وهو في شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٣١. وللكلحبة هبيرة بن عبد مناف العُرَني، وهو في المفضليات ص٣٢، ورواية صدره:

فأدرك إبقاء العرادة ظَلْعها

قال محققه: المبقية من الخيل: التي تبقي بعض جريها تدخره. الظلع: العرج والغمز في المشي. يقول: إن شرب العرادة أضعف جريها، فغلب ظلعها إبقاءها، ففاتها حزيمة وهو قيد إصبع منها.

فكان مقدارُ مسافة قُربه مثلَ قاب قوسين، فحذفت هذه المضافات، كما قال أبو عليٍّ في قوله:

وَقَدْ جَعَلَتْنِي مِن خَزِيمَةَ إِصْبَعَا

أي: ذا مقدار مسافة إصبع. «أَوْ أَدْنَى» أي: على تقديركم، كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:١٤٧]. وفي «الصحاح»(١): وتقول: بينهما قابُ قَوْس، وقِيبُ قَوْس، وقادُ قَوْس، وقِيدُ قَوْس، أي: قَدْر قَوْسٍ.

وقرأ زيد بن علي: «قَادَ»، وقرئ: «قِيدَ» و «قَدْرَ». ذكره الزمخشريُّ(٢).

والقابُ: ما بين المَقْبِض والسِّيَة. ولكلِّ قوس قابان. وقال بعضهم في قوله تعالى: «قَابَ قَوْسَيْنِ»: أراد قابي قوس، فقلبه(٣). وفي الحديث: «ولَقاب قوسِ أحدِكم من الجنة وموضع قِدِّه خيرٌ من الدنيا وما فيها» والقِدُّ: السَّوط(٤). و في «الصحيح» عن أبي هريرة قال: قال النبيُّ ﷺ: «ولَقابُ قوسِ أحدكم في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها»(٥). وإنَّما ضُرب المثل بالقوس؛ لأنَّها لا تختلف في القاب. والله أعلم.

قال القاضي عِياض(٦): اعلم أنَّ ما وقعَ من إضافة الدنوِّ والقُرب من الله، أو إلى الله، فليس بدنوِّ مكانٍ، ولا قُرب مَدًى، وإنَّما دنوُّ النبيِّ ﷺ من ربِّه وقُرْبه منه، إبانةُ عظيمِ منزلته، وتشريف رتبته، وإشراق أنوار معرفتهِ، ومشاهدة أسرار غيبه وقُدْرته. ومِنَ الله تعالى له: مبرَّةٌ وتأنيس وبَسْط وإكرام.

---

(١) مادة (قوب).

(٢) في الكشاف ٢٨/٤ .

(٣) الصحاح (قوب)، والسِّيَة: ما عطف من طرفي القوس. الصحاح (سيا).

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٢٨ ، والكشاف ٢٨/٤ .

(٥) أخرجه بهذا اللفظ أحمد (١٠٢٧٠)، وهو عند البخاري (٢٧٩٣) بلفظ: لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب.

(٦) في الشفا ٣٩٦/١-٣٩٧ ، وفيه: وشريف، بدل: وتشريف.

ويتأوَّل فيه ما يتأوَّل في قوله عليه السلام: «يَنزِل ربُّنا إلى سماء الدنيا»[١] على أحد الوجوه: نزول إجمال وقبولُ إحسان.[٢] قال القاضي: وقوله: «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» فمن جعَل الضميرَ عائداً إلى الله تعالى لا إلى جبريل، كان عبارة عن نهاية القُرب، ولطف المحلِّ، وإيضاح المعرفة، والإشراف على الحقيقة من محمَّد ﷺ، وعبارةً عن إجابة الرغبة، وقضاء المطالب، وإظهار التحفِّي، وإنافة المنزلة والقُرب من الله، ويتأوَّل فيه ما يتأوَّل في قوله عليه السلام: «مَن تقرَّب منِّي شبراً تقرَّبت منه ذراعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولةً» قربٌ بالإجابة والقَبول، وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول[٣].

وقد قيل: «ثُمَّ دَنَا» جبريل من ربِّه «فَكَان قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» قاله مجاهد[٤]. ويدلُّ عليه ما رُويَ في الحديث: «إنَّ أقربَ الملائكة من الله جبريلُ عليه السلام»[٥].

وقيل: «أو» بمعنى الواو، أي: قاب قوسين وأدنى. وقيل: بمعنى «بل»، أي: بل أدنى[٦].

وقال سعيد بن المسيّب: القاب: صدر القوس العربية حيث يشدُّ عليه السير الذي يتنكَّبه صاحبه، ولكلِّ قوس قاب واحد. فأخبر أنَّ جبريل قَرُبَ من محمَّد ﷺ كقُرب قاب قوسين.

وقال سعيد بن جبير وعطاء وأبو إسحاق الهَمْداني وأبو وائل شقيق بن سلمة: «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ» أي: قدر ذراعين، والقوس: الذراع يُقاس بها كلُّ شيء[٧]، وهي

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، وهو عند أحمد (٧٥٩٢) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الصواب إثبات صفة الدنو والقرب والنزول لله تعالى بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل على ما يليق بجلال الله وعظمته.

(٣) الشفا ١/ ٣٩٦-٣٩٧، والحديث سلف ٧/ ٢٩٠.

(٤) في تفسيره ٢/ ٦٢٧، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ١٩.

(٥) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢٧٧)، وفي إسناده الأحوص بن حكيم، وهو ضعيف. تهذيب التهذيب ١/ ٩٩-١٠٠.

(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٨٩، وينظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٤١٤-٤١٥.

لغةُ بعض الحجازيين[١]. وقيل: هي لغةُ أزد شَنُوءة أيضاً. وقال الكسائيُّ: قوله: «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» أراد: قوساً واحداً، كقول الشاعر:

وَمَـهْـمَـهَـيْـنِ قَـذَفَـيْـن مَـرْتَـيْـن قَطَعْتُهُ بالسَّمْتِ لا بالسَّمْتَيْن[٢]

أراد: مَهْمَهاً واحداً.

والقوس تذكَّر وتؤنَّث، فمن أنَّث قال في تصغيرها: قويسة، ومن ذكَّر قال: قُوَيس، وفي المثل: هو من خيرِ قُوَيْسٍ سَهْماً. والجمع قِسِيٌّ وقُسِيٌّ وأقواس وقِياس، وأنشد أبو عبيدة:

ووَتَّـرَ الأسـاورَ الـقِـيـاسَـا[٣]

والقَوْس أيضاً: بقية التَّمْر في الجُلَّة، أي: الوعاء. والقَوْس: برج في السماء. فأما القُوسُ بالضمِّ: فصومعة الراهب، قال الشاعر وذكر امرأةً:

لاسْتَفْتَنَتْنِي وذَا المِسْحَينِ في القُوسِ[٤]

قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ تفخيم للوحي الذي أُوحيَ إليه[٥]. وتقدَّم

---

(١) المحرر الوجيز ٥/١٩٨ وحكاه عن الثعلبي.

(٢) هكذا ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٨/٣٠٢ ولم ينسبه، وفيه: بالأمِّ، بدل: بالسمت. وذكره الزجاجي في الجمل ص٣١٣، والجاحظ في البيان والتبيين ١/١٥٦ ولم ينسباه، ونسبه ابن السِّيْد البطليوسي في الحلل ص٣٦٤ إلى خطام المجاشعي، وجاءت رواية الرجز في البيان والتبيين هكذا:

ومـهـمـهـيـن قـذفـيـن مـرتـيـن جبتهـمـا بـالـنـعـت لا بـالـنـعـتـين
ظـهـراهـمـا مـثـل ظـهـور الـتـرسـين قـطـعـتـه بـالأمِّ لا بـالـسـمـتـين

وقول الراجز:

ظـهـراهـمـا مـثـل ظـهـور الـتـرسـين

ذكره سيبويه في الكتاب ٢/٤٨ ونسبه لخطام، و ٣/٦٢٢ ونسبه لهميان بن قحافة. والمهمه: القَفْر المخوف. والقَذَف: ما ارتفع من الأرض. والمرت: التي لا ماء بها ولا نبات فيها. والظهر: ما ارتفع من الأرض، يشبهه بظهر الترس في ارتفاعه. الحلل ص٣٦٥. والسمت: الطريق. لسان العرب (سمت).

(٣) الصحاح (قوس) وما بعده منه، والمثل في جمهرة الأمثال للعسكري ١/٤٢٠ وهو من أرجوزة لخالد ابن معاوية، وقصته ثمة.

(٤) القائل جرير، وهو في ديوانه ١/١٢٥، وصدره: لا وصل إذا صرمت هند ولو وقفت.

(٥) الكشاف ٤/٢٩.

معنى الوحي[١]، وهو إلقاء الشيء بسرعة، ومنه: «الوحَى الوحَى». والمعنى: فأوحى الله تعالى إلى عبده محمَّد ﷺ ما أوحى. وقيل: المعنى: «فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ» جبريلَ عليه السلام «مَا أَوْحَى». وقيل: المعنى: فأوحى جبريلُ إلى عبد الله محمَّد ﷺ ما أوحى إليه ربُّه[٢]. قاله الربيع والحسن وابن زيد وقتادة[٣]. قال قتادة: أوحى الله إلى جبريل، وأوحى جبريل إلى محمَّد[٤].

ثم قيل: هذا الوحي هل هو مبهم، لا نَطَّلِع عليه نحن وتُعُبِّدْنا بالإيمان به على الجملة، أو هو معلوم مفسَّر؟ قولان، وبالثاني قال سعيد بن جبير، قال: أوحى الله إلى محمَّد: ألَم أجِدك يتيماً فآويتك! ألَم أجدْك ضالًّا فهديتك! ألَم أجدْك عائلاً فأغنيتك! ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ . ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[٥] [الشرح: ١-٤]. وقيل: أوحى الله إليه أنَّ الجنَّة حرام على الأنبياء حتى تدخلَها يا محمَّد، وعلى الأُمم حتى تدخلها أمَّتُك[٦].

**قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾**

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ أي: لم يكذب قلبُ محمَّد ﷺ ليلةَ المعراج، وذلك أنَّ الله تعالى جعل بصره في فؤاده حتى رأى ربَّه تعالى، وجعل الله

(١) ٥/ ١٣١، وسلف تخريج الحديث هناك.

(٢) زاد المسير ٨/ ٦٧.

(٣) أخرجه عن الربيع: الطبري ٢٢/ ٢١، وأبو الشيخ في العظمة (٣٦٨)، وعن ابن زيد وقتادة: الطبري ٢٢/ ٢١، وعن الحسن: أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣٦٣)، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٩٣.

(٤) الوسيط ٤/ ١٩٥.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٤٦ بنحوه.

(٦) لطائف الإشارات ٣/ ٤٨٢.

تلك رؤية. وقيل: كانت رؤية حقيقة بالبصر[١]. والأوَّل مرويٌّ عن ابن عباس[٢]، وفي «صحيح مسلم»[٣] أنَّه رآه بقلبه. وهو قول أبي ذرٍّ وجماعة من الصحابة[٤]. والثاني قول أنس وجماعة[٥]. وروي عن ابن عباس أيضاً أنَّه قال: أتعجبونَ أن تكون الخُلَّة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمَّد ﷺ[٦]. وروي عن ابن عباس أيضاً أنَّه قال: أمَّا نحن بني هاشم فنقول: إنَّ محمَّداً رأى ربَّه مرَّتين[٧]. وقد مضى القول في هذا في «الأنعام»[٨] عند قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]. وروى محمَّد بن كعب قال: قلنا: يا رسول الله صلى الله عليك، رأيتَ ربَّك؟ قال: «رأيته بفؤادي مرَّتين» ثم قرأ: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى»[٩].

وقول ثالث: أنَّه رأى جلالَه وعظمته، قاله الحسن. وروى أبو العالية قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ هل رأيتَ ربَّك؟ قال: «رأيتُ نهراً، ورأيتُ وراء النهر حجاباً، ورأيت وراءَ الحجاب نوراً، لم أرَ غيرَ ذلك»[١٠]. وفي «صحيح مسلم»[١١] عن أبي ذرٍّ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ هل رأيتَ ربَّك؟ قال: «نورٌ أنَّى أراه» المعنى: غلبني من النور

(١) الوسيط ٤/ ١٩٥ .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٨١)، والطبري ٢٢/ ٢٢ . قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) برقم (١٧٦)، وهو عند أحمد (١٩٥٦).

(٤) المحرر الوجيز ٥/١٩٨ ، وأخرجه عن أبي ذر: النسائي في الكبرى (١١٤٧٢).

(٥) الوسيط ٤/ ١٩٥ ونسبه إلى أنس وعكرمة والحسن.

(٦) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٤٧٥)، وابن خزيمة في التوحيد ص١٩٧ ، وصحَّحه ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٦٠٨ .

(٧) أخرجه الترمذي (٣٢٧٨) بنحوه، وسلف ٨/ ٤٨٤ .

(٨) ٨/ ٤٨٣ .

(٩) النكت والعيون ٥/ ٣٩٤ وما بعده منه، وأخرجه الطبري ٢٢/ ١٩ عن محمد بن كعب القرظي، عن بعض أصحاب النبي ﷺ بنحوه.

(١٠) النكت والعيون ٥/ ٣٩٤ ، وأخرجه عنهما ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣١٨-٣٣١٩ (١٨٦٩٧) و (١٨٦٩٨).

(١١) برقم (١٧٨).

وبهرني منه ما منعني من رؤيته. ودلَّ على هذا الرواية الأخرى: «رأيت نوراً»[١]. وقال ابن مسعود: رأى جبريلَ على صورته مرَّتين[٢].

وقرأ هشام عن ابن عامر وأهل الشام: «مَا كَذَّبَ» بالتشديد[٣]، أي: ما كذَّب قلبُ محمَّد ما رأى بعينه تلك الليلة بل صدَّقه. فـ «ما» مفعوله بغير حرف مقدَّر؛ لأنه يتعدّى مشدَّداً بغير حرف. ويجوز أن تكون «ما» بمعنى «الذي» والعائد محذوف، ويجوز أن يكون مع الفعل مصدراً[٤]. الباقون مخففاً، أي: ما كذب فؤادُ محمَّد فيما رأى، فأسقط حرف الصفة. قال حسان ﷺ[٥]:

لو كنتِ صادقةَ الذي حدَّثتني    لنجوتِ مَنْجَا الحارثِ بنِ هِشامِ

أي: في الذي حدَّثتني. ويجوز أن يكون مع الفعل مصدراً. ويجوز أن يكون بمعنى «الذي»، أي: ما كذب فؤادُ محمَّد ﷺ الذي رأى.

قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ قرأ حمزة والكسائي: «أَفَتَمْرُونَهُ» بفتح التاء من غير ألف[٦] على معنى: أفتجحدونه. واختاره أبو عبيد؛ لأنه قال: لم يُماروه، وإنَّما جحدوه. يقال: مراه حقَّه، أي: جحده[٧]، ومريته أنا، قال الشاعر:

لئِن هجرتَ أخا صِدقٍ ومَكْرُمَةٍ    لقد مَرَيْتَ أخاً ما كان يَمْرِيكَا[٨]

---

(١) مسلم (١٧٨): (٢٩٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣٨٦٤)، والطبراني في الكبير (١٠٥٤٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٣٦٦). وفي إسناده: إسحاق بن أبي الكهتلة، ذكره البخاري في التاريخ الكبير ١/ ٤٠٠-٤٠١، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/ ٢٣٢ ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات ٤/ ٢٥.

(٣) السبعة ص٦١٤، والتيسير ص٢٠٤.

(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٦٩٢-٦٩٣، والبيان لابن الأنباري ٢/ ٣٩٧.

(٥) ديوانه ص٤١٩، وورد فيه هكذا:

إن كنت كاذبة الذي حدَّثتني    فنجوت ..............

(٦) السبعة ص٦١٤، والتيسير ص٢٠٤.

(٧) الصحاح (مرا).

(٨) الكشاف ٤/ ٢٩ ولم ينسبه.

أي: جحدته. وقال المبرِّد: يقال: مراه عن حقِّه، وعلى حقه: إذا منعَه منه ودفعَه عنه. قال: ومثل «على» بمعنى «عن» قول بني كعب بن ربيعة: رضي الله عليك، أي: رضي عنك[١].

وقرأ الأعرج ومجاهد: «أَفَتَمْرُونَهُ» بضمِّ التاء من غير ألف[٢]، من أمريت، أي: تريبونه وتشكِّكونه. الباقون: «أَفَتُمَارُونَهُ» بألف، أي: أتجادلونه وتدافعونه في أنَّه رأى الله، والمعنيان متداخلان؛ لأنَّ مجادلتهم جحود. وقيل: إنَّ الجحودَ كان دائماً منهم، وهذا جدال جديد، قالوا: صِفْ لنا بيتَ المقدس وأخبِرنا عن عِيرنا التي في طريق الشام[٣]. على ما تقدّم[٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ «نَزْلَةً»: مصدر في موضع الحال، كأنَّه قال: ولقد رآه نازلاً نزلةً أخرى[٥].

قال ابن عباس: رأى محمَّد ﷺ ربَّه مرَّة أُخرى بقلبه[٦]. روى مسلم[٧] عن أبي العالية عنه قال: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى»، «وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى» قال: رآه بفؤادِه مرَّتين. فقوله: «نَزْلَةً أُخْرَى» يعود إلى محمَّد ﷺ؛ فإنه كان له صعود ونزول مراراً بحسَب أعداد الصلوات المفروضة، فلكلِّ عَرْجة نَزْلة[٨]. وعلى هذا قوله تعالى: «عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى» أي: ومحمَّد ﷺ عند سدرة المنتهى، وفي بعض تلك النزلات.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٦٩ .

(٢) البحر المحيط ٨/ ١٥٩ ، وأوردها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٤٦ وعزاها إلى ابن مسعود والشعبي، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩ وعزاها إلى النخعي.

(٣) الوسيط ٤/ ١٩٧ .

(٤) في سورة الإسراء، عند الآية الأولى.

(٥) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٦٩٣ .

(٦) زاد المسير ٨/ ٦٨ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٢ ، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٩١٠).

(٧) في صحيحه برقم (١٧٦): (٢٨٥).

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٤٧ .

وقال ابن مسعود وأبو هريرة في تفسير قوله تعالى: «وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى» أنَّه جبريل. ثبت هذا أيضاً في «صحيح مسلم»[١]. وقال ابن مسعود: قال النبيُّ ﷺ: «رأيتُ جبريلَ بالأُفُق الأعلى له ستُّ مئة جناح، يتناثر من ريشه الدُّرُّ والياقوت» ذكره المهدويُّ[٢].

قوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ «عِنْدَ» من صلة «رَآهُ» على ما بيَّنَّا[٣]. والسِّدْر: شجر النَّبِق[٤]، وهي في السماء السادسة، وجاء في السماء السابعة. والحديث بهذا في «صحيح مسلم»؛ الأوّل: ما رواه مُرَّة عن عبد الله قال: لما أُسرِيَ برسول الله ﷺ انتُهي به إلى سِدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يُعرَج به من الأرض فيُقبَض منها، وإليها ينتهي ما يُهبَط به من فوقِها فيُقبَض منها، قال: «إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى» قال: فَرَاش من ذهب، قال: فأُعطيَ رسولُ الله ﷺ ثلاثاً: أُعطيَ الصلواتِ الخمسَ، وأُعطيَ خواتيمَ سورة البقرة، وغُفِر لمن لم يُشرِك بالله من أمَّته شيئاً المقحِمَاتُ[٥].

الحديث الثاني: رواه قتادة عن أنس أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لما رُفِعْتُ إلى سِدرة المنتهى في السماء السابعة، نَبِقها مثلُ قِلال هَجَر، وورقها مثل آذانِ الفِيَلة، يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان، قلتُ: يا جبريل ما هذا؟ قال: أما الباطنان ففي الجنَّة، وأما الظاهران فالنيل والفرات» لفظ الدارقطني[٦].

والنَّبِق، بكسر الباء: ثمر السِّدْر، الواحد: نَبِقة[٧]. ويقال: نَبْق، بفتح النون

---

(١) أثر ابن مسعود أخرجه النسائي في الكبرى (١١٤٧٦)، والطبري ٢٢/ ٣٠ ، وأبو الشيخ في العظمة (٣٥٠)، وأما أثر أبي هريرة فهو عند مسلم (١٧٥).

(٢) وأخرجه أحمد (٣٩١٥)، والنسائي في الكبرى (١١٤٧٨).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧٠ .

(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٣ .

(٥) مسلم (١٧٣)، والمقحمات: الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار. النهاية ٤/ ١٩ .

(٦) في سننه (٣٣)، وهو عند البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢)، وأحمد (١٢٥٠٥).

(٧) النهاية ٥/ ١٠ .

وسكون الباء، ذكرهما يعقوب في «الإصلاح»[(١)]، وهي لغة المصريين، والأُولى أَفصح وهي التي ثبتت عن النبيِّ ﷺ.

وروى الترمذي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول ـ وقد ذُكِر له سِدْرة المنتهى ـ قال: «يسير الراكب في ظلِّ الغصن منها مئةَ سنة، أو يستظلُّ بظلِّها مئةُ راكب ـ شكَّ يحيى ـ فيها فَرَاش الذهب، كأنَّ ثمرها القِلال» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن[(٢)].

قلت: وكذا لفظ مسلم[(٣)] من حديث ثابت عن أنس: «ثم ذُهِب بي إلى سِدْرة المنتَهى، وإذا ورقها كآذانِ الفيَلة، وإذا ثمرها كالقِلال، فلما غشيها من أمر الله عزَّ وجلَّ ما غشِي، تغيَّرت، فما أحد من خَلْق الله يستطيع أن ينعتها من حُسْنها».

واختلف لم سُمِّيت سِدْرة المنتهى على أقوال تسعة:

الأوَّل: ما تقدَّم عن ابن مسعود أنَّه ينتهي إليها كلُّ ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها.

الثاني: أنَّه ينتهي عِلْم الأنبياء إليها ويَعزُب عِلْمهم عما وراءها، قاله ابن عباس.

الثالث: أنَّ الأعمال تنتهي إليها وتقبض منها، قاله الضحاك.

الرابع: لانتهاء الملائكة والأنبياء إليها ووقوفهم عندها، قاله كعب[(٤)].

الخامس: سمِّيت سِدْرة المنتهَى؛ لأنَّها ينتهي إليها أرواح الشهداء، قاله الربيع ابن أنس[(٥)].

---

(١) إصلاح المنطق ليعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت ص١٩١ .

(٢) الترمذي (٢٥٤١)، وفيه: هذا حديث حسن غريب اهـ وفيه أيضاً: الفنن، بدل: الغصن.

(٣) برقم (١٦٢).

(٤) الأقوال الأربعة ذكرها الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٩٦ ، وأثر ابن مسعود أخرجه مسلم (١٧٣)، وأحمد (٣٦٦٥)، وأثر الضحاك أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٤٢٦ ، والطبري ٢٢/ ٣٤ ، وأثر كعب أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٥٠ ، والطبري ٢٢/ ٣٣ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧٠ ، وفيه المؤمنين، بدل: الشهداء.

السادس: لأنَّه تنتهي إليها أرواح المؤمنين، قاله قتادة(١).

السابع: لأنه ينتهي إليها كلُّ من كان على سنة محمَّد ﷺ ومنهاجه، قاله عليٌّ رضي الله عنه والربيع بن أنس أيضاً(٢).

الثامن: هي شجرة على رؤوس حملة العرش إليها ينتهي عِلْم الخلائق، قاله كعب أيضاً(٣).

قلت: يريد ـ والله أعلم ـ أنَّ ارتفاعَها وأعالي أغصانها قد جاوزت رؤوسَ حملة العرش، ودليله ما تقدَّم من أنَّ أصلها في السماء السادسة، وأَعلاها في السماء السابعة، ثم عَلَت فوق ذلك حتى جاوزت رؤوس حملة العرش. والله أعلم.

التاسع: سُمِّيت بذلك؛ لأنَّ من رُفعَ إليها فقد انتهى في الكرامة. وعن أبي هريرة لما أُسريَ برسول الله ﷺ انتهى به إلى سِدرة المنتهى، فقيل له: هذه سِدرة المنتهى ينتهي إليها كلُّ أحد خَلَا من أمَّتك على سنَّتك، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماءٍ غيرِ آسِنٍ، وأنهار من لبنٍ لم يتغيَّر طعمه، وأنهار من خمر لذَّة للشاربين، وأنهار من عسل مُصَفًّى، وإذا هي شجرة يسير الرّاكب المسرع في ظلِّها مئة عام لا يقطعها، والورقة منها تغطي الأمَّة كلَّها، ذكره الثعلبيُّ(٤).

قوله تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ تعريف بموضع جنَّة المأوى، وأنَّها عند سِدرة المنتهى(٥). وقرأ عليٌّ وأبو هريرة وأنس وأبو سَبرة الجهنيُّ وعبد الله بن الزبير ومجاهد: «عِنْدَهَا جَنَّهُ الْمَأْوَى»(٦). يعني: جَنَّهُ المبيتُ. قال مجاهد: يريد أجنَّه(٧).

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧١ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٣٩٥ دون عزوه إلى علي رضي الله عنه.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧٠ ، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٣ .

(٤) وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٧-٣٨ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٣٩٦ .

(٦) المحتسب ٢/ ٢٩٣ ، والقراءات الشاذة ص١٤٦ ، ولم يذكرا أبا سبرة الجهني ومجاهداً، وزادا زرَّ بن حبيش ومحمد بن كعب، وزاد ابنُ جني ـ أيضاً ـ قتادةَ، ووقع في مطبوع القراءات الشاذة: «عنده»، بدل: «عندها».

(٧) في (ظ) و (د): الجنة.

والهاء للنبيِّ ﷺ[١]. وقال الأخفش: أدركه، كما تقول: جنَّه الليلُ، أي: ستَره وأدركه. وقراءة العامة: «جَنَّةُ الْمَأْوَى»، قال الحسن: هي التي يصير إليها المتَّقون[٢]. وقيل: إنَّها الجنَّة التي تصير إليها أرواح الشهداء، قاله ابن عباس. وهي عن يمين العرش[٣]. وقيل: هي الجنَّة التي آوى إليها آدم عليه الصلاة والسلام إلى أن أُخرج منها، وهي في السماء السابعة[٤]. وقيل: إنَّ أرواحَ[٥] المؤمنين كلَّهم في جنَّة المأوى. وإنَّما قيل لها: جنة المأوى؛ لأنَّها تأوي إليها أرواح المؤمنين، وهي تحت العرش فيتنعَّمون بنعيمها، وينتسَّمون بطيب رِيْحها. وقيل: لأنَّ جبريل وميكائيل عليهما السلام يأويان إليها[٦]. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قال ابن عباس والضحَّاك وابن مسعود وأصحابه: فَرَاش من ذهب[٧]. ورواه مرفوعاً ابن مسعود وابنُ عباس إلى النبيِّ ﷺ[٨]. وقد تقدَّم في «صحيح مسلم»[٩] عن ابن مسعود قوله.

وقال الحسن: غشيها نورُ ربِّ العالمين، فاستنارت[١٠]. قال القشيريُّ: وسُئل رسولُ الله ﷺ ما غشيها؟ قال: «فَرَاش من ذهب»[١١]. وفي خبر آخر: «غشيها نورٌ

---

(١) المحرر الوجيز ١٩٩/٥ .

(٢) زاد المسير ٦٩/٨ ، وذكره الرازي ٢٩٢/٢٨ دون عزو.

(٣) النكت والعيون ٣٩٦/٥ ، وأخرجه عنه الطبري ٤٠/٢٢ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٧١/٤ ، وأشار محققه إلى أن لفظة: السابعة. جاءت في إحدى النسخ: الرابعة. وكذا وردت في النسخة (ظ) عندنا.

(٥) في (م): أزواح.

(٦) الوسيط ١٩٨/٤ بنحوه.

(٧) أثر ابن مسعود ذكره البغوي في التفسير ٢٤٨/٤ ، وهو جزء من الحديث المتقدم قريباً، وسلف تخريجه هناك.

(٨) حديث ابن عباس أخرجه أبو يعلى (٢٦٥٦)، والطبري ٤١/٢٢ .

(٩) برقم (١٧٣)، وسلف قريباً.

(١٠) تفسير البغوي ٢٤٨/٤ .

(١١) أخرجه الطبري ٤٢/٢٢ عن يعقوب بن زيد.

من الله حتى ما يستطيع أحدٌ أن ينظر إليها»[١]. وقال الربيع بن أنس: غشيها نورُ الربِّ، والملائكة تقع عليها كما يقع الغِربان على الشجرة[٢]. وعن النبي ﷺ قال: «رأيت السّدرةَ يغشاها فَرَاش من ذهب، ورأيت على كلِّ وَرَقةٍ مَلَكاً قائماً يسبِّح الله تعالى» وذلك قوله: «إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى» ذكره المهدويُّ والثعلبيُّ[٣]. وقال أنس ابن مالك: «إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى» قال: جراد من ذهب. وقد رواه مرفوعاً[٤]. وقال مجاهد: إنَّه رَفْرَف أخضرُ. وعنه عليه الصلاة والسلام: «يغشاها رَفْرَف من طير خضر»[٥]. وعن ابن عباس: يغشاها ربُّ العزة[٦]، أي: أَمْرُه، كما في «صحيح مسلم»[٧] مرفوعاً: «فلما غشيها من أمر الله ما غشي». وقيل: هو تعظيم الأمر، كأنَّه قال: إذ يغشى السِّدْرة ما أعلم الله به من دلائل ملكوته. وهكذا قوله تعالى: «فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى»، «وَالمؤتفكةَ أهوى . فغشاها ما غشى» [النجم: ٥٣] ومثله: ﴿ٱلْحَاقَّةُ . مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١-٢].

وقال الماورديُّ في «معاني القرآن» له[٨]: فإن قيل: لم اختيرت السِّدْرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر؟ قيل: لأنَّ السِّدْرَةَ تختصُّ بثلاثة أوصاف: ظلّ مديد،

(١) أخرجه مسلم (١٦٢) عن أنس بن مالك ﷺ بنحوه.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧١ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٤٣ .

(٣) وأخرجه الطبري ٢٢/ ٤٢ عن عبد الرحمن بن زيد. قال ابن حجر في الكافي الشاف ص١٦٠-١٦١ : وعبد الرحمن ضعيف، وهذا معضل.

(٤) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور ٦/ ١٢٦ .

(٥) الكشاف ٤/ ٢٩ ، ولطائف الإشارات ٣/ ٤٨٣ ، قال ابن حجر في الكافي الشاف ص١٦١ : لم أجده.

(٦) أخرجه الطبري ٢٢/ ٤٢ .

(٧) برقم (١٦٢) عن أنس بن مالك ﷺ، وتقدم.

(٨) النكت والعيون ٥/ ٣٩٦ ، والعبارة من قوله: قال الماوردي... إلى قوله: صوب الله رأسه في النار. جاءت في النسخ الخطية قبل تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾، والمثبت من (م) وهو الصواب.

وطعم لذيذ، ورائحة ذكيَّة، فشابهت الإيمانَ الذي يَجمع قولاً وعملاً ونيّةً، فظلُّها من الإيمان بمنزلة العمل؛ لتجاوزه، وطعمها بمنزلة النيَّة؛ لكمونه، ورائحتها بمنزلة القول؛ لظهوره.

وروى أبو داود في «سننه»[١] قال: حدَّثنا نصر بن علي قال: حدَّثنا أبو أسامة، عن ابن جريج، عن عثمان بنِ أبي سليمان، عن سعيد بن محمد بن جُبَير بن مُطْعِم، عن عبد الله بن حُبْشي، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قَطَعَ سِدْرةً صَوَّب اللهُ رأسَه في النار» وسئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال: هذا الحديث مختصر، يعني: من قطع سِدْرة في فلاة ـ يستظلُّ بها ابنُ السبيل والبهائم ـ عَبَثاً وظلماً بغير حقٍّ يكون له فيها، صَوَّب اللهُ رأسَه فِي النار.

قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ قال ابن عباس: أي: ما عَدل يميناً ولا شمالاً، ولا تجاوز الحدَّ الذي رأى[٢]. وقيل: ما جاوز ما أُمر به. وقيل: لم يمدَّ بصرَه إلى غير ما رأى من الآيات. وهذا وصف أدب للنبيِّ ﷺ في ذلك المقام، إذ لم يلتفت يميناً ولا شمالاً[٣].

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ قال ابن عباس: رأى رَفْرَفاً سدَّ الأفق[٤]. وذكر البيهقي عن عبد الله قال: «رَأى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى»[٥]: رأى رَفْرَفاً

---

(١) برقم (٥٢٣٩)، وأخرجه أيضاً النسائي في الكبرى (٨٥٥٧)، من طريق مخلد بن يزيد، عن ابن جريج، به. قال المنذري في مختصر السنن ٨/ ٩٩ : وحبشي: بضم الحاء المهملة، وسكون الباء الموحدة، وكسر الشين المعجمة، وياء النسب. اهـ. وأخرجه أيضاً أبو داود (٥٢٤٠) عن عروة بن الزبير مرسلاً.

(٢) أخرجه الطبري ٢٢/ ٤٤، والحاكم ٢/ ٤٦٩ وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٤٩ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠ .

(٥) بعدها في (م) و (د): قال ابن عباس. ولم ترد هذه العبارة في (ظ) وهو الصواب، وهي كذا في دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٣٧٢ والنقل منه، والحديث عند البخاري (٤٨٥٨).

أخضرَ سدَّ أفق السماء. وعنه قال: رأى رسولُ الله ﷺ جبريلَ عليه السلام في حُلَّة رفرف أخضر، قد ملأ ما بين السماء والأرض. قال البيهقيُّ[١]: قوله في الحديث: «رأى رَفْرَفاً» يريد جبريلَ عليه السلام في صورته على رفرف. والرفرف: البساط. ويقال: فِراش[٢]. ويقال: بل هو ثوب كان لباساً له، فقد روي أنَّه رآه في حُلَّةِ رفرفٍ.

قلت: خرَّجه الترمذيُّ[٣] عن عبد الله قال: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» قال: رأى رسول الله ﷺ جبريلَ عليه السلام في حُلَّة من رفرف، قد مَلَأَ ما بين السماء والأرض قال: هذا حديث حسن صحيح.

قلت: وقد روي عن ابن عباس في قوله تعالى: «دَنَا فَتَدَلَّى» أنَّه على التقديم والتأخير، أي: تدلَّى الرفرفُ لمحمَّد ﷺ ليلةَ المعراج فجلس عليه، ثم رُفع فدنا من ربِّه. قال: «فارقني جبريلُ، وانقطعت عنِّي الأصواتُ، وسمعتُ كلامَ ربِّي» فعلى هذا الرَّفْرَفُ: ما يُقْعَد ويُجلَس عليه كالبساط وغيره. وهو بالمعنى الأوَّل: جبريل. قال عبد الرحمن بن زيد ومقاتل بنُ حيَّان: رأى جبريلَ عليه السلام في صورته التي يكون فيها في السماوات[٤]. وكذا في «صحيح مسلم» عن عبد الله قال: «لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى» قال: رأى جبريلَ في صورته له ستُّ مئة جناح[٥]. ولا يبعد مع هذا أن يكون في حُلَّةِ رفرفٍ، وعلى رفرفٍ، والله أعلم.

وقال الضحَّاك: رأى سِدْرةَ المنتهى. وعن ابن مسعود: رأى ما غشيَ السِّدرة من فَرَاش الذهب، حكاه الماورديُّ[٦]. وقيل: رأى المعراج. وقيل: هو ما رأى تلك

---

(١) في دلائل النبوة ٢/ ٣٧٢.

(٢) النهاية ٢/ ٢٤٢-٢٤٣.

(٣) برقم (٣٢٨٣)، وأخرجه أيضاً النسائي في الكبرى (١١٤٦٧)، وأحمد (٣٧٤٠).

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧١ ونسبه لابن زيد، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٤٦.

(٥) سلف ص٢٥ من هذا الجزء.

(٦) في النكت والعيون ٥/ ٣٩٧، وسلف تخريجه عنه ١٧/ ٩٦.

الليلة في مَسْراه في عوده وبدئه[١]. وهو أحسن، دليله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء:١]، و«مِن» يجوز أن تكون للتبعيض، وتكون «الْكُبْرَى» مفعولة لـ «رأى» وهي في الأصل صفة الآيات، ووحِّدت لرؤوس الآيات. وأيضاً يجوز نعت الجماعة بنعت الأنثى[٢]، كقوله تعالى: ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه:١٨] وقيل: «الْكُبْرَى» نعت لمحذوف، أي: رأى من آيات ربِّه الكبرى[٣]. ويجوز أن تكون «مِن» زائدة، أي: رأى آيات ربِّه الكبرى. وقيل: فيه تقديم وتأخير، أي: رأى الكبرى من آيات ربِّه.

**قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾**

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ . وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ لما ذكر الوحي إلى النبيِّ ﷺ، وذكر من آثار قُدرته ما ذكر، حاجَّ المشركين إذ عبدوا ما لا يعقِل وقال: أفرأيتم هذه الآلهة التي تعبدونها أَوْحَيْنَ إليكم شيئاً كما أُوحِيَ إلى محمَّد[٤]، وكانت اللَّاتُ لثَقِيف، والعُزَّى لقريش وبني كنانة، ومناةُ لبني هلال. وقال هشام[٥]: فكانت مناة لِهُذَيْل وَخُزَاعة، فبعث رسول الله ﷺ عليّاً ﷺ فهدمها عام الفتح. ثم اتخذوا اللَّاتَ بالطائف، وهي أحدث من مَنَاة، وكانت صخرةً مُربَّعة، وكان سَدَنتها من ثَقِيف، وكانوا قد بَنَوْا عليها بناءً، فكانت قريش وجميع العرب تُعظِّمها. وبها كانت العرب تسمِّي: زيدَ اللَّات، وتيمَ اللَّات. وكانت في موضع منارة[٦] مسجد الطائف

(١) في (د): وتدنيه.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠ بنحوه.

(٣) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٩٥ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠ بنحوه.

(٥) في النسخ الخطية: ابن هشام. والمثبت من (م) وهو الصواب، وهو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وكلامه في كتابه «الأصنام» ص١٤-١٥ .

(٦) ليست في النسخ الخطية، وهي زيادة من (م) والأصنام ص١٦ .

اليسرى، فلم تَزَلْ كذلك إلى أن أسلمت ثَقِيفٌ، فبعث رسولُ الله ﷺ المغيرةَ بنَ شعبة فهدمها، وحرقها بالنار. ثم اتخذوا العُزَّى وهي أحدث من اللَّات، اتخذها ظالم بن أسعد[١]، وكانت بوادي نَخْلة الشاميَّة فوق ذات عِرْق، فبنوا عليها بيتاً[٢]، وكانوا يسمعون منها الصوت.

قال هشام[٣]: وحدَّثني أبي، عن أبي صالح، عن ابنِ عباس قال: كانت العُزَّى شيطانةً تأتي ثلاثَ سَمُرات ببطن نَخْلة، فلما افتتح رسولُ الله ﷺ مكَّةَ، بعث خالدَ بنَ الوليد ﷺ فقال: «إيتِ بَطْنَ نخلة فإنَّك تجد ثلاثَ سَمُرات، فاعْضِد الأولى» فأتاها فَعضَدها، فلما جاء إليه قال: «هل رأيتَ شيئاً» قال: لا. قال: «فاعضِد الثانية» فأتاها فَعضَدها، ثم أتى النبيَّ ﷺ فقال: «هل رأيت شيئاً»؟ قال: لا. قال: «فاعضد الثالثة» فأتاها فإذا هو بحبشيَّة نافشةٍ شعرها، واضعةٍ يَدَيْها[٤] على عاتقها تصرفُ[٥] بأنيابها، وخلفها دُبَيَّةالسُّلَمِيُّ وكان سادِنَها فقال:

يـا عُـزُّ كُـفْـرَانَـك لا سـبْـحـانِـك     إنِّـي رَأَيْـتُ الـلـهَ قَـد أهـانَـكِ[٦]

ثم ضربها ففلق رأسها، فإذا هي حُمَمَة[٧]، ثم عَضَد الشجرة، وقتل دُبَيَّة السادن، ثم أتى النبيَّ ﷺ فأخبره فقال: «تلك العُزَّى»[٨].

---

(١) في النسخ الخطية، سعد، والمثبت من (م) وكتاب الأصنام ص١٨ .

(٢) في الأصنام: بساً.

(٣) في النسخ: ابن هشام. والمثبت من الأصنام ص٢٥-٢٨ ، وهو الصواب، والكلام منه.

(٤) في النسخ الخطية: يدها. والمثبت من (م) وهو الموافق لما جاء في الأصنام.

(٥) في النسخ الخطية: تضرب. والمثبت من (م) وهو الموافق لما جاء في الأصنام، وصَرَف النابُ: صوَّت، معجم متن اللغة (صرف).

(٦) القائل: خالد بن الوليد كما في الأصنام ص٢٦ ، والكلام منه، والبيت أخرجه عنه الطبراني في الكبير(٣٨١١) عن أبي عبد الرحمن السلمي مرسلاً. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٧٦: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أنه مرسل.

(٧) في النسخ الخطية: جمجمة. والمثبت من (م) والأصنام، والحممة، الفحم البارد. لسان (حمم).

(٨) وأخرجه الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٩٨ من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس =

وقال ابن جُبير: العُزَّى: حجر أبيض كانوا يعبدونه[١]. قتادة: بيت[٢] كان ببطن نَخْلة.

ومَنَاة: صنم لخزاعة[٣]. وقيل: إنَّ «اللَّات» فيما ذكر بعض المفسرين أخذَه المشركون من لفظ «الله»، و«العُزَّى» من العزيز، و«مَنَاة» مِن مَنَى اللهُ الشيءَ: إذا قدَّره[٤].

وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحُميد وأبو صالح: «اللَّاتّ» بتشديد التاء[٥]، وقالوا: كان رجلاً يَلُتُّ السَّوِيق للحاجِّ ـ ذكره البخاري[٦] عن ابن عباس ـ فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه. ابن عباس: كان يبيع السَّوِيق والسَّمْن عند صخرة ويصبه عليها، فلما مات ذلك الرجل، عَبَدَتْ ثَقِيفُ تلك الصخرة؛ إعظاماً لصاحب السَّوِيق[٧].

أبو صالح: إنَّما كان رجلاً بالطائف فكان يقوم على آلهتهم، ويَلُتُّ لهم السَّوِيق، فلما مات عبدوه[٨].

---

= مختصراً، وأخرجه أيضاً النسائي في الكبرى (١١٤٨٣)، وأبو يعلى (٩٠٢) عن أبي الطفيل بنحوه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٧٦: رواه الطبراني، وفيه يحيى بن المنذر، وهو ضعيف. اهـ. والواقدي في المغازي ٣/ ٨٧٣-٨٧٤، ومن طريقه الأزرقي في أخبار مكة ١/ ١٢٧-١٢٨ عن سعيد بن عمرو الهذلي بنحوه.

(١) أخرجه الطبري ٢٢/ ٤٩.

(٢) في (م): نبت. وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٥٠.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٠، ونسبه للضحاك.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧٢.

(٥) القراءات الشاذة ص١٤٧، والمحتسب ٢/ ٢٩٤.

(٦) في صحيحه (٤٨٥٩)، ولتَّ السويقَ، أي: بَلَّه بالماء ونحوه. والسويق: ما يتخذ من الحنطة والشعير. لسان العرب (لتت) و (سوق).

(٧) أخرجه الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٩٨، والطبري ٢٢/ ٤٨ بنحوه، وينظر التعليق السابق.

(٨) أخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٤٨.

مجاهد: كان رجل في رأس جبل له غُنَيْمة يَسْلي منها السَّمْن، ويأخذ منها الأَقِط، ويجمع رِسْلَها، ثم يتَّخذ منها حَيْساً فيطعم الحاجَّ، وكان ببطن نَخْلة، فلما مات عبدوه وهو اللَّات[1]. وقال الكلبيُّ: كان رجلاً من ثَقِيف يقال له: صِرمة بن غنم[2].

وقيل: إنَّه عامر بن ظَرِب العَدْوانيّ. قال الشاعر:

لا تَنْصُروا الّلات إنَّ الله مُهْلِكُهَا    وكيف يَنْصُرُكُمْ مَنْ ليس يَنْتَصِرُ[3]

والقراءة الصحيحة «اللَّاتَ» بالتخفيف، اسم صنم، والوقوف عليها بالتاء، وهو اختيار الفرَّاء. قال الفرَّاء[4]: وقد رأيت الكسائيَّ سأل أبا فَقْعَس الأَسَديَّ فقال: ذاه لذات، وقال: «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاهَ». وكذا قرأ الدُّورِيُّ عن الكسائيِّ، والبَزِّيُّ عن ابن كثير «اللَّاه» بالهاء في الوقف[5]، ومن قال: إنَّ «اللَّات» من الله، وقَف بالهاء أيضاً. وقيل: أصلها لاه، مثل شاه، وهي من لَاهَت، أي: اختفت، قال الشاعر:

لَاهَتْ فما عُرِفت يوماً بخارجةٍ    يا ليتها خَرجتْ حتَّى رأيناها

وفي «الصحاح»[6]: اللات: اسم صنم كان لِثَقِيف وكان بالطائف. وبعض العرب يقف عليه بالتاء، وبعضهم بالهاء، قال الأخفش: سمعنا من العرب من يقول: اللَّات

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٤٩، وذكره الفاكهي في أخبار مكة ٥/ ١٦٤، وسَلَأَ السَّمْنَ: طبخه وعالجه فأذاب زبده. والأقط: شيء يتخذ من اللبن المخيض، يطبخ ثم يترك حتى يمصل. والرِّسل: اللبن ما كان. والحَيْس: الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن. لسان العرب (سلأ) و (أقط) و (رسل) و (حيس).

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٤٩.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٣٩٨، وذكر البيت هشام الكلبي في الأصنام ص١٧، ونسبه لشداد بن عارض الجشمي.

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ٩٧.

(٥) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص٣٣٦، والنشر في القراءات العشر ٢/ ١٣٢ عن الكسائي وحده.

(٦) مادة: (ليه).

والعُزَّى، ويقول: هي اللّات، فيجعلها تاء في السّكوت، وهي اللّاتِ فاعلم أنَّه جرّ في موضع الرفع، فهذا مثل: أمسِ، مكسورٌ على كلِّ حال، وهو أجودُ منه؛ لأنَّ الألف واللام اللّتين في اللّات لا تسقطان وإن كانتا زائدتين. وأمَّا ما سمعنا من الأكثر في اللّاتِ والعُزَّى في السّكوت عليها فاللّاه؛ لأنَّها هاءٌ فصارت تاءً في الوصل، وهي في تلك اللغة مثل: كان من الأمر كَيْتِ وكَيْتِ، وكذلك هيهاتِ في لغة من كسر[(١)]؛ إلا أنَّه يجوز في هيهاتِ أن تكون جماعة، ولا يجوز ذلك في اللّاتِ؛ لأنَّ التاء لا تزاد في الجماعة إلا مع الألف، وإن جعلت الألف والتاء[(٢)] زائدتين بقي الاسم على حرف واحد.

قوله تعالى: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ قرأ ابن كثير وابن مُحيْصن وحُميد ومجاهد والسُّلَميُّ والأعشى عن أبي بكر: «وَمَنَاءَةَ» بالمدِّ والهمز. والباقون: بترك الهمز[(٣)]، لغتان. وقيل: سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّهم كانوا يريقون عنده الدماء؛ يتقرَّبون بذلك إليه. وبذلك سُمِّيت منًى؛ لكثرة ما يُراق فيها من الدماء[(٤)]. وكان الكسائيُّ وابن كثير وابن مُحَيْصن يقفون بالهاء على الأصل[(٥)]. الباقون: بالتاء؛ اتِّباعاً لخطِّ المصحف[(٦)].

وفي «الصحاح»[(٧)]: ومناة: اسم صنم كان [لهذيل وخزاعة] بين مكَّة والمدينة، والهاء للتأنيث، ويسكت عليها بالتاء، وهي لغة، والنسبة إليها: مَنَوِيٌّ. وعبدُ مَناةَ بنُ

---

(١) في (م): كسرها.

(٢) في (د) و(ظ): واللام.

(٣) قراءة ابن كثير في السبعة ص٦١٥، والتيسير ص٢٠٤.

(٤) تهذيب اللغة ١٥/ ٥٣١، والكشاف ٤/ ٣٠.

(٥) قال ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٢/ ١٣٣: وشذَّ جماعة من العراقيين فرووا عن الكسائي وحده الوقف على مناة بالهاء، وعن الباقين بالتاء، ذكر ذلك ابن سوار وأبو العز وسبط الخياط، وهو غلط... وأكَّد ذلك في ٢/ ٣٧٩ بقوله: وما وقع في كتب بعضهم من أن الكسائي وحده يقف بالهاء والباقون بالتاء، فوهم لعله انقلب عليهم من اللات كما قدمناه في بابه.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٣.

(٧) مادة: (منا)، وما بين حاصرتين منه.

أُدِّ بن طابِخة، وزيدُ مناةَ بن تميم بن مُرٍّ، يُمَدُّ ويقصر، قال هَوْبَر الحارثيُّ:

أَلَا هَلْ أَتى التَّيْمَ بنَ عبدِ مَناءةٍ      على الشِّنْءِ فيما بيننا ابْنُ تَمِيمِ[١]

قوله تعالى: ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ العرب [لا][٢] تقول للثالثة: أخرى، وإنَّما الأخرى نعت للثانية، واختلفوا في وجهها فقال الخليل: إنَّما قال ذلك؛ لوفاق رؤوس الآي، كقوله: ﴿مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨] ولم يقل: أُخَر. وقال الحسين بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير، مجازها: أفرأيتم اللّات والعُزَّى الأخرى ومَنَاة الثالثة[٣].

وقيل: إنَّما قال: «ومَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى» لأنَّها كانت مرتَّبة عند المشركين في التعظيم بعد اللّات والعُزَّى[٤]، فالكلام على نسقه. وقد ذكرنا عن هشام[٥]: أن مَنَاةَ كانت أولاً في التقديم، فلذلك كانت مقدَّمة عندهم في التعظيم، والله أعلم. وفي الآية حذف دلَّ عليه الكلام، أي: أفرأيتم هذه الآلهة هل نفعت أو ضرَّت حتى تكون شركاءَ لله.

ثم قال على جهة التقريع والتوبيخ: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ ردًّا عليهم قولهم: الملائكة بناتُ الله، والأصنام بناتُ الله[٦].

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا﴾ يعني: هذه القسمة ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ أي: جائرة عن العدل، خارجة عن الصواب، مائلة عن الحقِّ.

يقال: ضَازَ في الحكم، أي: جَارَ، وضَازَه حقَّه يَضِيزه ضَيْزاً ـ عن الأخفش ـ

---

(١) ذكره أيضاً أبو العلاء المعري في الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ ص٦٣، والشِّنْءُ: البغض. لسان العرب (شنأ).

(٢) ليست في النسخ الخطية، والمثبت من (م)، وهو الصواب.

(٣) زاد المسير ٨/ ٧٢ - ٧٣.

(٤) النكت والعيون ٥/٣٩٨.

(٥) في النسخ: ابن هشام، والصواب ما أثبتناه، وكما أسلفنا، وهو هشام بن محمد بن السائب، واشتهر بابن الكلبي، وكلامه في الأصنام ص١٣.

(٦) المحرر الوجيز ٥/٢٠١.

أي: نقصه وبخَسَه. قال: وقد يهمز فيقال: ضأزه يَضْأَزُه ضَأْزاً وأنشد:

فَإنْ تَنْأَ عنَّا نَنْتقِصْكَ وإنْ تُقِمْ فقِسْمُكَ مَضْؤوزٌ وأنفُكَ رَاغِمُ[١]

وقال الكسائيُّ: يقال: ضازَ يَضِيز ضَيْزاً، وضازَ يَضُوز ضَوْزاً، وضَأز يَضْأز ضأزاً: إذا ظلم وتعدَّى وبخَس وانتقص[٢]. قال الشاعر:

ضَازَتْ بنو أَسدٍ بِحُكمِهِمُ إذ يجعلون الرأسَ كالذَّنَبِ[٣]

قوله تعالى: «قِسْمَةٌ ضِيزَى» أي: جائرة، وهي فُعْلى، مِثل: طُوبَى وحُبْلى، وإنَّما كسروا الضاد؛ لتسلم الياء؛ لأنه ليس في الكلام «فِعْلى» صفةٌ، وإنَّما هو من بناء الأسماء كالشِّعْرى والدِّفْلى. قال الفرَّاء: وبعض العرب تقول: ضُؤْزى وضِئْزى بالهمز. وحكى أبو حاتم عن أبي زيد: أنَّه سمع العرب تهمز «ضِيزى»[٤].

قال غيره: وبها قرأ ابن كثير، جعله مصدراً، مثل ذِكرى[٥]، وليس بصفة، إذ ليس في الصفات «فِعْلى»، ولا يكون أصلها «فُعْلى»، إذ ليس فيها ما يوجب القلب، وهي من قولهم: ضأزته، أي: ظلمته. فالمعنى: قسمة ذات ظلم. وقد قيل: هما لغتان بمعنًى. وحكى فيها أيضاً سواهما: ضَيْزَى وضَأْزى، وضُوزَى وضُؤْزى[٦]. وقال المؤرِّج: كرهوا ضمَّ الضاد في ضِيزى، وخافوا انقلاب الياء واواً، وهي من بنات الواو، فكسروا الضاد لهذه العلَّة، كما قالوا في جمع أبيض: بِيضٌ، والأصل بُوضٌ،

---

(١) الصحاح (ضيز)، وذكر البيت أيضاً الأزهري في تهذيب اللغة ١٢/٥٢ ، والماوردي في النكت والعيون ٥/٣٩٩ ، وجاء في الصحاح: فحقك، وفي التهذيب: فحظك، بدل: فقسمك، وفي النسخ الخطية: تغب، بدل: تقم.

(٢) تفسير البغوي ٤/٢٥٠ .

(٣) القائل امرؤ القيس كما ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور ٦/١٢٧ وعزاه إلى الطستي في مسائله عن ابن عباس رضي الله عنهما، وورد في الدر: يعدلون، بدل: يجعلون.

(٤) الصحاح (ضيز)، وكلام الفراء في معاني القرآن له ٣/٩٨ .

(٥) المحرر الوجيز ٥/٢٠١ ، والقراءة في السبعة ص٦١٥ ، والتيسير ص٢٠٤ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٥/٧٣ .

مثل: حُمْر وصُفْر وخُضْر. فأمَّا من قال: ضاز يَضُوز، فالاسم منه: ضُوزَى مثل شُورَى[(١)].

**قوله تعالى:** ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي: ما هي ـ يعني هذه الأوثان ـ «إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا» يعني: نَحتُّموها وسمَّيتموها آلهةً. ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أي: قلَّدتموهم في ذلك. ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: ما أنزل الله بها من حجَّة ولا برهان. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ عاد من الخطاب إلى الخبر[(٢)]، أي: ما يتَّبع هؤلاء إلَّا الظَّنَّ. ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ أي: تميل إليه.

وقراءة العامة: «يَتَّبِعُونَ» بالياء. وقرأ عيسى بن عمر وأيوب وابن السَّمَيْفَع «تَتَّبِعُونَ» بالتاء على الخطاب. وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس[(٣)]. ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي: البيان من جهة الرسول أنَّها ليست بآلهة[(٤)]. ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ أي: اشتهى، أي: ليس ذلك له[(٥)]. وقيل: «لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى» [من البنين، أي: يكون له دون البنات[(٦)]. وقيل: «أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى» من غير جزاء! ليس الأمر كذلك. وقيل: «أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى» من النبوّة أن تكون فيه دون غيره[(٧)]. وقيل: «أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٠ ولم ينسبه للمؤرِّج.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٥١ .

(٣) الكشاف ٤/ ٣١ ، وتفسير الرازي ٢٨/ ٣٠٠ دون عزو، والبحر المحيط ٨/ ١٦٢-١٦٣ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٥١ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧٣ .

(٦) النكت والعيون ٥/ ٣٩٩ .

(٧) النكت والعيون ٥/ ٣٩٩ ، وما بين حاصرتين ليست في (د).

تَمَنَّى»] من شفاعة الأصنام[١]، نزلت في النضر بن الحارث. وقيل: في الوليد بن المغيرة[٢]. وقيل: في سائر الكفار.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، لا ما تمنَّى أحد[٣].

قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ هذا توبيخ من الله تعالى لمن عَبَدَ الملائكة والأصنام، وزعم أنَّ ذلك يقرِّبه إلى الله تعالى، فأعلم أنَّ الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتهم على الله لا تشفع إلا لمن أذنَ أن يشفع له[٤]. قال الأخفش: الملَك واحد، ومعناه جمع، وهو كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]. وقيل: إنَّما ذكر ملكاً واحداً؛ لأنَّ «كَمْ» تدلُّ على الجمع[٥].

**قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ هم الكفار الذين قالوا: الملائكة بنات الله، والأصنام بنات الله. ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ أي: كتسمية الأنثى، أي: يعتقدون أنَّ الملائكة إناث، وأنَّهم بناتُ الله[٦]. ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: إنَّهم لم يشاهدوا خلقَه الملائكةَ، ولم يسمعوا ما قالوه من رسول الله ﷺ، ولم يَرَوْهُ في كتاب.

---

(١) الوسيط ٤/ ٢٠٠.

(٢) الكشاف ٤/ ٣١.

(٣) الكشاف ٤/ ٣١.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧٣.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٩٩.

(٦) الوسيط ٤/ ٢٠٠.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ أي: ما يتَّبعُونَ ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في أنَّ الملائكةَ إناث. ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ يعني: القرآن والإيمان[1]، وهذا منسوخ بآية السيف[2]. ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ نزلت في النَّضر. وقيل: في الوليد. ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي: إنَّما يُبصرون أمر دنياهم، ويَجهلون أمر دينهم. قال الفرَّاء[3]: صغَّرهم وازدرى بهم، أي: ذلك قَدْر عقولهم ونهاية عِلْمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة. وقيل: أن جعلوا الملائكةَ والأصنامَ بناتِ الله. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: حاد عن دينه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ فيجازي كُلًّا بأعمالهم.

**قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾**

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ اللام متعلِّقة بالمعنى الذي دلَّ عليه: «وَلِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» كأنَّه قال: هو مالك ذلك، يهدي من يشاء، ويضلُّ من يشاء؛ ليجزيَ المحسنَ بإحسانه، والمسيءَ بإساءته[4]. وقيل: «لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» معترض في الكلام، والمعنى: إنَّ ربَّك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله، وهو أعلم بمن اهتدى؛ ليجزي[5]. وقيل: هي لام العاقبة[6]، أي: ولله ما في السماوات وما في الأرض،

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٥١.

(٢) الوسيط ٤/ ٢٠١.

(٣) في معاني القرآن له ٣/ ١٠٠.

(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٦٩٣ - ٦٩٤.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٣.

(٦) زاد المسير ٨/ ٧٥.

أي: وعاقبة أَمْرِ الخَلْق أن يكون فيهم مسيْء ومحسن؛ فللمسِيْء السُّوأى وهي جهنَّم، وللمحسن الحسنى وهي الجنة.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ **فيه ثلاث مسائل:**

**الأولى:** قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ هذا نعت للمحسنين[١]، أي: هم لا يرتكبون كبائر الإثم وهو الشِّرك؛ لأنَّه أكبر الآثام، وقرأ الأعمش ويحيى بن وثَّاب وحمزة والكسائيُّ: «كَبيرَ» على التوحيد[٢]، وفسَّره ابن عباس بالشِّرك. «وَالْفَوَاحِشَ» الزنى[٣]. وقال مقاتل: «كَبَائِرَ الْإِثْمِ»: كلُّ ذنب خُتمَ بالنار. «وَالْفَوَاحِشَ»: كلُّ ذنب فيه الحدُّ[٤]. وقد مضى في «النساء»[٥] القول في هذا. ثم استثنى استثناءً منقطعاً وهي:

**المسألة الثانية:** فقال: «إِلَّا اللَّمَمَ»: وهي الصغائر التي لا يَسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله وحفظه.

وقد اختلف في معناها، فقال أبو هريرة وابن عباس والشعبيُّ: «اللَّمَمُ»: كلُّ ما دون الزنى[٦]. وذكر مقاتل بن سليمان: أنَّ هذه الآيةَ نزلت في رجل كان يُسمَّى نبهان التمَّار، كان له حانوت يبيع فيه تمراً، فجاءته امرأة تشتري منه تمراً فقال لها: إنَّ داخل الدكان ما هو خيرٌ من هذا، فلما دخلت راودها، فأبت وانصرفت، فندم نبهان، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! ما من شيء يصنعه الرجل إلا وقد

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٣.

(٢) قراءة حمزة والكسائي في السبعة ص٦١٥، والتيسير ص١٩٥، وقراءة الأعمش ويحيى بن وثاب في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٣.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٦٠.

(٤) زاد المسير ٨/ ٧٥ ولم ينسبه.

(٥) ٦/ ٢٦٢.

(٦) الوسيط ٤/ ٢٠١.

فعلته إلا الجماع. فقال: «لعلَّ زوجَها غازٍ» فنزلت هذه الآية[١]، وقد مضى في آخر «هود»[٢].

وكذا قال ابن مسعود وأبو سعيد الخُدريُّ وحذيفة ومسروق: إنَّ اللمم ما دون الوطء من القُبلة والغَمْزة والنظرة والمضاجعة[٣].

وروى مسروق عن عبد الله بنِ مسعود قال: زنى العينين النظر، وزنى اليدين البطش، وزنى الرِّجلين المشي، وإنَّما يصدِّق ذلك أو يكذِّبه الفَرْجُ، فإن تقدَّم كان زنًى، وإن تأخَّر كان لَمَماً[٤]. وفي «صحيح البخاري ومسلم»[٥] عن ابنِ عباس قال: ما رأيتُ شيئاً أشبه باللَّمم مما قال أبو هريرة: إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ اللهَ كتب على ابن آدَم حظَّه من الزنى، أدرك ذلك لا محالةَ، فزنى العينين النظر، وزنى اللسان النطق، والنفس تمنَّى وتشتهي، والفرج يصدِّق ذلك أو يكذِّبه». والمعنى: أنَّ الفاحشة العظيمة والزنى التامَّ الموجِب للحدِّ في الدنيا والعقوبة في الآخرة، هو في الفَرْج، وغيرُه له حظٌّ من الإثم[٦]. والله أعلم.

وفي رواية أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «كُتِب على ابن آدَمَ نصيبه من الزنى، مُدْرِكٌ ذلك لا محالةَ، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجل زناها الخُطَا، والقلب

---

(١) سلف ٥/ ٣٢٢.

(٢) ١١/ ٢٣٠.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٢.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٥٥، والطبري ٢٢/ ٦٢، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٧٠، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٠٦٠) من طريق أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود به، ولم يرد: مسروق، في إسناد عبد الرزاق والطبري. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٥) البخاري (٦٦١٢)، ومسلم (٢٦٥٧) واللفظ له، وهو عند أحمد (٧٧١٩).

(٦) إكمال المعلم ٨/ ١٤٥.

يَهْوَى ويتمنَّى، ويصدِّق ذلك الفَرْجُ ويكذِّبه». خرَّجه مسلم[١]. وقد ذكر الثعلبيُّ حديثَ طاوس عن ابن عباس، فذكر فيه الأُذن واليد والرِّجل، وزاد فيه بعد العينين واللسان: «وزنى الشفتين القُبلة»[٢]. فهذا قول.

وقال ابن عباس أيضاً: هو الرجل يُلِمُّ بذنب ثم يتوب. قال: أَلَم تسمع النبيَّ ﷺ كان يقول:

إن تَغفر اللَّهُمَّ تَغفر جَمّا وأيُّ عبدٍ لكَ لا أَلَمّا

رواه عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس[٣]. قال النحَّاس: هذا أصحُّ ما قيل فيه وأجلُّها إسناداً.

وروى شعبة، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس في قول الله عزَّ وجلَّ: «إِلَّا اللَّمَمَ» قال: هو أن يُلِمَّ العبدُ بالذنب ثم لا يعاوده، قال الشاعر:

إن تَغفِرِ اللَّهمَّ تغفر جَمّا وأيُّ عبدٍ لكَ لا أَلَمّا[٤]

وكذا قال مجاهد والحسن: هو الذي يأتي الذنب ثم لا يعاوده[٥]. ونحوه عن

---

(١) في صحيحه (٢٦٥٧): (٢١).

(٢) وقد وردت هذه الزيادة في حديث ابن مسعود السالف الذكر، وثمة تخريجه هناك.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٢٨٤) من طريق زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، به. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق. اهـ. والبيت لأمية بن أبي الصلت، وهو في ديوانه ص٥٨، ونسبه بعضهم لأبي خِراش الهذلي كما في أمالي ابن الشجري ٢/ ٥٣٦، وشرح أشعار الهذليين ٣/ ١٣٤٦ وغيرها من المصادر، لكن قال البغدادي في خزانة الأدب ٢/ ٢٩٥: وزعم العيني أنه لأبي خراش الهذلي، وهذا خطأ، وإنما هو لأمية بن أبي الصلت، قاله عند موته، وقد أخذه أبو خراش منه. وينظر التعليق الآتي.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٨٥، وفي شعب الإيمان (٧٠٥٧) من طريق آدم بن أبي إياس، عن شعبة، به. وقال: هذا هو المحفوظ موقوف. اهـ. وأخرجه أيضاً الطبري ٢٢/ ٦٤ من طريق محمد ابن جعفر، عن شعبة، به. إلا أنه لم يذكر ابن عباس في إسناده.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤٠٠، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٦٤ عن مجاهد بنحو قول ابن عباس الآنف الذكر، وأخرجه مجاهد في التفسير ٢/ ٦٣١، والطبري ٢٢/ ٦٤ - ٦٥ عن الحسن بنحوه.

الزهري، قال: اللَّمم: أن يزنيَ ثم يتوب فلا يعود، وأن يسرقَ أو يشرب الخمر ثم يتوب فلا يعود. ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية [١٣٥ من آل عمران]. ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٦] فضمن لهم المغفرة، كما قال عقيبَ اللَّمم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ فعلى هذا التأويل يكون «إِلَّا اللَّمَمَ» استثناء متصل. قال عبد الله بن عمرو بن العاص: اللَّمم: ما دون الشرك[١]. وقيل: اللَّمم: الذنب بين الحدَّين، وهو ما لم يأتِ عليه حدٌّ في الدنيا، ولا تُوعِّد عليه بعذاب في الآخرة، تكفِّره الصلوات الخمس. قاله ابن زيد وعكرمة والضحاك وقتادة[٢]. ورواه العوفيُّ والحكم بن عتيبة عن ابن عباس[٣].

وقال الكلبيُّ: اللَّمم على وجهين: كلُّ ذنب لم يَذكر اللهُ عليه حدًّا في الدنيا ولا عذاباً في الآخرة، فذلك الذي تكفِّره الصلوات الخمس، ما لم يبلغ الكبائرَ والفواحشَ. والوجه الآخر: هو الذنب العظيم يُلِمُّ به الإنسان المرَّة بعد المرَّة فيتوب منه[٤].

وعن ابن عباس أيضاً وأبي هريرة وزيد بن ثابت: هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم به. وذلك أنَّ المشركين قالوا للمسلمين: إنَّما كنتم بالأمسِ تعملون معنا، فنزلت، وقاله زيد بن أسلم وابنه، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[٥] [النساء: ٢٣].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٢ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٦٦ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٤ وعزاه إلى أبي هريرة وابن عباس، والنكت والعيون ٥/ ٤٠١ وعزاه إلى ابن عباس وقتادة، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٦٧ - ٦٨ عن ابن عباس وابن الزبير وعكرمة وقتادة والضحاك.

(٣) أورده ابن كثير في التفسير ٧/ ٤٦٢ عن العوفي عن ابن عباس، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٦٧ عن الحكم بن عتيبة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٤ ولم ينسبه لأبي هريرة، وذكره عنه أبو الليث السمرقندي في التفسير ٣/ ٢٩٣ .

وقيل: اللَّمم: هو أن يأتيَ بذنب لم يكن له بعادة، قاله نفطويه[١]. قال: والعرب تقول: ما يأتينا إلَّا لِمَاماً؛ أي: في الحين بعد الحين. قال: ولا يكون أن يُلِمَّ ولا يفعل؛ لأنَّ العرب لا تقول: ألمَّ بنا، إلا إذا فعل الإنسان، لا إذا همَّ ولم يفعله. وفي «الصحاح»[٢]: وألمَّ الرجل، من اللَّمم: وهو صغائر الذنوب، ويقال: هو مقاربة المعصية من غير مواقعة. وأنشد غير الجوهريِّ:

بِزينَب أَلْمِمْ قبل أن يَرْحَلَ الرَّكبُ وقُلْ إنْ تَمَلِّينَا فما مَلَّكِ الْقَلْبُ[٣]

أي: اقرب.

وقال عطاء بن أبي رباح: اللَّمم: عادة النفس الحين بعد الحين[٤]. وقال سعيد ابن المسيّب: هو ما ألمَّ على القلب، أي: خطر[٥]. وقال محمد ابن الحنفيَّة: كلُّ ما هممتَ به من خير أو شرٍّ، فهو لمَمَ[٦]. ودليل هذا التأويل قوله عليه الصلاة والسلام: «إنَّ للشيطان لَمَّة، وللملَك لَمَّة» الحديث. وقد مضى في «البقرة»[٧] عند قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ [الآية: ٢٦٨].

وقال أبو إسحاق الزجّاج: أصل اللَّمم والإلمام: ما يعمله الإنسان المرَّة بعد المرَّة ولا يتعمَّق فيه ولا يقيم عليه[٨]. يقال: ألممت به، إذا زرته وانصرفت عنه، ويقال: ما فعلته إلا لَمَماً وإلماماً، أي: الحين بعد الحين. وإنَّما زيارتك إلمام[٩]،

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٤ .

(٢) مادة: (لمم).

(٣) القائل نُصَيْب بن رباح، والبيت في ديوانه ص٦٠ .

(٤) الكشاف ٤/ ٣٢ .

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٤ .

(٦) زاد المسير ٨/ ٧٦ .

(٧) ٤/ ٣٥٥ .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٤ ، والوسيط ٤/ ٢٠٢ بنحوه.

(٩) لسان العرب (لمم) بنحوه.

ومنه إلمام الخيال، قال الأعشى[١]:

أَلَـمّ خَيَـالٌ مِـن قُـتَـيْـلَـةَ بَـعْـدَ مَـا     وَهَـى حَبْـلُـهـا مِـن حَـبْـلِـنَـا فَـتَـصَـرَّمَـا

وقيل: «إلا» بمعنى الواو[٢]. وأنكر هذا الفرَّاء[٣] وقال: المعنى إلا المتقارب من صغار الذنوب. وقيل: اللَّمم: النظرة التي تكون فجأة[٤].

قلت: هذا فيه بعدٌ، إذ هو معفوٌّ عنه ابتداءً، غير مؤاخذ به؛ لأنه يقع من غير قصد واختيار، وقد مضى في «النور» بيانه[٥].

واللَّمم أيضاً: طَرَفٌ من الجنون، ورجل ملموم، أي: به لَمَمٌ. ويقال أيضاً: أصابت فلاناً لَمَّةٌ من الجنِّ، وهي المسُّ، والشيء القليل، قال الشاعر:

فـإذا وذَلِـك يـا كُـبَـيْـشَـةُ لَـمْ يَـكُـنْ     إِلَّا كَـلَـمَّـةِ حـالِـمٍ بِـخَـيـالِ[٦]

**الثالثة**: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ لمن تاب من ذنبه واستغفر، قاله ابن عباس[٧]. وقال أبو ميسرة عمرو بن شَرَحْبيل وكان من أفاضل أصحاب ابنِ مسعود: رأيتُ في المنام كأنِّي دخلتُ الجنَّة، فإذا قِباب مضروبة، فقلت: لمن هذه؟ فقالوا: لذي الكَلَاع وحَوْشَب ـ وكانا ممن قَتل بعضهم بعضاً ـ فقلت: وكيف ذلك؟ فقالوا: إنَّهما لقيا اللهَ فوجداه واسعَ المغفرة. فقال أبو خالد: بلغني أنَّ ذا الكَلَاع أعتق اثني عشَر ألف بيت[٨].

---

(١) في ديوانه ص٥٥ .

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٣ .

(٣) في معاني القرآن له ٣/ ١٠٠ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٤ ونسبه للحسين بن الفضل.

(٥) ١٥/ ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٦) الصحاح (لمم) ولم ينسب البيت فيه، ونسب في لسان العرب (لمم) إلى ابن مقبل، ولم نقف عليه في ديوانه.

(٧) الوسيط ٤/ ٢٠٢ .

(٨) أخرجه سعيد بن منصور في السنن ٢/ ٣٤٠ ، وابن أبي شيبة ١٥/ ٢٩٠ ، وأبو نعيم في الحلية =

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ من أنفسكم ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: أباكم آدم من الطين[١]، وخرج اللفظ على الجمع.

قال الترمذيُّ أبو عبد الله: وليس هو كذلك عندنا، بل وقع الإنشاء على التربة التي رفعت من الأرض، وكنَّا جميعاً في تلك التربة وفي تلك الطينة، ثم خرجت من الطينة المياه إلى الأصلاب مع ذَرْوِ النفوس على اختلاف هيئتها، ثم استخرجها من صُلْبها على اختلاف الهيئات، منهم كالدُّرِّ يتلألأ، وبعضهم أنور من بعض، وبعضهم أسود كالحُمَمَة، وبعضهم أشدُّ سواداً من بعض، فكان الإنشاء واقعاً علينا وعليه. حدَّثنا عيسى بن حماد العسقلانيُّ قال: حدَّثنا بِشر بنُ بَكرٍ، قال: حدَّثنا الأوزاعيُّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرض عليَّ الأوَّلون والآخرون بين يدي حجرتي هذه الليلة» فقال قائل: يا رسولَ الله! ومَن مضى من الخَلْق؟ قال: «نعم، عُرض عليَّ آدم فمن دونه، فهل كان خُلِقَ أحد» قالوا: ومن في أصلاب الرجال وبطون الأُمَّهات؟ قال: «نعم، مثلوا في الطين فعرفتهم، كما علم آدم الأسماء كلَّها»[٢].

قلت: وقد تقدَّم في أوَّل «الأنعام»[٣] أنَّ كلَّ إنسان يُخلَق من طين البقعة التي يدفن فيها.

﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ جمع جَنِين: وهو الولد ما دام في البطن، سُمِّيَ جنيناً؛ لاجتنانه واستتاره[٤]. قال عمرو بن كُلْثوم:

هِجانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرأْ جَنِينَا[٥]

---

= ٤/ ١٤٣، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ١٧٤. وقول أبي خالد ـ وهو يزيد بن هارون من رجال الإسناد ـ جاء عقب رواية البيهقي هكذا: ...فإن ذا الكلاع وحوشب أعتقا اثني عشر ألف أهل بيت، وذكر من محاسنهم أشياء. اهـ وجاء في (م) و(د): بنت، بدل: بيت.

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٣.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) ٨/ ٣١٩.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٣.

(٥) سلف ٤/ ٣٨.

وقال مكحول: كنَّا أجنَّة في بطون أمهاتنا، فسقط منَّا من سقط، وكنَّا فيمن بقي، ثم صرنا رُضَّعاً، فهلك منَّا من هلك، وكنا فيمن بقي، ثم صرنا يَفَعةً، فهلك منَّا من هلك، وكنَّا فيمن بقي، ثم صرنا شباباً، فهلك منَّا من هلك، وكنَّا فيمن بقي، ثم صرنا شيوخاً ـ لا أبَا لك! ـ فما بعد هذا ننتظر[١]؟!.

وروى ابنُ لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبيٌّ صغير: هو صِدِّيق. فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «كذبت يهود، ما من نَسَمة يخلقها الله في بطن أمِّه إلا أنَّه شقيٌّ أو سعيد» فأنزل الله تعالى عند ذلك هذه الآية: «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ» إلى آخرها[٢]. ونحوه عن عائشة: «كان اليهود». بمثله[٣].

﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ أي: لا تمدحوها ولا تثنُوا عليها[٤]، فإنَّه أبعد من الرياء، وأقرب إلى الخشوع. ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ أي: أَخْلَصَ العمل، واتَّقى عقوبةَ الله، عن الحسن وغيره[٥]. قال الحسن: قد عَلِمَ اللهُ سبحانه كلَّ نفس ما هي عاملة، وما هي صانعة، وإلى ما هي صائرة[٦]. وقد مضى في «النساء»[٧] الكلام في معنى هذه الآية عند قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ﴾ [الآية:٤٩] فتأمَّله هناك. وقال ابن عباس: ما من أحد من هذه الأمَّة أزكِّيه غير رسول الله ﷺ[٨]. والله تعالى أعلم.

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٠٢ .

(٢) أسباب النزول للواحدي ص٤٢٢ ، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٣٦٨) من طريق يحيى بن بكير، عن ابن لهيعة، به.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٤ .

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٣ .

(٥) زاد المسير ٨/ ٧٧ .

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٠٢ .

(٧) ٦/ ٤٠٧ .

(٨) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٥٢٥)، والطبراني في الكبير (١١٠٢٤).

**قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾**

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ الآيات، لما بيَّن جهل المشركين في عبادة الأصنام، ذكر واحداً منهم معيَّناً بسوء فعله. قال مجاهد وابن زيد ومقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد اتَّبع رسولَ الله ﷺ على دينه، فعيَّره بعض المشركين، وقال: لِمَ تركتَ دينَ الأشياخ وضَلَّلتهم[1] وزعمت أنَّهم في النار؟! قال: إنِّي خشيتُ عذاب الله، فضمن له إن هو أعطاه شيئاً من ماله، ورجع إلى شركه أن يتحمَّل عنه عذاب الله[2]، فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن [له] ثم بَخِلَ ومنعَه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مقاتل: كان[3] الوليد مدح القرآن ثم أمسك عنه فنزل: «وَأَعْطَى قَلِيلاً» أي: من الخير بلسانه «وَأَكْدَى» أي: قطع ذلك وأمسك عنه[4]. وعنه: أنَّه أعطى رسولَ الله ﷺ عقد الإيمان ثم تولَّى، فنزلت: «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى» الآية.

وقال ابن عباس والسُّدِّيُّ والكلبيُّ والمسيّب بن شريك: نزلت في عثمان بن عفان ﵁ كان يتصدَّق وينفق في الخير، فقال له أخوه من الرضاعة عبد الله بن أبي سَرْح: ما هذا الذي تصنع؟ يوشك ألّا يبقى لك شيء. فقال عثمان: إنَّ لي ذنوباً وخطايا، وإنِّي أطلب بما أصنع رضا الله تعالى، وأرجو عفوه! فقال له عبد الله: أعطني ناقتك برَحْلها وأنا أتحمَّل عنك ذنوبك كلّها. فأعطاه وأشهد عليه، وأمسك عن

---

(١) في (ظ): وملكهم، وفي (د): وملتهم، وفي (ف): وملّلهم، والمثبت من (م)، وأسباب النزول للواحدي ص٤٢٣ ، والكلام منه دون نسبته إلى مقاتل، وما بين حاصرتين منه أيضاً، والخبر أخرجه الطبري ٢٢/ ٧٢ عن ابن زيد بتمامه، وعن مجاهد مختصراً، وهو في تفسير مجاهد ٢/ ٦٣١ .

(٢) بعدها في (د) و(ظ) و(ف): ففعل. ولم ترد في أسباب النزول.

(٣) في (م): كال. وهو خطأ.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٣ .

بعض ما كان يصنع [من الصدقة] فأنزل الله تعالى: «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى. وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى» فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجمله. ذكر ذلك الواحديُّ[١] والثعلبيُّ.

وقال السُّدِّيُّ أيضاً: نزلت في العاص بن وائل السَّهْميّ، وذلك أنَّه كان ربَّما يوافق النبيَّ ﷺ في بعض الأمور[٢]. وقال محمد بن كعب القرظيُّ: نزلت في أبي جهل ابن هشام، قال: واللهِ ما يأمر محمدٌ إلا بمكارم الأخلاق، فذلك قوله تعالى: «وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى»[٣]. وقال الضحَّاك: هو النَّضْر بن الحارث أعطى خمس قلائص لفقير من المهاجرين حتى[٤] ارتدَّ عن دينه، وضمن له أن يتحمَّل عنه مأثم رجوعه.

وأصل «أَكْدَى» من الكُدْية، يقال لمن حَفَر بئراً ثم بلغ إلى حَجَرٍ لا يتهيَّأ له فيه حَفْر: قد أَكْدَى، ثم استعملته العرب لمن أعطى ولم يُتمِّم، ولمن طلب شيئاً ولم يبلغ آخره[٥]. وقال الحُطَيْئة[٦]:

فأعطى قليلاً ثم أَكْدَى عطاءَه ... ومن يَبْذُلِ المعروفَ في الناسِ يُحمَدِ

قال الكسائيُّ وغيره: أَكْدَى الحافرُ وأَجبل: إذا بلغ في حَفْره كُدْية أو جبلاً، فلا يمكنه أن يَحفِر. وحفر فأَكْدَى: إذا بلغ إلى الصُّلْب. ويقال: كَدِيت أصابعه: إذا كَلَّتْ من الحفر[٧].

---

(١) في أسباب النزول ص٤٢٢-٤٢٣ ، وما بين حاصرتين منه، وذكر الخبر أيضاً الزمخشري في الكشاف ٤/ ٣٣ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٥ ونسبه للثعلبي، ولكنَّ ابن عطية ردَّ الخبرَ بقوله: وذلك كله عندي باطل، وعثمان منزَّه عن مثله.

(٢) قوله: في بعض الأمور. لم يرد في (م).

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٣ ، وزاد المسير ٨/ ٧٨ .

(٤) في (م): حين. والمثبت من النسخ الخطية وزاد المسير ٨/ ٧٨ ، والكلام منه.

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٢٩ .

(٦) لم نقف عليه في ديوانه.

(٧) الصحاح (كدي).

وكَدِيت يدهُ: إذا كَلَّتْ، فلم تعمل شيئاً. وأكْدَى النَّبتُ: إذا قلَّ رَيْعه. وكَدَتِ الأرض تَكْدُو كَدْواً فهي كَادِيَةٌ: إذا أبطأ نباتها، عن أبي زيد[1]. وأكْدَيْتُ الرجلَ عن الشيء: رددتُه عنه. وأكْدَى الرجلُ: إذا قلَّ خيره. وقوله: «وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى» أي: قطع القليل[2].

قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أي: أعند هذا المكدِي علمُ ما غاب عنه من أمر العذاب؟! «فَهُوَ يَرَى» أي: يعلم ما غاب عنه من أمر الآخرة، وما يكون من أمره حتى يضمن حَمْلَ العذاب عن غيره[3]؟! وكفى بهذا جهلاً وحمقاً. وهذه الرؤية هي المتعدِّية إلى مفعولين، والمفعولان محذوفان، كأنَّه قال: فهو يرى الغيبَ مثلَ الشهادة.

**قوله تعالى:** ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ . وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: وصحف إبْرَاهِيمَ ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ كما في سورة «الأعلى»: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الآية:١٩] أي: لا تؤخذ نفس بدلاً عن أخرى، كما قال: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وخصَّ صحف إبراهيم وموسى بالذِّكر؛ لأنَّه كان ما بين نوح وإبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة ابنه وأبيه[4]، قاله الهذيل بن شرحبيل.

---

(١) تهذيب اللغة ١٥/ ٣٢٥ .

(٢) الصحاح (كدي).

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٢٩ .

(٤) في (د) و(م): أخيه وابنه وأبيه. والمثبت من (ظ) و (ف) وهو الموافق لما في النكت والعيون ٥/ ٤٠٣ والكلام منه.

و «أنْ» هذه المخفَّفة من الثقيلة، وموضعها جرٌّ بدلاً من «ما»، أو يكون في موضع رفع على إضمار «هو»[(١)].

وقرأ سعيد بن جبير وقتادة: «وَفَى» خفيفة[(٢)]، ومعناها: صَدَق في قوله وعمله، وهي راجعة إلى معنى قراءة الجماعة: «وَفَّى» بالتشديد، أي: قام بجميع ما فُرض عليه فلم يَخْرم منه شيئاً. وقد مضى في «البقرة»[(٣)] عند قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [الآية: ١٢٤] والتوفية: الإتمام. وقال أبو بكر الورَّاق: قام بشرط ما ادَّعى، وذلك أنَّ الله تعالى قال له: ﴿أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] فطالبه الله بصحَّة دعواه، فابتلاه في ماله وولده ونفسه، فوجده وافياً بذلك، فذلك قوله: «وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى» أي: ادَّعى الإسلام، ثم صحَّح دعواه.

وقيل: «وفَّى عمله كلَّ يوم بأربع ركعات في صدر النهار» رواه الهيثم عن أبي أُمامة عن النبي ﷺ[(٤)]. وروى سهل بن سعد الساعدي عن أبيه: «ألَا أُخبركم لم سَمَّى الله تعالى خليلَه إبراهيمَ: «الَّذِي وَفَّى»؛ لأنَّه كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[(٥)] الآية [١٧ من سورة الروم]. ورواه سهل بن معاذ بن[(٦)] أنس، عن أبيه، عن النبيِّ ﷺ[(٧)].

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٣.

(٢) القراءات الشاذة ص١٤٧ ونسبها إلى ابن جبير واليماني، والمحتسب ٢/ ٢٩٤ ونسبها إلى ما نسبه ابن خالويه في القراءات الشاذة، وزاد: أبا أمامة وأبا مالك. البحر المحيط ٨/ ١٦٧.

(٣) ٢/ ٣٥١.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٠٣، وأخرجه أيضاً الدوري في جزء فيه قراءات النبي ﷺ (١٠٩)، والطبري ٢٢/ ٧٨، والبغوي في التفسير ٤/ ٢٥٤، من طريق القاسم، عن أبي أمامة، به. وفي إسناده: جعفر ابن الزبير، قال عنه ابن حجر في التقريب ١/ ٢١٧: متروك الحديث، وكان صالحاً في نفسه.

(٥) لم نقف عليه، وينظر الحديث الآتي.

(٦) في النسخ عدا (ف): عن. والمثبت من (ف) ومصادر التخريج.

(٧) أخرجه أحمد (١٥٦٢٤)، والطبري ٢٢/ ٧٧-٧٨، والطبراني في الكبير ٢٠/ (٤٢٧) و (٤٢٨)، وابن عدي في الكامل ٣/ ١٠١١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١١٧: رواه الطبراني، وفيه ضعفاء وثقوا.

وقيل: «وفَّى» أي: وَفَّى ما أُرسل به[١]، وهو قوله: «أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» قال ابن عباس: كانوا قبل إبراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذَنْب غيره، ويأخذون الوليَّ بالوليِّ في القتل والجراحة، فيُقتَل الرجل بأبيه وابنه وأخيه وعمه وخاله وابن عمه وقريبه وزوجته وزوجها وعبده، فبلَّغهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى: «أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»[٢]. وقال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير في قوله تعالى «وَفَّى»: عمل بما أُمر به، وبلَّغ رسالات ربِّه[٣]. وهذا أحسن؛ لأنه عام. وكذا قال مجاهد: «وَفَّى» بما فُرض عليه[٤]. وقال أبو مالك الغفاريُّ: قوله تعالى: «أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» إلى قوله: «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى» في صحف إبراهيم وموسى[٥]. وقد مضى في آخر «الأنعام»[٦] القول في: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» مستوفًى.

قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ روي عن ابن عباس[٧] أنَّها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] فيحصل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان أبيه، ويشفِّع اللهُ تعالى الآباءَ في الأبناء، والأبناءَ في الآباء، يدلُّ ذلك على قوله تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١].

---

(١) زاد المسير ٨/ ٨٠ وعزاه إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٤ بنحوه.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٣.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٣.

(٥) أخرجه الطبري ٢٢/ ٧٩ إلا أن فيه: إلى قوله: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰٓ﴾.

(٦) ٩/ ١٤٥.

(٧) أخرجه الطبري ٢٢/ ٨٠، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ٣/ ٣٦، قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٦ بعد أن أورد الخبر: وهذا لا يصح عندي على ابن عباس، لأنه خبر لا ينسخ، ولأن شروط النسخ ليست هنا، اللهم إلا أن يتجوز في لفظة النسخ ليفهم سائلاً.

وقال أكثر أهل التأويل: هي محكمة، ولا ينفع أحداً عملُ أحدٍ، وأجمعوا أنَّه لا يُصلِّي أحد عن أحد. ولم يُجِز مالك الصيام والحجَّ والصدقة عن الميت، إلا أنَّه قال: إن أوصى بالحجِّ ومات، جاز أن يُحجَّ عنه. وأجاز الشافعيُّ وغيره الحجَّ التطوّع عن الميّت[١]. وروي عن عائشة رضي الله عنها أنَّها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن وأعتقت عنه[٢]. وروي أنَّ سعد بنَ عبادة قال للنبيِّ ﷺ: إنَّ أمِّي توفيت أفأتصدَّقُ عنها؟ قال: «نعم» قال: فأيُّ الصدقة أفضل؟ قال: «سقي الماء»[٣]. وقد مضى جميع هذا مستوفًى في «البقرة»[٤] و «آل عمران»[٥] و«الأعراف»[٦].

وقد قيل: إنَّ الله عز وجل إنَّما قال: «وَأَنْ لَيْسَ للإِنْسَانِ إِلَّا ما سعى» ولام الخفض معناها في العربية المِلْكُ والإيجاب، فليس يجب للإنسان إلا ما سعى، فإذا تصدَّق عنه غيرُه، فليس يجب له شيء، إلا أنَّ الله عزَّ وجلَّ يتفضَّل عليه بما لا يجب له، كما يتفضَّل على الأطفال بإدخالهم الجنة بغير عمل[٧]. وقال الربيع بن أنس: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» يعني: الكافر، وأما المؤمن فله ما سَعَى، وما سعى له غيرُه[٨].

قلت: وكثير من الأحاديث يدلُّ على هذا القول، وأنَّ المؤمن يصل إليه ثواب العمل الصالح من غيره، وقد تقدَّم كثير منها لمن تأملها، وليس في الصدقة اختلاف، كما في صدر «كتاب مسلم»[٩] عن عبد الله بن المبارك. وفي «الصحيح»[١٠]: «إذا

---

(١) قول مالك في المدونة ٦/٥٨، وقول الشافعي في الأم ٤/٤٦.
(٢) أخرجه سعيد بن منصور في السنن ١/١٢٥، وابن أبي شيبة ٣/٩٤.
(٣) سلف ٩/٢٣٣.
(٤) ٤/٥٠٠.
(٥) ٥/٢٢٧.
(٦) ٩/٢٣٣.
(٧) المحرر الوجيز ٥/٢٠٦-٢٠٧ بنحوه.
(٨) المحرر الوجيز ٥/٢٠٦.
(٩) في مقدمة كتابه ١/١٦.
(١٠) مسلم (١٦٣١)، وسلف ١/٨.

مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث» وفيه: «أو ولد صالح يدعو له» وهذا كلُّه تفضُّل من الله عزَّ وجلَّ، كما أنَّ زيادة الأضعاف فَضْلٌ منه؛ كتب لهم بالحسنة الواحدة عَشْراً إلى سبع مئة ضعف إلى ألف ألف حسنة، كما قيل لأبي هريرة: أسمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة»؟ فقال سمعته يقول: «إنَّ الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة»[(١)] فهذا تفضُّل. وطريق العدل: «أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى».

قلت: ويحتمل أن يكون قوله: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» خاصٌّ في السيئة؛ بدليل ما في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عزَّ وجلَّ: إذا همَّ عبدي بحسنة ولم يعملها، كتبتها له حسنة، فإن عملها كتبتها له عَشْر حسنات إلى سبع مئة ضِعف، وإذا همَّ بسيئة ولم يعملها، لم أكتبها عليه، فإن علمها كتبتها سيئةً واحدة»[(٢)].

وقال أبو بكر الورَّاق: «إِلَّا مَا سَعَى» إلا ما نوى[(٣)]. بيانه قوله ﷺ: «يُبعَث الناس يوم القيامة على نيَّاتهم»[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ أي: يُريه الله تعالى جزاءه يوم القيامة[(٥)] ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ﴾ أي: يُجزَى به ﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾. قال الأخفش: يقال: جزيته الجزاء، وجزيته بالجزاء، سواء لا فَرْقَ بينهما، قال الشاعر:

إنْ أجْزِ عَلْقَمَةَ بنَ سعْدٍ سَعْيَه ... لم أجْزِهِ ببَلاءِ يَوْمٍ واحِدِ

(١) سلف ٦/ ٣٢٤.

(٢) سلف ١١/ ٣١٥.

(٣) زاد المسير ٨/ ٨١.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٩) عن أبي هريرة ﷺ، قال البوصيري في الزوائد: في إسناده ليث بن سليم، وهو ضعيف، ويشهد له حديث جابر، وقد رواه مسلم [(٢٨٧٨)] .اهـ. وأخرجه أيضاً مسلم (٢٨٨٤) عن عائشة رضي الله عنها بنحوه.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٦.

فجمع بين اللغتين[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ أي: المرجع والمردّ والمصير، فيعاقب ويثيب. وقيل: منه ابتداء المِنَّة، وإليه انتهاء الأمان. وعن أبيٍّ بن كعب قال: قال النبيُّ ﷺ في قوله: «وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى» قال: «لا فكرة في الربِّ»[٢]. وعن أنس: قال النبيُّ ﷺ: «إذا ذُكِرَ اللهُ تعالى فانْتَهِ»[٣].

قلت: ومن هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام: «يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: من خَلَق كذا وكذا، حتى يقول له: مَن خَلَق ربَّكَ. فإذا بلغ ذلك، فلْيستعِذْ بالله ولْيَنْتَهِ» وقد تقدَّم في آخر «الأعراف»[٤]. ولقد أحسن من قال:

ولا تُفْكِرنْ في ذِي العُلَا عَزَّ وجهُهُ فإنَّكَ تردَى إنْ فعلتَ وتُخذَلُ
ودونَك مصنوعَاتِه فاعتَبِرْ بِها وقُلْ مِثْلَ ما قال الخليلُ المبَجَّلُ

**قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾**

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ ذهبت الوسائط وبقيت الحقائق لله سبحانه وتعالى فلا فاعلَ إلا هو. وفي «صحيح مسلم»[٥] عن عائشة رضي الله عنها قالت:

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٤-٢٥٥ بنحوه، والبيت لرجل من بهراء اسمه فدكى كما في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/ ٧٠ ، وسماه المرزبانيُّ في معجم الشعراء ص٤٤٦ المرفاقَ الطائيَّ وقال: وأحسبه لقباً .اهـ. وجاء فيهما: سيف، بدل: سعد.

(٢) أخرجه البغوي في التفسير ٤/ ٢٥٥ ، وأخرجه أيضاً أبو الشيخ في العظمة (٦) عن سفيان، قوله.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ٣/ ١١٩٣ عن أنس، وفي إسناده: سنان بن سعد، ويقال: سعد بن سنان، وقد اختلف فيه فقال النسائي عنه: منكر الحديث. وقال أحمد بن حنبل: روى خمسة عشر حديثاً منكرة كلها، ما أعرف منها واحداً. تهذيب التهذيب ١/ ٦٩٢ - ٦٩٣ . وأخرجه أيضاً إسحاق بن راهويه في المسند (٣٩٥)، والطبراني في مسند الشاميين (٢٣٥٠) من طريق عطاء الخراساني، عن أبي هريرة مرفوعاً. وإسناده منقطع، لأن عطاء لم يسمع من أبي هريرة.

(٤) ٩/ ٤٢٣ .

(٥) برقم (٩٢٩)، وهو عند أحمد (٢٨٨).

لا والله ما قال رسولُ الله قطُّ: إنَّ الميِّتَ يعذَّب ببكاء أحدٍ، ولكنَّه قال: «إنَّ الكافرَ يزيدُه اللهُ ببكاء أهله عذاباً، وإنَّ اللهَ لهو أضحك وأبكى، وما تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى».

وعنها قالت: مَرَّ النبيُّ ﷺ على قوم من أصحابه وهم يضحكون، فقال: «لو تعلمون ما أَعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» فنزل عليه جبريلُ فقال: يا محمد! إنَّ الله يقول لك: «وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى». فرجع إليهم فقال: «ما خطوتُ أربعين خطوةً حتى أتاني جبريلُ فقال: إيتِ هؤلاء فقل لهم: إنَّ اللهَ تعالى يقول: هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى»[١]. أي: قضى أسبابَ الضحك والبكاء. وقال عطاء بن أبي مسلم: يعني: أفرح وأحزن؛ لأنَّ الفرح يجلب الضحك، والحزن يجلب البكاء[٢]. وقيل لعمر: هل كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم! والإيمان واللهِ أثبتُ في قلوبهم من الجبال الرواسي[٣]. وقد تقدَّم هذا المعنى في «النمل»[٤] و «براءة»[٥].

قال الحسن: أضحك اللهُ أهلَ الجنة في الجنة، وأبكى أهلَ النار في النار[٦]. وقيل: أضحك من شاء في الدنيا بأن سَرَّه، وأبكى من شاء بأن غَمَّه[٧]. الضحَّاك: أَضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر[٨]. وقيل: أَضحك الأشجار بالنُّوَّار، وأبكى السحاب بالأمطار[٩]. وقال ذو النون: أَضحك قلوبَ المؤمنين والعارفين بشمس معرفته، وأبكى قلوبَ الكافرين والعاصين بظلمة نكرته ومعصيته. وقال سهل

(١) زاد المسير ٨/ ٨٣، وأخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور ٦/ ١٣٠.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٥.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٥ عن ابن عمر بنحوه.

(٤) عند الآية (١٩).

(٥) ١٠/ ٣١٨.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٥ لكن عزاه إلى مجاهد والكلبي.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧٨.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٥.

(٩) مجمع البيان للطبرسي ٢٧/ ٥٩، والنُّوَّار: الزهر. اللسان (نور).

ابن عبد الله: أضحك اللهُ المطيعين بالرحمة، وأبكى العاصين بالسخط. وقال محمد ابن علي الترمذيُّ: أضحك المؤمنَ في الآخرة، وأبكاه في الدنيا. وقال بسام بن عبد الله[1]: أضحك اللهُ أسنانهم وأبكى قلوبهم. وأنشد:

السِّنُّ تَضحَكُ والأحشاءُ تَحتَرِقُ وإنَّما ضِحْكُها زُورٌ ومُختَلَقُ
يا رُبَّ باكٍ بِعَيْنٍ لا دموعَ لها ورُبَّ ضاحِكِ سِنٍّ ما بِهِ رَمَقُ

وقيل: إنَّ الله خصَّ الإنسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان، وليس في سائر الحيوان من يضحك ويبكي غير الإنسان. وقد قيل: إنَّ القِرْدَ وحده يضحك ولا يبكي، وإنَّ الإبل وحدها تبكي ولا تضحك[2]. وقال يوسف بن الحسين: سئل طاهر المقدسيُّ: أتضحك الملائكة؟ فقال: ما ضحكوا ولا كلُّ مَن دون العرش منذ خُلِقت جهنَّم.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ أي: قضى أسباب الموت والحياة. وقيل: خلَق الموت والحياة كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [تبارك:٢] قاله ابن بحر[3]. وقيل: أمات الكافر بالكفر، وأحيا المؤمن بالإيمان[4]، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ الآية [١٢٢ من سورة الأنعام]. وقال: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:٣٦] على ما تقدّم، وإليه يرجع قول عطاء: أمات بِعَدْله، وأحيا بفضله. وقول من قال: أمات بالمَنْع والبخل، وأحيا بالجود والبذل. وقيل: أمات النطفة، وأحيا النَّسَمة. وقيل: أمات الآباء، وأحيا الأبناء. وقيل: يريد بالحياة: الخصب،

(١) هو: بسام بن عبد الله الأسدي الكوفي الصيرفي، سمع عكرمة وأبا جعفر محمد بن علي، روى عنه أبو أحمد الزبيري وأهل الكوفة، وعنده مراسيل. التاريخ الكبير ٢/ ١٤٤ ، والثقات لابن حبان ٦/ ١١٩ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٠٤ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٠٤ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧ وعزاه إلى الثعلبي.

وبالموت: الجدب. وقيل: أنام وأيقظ[١]. وقيل: أمات في الدنيا وأحيا للبعث[٢].

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾ أي: من أولاد آدم، ولم يُرِدْ آدم وحوَّاء بأنَّهما خُلقا من نُطْفة.

والنطفة: الماء القليل، مشتقٌّ من نطفَ الماءُ: إذا قَطر[٣]. ﴿تُمۡنَىٰ﴾ تُصبُّ في الرحم وتُراق، قاله الكلبيُّ والضحَّاك وعطاء بن أبي رباح[٤]، يقال: مَنَى الرجل وأَمْنى من الْمَنِيِّ. وسُمِّيت مِنًى بهذا الاسم؛ لما يُمْنَى فيها من الدماء، أي: يُراق[٥]. وقيل: «تُمْنَى» تُقدَّر، قاله أبو عبيدة[٦]. يقال: مَنيت الشيء: إذا قَدَّرته، ومُنِي له، أي: قُدِّر له، قال الشاعر:

حَتَّى تُلاقِيَ ما يَمْنِي لَكَ الْمَانِي

أي: ما يُقدِّر لك القادر[٧].

**قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾**

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ أي: إعادة الأرواح في الأشباح للبعث

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٠٤.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٤.

(٣) تهذيب اللغة ١٣/ ٣٦٦.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٥، ولم يعزه للكلبي، وعزاه إليه الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٠٥.

(٥) تهذيب اللغة ١٥/ ٥٣١.

(٦) في مجاز القرآن له ٢/ ٢٣٨.

(٧) الصحاح (مني)، والبيت سلف ٢/ ٢١٩.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «النَّشَاءَةَ» بفتح الشين والمدّ[١]، أي: وعد ذلك، ووَعْده صِدْق. ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ قال ابن زيد: أغنى من شاء، وأفقر من شاء[٢]، ثم قرأ: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ٦٢] وقرأ: ﴿يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] واختاره الطبريُّ[٣].

وعن ابن زيد أيضاً ومجاهد وقتادة والحسن: «أَغْنَى»: مَوَّلَ، «وأَقْنَى»: أَخْدم[٤].

وقيل: «أَقْنَى» جعل لكم قِنْية تقتنونها[٥]، وهو معنى أخدم أيضاً[٦].

وقيل: معناه: أرضى بما أعطى، أي: أغناه ثم رضَّاه بما أعطاه، قاله ابن عباس[٧].

وقال الجوهريُّ[٨]: قَنِيَ الرجل يَقْنَى قِنًى، مثل غَنِيَ يَغْنَى غِنًى، وأقناه اللهُ، أي: أعطاه الله ما يُقتنَى من القُنْية والنَّشَب. وأقناه أيضاً، أي: أرضاه. والقِنَى: الرضا، عن أبي زيد، قال: وتقول العرب: من أُعطِي مئةً من المعز، فقد أُعطِيَ القِنَى، ومن أُعطِي مئةً من الضأن، فقد أُعطِيَ الغنى، ومن أعطي مئة من الإبل، فقد أُعطِيَ المُنى. ويقال: أغناه الله وأقناه، أي: أعطاه ما يَسكُن إليه.

وقيل: «أغنى وأَقْنَى» أي: أَغْنَى نفسه، وأفقر خَلْقه إليه، قاله سليمان التيميُّ[٩].

---

(١) السبعة ص٤٩٨، والتيسير ص١٧٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧٩.

(٣) في التفسير ٢٢/ ٨٥ دون ذكر آية البقرة.

(٤) أخرجه الطبري ٢٢/ ٨٣ عن مجاهد وقتادة والحسن.

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٣٠.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٦ وعزاه إلى قتادة والحسن، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٨٣.

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٦، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٨٣.

(٨) في الصحاح (قني).

(٩) أخرجه الطبري ٢٢/ ٨٤، وأبو الشيخ في العظمة (١٧٦).

وقال سفيان: أغنى بالقناعة، وأقنى بالرضا[١]. وقال الأخفش: أقنى: أفقر. قال ابن كيسان: أولد[٢]. وهذا راجع لما تقدَّم.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ «الشِّعْرَى»: الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء[٣]، وطلوعه في شدَّة الحرِّ، وهما الشِّعريان: العَبُور التي في الجوزاء، والشِّعرى الغُمَيْصَاءُ التي في الذراع[٤]، وتزعم العرب أنَّهما أختا سُهَيل.

وإنَّما ذكر أنَّه رَبُّ الشِّعْرى وإن كان ربًّا لغيره؛ لأنَّ العرب كانت تعبده، فأعلمهم اللهُ جلَّ وعزَّ أنَّ الشِّعْرى مربوب وليس بربٍّ. واختلف فيمن كان يعبده، فقال السديُّ: كانت تعبده حِمْيَر وخُزَاعة. وقال غيره: أوَّل من عبَده أبو كبشة ـ أحدُ أجداد النبيِّ ﷺ من قِبَلِ أمَّهاته، ولذلك كان مشركو قريش يسمُّون النبيَّ ﷺ: ابنَ أبي كبشة، حين دعا إلى الله وخالف أديانَهم، وقالوا: ما لقينا من ابنِ أبي كبشة! وقال أبو سفيان يوم الفتح وقد وقف في بعض المضايق وعساكرُ رسول الله ﷺ تمرُّ عليه: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابنِ أبي كبشة ـ وقد كان من لا يعبد الشِّعْرى من العرب يعظِّمها ويعتقد تأثيرها في العالم، قال الشاعر:

مضى أَيْلُولُ وارتفع الحَرُورُ ... وأَخْبَتْ نارَها الشِّعرى العَبُورُ[٥]

وقيل: إنَّ العرب تقول في خرافاتها: إن سُهيْلاً والشِّعرى كانا زوجين، فانحدر

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٠٥.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٦.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٣٠.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٦.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤٠٥ عدا ما بين معترضتين فمن النهاية (كبش)، وشرح مشكل الآثار ٢/ ١٨٥ بنحوه، وقول أبي سفيان أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٢)، وأحمد (٢٣٧٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال ابن الأثير في النهاية (أمر): ومنه حديث أبي سفيان: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة: أي: كثر وارتفع شأنه، يعني النبي ﷺ. اهـ. والبيت لأبي نواس وهو في ديوانه ص٣٢١.

سُهَيل فصار يمانيًّا، فاتبعته الشِّعرى العَبُور فعبرت المجرَّة فسمِّيت العبور، وأقامت الغُمَيْصاء فبكت لفقد سُهَيل حتى غَمِصت عيناه فسمِّيت غميصاء؛ لأنَّها أخفى من الأخرى[1].

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ سمَّاها الأولى؛ لأنَّهم كانوا مِن قبل ثمود. وقيل: إنَّ ثمود مِن قبل[2] عاد. وقال ابن زيد: قيل لها: عاد الأولى؛ لأنَّها أوَّل أمَّة أُهلِكت بعد نوح عليه السلام[3]. وقال ابن إسحاق: هما عادان، فالأُولى أُهلِكت بالريح الصَّرصر، ثم كانت الأُخرى فأهلكت بالصيحة. وقيل: عاد الأولى هو: عاد بن إرمَ ابنِ عَوْصِ بنِ سامِ بنِ نوحٍ، وعاد الثانية من ولد عادٍ الأولى[4]. والمعنى متقارب. وقيل: إنَّ عاداً الآخرة الجبَّارون، وهم قوم هود[5].

وقراءة العامَّة: «عَاداً الأُولَى» ببيان التنوين والهمز. وقرأ نافع وابن مُحَيصِن وأبو عمرو: «عَاداً لُّوْلَى»[6] بنقل حركة الهمزة إلى اللام وإدغام التنوين فيها، إلا أنَّ قالون والسوسيَّ يُظهِران الهمزة الساكنة. وقلبها الباقون واواً على أصلها، والعرب تقلب هذا القلب فتقول: قُمْ لَانَ عنَّا، وصُمْ لثْنَين، أي: قُمِ الآنَ، وصُمِ الاثنين[7].

﴿وَثَمُودَا فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ ثمود: هم قوم صالح أهلكوا بالصيحة[8]. قُرِئَ: «ثَمُوداً» و«ثَمُود» وقد تقدَّم[9]. وانتصب على العطف على عاد[10].

(١) مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٣٥٤ بنحوه.
(٢) في (ظ): نسل.
(٣) الكشاف ٤/ ١٢٠ ولم يعزه.
(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٠ وعزاه إلى ابن إسحاق.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٨ .
(٦) السبعة ص٦١٥ ، والتيسير ص٢٠٤ - ٢٠٥ ، والنشر ١/ ٤١٠ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ص٦٨٧ .
(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٠٢ .
(٨) الوسيط ٤/ ٢٠٥ .
(٩) ٩/ ٢٦٦ .
(١٠) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨١ .

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: وأهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ وذلك لطول مدَّة نوح فيهم[١]، حتى كان الرجل فيهم يأخذ بيد ابنه فينطلق إلى نوح عليه السلام فيقول: احذر هذا؛ فإنه كذَّاب، وإنَّ أبي قد مشى بي إلى هذا وقال لي مثلَ ما قلتُ لك[٢]. فيموت الكبير على الكفر، وينشأ الصغير على وصيَّة أبيه.

وقيل: إنَّ الكناية ترجع إلى كلِّ مَن ذُكر من عاد وثمود وقوم نوح، أي: كانوا أكفرَ من مشركي العرب وأطغى. فيكون فيه تسلية وتعزية للنبيِّ ﷺ، فكأنَّه يقول له: فاصبر أنت أيضاً، فالعاقبة الحميدة لك.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ يعني: مدائن قوم لوط عليه السلام ائتفكت بهم، أي: انقلبت[٣]، وصار عالِيها سافلها. يقال: أَفَكْته، أي: قلبته وصرفته[٤]. «أَهْوَى» أي: خسف بهم بعد رَفْعها إلى السماء، رفعها جبريل ثم أهوى بها إلى الأرض[٥]. وقال المبرِّد: جعلها تهوي. ويقال: هَوَى ـ بالفتح ـ يَهْوِي هُوِيًا، أي: سقط[٦]. و«أَهْوَى» أي: أسقط[٧].

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ أي: ألبسها ما ألبسها من الحجارة، قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾[٨] [الحجر: ٧٤]، وقيل: إنَّ الكناية ترجع إلى جميع هذه الأمم، أي: غَشَّاها من العذاب ما غشَّاهم، وأُبهم؛ لأنَّ كلًّا منهم أهلِك بضرب غير ما أُهْلِك به الآخر. وقيل: هذا تعظيم الأمر.

---

(١) الوسيط ٤/ ٢٠٥.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩ بنحوه، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٨٩ عن قتادة.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٣٠.

(٤) الصحاح (أفك).

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٥.

(٦) الصحاح (هوي).

(٧) تهذيب اللغة ٦/ ٤٨٩.

(٨) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٥.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّك تشكُّ، والمخاطبة للإنسان المكذِّب، والآلاء: النِّعَم، واحدها: أَلَى وإِلَى وإِلْيٌ[1]. وقرأ يعقوب: «تَمَّارَى» بإدغام إحدى التاءين في الأخرى والتشديد[2].

**قوله تعالى:** ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۝٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ قال ابن جُرَيج ومحمد بن كعب: يريد أنَّ محمداً ﷺ نذيرٌ بالحقِّ الذي أنذر به الأنبياء قبله[3]، فإن أطعتموه أفلحتم، وإلَّا حلَّ بكم ما حلَّ بمكذِّبي الرسل السالفة.

وقال قتادة: يريد القرآن، وأنَّه نذير بما أنذرت به الكتب الأولى[4].

وقيل: أي: هذا الذي أخبرنا به من أخبار الأمم الماضية الذين هلكوا تخويفٌ لهذه الأمَّة من أن ينزل بهم ما نزل بأولئك من النذر، أي: مثل النذر[5]، والنذر في قول العرب بمعنى الإنذار[6]، كالنُّكُر بمعنى الإنكار، أي: هذا إنذار لكم. وقال أبو مالك: هذا الذي أنذرتكم به من وقائع الأمم الخالية هو في صحف إبراهيم وموسى[7]. وقال السديُّ: أخبرني أبو صالح قال: هذه الحروف التي ذكر الله تعالى من قوله تعالى: «أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى. وَإِبْرَاهِيمَ» إلى قوله: «هَذَا نَذِيرٌ مِنَ

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٢ .

(٢) النشر ١/ ٣٠٠ ، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٤٧ ونسبها إلى ابن محيصن.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٠٦ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٠٦ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٨ .

(٦) لسان العرب (نذر).

(٧) أخرجه الطبري ٢٢/ ٩٤ .

النُّذُرِ الْأُولَى» كل هذه في صحف إبراهيم وموسى[١].

قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ أي: قربت الساعة ودَنَت القيامة. وسمَّاها آزفة؛ لقرب قيامها عنده[٢]، كما قال: ﴿يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا . وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج:٦-٧]. وقيل: سماها آزفة؛ لدنوِّها من الناس وقربها منهم[٣]؛ ليستعدُّوا لها؛ لأنَّ كلَّ ما هو آتٍ قريب. قال:

أَزِفَ الـتَّـرَحُّـلُ غـيـرَ أنَّ رِكَـابَـنَـا لـمَّـا تَـزَلْ بِـرِحـالـنـا وكـأنْ قَـدِ[٤]

وفي «الصحاح»[٥]: أَزِف الترحُّل يَأْزَف أَزَفاً، أي: دنا وأَفِد، ومنه قوله تعالى: «أَزِفَتِ الْآزِفَةُ» يعني القيامة، وأَزِفَ الرجلُ، أي: عَجِل، فهو آزِف على فاعل، والمتآزِف: القصير وهو المتداني. قال أبو زيد: قلت لأعرابيٍّ ما الْمُحْبَنْطِئُ؟ قال: المتَكَأْكِئُ. قلت: ما الْمُتَكأْكِئُ؟ قال: المتآزِف. قلت: ما المتآزف؟ قال: أنت أحمق! وتركني ومَرَّ.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي: ليس لها من دون الله من يؤخِّرها أو يقدِّمها. وقيل: كاشفة، أي: انكشاف، أي: لا يكشف عنها ولا يبديها إلا الله، فالكاشفة اسم بمعنى المصدر، والهاء فيه كالهاءِ في العاقبة والعافية والداهية والباقية[٦]، كقولهم: ما لفلان من باقية، أي: من بقاء[٧]. وقيل: أي: لا أحد يردُّ ذلك[٨]، أي:

---

(١) سلف ص٥٤ من هذا الجزء عن أبي مالك الغفاري بنحوه.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٠٦ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٨ .

(٤) القائل النابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص٣٨ ، وفيه: أفد، بدل: أزف، وهما بمعنى. وجاء البيت في البيان والتبيين ٢/ ٢٨٠ كما في الرواية هنا.

(٥) مادة (أزف)، وحكاية أبي زيد الآتية ذكرها أبو طاهر المقرئ في كتابه أخبار النحويين، في ترجمة أبي زيد.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٧ .

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٠٣ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٧ .

إنَّ القيامة إذا قامت لا يكشفها أحدٌ من آلهتهم، ولا ينجِّيهم غير الله تعالى. وقد سمِّيت القيامةُ غاشيةً، فإذا كانت غاشية، كان ردُّها كشفاً، فالكاشفة على هذا نعت مؤنث محذوف، أي: نفس كاشفة، أو: فرقة كاشفة، أو: حال كاشفة. وقيل: إنَّ «كاشِفة» بمعنى كاشف، والهاء للمبالغة، مثل راوية وداهية[١].

قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن. وهذا استفهام توبيخ[٢] ﴿تَعْجَبُونَ﴾ تكذيباً به ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ انزجاراً وخوفاً من الوعيد[٣]. وروي أنَّ النبيَّ ﷺ ما رُئيَ بعد نزول هذه الآية ضاحكاً إلا تبسُّماً[٤].

وقال أبو هريرة: لما نزلت: «أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ» قال أهل الصُّفَّة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦] ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلما سمع النبيُّ ﷺ بكاءَهم، بكى معهم، فبكينا لبكائه، فقال النبيُّ ﷺ: «لا يَلِجُ النارَ مَن بكى من خشية الله، ولا يدخل الجنَّة مُصِرٌّ على معصيةِ الله، ولو لم تُذنبوا لذهب اللهُ بكم، ولجاء بقوم يُذنبون، فيغفر لهم ويرحمهم، إنَّه هو الغفور الرحيم»[٥].

وقال أبو حازم: نزل جبريلُ على النبيِّ ﷺ وعنده رجل يبكي، فقال له: من هذا؟ قال: «هذا فلان». فقال جبريل: إنَّا نَزِنُ أعمالَ بني آدم كلَّها إلا البكاء، فإنَّ الله تعالى ليطفئ بالدمعة الواحدة بحوراً من جهنَّم[٦].

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ أي: لاهون معرضون. عن ابن عباس، رواه الوالبيُّ والعوفيُّ عنه. وقال عكرمة عنه: هو الغناء بلغة حِمْيَر ـ يقال: سمِّد لنا، أي: غنِّ لنا ـ

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٠.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٠.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٦.

(٤) الكشاف ٤/ ٣٥.

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١/ ٤٨٩ بنحوه.

(٦) أخرجه أحمد في الزهد ص٣٥ عن رجل يقال له: خازم.

فكانوا إذا سمعوا القرآنَ يتلى، تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا[١]. وقال الضحَّاك: سامدون: شامخون متكبِّرون[٢]. وفي «الصحاح»[٣]: سمَدَ سُمُوداً: رفع رأسه تكبُّراً، وكلُّ رافع رأسه، فهو سامد، قال:

سَـوَامِـدَ الـلَّـيْـلِ خِـفَـافَ الْأَزْوَادْ[٤]

يقول: ليس في بطونها عَلَف. وقال ابن الأعرابيِّ: سَمَدْتُ سُمُوداً: علوتُ. وسَمَدتِ الإبلُ في سيرها: جدَّتْ. والسُّمُود: اللَّهو، والسامد: اللَّاهي، يقال للقَيْنة: أسمِدينا، أي: ألهينا بالغناء. وتسميد الأرض: أن يجعل فيها السماد، وهو سِرْجين ورَماد. وتسميد الرأس: استئصال شعره، لغة في التَّسبِيد. واسمأدَّ الرجلُ ـ بالهمز ـ اسْمِئْداداً، أي: وَرِم غضباً.

وروي عن عليٍّ ﷺ أنَّ معنى «سَامِدُونَ»: أن يجلسوا غير مصلِّين ولا منتظرين الصلاة. وقال الحسن: واقفون للصلاة قبل وقوف الإمام، ومنه ما روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه خرج والناس ينتظرونه قياماً فقال: «ما لي أراكم سامدين» حكاه الماورديُّ[٥]. وذكره المهدويُّ عن عليٍّ، وأنَّه خرج إلى الصلاة فرأى الناسَ قياماً فقال: «ما لكم سامدون» قاله المهدويُّ[٦].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٧ عدا ما بين معترضتين فمن غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٤٨١ ، وقول عكرمة أخرجه الطبري ٢٢/ ٩٧ عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبري ٢٢/ ٩٨ ، وأبو يعلى (٢٦٨٥) عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) مادة (سمد).

(٤) الراجز رؤبة بن العجاج، وهو في ديوانه ص٣٩ ، وقبله:

قـلَّـصـن تـقـلـيـص الـنـعـام الـوخَّـاد

(٥) في النكت والعيون ٥/ ٤٠٧ ، وفيه قول علي والحسن، والحديث أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ٣/ ٤٨٠ مرفوعاً، وذكر محققه أن في بعض النسخ الخطية: عن علي رحمة الله عليه. اهـ. ولم نقف عليه مرفوعاً، وسيأتي من قول علي في التعليق الآتي.

(٦) وأخرجه ابن أبي شيبة ١/ ٤٠٥ ، والطبري ٢٢/ ١٠٠ .

والمعروف في اللغة: سَمَد يَسْمُد سُمُوداً: إذا لَهَا وأعرض. وقال المبرِّد: سامدون خامدون، قال الشاعر:

أَتَى الحدثَانُ نِسوةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدورٍ سَمَدْنَ له سُمُودَا[(١)]

وقال صالح أبو الخليل: لما قرأ النبيُّ ﷺ: «أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ. وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ. وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ» لم يُرَ ضاحكاً إلا مبتسِّماً حتى مات ﷺ. ذكره النحَّاس[(٢)].

قوله تعالى: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا۩﴾ قيل: المراد به سجود تلاوة القرآن. وهو قولُ ابن مسعود[(٣)]. وبه قال أبو حنيفة والشافعيُّ[(٤)]. وقد تقدَّم أوَّل السورة[(٥)] من حديث ابن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ سجد فيها، وسجد معه المشركون. وقيل: إنَّما سجد معه المشركون؛ لأنَّهم سمعوا أصواتَ الشياطين في أثناء قراءةِ رسول الله ﷺ عند قوله: «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى» وأنَّه قال: تلك الغَرَانِيقُ الْعُلَا وشفاعتهنَّ تُرْتَجَى.كذا في رواية سعيد بن جُبير: ترتجى. وفي رواية أبي العالية: وشفاعتهنَّ ترتضى، ومثلهنَّ لا يُنسى. ففرح المشركون وظنُّوا أنَّه من قول محمد ﷺ، على ما تقدَّم بيانه في «الحج»[(٦)]. فلما بلغ الخبرُ بالحبشة مَن كان بها من أصحاب النبيِّ ﷺ رجعوا ظنًّا منهم أنَّ أهل مكة آمنوا، فكان أهل مكة أشدَّ عليهم، وأخذوا في

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٠٧ ، والبيت اختلف في نسبته، فنسبه المرزباني في معجم الشعراء ص١٧٧ ، وابن قتيبة في عيون الأخبار ٣/ ٦٧ إلى فضالة بن شريك، ونسبه القالي في ذيل الأمالي ٣/ ١١٥ إلى الكميت الأسدي، ونسبه المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ٢/ ٩٤١ لعبد الله بن الزبير الأسدي.

(٢) لم نقف عليه عند النحاس، وسلف ص٦٧ من هذا الجزء.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٠٧ .

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٧٢٣ .

(٥) ص٥ من هذا الجزء.

(٦) ١٤/ ٤٢٥ .

تعذيبهم إلى أن كشف الله عنهم.

وقيل: المراد سجود الفرض في الصلاة، وهو قول ابن عمر، كان لا يراها من عزائم السجود[1]. وبه قال مالك.

وروى أبيٌّ بن كعب ﷺ: كان آخر فِعْلِ النبيِّ ﷺ ترك السجود في المفصَّل. والأوَّل أصحُّ، وقد مضى القول فيه آخر «الأعراف»[2] مبيناً، والحمد لله ربِّ العالمين.

تم تفسير سورة «والنجم»

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٧٢٣ .

(٢) ٩/ ٤٣٦ .

# سُورَةُ ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾

مَكيَّةٌ، وآيُها إحدى أو ثِنتانِ وستُّون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ أقسَمَ بجنسِ النُّجومِ أو الثُّريَّا فإنَّه غَلَبَ فيه، إذا غرَبَ أو انتثرَ يومَ القيامةِ أو انقضَّ أو طلعَ، فإنَّه يُقالُ: هَوَى هَوِيًّا بالفتحِ: إذا سقطَ وغربَ، وهُوِيًّا بالضمِّ: إذا عَلَا وصَعِدَ، أو بالنَّجمِ[1] مِن نُجومِ القُرآنِ إذا نزلَ، أو النَّباتِ إذا سقَطَ على الأرضِ، أو إذا نَما وارتفَعَ= على قوله:

(٢) ـ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ﴾ ما عَدَلَ مُحمَّدٌ عليهِ السَّلامُ عَن الطَّريقِ المُستقيمِ.

﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ وما اعتقَدَ باطِلًا والخطابُ لقريش، والمرادُ نَفيُ ما ينسبونَ إليه.

(٣) ـ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ وما يصدرُ نطقُه بالقرآنِ عن الهوى.

(٤) ـ ﴿إِنۡ هُوَ﴾ ما القرآنُ أو الذي يَنطِقُ به ﴿إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ أي: إلا وحيٌ يُوحيهِ اللهُ إليه، واحتجَّ بهِ مَن لم يرَ الاجتهادَ له.

وأُجيبَ عنه بأنَّه إذا أُوحِيَ إليهِ بأَنْ يَجتَهِدَ كانَ اجتهادُه وما يَستَنِدُ إليه وَحْيًا، وفيه نظرٌ؛ لأنَّ ذلك حينئذٍ يكونُ بالوَحيِ لا الوحيَ.

---

(١) في نسخة التفتازاني زيادة: «هكذا قال ابن عباس رضي الله عنه». قلت: ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الكلبي وعطاء.

(٥) ـ ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ مَلَكٌ شديدٌ قُوَاه، وهو جبرئيلُ فإنَّه الواسِطَةُ في إبداءِ الخوارقِ. رُوِيَ أنَّه قلعَ قُرَى قومِ لوطٍ ورفعَها إلى السَّماءِ ثمَّ قلبَها، وصاحَ صيحَةً بثمودَ فأصبَحُوا جاثمينَ[١].

(٦) ـ ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ حصافةٍ في عَقلِه ورَأيِه.

﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ فاستقامَ على صُورَتِه الحقيقيَّةِ التي خلقَهُ اللهُ عليها.

قيل: ما رآهُ أحدٌ مِن الأنبياءِ في صورَتِه غيرُ مُحمَّدٍ عليه السَّلامُ مرَّتينِ، مرَّةً في السَّماءِ ومرَّةً في الأرضِ[٢].

وقيل: استَوْلى بقُوَّتِه على ما جُعِلَ له مِن الأمرِ.

(٧) ـ ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أُفقِ السَّماءِ، والضَّميرُ لجبرئيلَ.

(٨) ـ ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ مِن النَّبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ فتعلَّقَ به، وهو تمثيلٌ لعُروجِهِ بالرَّسُولِ.

وقيل: ثمَّ تَدلَّى مِن الأُفُقِ الأعلى فدَنا مِن الرَّسولِ، فيكونُ إشعارًا بأنه عَرَجَ به غيرَ مُنفَصِلٍ عن محلِّه تقريرًا لشدَّةِ قوَّتِه، فإنَّ التَّدلِّيَ استرسالٌ مَع تعلُّقٍ كتَدلِّي الثَّمرةِ، ويقال: دلَّى رِجلَهُ مِن السَّريرِ، وأَدْلى دلوَهُ، والدَّوالي: الثَّمرُ المعلَّقُ.

(٩) ـ ﴿فَكَانَ﴾ جبرئيلُ، كقولِك: هو مِنِّي مَعقِدَ الإزارِ، أو المسافةُ بينَهُما.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٧٨)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٥٠).

(٢) قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٦٠): لم أجده هكذا، وفي الصحيحين [البخاري (٣٢٣٤)، ومسلم (١٧٧) واللفظ له] من رواية مسروق عن عائشة: أنا أول من سأل رسول الله ﷺ، فقال: «إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين: رأيته منهبطاً من السماء سادًّا عِظَمُ خَلْقه ما بين السماء والأرض». وللترمذي [(٣٢٧٨)]: ولكنه رأى جبريل، لم يره في صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجياد له ست مئة جناح وقد سد الأفق.

﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ مقدارَهما ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ على تقديرِكُم كقولِه: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧].

والمقصودُ تمثيلُ مَلَكةِ الاتِّصالِ وتحقيقُ استِماعِهِ لِمَا أُوحيَ[١] إليه بنَفْيِ البُعدِ المُلَبِّسِ.

(١٠) - ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ جبرئيلُ ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ عبدِ اللهِ، وإضمارُه قبلَ الذِّكرِ لكَونِه معلومًا كقولِه: ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾[٢].

﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ جبرئيلُ، وفيه تفخيمٌ للمُوحَى به، أو اللهُ إليه.

وقيل: الضَّمائرُ كلُّها للهِ تعالى، وهو المعنيُّ بـ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ كما في قولِه: ﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ودنوُّهُ منهُ برفعِ مَكانَتِه، وتدلِّيهِ جذبُه بشراشرِهِ إلى جَنابِ القدسِ.

(١١) - ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ ما رَأى ببَصرِه مِن صُورةِ جبرئيلَ أو اللهِ؛ أي: ما كذبَ بصرُه بما حكاهُ له، فإنَّ الأمورَ القدسيَّةَ تُدرَكُ أوَّلًا بالقلبِ ثمَّ تَنتقِلُ منه إلى البصرِ، أو ما قال فؤادُه لَمَّا رآه: لم أعرفكَ، ولو قالَ ذلك كان كاذبًا لأنَّه عرَفهُ بقَلبِه كما رآهُ ببَصرِه، أو ما رآه بقلبِه، والمعنى: لم يَكُن تَخيُّلًا كاذبًا، ويدلُّ عليه أنَّه عليه السَّلامُ سئل: هل رأيتَ ربَّك؟ فقال: «رأيتُه بفُؤادِي»[٣].

وقُرِئَ: ﴿ما كَذَّبَ﴾[٤] أي: صدَّقَه ولم يشكَّ فيه.

---

(١) في نسخة الخيالي: «يوحى».

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٩) من حديث محمد بن كعب القرظي، عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

(٤) رواية هشام بن عمار عن ابن عامر، انظر: «السبعة» (ص: ٦١٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤).

(١٢) ـ ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ أي أفتجادلونَه عليه، مِن المراءِ وهو المجادلَةُ، واشتقاقُه مِن مَرَى النَّاقةَ؛ فإنَّ كُلًّا مِن المُتجادِلَين يَمْرِي ما عندَ صاحبِه.

وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ وخلفٌ ويعقوبُ: ﴿أَفَتَمْرُونَهُ﴾[١]؛ أي: أفتغلبونَه في المراءِ؟ مِن مارَيْتُه فمَرَيْتُه، أو أفتَجْحَدونَه، مِن مَراهُ حقَّهُ: إذا جَحَده، و(على) لتَضمُّنِ الفعلِ مَعنى الغلبَةِ، فإنَّ المُماريَ والجاحِدَ يقصدانِ بفعلِهِما غلبةَ الخصمِ.

(١٣) ـ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ مرَّةً أُخرى، فَعْلَةٌ مِن النُّزولِ أُقيمَتْ مقامَ المرَّةِ ونُصِبَتْ نصبَها إشعارًا بأنَّ الرُّؤيةَ في هذه المرَّةِ كانَتْ أيضًا بنزولٍ ودُنوٍّ. والكلامُ في المرئيِّ والدُّنوِّ ما سبقَ.

وقيل: تقديرُه: ولقد رآهُ نازلًا نزلةً أخرى، ونصبُها على المصدرِ، والمرادُ به نَفيُ الرِّيبةِ عَن المرَّةِ الأخيرةِ.

(١٤) ـ ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ التي يَنتَهِي إليها عِلمُ الخلائقِ وأَعمالُهُم، أو ما ينزلُ مِن فَوقِها ويصعَدُ مِن تَحتِها، ولعلَّها شُبِّهَت بالسِّدرةِ وهي شجرةُ النَّبقِ لأَنَّهم يجتمعونَ في ظِلِّها، ورُوِيَ مَرفوعًا: «أنَّها في السَّماءِ السَّابعَةِ»[٢].

(١٥) ـ ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ الجنَّةُ التي يَأوِي إليها المتَّقونَ، أو أرواحُ الشُّهداءِ.

(١٦) ـ ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ تعظيمٌ وتكثيرٌ لِمَا يَغشاها بحيثُ لا يَكتَنِهُها نعتٌ ولا يُحصِيها عَدٌّ.

وقيل: يَغشاها الجمُّ الغَفيرُ مِن الملائكةِ يعبدونَ اللهَ عندها.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤)، و«النشر» (٢/ ٣٧٩).

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٠) عن ابن عباس قوله: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ قال: هي يمين العرش، وهي منزل الشهداء. وإسناده ضعيف جدًّا.

(١٧) ـ ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ ما مالَ بصرُ رسولِ اللهِ ﷺ عمَّا رآهُ.

﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ وما تجاوزَهُ، بل أثبتَهُ إثباتًا صحيحًا مُستيقَنًا، أو ما عدلَ عَن رُؤيةِ العجائبِ التي أُمِرَ برُؤيَتِها وما جاوزَها.

(١٨) ـ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ أي: واللهِ لقد رأى الكُبرى من آياتِه وعَجائبِه المُلْكِيَّةِ والمَلَكوتيَّةِ ليلةَ المعراجِ، وقد قيل: إنَّها المعنيَّةُ بـ﴿مَا رَأَىٰٓ﴾.

ويجوزُ أَنْ تكونَ ﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ صفةً للآياتِ على أنَّ المفعولَ مَحذوفٌ؛ أي: شيئًا مِن آياتِ رَبِّه، أو (مِن) مزيدةٌ.

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ هي أصنامٌ كانَتْ لَهُم، فالَّلاتُ كانت لثقيفٍ بالطَّائفِ أو لقُريشٍ بنَخلَةَ، وهي فَعْلة مِن لَوَى؛ لأَنَّهم كانوا يلوونَ عليها؛ أي: يطوفونَ.

وقُرِئ[1] ﴿الَّلاتَّ﴾ بالتَّشديدِ[2] على أَنَّه سُمِّيَ به لأنَّه صورةُ رجلٍ كان يَلُتُّ السَّوِيقَ بالسَّمنِ ويُطعِمُ الحاجَّ.

والعُزَّى سَمُرَةٌ لغَطَفانَ كانوا يَعبُدونَها، فبعثَ إليها رسولُ اللهِ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ فقطَعَها[3].

وأصلُها تأنيثُ الأَعَزِّ.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «وقرأ هِبةُ اللهِ عن البَزِّيِّ ورُوَيسٌ عن يعقوبَ» بدل: «وقُرِئَ الَّلات».

(٢) انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٩).

(٣) انظر: «كتاب الأصنام» للكلبي (ص: ٢٥)، و«المغازي» للواقدي (٢/ ٨٧٠)، و«الطبقات الكبرى» (٢/ ١٣٥)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٣٣) عن قتادة، ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٨٣) عن أبي الطفيل رضي الله عنه.

ومَناةُ صَخْرَةٌ كانت لهُذَيلٍ وخُزاعَةَ، أو لثقيفٍ، وهي فَعَلَةٌ مِن مَناه: إذا قطعَهُ، فإنَّهم كانوا يذبحونَ عندها القرابينَ، ومنه: مِنَى.

وقُرِئَ: ﴿مَناءَةَ﴾[1]، وهي مَفْعَلَةٌ مِن النَّوْءِ، كأنَّهم يَستمطِرُونَ الأنواءَ عندَها تبرُّكًا بها، وقولُه: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ صِفتَانِ للتَّأكيدِ كقوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، أو ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ مِن التَّأخُّرِ في الرُّتبةِ.

(٢١) ـ ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ إنكارٌ لقَولِهم: الملائكةُ بناتُ اللهِ، وهذه الأصنامُ استوطَنَها جِنيَّاتٌ هنَّ بَناتُه أو هياكِلُ الملائكةِ، وهو المفعولُ الثَّاني لقولِه: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾.

(٢٢) ـ ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ جائرةٌ حيثُ جَعَلتُم له ما تَستنكِفُونَ منه، وهي فُعْلَى مِن الضَّيْزِ، وهو الجَورُ، لكنَّه كُسِرَ فاؤُه ليَسلمَ الياءُ كما فعلَ في (بِيض)، فإنَّ (فِعْلَى) بالكسرِ لم يأتِ وصفًا.

وقرأ ابنُ كثيرٍ بالهمزِ[2] مِن ضَأَزَهُ: إذا ظَلَمَهُ، على أنَّه مَصدرٌ نُعِتَ به.

(٢٣) ـ ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ الضَّميرُ للأصنامِ؛ أي: ما هي باعتبارِ الألُوهيَّةِ إلَّا أَسماءٌ تُطلِقُونَها عليها لأنَّكُم تَقولون: إنَّها آلهةٌ وليسَ فيها شيءٌ مِن معنى الألُوهيَّةِ، أو للصِّفَةِ التي تَصِفُونَها بها مِن كَونِها آلهةً وبناتًا وشُفعاءَ، أو للأسماءِ المذكورةِ، فإنَّهُم كانوا يُطلِقُونَ الَّلاتَ عليها باعتبارِ استحقاقِها للعُكوفِ على عِبادَتِها، والعُزَّى لعِزَّتِها، ومَناةُ لاعتقادِهِم أنَّها تَستَحِقُّ أن يُتقرَّبَ إليها بالقرابينِ.

﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ سَمَّيتُم بها ﴿أَنتُمْ﴾ بهواكُم ﴿وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ برهانٍ تتعلَّقُون به.

---

(١) هي قراءة ابن كثير، انظر: «السبعة» (ص: ٦١٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤).

﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ وقُرِئَ بالتَّاءِ[١] ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إلا تَوَهُّمَ أنَّ ما هم عليه حقٌّ تقليدًا وتوهُّمًا باطلًا.

﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ وما تَشتَهيهِ أنفُسُهم.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ الرَّسولُ والكتابُ فتركوهُ.

(٢٤) ـ ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ (أم) مُنقَطِعَةٌ، ومَعنى الهمزةِ فيها الإنكارُ، والمعنى: ليسَ له كلُّ ما يتمنَّاه، والمرادُ نَفيُ طَمَعِهم في شفاعةِ الآلهةِ، وقولِهم: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، وقولِهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] ونحوِها.

(٢٥) ـ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ يُعطي منهما ما يشاءُ لِمَن يريدُ، وليسَ لأَحدٍ أن يَتحكَّمَ عليهِ في شيءٍ مِنهُما.

(٢٦) ـ ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ وكثيرٌ مِن الملائكةِ لا تُغني شَفاعَتُهُم شَيئًا ولا تنفَعُ.

﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ في الشَّفاعةِ[٢] ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ مِن الملائكةِ أن يَشفَعَ، أو مِن النَّاسِ أن يُشفَعَ له.

﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ ويَراه أهلًا لذلك، فكيفَ تشفَعُ الأصنامُ لعَبدَتِهم؟!

(٢٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أي: كلَّ واحدٍ مِنهُم ﴿تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ بأَنْ سَمَّوْهم[٣] بِنْتًا.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٥/ ١٢٨ ـ ١٢٩) عن عيسى بن عمر وأيوب وابن السميفع، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٤١) عن طلحة، وابن صبيح، والزعفراني، والشيزري عن علي.

(٢) في نسخة الخيالي: «في شفاعتهم».

(٣) في نسخة الفاروقي والتفتازاني: «سَمَّوه»، وفي نسخة الطبلاوي: «يسموها».

(٢٨) ـ ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: بما يقولونَ.

وقُرِئَ: (بها)[١] أي: بالملائكةِ أو التَّسميةِ.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ فإنَّ الحقَّ الذي هو حقيقةُ الشَّيءِ لا يُدرَكُ إلَّا بالعلمِ، والظَّنُّ لا اعتبارَ له في المعارفِ الحقيقيَّةِ، وإنَّما العِبرةُ به في العمليَّاتِ وما يكونُ وُصلةً إليها.

(٢٩) ـ ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ فأعرِضْ عَن دعوتِه والاهتمامِ بشأنِه، فإنَّ مَن غفَل عَن اللهِ وأعرضَ عن ذكرِه وانهمكَ في الدُّنيا بحيثُ كانَتْ مُنتهى هِمَّتِه ومبلغَ عِلمِه لا تزيدُهُ الدَّعوةُ إلَّا عِنادًا وإصرارًا على الباطلِ.

(٣٠) ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: أمرُ الدُّنيا وكونُها[٢] شهيَّةً ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ لا يتجاوَزُه عِلمُهُم، والجملةُ اعتراضٌ مقرِّرٌ لقُصورِ هَمِّهم بالدُّنيا.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ تعليلٌ للأمرِ بالإعراضِ؛ أي: إنَّما يعلَمُ اللهُ مَن يُجيبُ ممَّنْ لا يجيبُ فلا تُتْعِبْ نفسكَ في دَعوتِهم؛ إذ ما عليك إلَّا البلاغُ وقَدْ بلَّغْتَ.

(٣١) ـ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلْقًا ومُلْكًا.

﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ بعقابِ ما عَمِلُوا مِن السُّوءِ أو بمثلِه، أو بسببِ ما عَمِلُوا مِن السُّوءِ، وهو عِلَّةٌ لما دلَّ عليه ما قبلَه؛ أي: خَلَقَ العالمَ وسوَّاهُ للجزاءِ، أو ميَّزَ الضَّالَّ عَن المُهتَدِي وحَفِظَ أحوالَهُم لذلك.

﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ بالمَثوبَةِ الحُسنى وهو الجنَّةُ، أو بأحسنَ مِن أعمالِهم، أو بسببِ الأعمالِ الحُسْنَى.

---

(١) وهي قراءة أبي، انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٠٠).

(٢) في نسخة الفاروقي: «أو كونها».

(٣٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ ما يكبُرُ عِقابُه مِن الذُّنوبِ، وهو ما رُتِّبَ الوعيدُ عليه بخُصوصِه.

وقيل: ما أوجبَ الحَدَّ.

وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ وخَلَفٌ: ﴿كبيرَ الإثمِ﴾[1] على إرادةِ الجنسِ أو الشِّركِ.

﴿وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ وما فحُشَ مِن الكبائرِ خُصوصًا.

﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ إلَّا ما قلَّ وصَغُرَ فإنَّه مَغفورٌ مِن مُجتنبي الكبائرِ.

والاستثناءُ مُنقَطِعٌ، ومحلُّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ النَّصبُ على الصِّفةِ أو المدحِ، أو الرَّفعُ على أنَّه خبرُ مَحذوفٍ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ حيثُ يغفرُ الصَّغائرَ باجتنابِ الكبائرِ، أو له أن يغفرَ ما يشاءُ مِن الذُّنوبِ صَغيرِها وكَبيرِها.

ولعلَّه عقَّبَ به وعيدَ المُسيئينَ ووَعْدَ المُحسنينَ[2] لئلَّا ييأسَ صاحبُ الكَبيرةِ مِن رَحمَتِه، ولا يتوهَّمَ وجوبَ العِقابِ علـى اللهِ.

﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ﴾ أعلَمُ بأَحوالِكُم مِنكُم.

﴿إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ عَلِمَ أحوالَكُم ومَصارِفَ أُمورِكُم حين ابتدأَ خلقَكُم مِن التُّرابِ بخلقِ آدمَ، وحينما صوَّركُم في الأرحامِ.

﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ فلا تُثْنُوا عليها بزكاءِ العملِ وزِيادةِ الخيرِ، أو بالطَّهارةِ عَن المعاصي والرَّذائلِ.

﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ فإنَّه يَعلَمُ التَّقِيَّ وغيرَهُ مِنكُم قبلَ أن يُخرِجَكُم مِن صُلبِ آدمَ عليهِ السَّلامُ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٥)، و«النشر» (٢/ ٣٦٧).

(٢) في نسخة الفاروقي: «المجتنبين».

(٣٣) ـ ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴾ عن اتِّباعِ الحَقِّ والثَّباتِ عليه.

(٣٤) ـ ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴾ وقطعَ العَطاءَ، من قولهم: أَكْدَى الحافِرُ: إذا بلغَ الكُدْيَةَ، وهي الصَّخرةُ الصُّلبةُ، فتركَ الحفرَ.

والأكثرُ على أنَّها نزلَتْ في الوليدِ بن المغيرةِ كانَ يتبَعُ رسولَ اللهِ ﷺ، فعيَّره بعضُ المشركينَ وقال: تركتَ دينَ الأشياخِ وضَلَّلْتَهُم فقال: أخشى عذابَ اللهِ، فضَمِنَ أن يَتحمَّلَ عنه العذابَ إن أعطاهُ بعضَ مالِه، فارتَدَّ وأعطى بعضَ المشروطِ ثمَّ بَخِلَ بالباقي[1].

(٣٥) ـ ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴾ يعلَمُ أنَّ صاحِبَه يتحمَّلُ عنه.

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ وَفَّرَ وأتمَّ ما التزمَهُ أو أُمِرَ به أو بالغَ في الوفاءِ بما عاهدَ اللهَ، وتخصيصُه بذلك لاحتمالِه ما لم يحتَمِلْهُ غيرُه، كالصَّبرِ على نارِ نُمروذَ حتَّى أتاهُ جبرئيلُ حينَ يُلقى في النَّارِ فقال: ألكَ حاجةٌ؟ فقال: أمَّا إليكَ فلا، وذبحِ الوَلدِ، وأنَّه كان يمشي كلَّ يومٍ فرسَخًا يرتادُ ضيفًا، فإن وافقَهُ أكرمَهُ وإلَّا نوَى الصَّومَ، وتقديمُ مُوسى لأنَّ صُحُفَهُ وهي التَّوراةُ كانَتْ أشهرَ وأكثرَ عِندَهُم.

(٣٨) ـ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (أنْ) هي المخفَّفَةُ من الثَّقيلةِ، وهي بما بعدَها في محلِّ الجرِّ بدلًا مِن (ما في صُحُفِ موسى)، أو الرَّفعِ على (هو أن لا تزرَ)، كأنه قيل: ما في صُحُفِهما؟ فأجاب به.

والمعنى أنَّه لا يُؤْخَذُ[2] أحدٌ بذنبِ غيرِه، ولا يخالِفُ ذلك قولَه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ

---

(١) ذكرها الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٧١)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١٦٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٥).

(٢) في نسخة التفتازاني: «لا يؤاخذ».

كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٖ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ ﴾ [المائدة: ٣٢]، وقولِه عليه السَّلامُ: «مَن سنَّ سنَّةً سَيِّئةً فله وِزرُها ووِزرُ مَن عملَ بها إلى يومِ القيامةِ»[١]، فإنَّ ذلك للدَّلالةِ والتَّسبُّبِ الذي هو وزرُه.

(٣٩) ـ ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ إلَّا سعيُه؛ أي: كما لا يؤاخَذُ[٢] أحدٌ بذنبِ الغيرِ لا يُثابُ بفعلِه، وما جاءَ في الأخبارِ مِن أنَّ الصَّدقةَ والحجَّ ينفعانِ الميتَ فلكونِ النَّاوي له كالنَّائبِ عنه.

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ أي: يُجزى العبدُ سَعْيَه بالجَزاءِ الأوفرِ، فنُصِبَ بنزعِ الخافضِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ مَصدَرًا، وأن يكونَ الهاءُ للجزاءِ المدلولِ عليه بـ(يجزى)، والجزاءُ بدلَه.

(٤٢) ـ ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ انتهاءُ الخلائقِ ورُجوعُهُم.

وقُرِئَ بالكسرِ[٣] على أنَّه مُنقَطِعٌ عمَّا في الصُّحفِ، وكذلك ما بعدَه.

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ لا يقدرُ على الإماتةِ والإحياءِ غَيرُه، فإنَّ القاتلَ ينقُضُ البِنيةَ، والموتُ يحصُلُ عندَهُ بفعلِ اللهِ على سبيلِ العادةِ.

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ تُدفَقُ في الرَّحمِ، أو تُخلَقُ أو تُقدَّرُ منها الولدُ، مِن مَنَى: إذا قَدَّرَ.

(٤٧) ـ ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ الإحياءَ بعدَ المَوتِ وفاءً بوَعدِه.

---

(١) رواه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير رضي الله عنه.

(٢) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «لا يؤخذ».

(٣) وهي قراءة أبي السمال كما في «البحر» (٢٠/ ٦٧).

وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو: ﴿النَّشاءَةَ﴾[١] بالمدِّ، وهو أيضًا مصدرُ نشأَهُ.

(٤٨) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ وأعطَى القِنيةَ، وهي ما يُتَأَثَّلُ من الأموالِ، وإفرادُها لأنَّها أَشفُّ الأموالِ أو أَرْضَى، وتحقيقُه جَعَلَ الرِّضا له قِنيةً[٢].

(٤٩) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ يعني: العَبُورَ، وهي أشدُّ ضياءً مِن الغُمَيصاءِ، عبدَهَا أبو كَبشةَ أحدُ أَجدادِ الرَّسُولِ عليهِ السَّلامُ وخالفَ قريشًا في عبادةِ الأوثانِ[٣]، ولذلك كانوا يُسَمُّونَ الرَّسولَ ابنَ أبي كبشةَ، ولعلَّ تخصيصَها للإشعارِ بأنَّه عليه الصَّلاةُ السَّلامُ وإنْ وافقَ أبا كبشةَ في مُخالفَتِهِم خالفَهُ أيضًا في عبادَتِها.

(٥٠) ـ ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ القُدماءَ لأنَّهم أُولى الأُمَم هلاكًا بعد نوحٍ.

وقيل: عادٌ الأُولى قومُ هودٍ، وعادٌ الأخرى إِرَمُ.

وقُرِئَ: (عادًا لُولى) بحذفِ الهمزةِ[٤]، ونقلِ ضمَّتِها إلى لامِ التَّعريفِ[٥]، وقرأ نافعٌ وأبو عمرٍو: ﴿وعادَ لُّولَى﴾ بإدغامِ التَّنوينِ في اللامِ[٦]، وقالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو[٧].

(٥١) ـ ﴿وَثَمُودَا۟﴾ عطفٌ على ﴿عَادًا﴾ لأنَّ ما بعدَهُ لا يعملُ فيه.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٣).

(٢) أي: جعله قنوعًا بما أعطاه راضيًا به.

(٣) انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٢٧٢)، و«شرح مشكل الآثار» (٢/ ١٨٤).

(٤) انظر: «الكشاف» (٨/ ٥١٠)، و«البحر» (٢٠/ ٧١).

(٥) وهي قراءة الحسن كما في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٩)، و«البحر» (٢٠/ ٧٣).

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٦)، و«التيسير» (ص: ٢٠٥).

(٧) قوله: «وقالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو» من نسخة التفتازاني والخيالي، انظر: «النشر» (١/ ٤١٣).

وقـرأ عاصـمٌ وحمـزَةُ بغيـرِ تنويـنٍ، ويَقِفَـانِ بغيـرِ ألـفٍ، والباقـونَ بالتَّنويـنِ ويَقِفُـونَ بالألـفِ[١].

﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ الفريقَيْنِ.

(٥٢) ـ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أيضًا معطوفٌ عليه.

﴿مِّن قَبْلُ﴾ مِن قبلِ عادٍ وثمودَ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ مِـن الفريقيـنِ لأنَّهُـم كانـوا يؤذونَـهُ وينفِّـرونَ عنـه ويضربونَـه حتَّـى لا يكـونَ بـه حَراكٌ.

(٥٣) ـ ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ والقُـرى التـي ائتُفِكَت بأهلِهـا؛ أي: انقلَبَتْ، وهي قُرى قومِ لوطٍ.

﴿أَهْوَىٰ﴾ بعدَ أَنْ رفعَهَا فقلَبَهَا.

(٥٤) ـ ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ فيه تهويلٌ وتَعميمٌ لِمَا أصابَهُم.

(٥٥) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ تتشكَّكُ.

والخطابُ للرَّسُولِ أو لكلِّ أحدٍ.

والمعدوداتُ وإن كانَتْ نِعَمًا ونقمًا، سمَّاها آلاءً مِن قِبَلِ ما في نِقَمِه مِن العِبَرِ والمواعظِ للمُعتبرينَ والانتقامِ للأنبياءِ والمؤمنينَ.

(٥٦) ـ ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ أي: هذا القرآنُ نذيرٌ[٢] مِن جنسِ الإنذاراتِ المُتقدِّمةِ، أو هذا الرَّسولُ نذيرٌ[٣] مِن جنسِ المنذِرينَ الأوَّلينَ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٦)، و«التيسير» (ص: ٢٠٥).

(٢) في نسخة الفاروقي: «إنذار».

(٣) في نسخة الخيالي: «منذر».

(٥٧) ـ ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ دنَت السَّاعةُ الموصوفةُ بالدُّنوِّ في نحوِ قولِه: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١].

(٥٨) ـ ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ ليس لها نفسٌ قادرَةٌ على كشفِها إذا وقعَتْ إلَّا اللهُ، لكنَّه لا يكشِفُها، أو الآن بتأخيرِها إلَّا اللهُ، أو ليسَ لها كاشفةٌ لوَقتِها إلَّا اللهُ؛ إذ لا يَطَّلعُ عليه سواهُ، أو ليس لها مِن غيرِ اللهِ كشفٌ على أنَّها مَصدرٌ كالعافيةِ.

(٥٩) ـ ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآنَ ﴿تَعْجَبُونَ﴾ إنكارًا.

(٦٠) ـ ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ تحزنًا على ما فرَّطْتُم.

(٦١) ـ ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ لاهونَ أو مستكبرونَ، مِن سَمَدَ البعيرُ في مسيرِه: إذا رفعَ رأسَه، أو مُغَنُّونَ لتشغلُوا النَّاسَ عَن استماعِه، مِن السُّمودِ وهو الغِناءُ.

(٦٢) ـ ﴿فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا﴾ أي: واعبدوهُ دونَ الآلهةِ.

عن النبيِّ عليه السَّلامُ: «مَن قرأَ ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ أعطاهُ اللهُ عشرَ حَسناتٍ بعددِ مَن صدَّقَ بمُحمَّدٍ وجحدَ به بمكَّةَ»(١).

***

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٦٦)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢٢٠)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٩٢)، وهو قطعة من الحديث الطويل الموضوع المروي في فضائل السور عن أبي بن كعب رضي الله عنه، وانظر: «الفتح السماوي» (٣/ ١٠١٦).

# سورة النجم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨﴾.

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة؛ لأنه قال ﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۝٣٣﴾ [الطور] أي: اختلق القرآن، ونسبوه إلى الشعر، وقالوا: هو كاهن، هو مجنون. فأقسم تعالى أنه عليه السلام ما ضلّ، وأن ما يأتي به هو وحي من الله تعالى. وهي أول سورة أعلن[2] رسول الله ﷺ بقراءتها في الحرم، والمشركون يسمعون. وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والإنس غير أبي لهب، فإنه رفع حفنة من تراب إلى جبهته وقال: يكفي هذا. وسبب نزولها قول المشركين إنّ محمداً يختلق القرآن. وأقسم تعالى بالنجم وهو هنا اسم جنس والمراد النجوم إذا هوت أي: غربت.

---

(١) مكية وهي اثنتان وستون آية.

(٢) ق: أعلى.

وقيل «النجم» معيّن وهو الثريا. وهُوِيُّها: سقوطها مع الفجر. وهو عَلَم عليها بالغلبة، ولا تقول العرب «النجم» مطلقاً إلا للثريّا. و«إذا» ظرف زمان [٥٢٤/أ] والعامل فيه محذوف تقديره: كائناً إذا هوى. وكائناً: منصوب على الحال. أقسم تعالى بالنجم في حال هُوِيّه.

﴿مَاضَلَّ﴾ جواب القسم. و﴿صَاحِبُكُمْ﴾ هو محمد ﷺ. ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ أي: الرسول عليه السلام. ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ أي: عن هوى نفسه ورأيه. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ﴾ من عند الله تعالى يوحى إليه.

﴿عَلَّمَهُۥ﴾ الضمير عائد على الرسول عليه السلام، فالمفعول الثاني محذوف، أي: علّمه الوحيَ[(١)]. ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ هو جبريل عليه السلام وهو مناسب للأوصاف التي بعده.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قوة. ومنه[(٢)] «لا تحلّ الصدقة لغني ولا لذي مرّة سويّ». «فاستوى» أي: جبريل في الجو. ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ إذ رآه الرسول عليه السلام بحراء قد سدّ الأفق، له ستّ مئة جناح. وحينئذٍ دنا من محمد ﷺ حتى[(٣)] كان قاب قوسين. وكذلك هو المرئي في النّزلة[(٤)] الأخرى [له] ستّ مئة جناح عند سدرة المنتهى.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من رسول الله ﷺ. «فتدلّى» فتعلّق عليه في الهواء.

﴿فَكَانَ﴾ مقدار مسافة قربه مثل ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أي: قدر قوسين. فحذفت

(١) ق: الرسول. وانظر وجهاً آخر في البحر ٨: ١٥٧.
(٢) أخرجه أبو داود ٢: ١١٨ من حديث عبد الله بن عمرو.
(٣) ق: حين.
(٤) ق: المنزلة.

هذه المضافات. والظاهر أن الدنوّ والتدلّي كان بين جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ، ويدل على ذلك قوله «ولقد رآه نزلة أخرى».

و﴿سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ قيل: هي شجرة نَبِق[١] في السماء السابعة ثمرها كقِلال هَجَر[٢]، وورقها كآذان الفيلة، تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه، يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها. و﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ موضع الانتهاء، كأنه ينتهي إليها علم كلّ عالم، ولا يعلم ما وراءها صعداً إلا الله تعالى. وقال الشاعر في وصف الرسول عليه السلام[٣]: [من الطويل]

إلى[٤] السدرة العليا تسامى حقيقة فكان به المجد المؤثّل للسّدر

﴿عِندَهَا﴾ الضمير عائد على السّدرة. ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ فيه بإبهام[٥] الموصول وصلته تعظيم وتكثير للغاشي الذي يغشاه[٦] إذ ذاك أشياء لا يعلم وصفها إلا الله تعالى.

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ أي: ما مال لا هكذا ولا هكذا. ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما تجاوز المرء إلى غيره، بل وقع عليه وقوعاً صحيحاً. وهذا تحقيق للأمر ونفي للرّيب[٧] عنه.

---

(١) النّبق: هو حَمْل السّدر.

(٢) هجر: بلد. والقلال: جمع قُلّة: إناء كالجرة الكبيرة. وقلال هجر شبيهة بالحِباب (الخوابي، فارسي معرّب).

(٣) لم أجده.

(٤) ق: لدى.

(٥) ق: إبهام.

(٦) ق: يغشاها.

(٧) ق: للمريب.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ قيل «الكبرى» مفعول «رأى»، أي: رأى الآيات الكبرى والعظمى التي هي بعض آيات ربه، أي: حين رقي إلى السماء، رأى عجائب الملكوت، وتلك بعض آيات الله تعالى. وقيل «من آيات» هو في موضع المفعول، و«الكبرى» صفة [٥٢٤/ب] لـ«آيات ربه». ومثل هذا الجمع يوصف بوصف الواحدة، وحسّن ذلك هنا كونها فاصلة.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۝٢٣ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝٢٥﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ خطاب لقريش. ولمّا قرّر الرسالة أولاً وأتبعه بما أتبعه من ذكر عظمة الله تعالى وقدرته الباهرة، بدأ بذكر التوحيد والمنع عن الإشراك بالله تعالى، فوقفهم على حقارة معبوداتهم وهي الأوثان، وأنها ليست لها قدرة. و﴿ٱللَّٰتَ﴾ صنم كانت العرب تعظّمه، قال قتادة: كان بالطائف. وقرىء: اللاّت، قال ابن عباس: كان هذا رجلاً بسوق عكاظ يلتّ السمن والسويق عند صخرة. وقيل كان ذلك الرجل[1] يلتّ السويق للحاجّ على حجر، فلما مات عبدوا الحجر الذي كان عنده إجلالاً لذلك الرجل وسمّوه باسمه. و«العزى» صنم، وقيل: سَمُرة[2] كانت لغطفان، وأصلها تأنيث الأعزّ، بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها، وخرجت منها شيطانة[3] ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها، فجعل يضربها بالسيف حتى

(١) بعده في ق: من بهز. وانظر صحيح البخاري ٤: ١٨٤١.

(٢) السمرة: من شجر الطلح.

(٣) ق: سنا. وفوقها: كذا.

قتلها وهو يقول[١]: [من الرجز]

يا عُزَّ كفرانكِ لا سبحانكِ        إني رأيتُ الله قد أهانكِ

ورجع فأخبر رسول الله ﷺ، فقال عليه السلام[٢]: «تلك العزى ولن تُعبد أبداً».

﴿وَمَنَوٰةَ﴾ قيل صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل غير ذلك. والذي يظهر أنها كانت ثلاثتها في الكعبة، لأن المخاطب بذلك في قوله «أفرأيتم»[٣] هم قريش. والظاهر أن ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ صفتان لـ«مناة» وهما يفيدان التوكيد. قيل: ولمّا كانت مناة هي أعظم هذه الأوثان، أُكّدت بهذين الوصفين كما تقول: رأيت فلاناً وفلاناً، ثم تذكر ثالثاً أجلّ منهما فتقول: وفلاناً الآخر الذي من أمره وشأنه. ولفظة آخر وأخرى يوصف به الثالث من المعدودات، وذلك نص في الآية.

و«اللات والعزى ومناة» منصوبة بقوله «أفرأيتم» وهي بمعنى أخبِرْني. والمفعول الثاني الذي لها هو قوله «ألكم الذكر وله الأنثى» على حدّ ما تقرر في متعلق أرأيت، إذا كانت بمعنى أخبِرْني. ولم يعد ضمير من جملة الاستفهام على «اللات والعزّى ومناة» لأن قوله «وله الأنثى» هو في معنى: وله هذه الإناث[٤]، فأغنى عن الضمير. وكانوا يقولون في هذه الأصنام هي بنات الله، فالمعنى: ألكم النوع المستحسن المحبوب الموجود فيكم، وله النوع

(١) البيت في اللسان «عزز» منسوب لخالد بن الوليد.

(٢) أخرجه أحمد ٤: ٢٢٢ برواية أخرى من حديث عروة.

(٣) ق: افرأيت.

(٤) ق: الآيات.

المذموم بزعمكم، وهو المستثقَل[1]. وحسّن إيراد «الأنثى» كونه نصّاً في اعتقادهم أنهنّ إناث[2]، وأنهن بنات الله، وإن كان في لحاق تاء التأنيث في اللات وفي مناة، وألف التأنيث في العزّى ما يشعر بالتأنيث، لكنه قد يُسّمى [٥٢٥/أ] المذكر بالمؤنث، فكان في قوله «الأنثى» نصٌّ على اعتقاد التأنيث فيها، وحسّن ذلك أيضاً كونه جاء فاصلة؛ إذ لو أتى ضميراً فكان التركيب: ألكم الذكر[3] وله هنّ، لم تقع فاصلة[4].

والإشارة بـ«تلك» إلى قسمتهم وتقريرهم أن لهم الذُّكران ولله البنات. وكانوا يقولون إن هذه الأصنام والملائكة بنات الله تعالى.

و﴿ضِيزَىٰٓ﴾ أي: جائرة، يقال: ضازه يَضُوزه، وضازه يَضِيزه، وضأزه يضْأَزه. وقرىء: ضِيْزىٰ، بغير همز، وبالهمز. ووزنها فُعْلى، والألف فيها للتأنيث.

﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ هو ترجيح أحد الجائزين. ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ أي: تميل إليه بلذّة. وإنما تهوى أبداً ما هو غير الأفضل، لأنها مجبولة على حبّ الملاذّ، وإنما يسوقها إلى حسن العاقبة العقل. ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ توبيخ لهم، فالذي هم عليه فاصل[5] واعتراض بين الجملتين، أي: يفعلون هذه القبائح والهدى قد جاءهم، فكانوا أولى من يقبله ويترك عبادة من لا تجدي عبادته.

(١) ق: المستقل.

(٢) ق: آيات.

(٣) ق: المذكر.

(٤) بعده في ق: عندكم.

(٥) ق: باطل.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ﴾ هو متصل بقوله «وما تهوى الأنفس» أي: بل للإنسان، والمراد به الجنس. ﴿مَا تَمَنَّىٰ﴾ أي: ما تعلقت به أمانيه، أي: ليست الأشياء والشهوات تحصل بالأماني، بل الأمر لله تعالى، فقولكم إن آلهتكم تشفع وتقرّب زلفى، ليس لكم ذلك.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ [وَٱلْأُولَىٰ]﴾ أي: هو مالكها فيعطي منهما من يشاء، ويمنع من يشاء، وليس لأحد أن يبلغ منهما إلا ما شاء الله تعالى [له]. وقدّم «الآخرة» في الذكر لشرفها وديمومتها، وأخّر «الأولى» لتأخيرها في ذلك، ولكونها فاصلة، فلم يُرَاع الترتيب الوجودي، كقوله ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل].

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية، «كم» هي خبرية، ومعناها هنا التكثير، وهي في موضع رفع بالابتداء، والخبر «لا تغني». والغَناء: جلب النفع ودفع الضّر بحسب الأمر الذي يكون فيه الغَناء. و«كم» لفظها مفرد ومعناها جمع، ولذلك جاء «لا تغني شفاعتهم».

ومعنى ﴿تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ كونهم يقولون إنهم بنات الله تعالى. و﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ هم العرب منكرو البعث.

﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى ﴾ ما يدركه[1] العلم لا ينفع فيه الظن، وإنما يُدرَك بالعلم والتيقّن.

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ ﴾ موادعة منسوخة بآية السيف[2]. ﴿ وَلَمْ يُرِدْ ﴾ أي: لم تتعلق إرادته بغيرها، فليس له فكر في سواها.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى تعلّقهم بالدنيا وتحصيلها. ﴿ مَبْلَغُهُم ﴾ غايتهم ومنتهاهم من العلم، وهو ما تعلّقت به علومهم من مكاسب الدنيا كالفلاحة والصنائع كقوله ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۝٧ ﴾ [الروم]. ولمّا ذكر ماهم [٥٢٥/ب] عليه، أخبر تعالى أنه عالم بالضالّ والمهتدي، وهو مجازيهما.

واللام في «ليجزي» متعلقة بما دلّ عليه معنى الملك، أي: يضلّ ويهدي ليجزي. [وقيل: بقوله «بمن ضل» و«بمن اهتدى» واللام للصيرورة، والمعنى أن عاقبة أمرهم جميعاً للجزاء] بما عملوا، أي: بعقاب ما عملوا. والحسنى: الجنّة.

والكبائر: تقدم الكلام عليه[3]. ﴿ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ استثناء منقطع، لأنه لم يدخل تحت ما قبله، وهو صغار الذنوب كالنظرة والقُبْلة وغير ذلك. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ حيث يكفّر الصغائر باجتناب الكبائر. ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ الظاهر أنه خطاب عام. و«أعلم» على بابها من التفضيل. والظاهر أن المراد بـ«أنشأكم» أنشأ أصلكم - وهو آدم عليه السلام - من الأرض. ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾

---

(١) ق: مدركه.

(٢) الآية ٥ من التوبة.

(٣) انظر شرح الآية ٣١ من النساء.

فلا تنسبوها إلى زكاء العمل والطهارة عن المعاصي ولا تُثْنوا[١] عليها، واهضموها، فقد علم الله منكم الزكيّ والتقي.

والجنين: ما كان في البطن، فإذا خرج سمّي ولداً أو سقطاً. وقوله ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ تنبيه على كمال العلم والقدرة، فإن بطن الأم في غاية الظلمة. ومن علم حاله وهو مُجَنّ [لا يخفى عليه وهو ظاهر. ﴿بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ قيل الشرك. وقال علي كرم الله وجهه: عمل حسنة وارعوى] عن[٢] معصية.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ الآية، قال مقاتل وغيره: نزلت[٣] في

(١) ق: تبنوا.

(٢) ق: لا عن.

(٣) انظر أسباب النزول ص٢٦٧.

الوليد بن المغيرة، [كان] قد سمع قراءة رسول الله ﷺ، وجلس إليه ووعظه، فقرب من الإسلام، وطمع فيه رسول الله ﷺ. ثم إنه عاتبه رجل من المشركين وقال: أتترك ملّة آبائك؟ ارجع إلى دينك، واثبت عليه، وأنا أتحمّل عنك بكل شيء تخافه في الآخرة، لكن على أن تعطيني كذا وكذا من المال. فوافقه الوليد على ذلك، ورجع عمّا همّ به من الإسلام وضلّ ضلالاً بعيداً، وأعطى بعض ذلك المال لذلك الرجل، ثم أمسك عنه وشحّ. «أكدى» أصله من الكدية؛ يقال لمن حفر بئراً ثم وصل إلى حجر لا يتهيأ له فيه حفر: قد أكدى. ثم استعملته العرب لمن أعطى ولم يتمم، ولمن طلب شيئاً فلم يبلغ آخره. و«أفرأيت» هنا بمعنى أخبِرْني، ومفعولها الأول الموصول، والثاني الجملة الاستفهامية وهي «أعنده علم الغيب». و﴿تَوَلَّىٰ﴾ أي: أعرض عن الأسلام.

﴿أَعِندَهُۥ﴾ استفهام فيه[1] تهكم؛ إذ ليس عنده شيء من علم الغيب. ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أي: لا جزاء.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ أي: بل ألم يُخبَر. ﴿بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ وهي التوراة.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ اي: وفي صحف إبراهيم التي نزلت[2] [عليه]. وخصّ هذين النبيّين صلّى الله عليهما، قيل: لأنه ما بين نوح وإبراهيم كانوا يأخذون الرجل بابنه وأبيه وعمّه وخاله، والزوج بامرأته، والعبد بسيّده. فأولّ من [٥٢٦/أ] خالفهم[3] إبراهيم عليه السلام. ومن شريعة إبراهيم إلى شريعة

(١) ق: فيه استفهام.
(٢) ق: نزلت هذه.
(٣) ق: يخالفهم.

موسى كانوا لا يأخذون الرجل بجريرة غيره.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ بتبليغ الرسالة والاستقلال بأعبائها[١]، والصبر على ذبح ولده، وعلى فراق إسماعيل وأمّه، وعلى نار نمروذ، وقيامه بأضيافه وخدمته إياهم بنفسه. وكان يمشي كلّ يوم فرسخاً يرتاد ضيفاً، فإن وافقه أكرمه وإلاّ نوى الصوم.

و«أن» هي المخففة من الثقيلة، وهي بدل من «ما» في قوله «بما في صحف». ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ﴾ الظاهر أن الإنسان يشمل المؤمن والكافر وأن الحصر في السعي فليس له سعي غيره. وسأل والي خراسان عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل عن هذه الآية مع قوله ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة] فقال: ليس له بالعدل إلا ما سعى، وله بالفضل ما شاء الله تعالى. فقبّل عبد الله رأس الحسين. والسّعي: التكسّب. و«يُرى» مبني للمفعول، أي: سوف يراه حاضراً[٢] [يوم] القيامة. وفي عرض الأعمال تشريف للمحسن وتوبيخ للمسيء.

والضمير المرفوع في «يجزاه» عائد على الإنسان، والمنصوب عائد على السعي، و«الجزاء» مصدر.

قال الزمخشري[٣]: ويجوز أن يكون الضمير للجزاء، ثم فسّره بقوله «الجزاء الأوفى»، أو أبدله منه[٤] كقوله ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء]

(١) ق: بأعباء الرسالة.
(٢) ق: حاضروا.
(٣) الكشاف ٤: ٣٣.
(٤) ق: عنه.

انتهى.

وقوله «ثم فسّره بقوله: الجزاء» وإذا كان تفسيراً للضمير المنصوب في «يجزاه» فعلى ماذا انتصابه؟. وأما إذا كان بدلاً فهو من باب بدل الظاهر من المضمر الذي يفسره الظاهر، وهي مسألة خلاف والصحيح المنع.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى جزاء ربك المنتهى.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ الظاهر حقيقة الضحك والبكاء.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ أي: المصطحبين من رجل وامرأة وغيرهما من الحيوان.

﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ أي: إذا تُدْفَق، وهو المنيّ. يقال: أمنى الرجل ومَنَى.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ أي: إعادة الأجسام إلى الحشر بعد البِلى. وجاء بلفظ «عليه» المشعرة بالتحتّم لوجود الشيء. لمّا كانت هذه النشأة ينكرها الكفار، بولغ بقوله «عليه» بوجودها لا محالة وكأنه تعالى أوجب ذلك على نفسه.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ أي: أكسب القنية، يقال: قنيت المال أي: كسبته، وأقنيته إياه أي: أكسبته إياه. ولم يذكر متعلق «أغنى وأقنى» لأن المقصود نسبة هذين الفعلين له تعالى.

و﴿ٱلشِّعْرَىٰ﴾ التي عُبدت هي العَبور، قال السدّي: كانت تعبدها حمير وخزاعة، وهي تقطع السماء طولاً والنجوم كلها تقطعها عرضاً.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ جاء بين أنّ وخبرها [٥٢٦/ب] لفظ «هو» وذلك في قوله «وأنه هو أضحك» «وأنه هو أمات» «وأنه هو أغنى» «وأنه هو رب

الشعرى». ففي الثلاثة الأول لمّا كان قد يدّعي ذلك بعض الناس - كقول نمروذ ﴿ أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة] احتيج إلى تأكيد في أن ذلك هو لله[١] لا غيره؛ فهو الذي يضحك ويبكي، وهو المميت المحيي، والمغني والمقني حقيقة، وإن ادّعى ذلك أحد فلا حقيقة له.

وأمّا ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴾ فلأنها لمّا عُبدت من دون الله تعالى، نصّ على أنه تعالى هو ربّها وموجدها. ولمّا كان خَلْق الزوجين والإنشاء الأخير وإهلاك عادٍ ومن ذكر، لا يمكن أن يدّعي ذلك أحد، لم يحتج إلى تأكيد تنصيص أنه تعالى هو فاعل ذلك و[عاد] الأولى هم قوم هود، وعاد الأخرى إرم.

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾ أي: كانوا أكفر من قريش وأطغى. ففي ذلك تسلية لرسول الله ﷺ. و﴿ هُمْ ﴾ يجوز أن يكون تأكيداً للضمير المنصوب، ويجوز أن يكون فصلاً لأنه واقع بين معرفة وأفعل التفضيل وحُذف المفضول بعد الواقع خبراً لكان، لأنه جارٍ مجرى خبر المبتدأ، وحذفه فصيح فيه فكذلك[٢] في خبر كان.

﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴾ هي مدائن قوم لوط بإجماع من المفسرين. وسميت بذلك لأنها انقلبت، ومنه الإفك لأنه قلب الحق كذباً، أَفَكَه فائتفك[٣]. والظاهر أن «أهوى» ناصب لـ«المؤتفكة» وأخرّ العامل لكونه فاصلة.

﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ فيه تهويل للعذاب الذي حلّ بهم لمّا قلبها جبريل عليه السلام أتبعت حجارة غشيتْهم. والتضعيف في «غشّاها» للتعدية فتكون «ما» مفعولة والفاعل ضمير عائد على الله تعالى.

---

(١) ق: الله، وفوقها: كذا.

(٢) ق: فلذلك.

(٣) ق: أفكت فائتفكت.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ ﴾ الباء ظرفية والخطاب للسامع. و﴿ تَتَمَارَىٰ ﴾ تتشكّك، وهو استفهام في معنى الإنكار، أي: آلاؤه وهي النّعم لا يتشكّك فيها سامع. وقد سبق ذكر نقم ونعم وأطلق عليها كلها «آلاء»[1] لما في النّقم من الزّجر والوعظ لمن اعتبر. وقرأ يعقوب: ربك تَّمارَى، بتاء واحدة مشدّدة.

﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ ﴾الإشارة إلى رسول الله ﷺ، افتتح أول السورة به، واختتم آخرها به.

ولمّا ذكر إهلاك من تقدّم ذكره، وذكر قوله «هذا نذير» ذكر أن الذي أنذر به قريب الوقوع فقال ﴿ أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴾ أي: قربت الموصوفة بالقرب في قوله ﴿ اقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴿١﴾ ﴾ [القمر] وهي القيامة.

﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ أي: نفس كاشفة تكشف وقتها وتعلمه، لا يعلم ذلك إلا الله تعالى.

﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ وهو القرآن. ﴿ تَعْجَبُونَ ﴾ فتنكرون.

﴿ وَتَضْحَكُونَ ﴾ [٥٢٧/أ] مستهزئين. ﴿ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ جزعاً من وعيده.

﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ أي: لاهون. وروي[2] أنه عليه السلام لم يُرَ ضاحكاً بعد نزولها.

﴿ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ﴾ أي: صلّوا له. ﴿ وَٱعْبُدُواْ۩ ﴾ وأفرِدوه بالعبادة، ولا تعبدوا اللات والعزّى ومناة والشّعرى وغيرها من الأصنام.

---

(١) سبق أن فسّر الآلاء بالنعم، انظر شرح الآية ٦٩ من الأعراف.
(٢) انظر القرطبي ١٧: ١٢٤.

# مفردات سورة النجم

المِرَّة: القوَّة، من أمررت الحبلَ إذا أحكمْتَ فَتْلَه. وقال قطرب: تقول العرب لكل جَزْلِ الرأي حَصيفِ العقل: إنَّه لَذو مِرَّة[1]. قال:

وإنِّي لَذو مِرَّةٍ مُرَّةٍ ... إذا ركِبَتْ حالةٌ حالَها[2]

تدلَّى العِذْقُ تدلِّياً: امتدَّ من عُلوٍّ إلى جهة السفل. فيُستعمل في القرب من العُلوِّ. قاله الفرَّاء وابنُ الأعرابي[3]. قال أسامة الهُذَلي:

تدلَّى علينا وهو زَرْقُ حمامةٍ ... لهُ[4] طِحْلِبٌ في منتهى القيظِ هامِدُ

القابُ والقِيبُ والقادُ والقِيد: المقدار[5].

القوس: معروف، وهو آلةٌ لرمي السهام، وتختلف أشكاله.

السِّدْرة: شجرة النَّبْق[6].

الضِّيزى: الجائرة، مِن ضازه يضيزُه: إذا ضامَه[7]؛ قال الشاعر:

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٥-٦.

(٢) البيت لعبيد بن ماويَّة الطائي كما في شرح الحماسة للمرزوقي ٢/ ٦٠٥، وللتبريزي ٢/ ٧٨.

(٣) ذكره النووي في شرح صحيح مسلم ٣/ ١١ بواسطة الواحدي.

(٤) في (أ) و(ع) والمطبوع: إذا، والمثبت موافق لما في تهذيب اللغة ٤/ ١٧٣.

(٥) الفائق ٣/ ٢٣١.

(٦) الصحاح (سدر).

(٧) الكشاف ٤/ ٣١.

ضـازَتْ بـنـو أسـدٍ بِـحُـكْـمِـهِـمُ إذ يـجـعـلـونَ الـرَّأسَ كـالـذَّنَـبِ[١]

وأصلها «ضُوزى» على وزن فُعْلى، نحو حُبلى وأُنثى ورُبَّى، ففُعِل بها ما فُعل ببِيْض لتسلم الياء، ولا يوجد فِعْلى بكسر الفاء في الصفات. كذا قال سيبويه[٢].

وحكى ثعلب: مِشيةٌ حِيْكى[٣]، ورجل كِيْصَى[٤]. وحكى غيرُه: امرأةٌ عِزْهى[٥]، وامرأةٌ سِعْلى[٦]، والمعروف عِزْهاة وسِعْلاة[٧].

وقال الكسائي: يقال: ضازَ يضيزُ ضَيْزاً، وضازَ يضوزُ ضَوْزاً، وضأزَ يضْأَزُ ضَأْزاً[٨].

«اللَّمَم»: ما قلَّ وصغُرَ، ومنه: اللَّمم: المَسُّ من الجنونِ. وألَمَّ بالمكان: قَلَّ لُبْثُه فيه. وألَمَّ بالطعام: قَلَّ أكْلُهُ منه[٩].

وقال المبرِّد: أصل اللَّممِ: أن يُلِمَّ بالشيء من غير أن يركبه، يُقال: ألَمَّ بكذا: إذا قاربه ولم يُخالِطْه.

وقال الأزهري: العرب تستعمل الإلمامَ في المُقارَبة والدُّنوِّ، يقال: ألَمَّ يفعَلُ كذا، بمعنى: كاد يفعل[١٠]. قال جرير:

(١) البيت لامرىء القيس كما في الدر المنثور ٦/ ١٢٧، والإتقان ١/ ٤١٠، وفيهما: يعدلون، بدل: يجعلون.
(٢) الكتاب ٤/ ٣٦٤ و٣٨٩.
(٣) مشية حِيْكَى: إذا كان فيها تبختُرٌ. ينظر اللسان (حيك).
(٤) رجل كِيْصَى: يأكل وحده وينزل وحده ولا يهمه غير نفسه. ينظر اللسان والقاموس (كيص).
(٥) امرأة عِزهى: هي التي أسنَّت ونفسُها تُنازعها إلى الصِّبا. القاموس (عزه).
(٦) سِعْلى ـ بالمدِّ والقصر ـ: الغُول، وقيل: ساحرة الجن، الصخَّابة البذية. اللسان (سعل).
(٧) الكلام في إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٧.
(٨) تفسير الثعلبي ٦/ ١٧.
(٩) الكشاف ٤/ ٣٢.
(١٠) تهذيب اللغة ١٥/ ٣٤٨.

بِنَفْسِي مَنْ تَجَنُّبُهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامُ[١]

وقال آخر:

لِقَاءُ أخِلَّاءِ الصَّفَاءِ لِمَامُ[٢]

«الأجِنَّة» جمع جنين: وهو الولد في البطن، سُمِّي بذلك؛ لاستتاره، والاجتنان: الاستتار[٣].

«أكْدى»: أصله من الكُدْية، يُقال لمن حفرَ بئراً ثم وصل إلى حجر لا يتهيَّأ له فيها حفرٌ: قد أكدى، ثمَّ استعملَتْه العربُ لمن أعطى ولم يُتمِّم، ولمن طلب شيئاً فلم يبلغ آخره. وقال الحُطيئة:

فأعطى قليلاً ثمَّ أكْدى عطاءَهُ ومن يَبْذُلِ المعروفَ في الناسِ يُحْمَدِ[٤]

وقال الكسائي وغيره: أكْدى الحافرُ وأجْبَلَ: إذا بلغ كُديةً أو جبلاً ولا يُمكِنُه أن يحفِرَ. وحفَرَ فأكدى: بلغَ إلى الصُّلب. ويقال: كَدِيَتْ أصابِعُه: إذا كَلَّتْ من الحفر. وكَدَى النَّبْتُ: قَلَّ رَيْعُه[٥]. وقال أبو زيد: أكدى الرجلُ: قلَّ خيرُه[٦].

«أقنى» قال الجوهري[٧]: قَنِيَ يَقْنَى قِنًى، كغَنِيَ يَغْنى غِنًى.

ويتعدَّى بتغيير الحركة فتقول: قَنَيتُ المالَ، أي: كسَبْتُه، نحو شَتِرَتْ عينُ الرجل، وشَتَرَها الله، ثمَّ تَعدَّى بعد ذلك بالهمزة أو التضعيف، فتقول: أقناه الله مالاً، وقَنَّاه الله مالاً. وقال الشاعر:

---

(١) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ١/ ٢٧٩.
(٢) لم أقف على قائله، وهو في الكشاف ٤/ ٣٢، وعجزه كما في شواهد الكشاف ٤/ ٥٤٠:
وكلُّ وصالِ الغانياتِ ذِمامُ.
(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٠.
(٤) لم أقف عليه في ديوانه.
(٥) الكلام بتمامه في تفسير القرطبي ٢٠/ ٥١-٥٢. وهو بنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٢.
(٦) الصحاح (كدى).
(٧) في الصحاح (قني).

كَمْ مِنْ غَنِيٍّ أصابَ الدَّهرُ ثَرْوَتَهُ ... ومِنْ فقيرٍ تَقَنَّى بعد إقلالِ[1]

أي: تَقَنَّى المالَ.

ويقال: أقناهُ الله: أرضاه، من القُنية. قال أبو زيد: تقول العرب لمن أعطى مئةً من المَعْزِ: أعطى القِنى. ومَنْ أعطى مئةً من الضَّأن: أعطى الغِنى. ومَنْ أعطى مئةً من الإبل أعطى المنى[2].

«الشِّعْرَى»: هو الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجَوْزاء، وطلوعه في شدَّة الحر، ويُقال له: مِرْزَم الجوزاء، وهما الشِّعْرَيان؛ العَبور التي في الجوزاء، والشِّعْرَى الغُمَيصاء التي في الذِّراع، وتزعم العرب أنَّهما أختا سُهَيل[3]. قال الزمخشريُّ: وتُسَمَّى كلبَ الجبَّار، وهما شِعْريان؛ الغُمَيصاء والعَبور[4]، ومن كَذِبِ العرب أنَّ سُهيلاً والشِّعرى كانا زوجين، فانحدر سهيلٌ وصار يمانيًّا، فاتَّبعَتْه الشِّعْرى العَبور فعبرتِ المجرَّة فسُمِّيَتْ العَبور، وأقامت الغُمَيصاء فبكَتْ لفقد سُهيل حتى غُمِصَتْ عيناها فسُمِّيت الغُميصاء؛ لأنَّها أخفى من الأخرى[5].

«أزِفَ»: قَرُبَ. قال كعب بن زهير:

بانَ الشَّبابُ وهذا الشَّيبُ قد أزِفا ... ولا أرى لشبابٍ بائنٍ خَلَفَا[6]

وقال النابغة الذُّبياني:

أزِفَ التَّرحُّلُ غيرَ أنَّ رِكابَنا ... لمَّا تَزلْ برحالِنا وكأنْ قَدِ[7]

---

(١) لم أقف على قائله، وهو في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧ والكلام منه.

(٢) الصحاح (قني).

(٣) الصحاح (شعر)، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٨.

(٤) الكشاف ٤/ ٣٤. والجبَّار: اسم للجوزاء. ينظر مجمع الأمثال ١/ ١٤٨.

(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨.

(٦) ديوان كعب بن زهير ص ٥٢، وفيه: أمسى، بدل: وهذا. و: ذاهب، بدل: بائن. وهو كذلك في المحرر الوجيز ٥/ ٢١٠ والكلام منه.

(٧) البيت في الصحاح (أزف)، والبيان والتبيين ٢/ ٢٨٠.

ويُروى: أفِدَ الترحُّلُ[١].

سَمَد: لَهى ولَعِب[٢]. قال الشاعر:

ألا أيُّها الإنسان إنَّك سامِدُ كأنَّكَ لا تفنى ولا أنتَ هالِكُ[٣]

وقال آخر:

قيلَ قُمْ فانظُرْ إليهِمْ ثمَّ دَعْ عنكَ السُّمُودا[٤]

وقال أبو عبيدة: السُّمود: الغِناء بلغة حِمْيَر، يقولون: يا جارية اسمُدي لنا، أي: غنِّي لنا[٥].

* * *

## سورة النجم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا
وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا
فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا
رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ
ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ

(١) وهي رواية الديوان ص ٣٨. و«أزِفَ» و«أفِدَ» كلاهما بمعنى.
(٢) الصحاح (سمد).
(٣) لم أقف على قائله.
(٤) البيت لهذيلة بنت بكر كما في معجم الطبراني الكبير (١٠٥٩٧)، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٠.
(٥) هكذا في النسخ، والذي في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩ الكلام الأول عن عكرمة، والثاني عن أبي عبيدة. والكلام بتمامه في تهذيب اللغة ١٢/ ٣٧٨ عن عكرمة عن ابن عباس. وكذا أخرجه الطبري ٢٢/ ٩٧-٩٨.

ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾
تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ
إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ
﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾.

التفسير

هذه السورة مكية[١].

ومناسبتها لآخرِ ما قبلها ظاهرة؛ لأنَّه قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ أي: اختلق القرآن، ونسبوه إلى الشعر، وقالوا: هو كاهن، هو مجنون، فأقسم تعالى أنَّه ﷺ ما ضلَّ، وأنَّ ما يأتي به هو وحيٌ من الله[٢].

وهي أول سورة أعلنَ رسولُ الله ﷺ بقراءتها في الحرم والمشركون يستمعون، وفيها سجدَ وسجدَ معه المؤمنون والمشركون والجِنُّ والإنسُ غير أبي لهب؛ فإنَّه رفعَ حَفْنةً من تراب إلى جبهته وقال: يكفي هذا.

وسببُ نزولها قولُ المشركين: إنَّ محمداً ﷺ يختلق القرآن.

وأقسم تعالى بالنجم، فقال ابن عباس ومجاهد والفراء[٣] والقاضي منذر بن سعيد: هو الجملة من القرآن إذا نزلَتْ، وقد نزل منجَّماً في عشرين سنة. وقال الحسن ومعمر بن المثنى[٤]: هو هنا اسمُ جنسٍ، والمراد: النجومُ إذا هوَتْ، أي: غربَتْ. قال الشاعر:

فباتَتْ تعُدُّ النَّجمَ في مُسْتَحيرةٍ سريعٍ بأيدي الآكلينَ جُمودُها[٥]

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٣، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٥.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٥، والكلام الآتي منه.
(٣) في معاني القرآن له ٣/ ٩٤.
(٤) هو أبو عبيدة، وقوله في مجاز القرآن ٢/ ٢٣٥.
(٥) البيت للراعي النميري، وهو في ديوانه ص ٩٢. قال الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٦٩ بعد أن أورد البيت: يصف قدراً كثيرة الدسم، ومعنى: تعدُّ النجم، أي: من صفاء دسمها ترى النجوم فيه، والمستحيرة: القدر، فقال: يجمد على الأيدي الدسم من كثرته.

أي: تعُدُّ النجوم. وقال الحسن وأبو حمزة الثُّمالي: النجوم إذا انتثرَتْ في القيامة. وقال ابن عباس أيضاً: ﴿هَوَىٰ﴾: انقضَّ في أثر الشياطين. وهذا تساعده اللغة(١).

وقال الأخفش: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾: النبت إذا طلع، وهُوِيُّه: سقوطه على الأرض. وقال جعفر الصادق: هو النبيُّ ﷺ، وهُوِيُّه: نزوله ليلة المعراج(٢).

وقيل: النجم مُعيَّن؛ فقال مجاهد وسفيان: هو الثريا، وهُوِيُّها: سقوطها مع الفجر(٣). وهو عَلَمٌ عليها بالغَلَبة، ولا تقول العربُ النَّجمَ مُطلقاً إلَّا للثريَّا، ومنه قول العرب:

طَلَعَ النَّجمُ عِشاءً فابتغى الراعي كِساءً
طَلَعَ النَّجمُ غُدَيَّهْ فابتغى الراعي كُسَيَّهْ(٤)

وقيل: الشِّعْرى، وإليها الإشارةُ بقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٩] والكُهَّان والمنجِّمون يتكلَّمون على المُغيَّباتِ عند طلوعها. وقيل: الزُّهَرَة، وكانت تُعبَد(٥). وقيل: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾: هم الصحابة. وقيل: العلماء، مفردٌ أُريد به الجمع.

و«هَوى» في اللغة: خَرَقَ الهواءَ ومقصدُه السُّفل؛ إذ مصيرُه إليه وإن لم يقصِدْ إليه. وقال الشاعر:

هُوِيَّ الدَّلْوِ أسْلَمَها الرِّشاءُ(٦)

(١) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ١٩٤، وقول أبي حمزة الثمالي أخرجه الثعلبي في تفسيره ٦/ ٤.
(٢) ذكرهما الثعلبي في تفسيره ٦/ ٤.
(٣) أخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٥.
(٤) هكذا في النسخ وأدب الكتاب للصولي ص ٧٨. وفي تهذيب اللغة ١٠/ ٢٩٩، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/ ١٤٧٩، والمفردات للراغب (نجم)، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٦ والكلام منه: شُكَيَّهْ. والشُّكية تصغير الشَّكوة.
(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٨٩، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٦٣ عن السدي.
(٦) قائله زهير، وهو في شرح ديوانه ص ٦٧، وصدره: فشَجَّ بها الأماعِزَ وهي تهوي.

ومنه: هوى العُقاب[١].

﴿صَاحِبُكُمْ﴾ هو محمد رسول الله ﷺ، والخطاب لقريش، أي: هو مهتدٍ راشدٌ، وليس كما تزعمون من نسبتكم إيَّاه إلى الضلال والغيِّ ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ أي: الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي: عن هوى نفسه ورأيه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ﴾ من عند الله يُوحى إليه[٢]. وقيل: ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ أي: القرآن عن هوًى وشهوةٍ، كقوله: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية:٢٩] ﴿إِنْ هُوَ﴾: أي الذي ينطق به، أو ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي القرآن[٣].

﴿عَلَّمَهُ﴾ الضمير عائدٌ على الرسول ﷺ، فالمفعول الثاني محذوفٌ، أي: علَّمه الوحيَ، أو على القرآن، فالمفعول الأول محذوفٌ، أي: علَّمه الرسولَ ﷺ ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ هو جبريل، وهو مناسبٌ للأوصاف التي بعده. وقاله ابن عباس وقتادة والربيع[٤]. وقال الحسن: ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾: هو الله تعالى. وهو بعيد.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: ذو قوَّةٍ، ومنه: «لا تحِلُّ الصدقةُ لغنيٍّ، ولا لذِي مِرَّةٍ سويٍّ»[٥]. وقيل: ذو هيئة حسنة. وقيل: هو جسمٌ طويلٌ حسنٌ.

ولا يُناسِبُ هذان القولان إلَّا إذا كان شديدُ القوى هو جبريل عليه السلام، فاستوى الضمير لله في قول الحسن، وكذا ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ لله تعالى؛ على معنى

---

(١) الكلام من المحرر الوجيز ٥/١٩٦.

(٢) الكشاف ٤/٢٨.

(٣) المحرر الوجيز ٥/١٩٦.

(٤) أخرجه الطبري ٢٢/٩ عن قتادة والربيع. والكلام بنحوه من المحرر الوجيز ٥/١٩٦ مع تقديم وتأخير، وما بعده منه.

(٥) أخرجه أحمد (٦٥٣٠)، وأبو داود (١٦٣٤)، والترمذي (٦٥٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.
وأخرجه أحمد (٨٩٠٨)، وابن ماجه (١٨٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه أحمد (١٦٥٩٤) من حديث رجل من بني هلال رضي الله عنه.
وأخرجه الترمذي (٦٥٣) من حديث حبشي بن جنادة رضي الله عنه.

العظَمة والقُدرة والسلطان. وعلى قول الجمهور ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ أي جبريل في الجوّ ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ إذْ رآه الرسول عليه الصلاة والسلام بحِراء قد سدَّ الأُفقَ له ستُّ مئة جناح[1]، وحينئذٍ دنا من محمدٍ حتى كان قاب قوسين، وكذلك هو المرئيُّ في النَّزْلة الأُخرى بستِّ مئة جناح عند السِّدرة. قاله الربيع والزجَّاج[2].

وقال الطبريُّ[3] والفرَّاء[4]: المعنى: فاستوى جبريل، وقوله: ﴿وَهُوَ﴾ يعني محمداً ﷺ.

وفي هذا التأويل العطف على الضمير المرفوع من غير فصل، وهو مذهب الكوفيين، وقد يقال: الضمير في «استوى» للرسول وهو لجبريل. و«الأعلى»: لقِمَّة الرأس وما جرى معه. وقال الحسن وقتادة: هو أُفقُ مَشْرق الشمس[5].

وقال الزمخشريُّ[6]: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾: فاستقام على صورة نفسِه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثَّل بها كُلَّما هبط بالوحي، وكان ينزل في صورة دِحْية[7]، وذلك أنَّ الرسولَ ﷺ أحَبَّ أن يراه في صورته التي جُبِلَ عليها، فاستوى له بالأفق الأعلى وهو أفق الشمس، فملأ الأفق. وقيل: ما رآه أحدٌ من الأنبياء في صورته الحقيقية غير محمدٍ ﷺ مرَّةً في الأرض ومرَّةً في السماء. ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من رسول الله ﷺ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: فتعلَّق عليه في الهواء، وكان مقدارُ مسافة قُرْبه مثلَ قاب قوسين، فُحذِفَتْ هذه المضافات، كما قال أبو علي في قوله:

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧٤٨) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ. وأخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) من حديثه ـ أيضاً ـ بلفظ أنه ﷺ رأى جبريل له ستُّ مئة جناح.

(٢) في معاني القرآن له ٥/ ٧٠بنحوه.

(٣) في تفسيره ٢٢/ ١٢.

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ٩٥.

(٥) أخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ١٣، والكلام بتمامه وبنحوه من المحرر الوجيز ٥/ ١٩٦-١٩٧ مع تقديم وتأخير.

(٦) في الكشاف ٤/ ٢٨-٢٩.

(٧) هو دِحْية بن خليفة بن فروة الكلبي، صحابي مشهور، يُضرَب به المثلُ في حسن الصورة، وقد نزل دمشق، وسكن المِزَّة، وعاش إلى خلافة معاوية. الإصابة ٣/ ١٩١-١٩٢.

وقد جَعَلَتْني من حَزيمةَ إصبعا[١]

أي: ذا مقدارِ مسافة إصبع أو أدنى على تقديركم، كقوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:١٤٧].

﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ أي: إلى عبد الله، وإنْ لم يَجْرِ لاسمِه عزَّ وجل ذِكْرٌ؛ لأنَّه لا يُلْبِس، كقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ [فاطر:٤٥] ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ تفخيمٌ للوحي الذي أوحي إليه قبلُ. انتهى.

وقال ابن عطية[٢]: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قال الجمهور: أي: جبريلُ إلى محمدٍ عليهما الصلاة والسلام عند حراء.

وقال ابن عباس وأنس في حديث الإسراء ما يقتضي أنَّ الدُّنُوَّ يستند إلى الله تعالى[٣]. وقيل: كان الدُّنُوُّ إلى جبريل. وقيل: إلى الرسول ﷺ، أي: دنا وحيُه وسلطانُه وقدرتُه.

والصحيح أنَّ جميع ما في هذه الآيات هو مع جبريل، بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ فإنّه يقتضي نزلةً متقدمةً، وما رُويَ أنَّ رسولَ الله ﷺ رأى ربَّه قبل ليلة

---

(١) هو عجز بيت صدره:

فأدركَ إبقاءَ العَرادةِ ظَلْعُها

ونُسب في المفضليات ص ٣٢، واللسان (حرم)، وخزانة الأدب ١/ ٣٨٨ للكلحبة هبيرة بن عبد منان العُرني. ونسبه ابن يعيش في شرح المفصل ٣/ ٣١ للأسود بن يعفر.
قوله: إبقاء، هو ما تبقيه الفرس من العَدْو، إذ من عتاق الخيل ما لا تعطي ما عندها من العَدْوِ، بل تبقي منه شيئاً إلى وقت الحاجة، يقال: فرس مبقية: إذا كانت تأتي بجريٍ عند انقطاع جريها وقت الحاجة. والعَرادة: اسم فرس كلحبة. وقوله: ظلعها، الظُّلوع في الإبل بمنزلة الغمز، أي: العرج اليسير. وحَزيمة: هو ابن طارق، كان رئيساً لبني تغلب. يقول: فاتني حزيمة وما بيني وبينه إلا قدر إصبع. ينظر الخزانة.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٧-١٩٨.

(٣) حديث الإسراء أخرجه البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وأخرجه الطبري ٢٢/ ١٤، والطبراني في الكبير (١١٣٢٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الإسراء. و«دنا» أعمُّ من «تدلّى»، فبيَّنَ هيئة الدُّنُوِّ كيف كانت. ﴿قَابَ﴾: قَدْر. قال قتادة وغيره: معناه: من طَرَف العُودِ إلى طرفه الآخر. وقال الحسن ومجاهد: من الوَتَر إلى العود في وسط القوس عند المقبض. وقال أبو رزين[١]: ليست بهذه القوس، ولكن قَدْرَ الذِّراعين. وعن ابن عباس أنَّ القوس هنا ذراعٌ تقاس به الأطوال. وذكر الثعلبيُّ[٢] أنَّه من لغة الحجاز. ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ أي: الله ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ أي: الرسول ﷺ. قاله ابن عباس. وقيل: ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ جبريل ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ إبهام على جهة التعظيم والتفخيم، والذي عُرِفَ من ذلك فرضُ الصلوات. وقال الحسن: ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ جبريل إلى عبدِ الله محمدٍ ﷺ ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ كالأول في الإبهام. وقال ابن زيد: ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ جبريل إلى عبد الله محمد ﷺ ما أوحاه الله تعالى إلى جبريل عليه السلام.

وقال الزمخشريُّ[٣]: ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ أوحى إليه أنَّ الجنَّةَ مُحرَّمةٌ على الأنبياء حتى تدخُلَها، وعلى الأمم حتى تدخُلَها أمَّتُك ﴿مَا كَذَبَ﴾ فؤادُ محمدٍ ﷺ ما رآه ببصره من صورة جبريل، أي: ما قال فؤادُه لما رآه: لم أعرفْكَ. يعني أنَّه رآه بعينه، وعَرَفه بقلبه، ولم يشكَّ في أنَّ ما رآه حقٌّ. انتهى.

وقرأ الجمهور: «ما كَذَبَ» مخفَّفاً[٤]، على معنى: لم يُكذِّبْ قلبُ محمدٍ ﷺ الشيءَ الذي رآه، بل صدَّقه وتحقَّقَه نظراً. و«كذَبَ» يتعدى. وقال ابن عباس وأبو صالح: رأى محمدٌ ﷺ اللهَ تعالى بفؤاده[٥]. وقيل: ما رأى بعينه لم يُكذِّب

---

(١) تحرف في المحرر الوجيز ٥/١٩٨ إلى: أبو زيد. وقوله أخرجه الطبري ٢٢/١٦.
وأبو رَزين: هو الأسدي، واسمه مسعود بن مالك، من رجال مسلم، روى عن علي وابن عباس وابن مسعود ﷺ، إلا أن شعبة ينكر أن يكون سمع من ابن مسعود. ينظر تهذيب الكمال ٢٧/٤٧٧.

(٢) في تفسيره ٦/٨.

(٣) في الكشاف ٤/٢٩.

(٤) ينظر السبعة ص ٦١٤، والتيسير ص ٢٠٤.

(٥) أخرجه مسلم (١٧٦)، وأحمد (١٩٥٦)، والطبري ٢٢/ ٢٤ عن ابن عباس ﵄، وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١٠٦٢)، والطبري ٢٢/ ٢٤ عن أبي صالح.

ذلك قلبُه، بل صدَّقَه وتحقَّقَه. ويحتمل أن يكون التقدير: فيما رأى. وعن ابن عباس وعكرمة وكعب الأحبار أنَّ محمداً ﷺ رأى ربَّه بعينَي رأسه[١]. وأبَتْ ذلك عائشةُ رضي الله تعالى عنها وقالت: أنا سألتُ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآيات، فقال لي: «هو جبريلُ عليه السلام» فيها كلِّها[٢]. وقال الحسن: المعنى: ما رأى من مقدورات الله تعالى وملكوته. وسأل أبو ذَرٍّ رسولَ الله ﷺ: هل رأيتَ ربَّكَ؟ فقال: «نورٌ أنَّى أراه»[٣]. وحديثُ عائشة قاطعٌ لكلِّ تأويلٍ في اللفظ؛ لأنَّ قولَ غيرِها إنَّما هو مُنتزَعٌ من ألفاظ القرآن، وليست نصًّا في الرؤية بالبصر، بل ولا بغيره[٤].

وقرأ أبو رجاء، وأبو جعفر، وقتادة، والجَحْدريُّ، وخالد بن إلياس، وهشام عن ابن عامر: «ما كذَّب» مشدَّداً[٥].

وقال كعب الأحبار: إنَّ الله قسمَ الرؤيةَ والكلام بين محمدٍ وموسى عليهما الصلاة والسلام، فكلَّم موسى مرَّتين، ورآه محمدٌ ﷺ مرَّتين. وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: لقد قَفَّ[٦] شعري من سماع هذا، وقرأَتْ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾[٧] [الأنعام:١٠٣]، وذهبَتْ هي وابنُ مسعود وقتادة والجمهور إلى أنَّ المَرئيَّ مرَّتين هو جبريل؛ مرَّةً في الأرض، ومرَّةً عند سدرة المنتهى.

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٢٢١)، والطبري ٢٢/ ٢٢، والآجري في الشريعة (١٠٣٨)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٩٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما. والطبري ٢٢/ ٢٢ عن عكرمة.

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٣٢٣٥)، ومسلم (١٧٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٨)، وأحمد (٢١٣٩٢).

(٤) الكلام بتمامه من المحرر الوجيز ٥/ ١٩٨.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٨، وقراءة هشام عن ابن عامر في السبعة ص ٦١٤، والتيسير ص٢٠٤.

(٦) في (أ) والمطبوع، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٨ والكلام منه: وقف. والمثبت من باقي النسخ ومن مصادر التخريج، و«قَفَّ» و«وقَفَ» كلاهما بمعنى.

(٧) أخرجه الترمذي (٣٢٧٨)، والطبري ٢٢/ ٣١-٣٢، والثعلبي في تفسيره ٦/ ١٠-١١.

وقرأ الجمهور: «أفتُمارونه» أي: أتُجادلونه على شيءٍ رآه ببصره وأبصرَه[١]. وعُدِّي بـ «على» لِما في الجدال من المغالبة، وجاء: «يرى» بصيغة المضارع وإن كانت الرؤيةُ قد مضَتْ، إشارةً إلى ما يُمكِنُ حدوثُه بعدُ[٢].

وقرأ عليٌّ، وعبدُ الله، وابنُ عباس، والجَحْدريُّ، ويعقوب، وابن سعدان، وحمزة، والكسائي بفتح التاء وسكون الميم[٣]، مضارع مَرَيتُ، أي: جَحَدْتُ، يقال: مَرَيْتُه حقَّه: إذا جَحَدْتَه، قال الشاعر:

لئِنْ هَجَرْتَ[٤] أخا صِدْقٍ ومَكرُمَةٍ ... لقد مَرَيْتَ أخاً ما كان يَمْرِيكا[٥]

وعُدِّي بـ «على» على معنى التضمين.

وكانت قريشٌ حينَ أخبرَهم ﷺ بأمرِه في الإسراء كذَّبوا واستخفُّوا حتى وصَفَ لهم بيتَ المقدس وأَمْرَ عيرِهم وغيرَ ذلك ممَّا هو مستقصًى في حديث الإسراء[٦].

وقرأ عبد الله فيما حكى ابن خالويه[٧]، والشَّعبيُّ فيما ذكر شعبة بضم التاء وسكون الميم[٨] ومضارع أمرَيْتُ. قال أبو حاتم: وهو غلط.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ الضميرُ المنصوبُ عائدٌ على جبريل عليه السلام. قاله ابن مسعود وعائشة ومجاهد والربيع. ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: مرَّةً أخرى[٩]، أي: نزل عليه جبريلُ

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٨.
(٢) الكشاف ٤/ ٢٩.
(٣) أي: «أفَتَمْرونه»، وقراءة حمزة والكسائي في السبعة ص ٦١٤، والتيسير ص ٢٠٤. وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٣٧٩، وهي فيه عن خلف أيضاً. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.
(٤) تحرفت في (أ) و(ع) والمطبوع إلى: سخرت.
(٥) لم أقف على قائله، وذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٩ ـ والكلام منه ـ ولم ينسبه.
(٦) وقد سلف في أول سورة الإسراء، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.
(٧) في القراءات الشاذة ص ١٤٦.
(٨) أي: «أفَتُمْرونه»، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩ والكلام منه، لكن وقع في مطبوعه: سعيد عن النخعي.
(٩) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.

عليه السلام مرَّةً أخرى في صورةِ نفسِه فرآه عليها، وذلك ليلة المعراج[١]، و«أُخرى» تقتضي نزلةً سابقةً وهي المفهومة من قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ جبريل ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ وهو الهبوط والنزول من عُلوٍّ.

وقال ابن عباس وكعب الأحبار: الضمير عائدٌ على الله على ما سبق من قولهما أنَّ رسولَ الله ﷺ رأى ربَّه مرَّتين[٢].

وانتصب «نزلةً» قال الزمخشريُّ[٣]: نَصْبَ الظَّرفِ الذي هو «مرَّةً»؛ لأنَّ الفَعْلَةَ اسمٌ للمرَّة من الفِعْل. وقال الحَوْفي وابنُ عطية[٤]: مصدر في موضع الحال. وقال أبو البقاء[٥]: مصدر، أي: مرَّةً أخرى، أو رؤيةً أخرى.

﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ قيل: هي شجرة نَبْقٍ في السماء السابعة ـ وقيل: في السماء السادسة، ثمرُها كقِلال هَجَر، وورقُها كآذانِ الفِيَلة[٦]، تنبعُ من أصلها الأنهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه، يسير الراكب في ظِلِّها سبعين عاماً لا يقطعها[٧]. و«المنتهى»: موضع الانتهاء[٨]، لأنَّه ينتهي إليها عِلْمُ كلِّ عالم، ولا يعلم ما وراءها صُعُداً إلَّا الله تعالى عزَّ وجلَّ. أو ينتهي إليها كلُّ مَنْ مات على الإيمان من كلِّ جيل. أو ينتهي إليها ما نزل من أمر الله تعالى، ولا تتجاوزها ملائكةُ العلوِّ وما صعد من الأرض، ولا تتجاوزها ملائكةُ السُّفل[٩]. أو تنتهي

(١) الكشاف ٤/ ٢٩.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.
(٣) في الكشاف ٤/ ٢٩.
(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.
(٥) في الإملاء ٢/ ٢٤٧.
(٦) هو قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢) عن أنس ﷺ مرفوعاً، دون قوله: في السماء السادسة، فهو من حديث ابن مسعود ﷺ، وقد أخرجه مسلم (١٧٣).
(٧) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٧-٣٨ من حديث أبي هريرة ﷺ أو غيره على الشك. والأنهار التي ذكر الله في كتابه هي التي في سورة محمد الآية (١٥).
(٨) إلى هنا الكلام من الكشاف ٤/ ٢٩.
(٩) الأقوال الثلاثة في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩. والقول الأول أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٧٣٦)، =

إليها أرواح الشهداء. أو كأنَّها في مُنتهى الجنة وآخرِها[١]. أو ينتهي إليها الملائكة والأنبياء ويقِفون عندها. أو ينتهي إليها عِلمُ الأنبياء، ويعزُبُ علمُهم عمَّا وراءها. أو تنتهي إليها الأعمال. أو لانتهاء مَنْ رُفع إليها في الكرامة[٢]. أقوالٌ تسعة.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ أي: عند السِّدرةُ. قيل: ويحتمل عند النَّزلة[٣]. قال الحسن: هي الجنة التي وعدَها اللهُ المؤمنين. وقال ابن عباس ـ بخلافٍ عنه ـ وقتادة: هي جنَّةٌ تأوي إليها أرواح الشهداء، وليست بالتي وُعِدَ المتقون جنَّةِ النعيم[٤]. وقيل: جنَّةُ مأوى الملائكة[٥].

وقرأ علي، وأبو الدرداء، وأبو هريرة، وابن الزُّبير، وأنس، وزِرّ، ومحمد بن كعب، وقتادة: «جَنَّهُ» بهاء الضمير[٦]، وجَنَّ فعل ماض، والهاء ضمير النبيِّ ﷺ، أي: عندها سَتَرَهُ إيواءُ الله تعالى وجميلُ صنعه به. وقيل: المعنى: ضمَّهُ المبيتُ والليل[٧]. وقيل: جَنَّه بظلاله ودخل فيه[٨]. وردَّتْ عائشةُ وصحابةٌ معها هذه القراءة وقالوا: أجَنَّ اللهُ مَنْ قرأها[٩]. وإذا كانت قراءةً قرأها أكابُر من أصحاب رسول الله ﷺ فليس لأحدٍ رَدُّها. وقيل: إنَّ عائشة رضي الله تعالى عنها

= والطبري ٢٢/ ٣٣ عن كعب الأحبار والقول الثاني أخرجه الطبري ـ أيضاً ـ ٢٢/ ٣٥ عن أبي هريرة ﷺ أو غيره ـ على الشك ـ مرفوعاً. وعن الربيع بن أنس قوله. والقول الثالث أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٠٩٩)، والطبري ٢٢/ ٣٤ عن الضحاك.

(١) القولان في الكشاف ٤/ ٢٩.

(٢) الأقوال الأربعة ذكرها القرطبي ٢٠/ ٢٦-٢٧ ونسب الأول لكعب الأحبار، والثاني لابن عباس ﷺ، والثالث للضحاك.

(٣) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٩٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.

(٥) زاد المسير ٨/ ٦٩ عن ابن عباس ﷺ.

(٦) القراءات الشاذة ص ١٤٦-١٤٧.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.

(٨) الكشاف ٤/ ٢٩.

(٩) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.

أجازتها[١]، وقراءة الجمهور: «جنَّةُ المأوى» كقوله في آية أخرى: ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا﴾[٢][السجدة:١٩].

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ فيه بإبهام الموصول وصِلَتهِ تعظيمٌ وتكثيرٌ للغاشي الذي يغشاها، إذ ذاك أشياء لا يعلم وصْفَها إلَّا الله تعالى[٣]. وقيل: يغشاها الجَمُّ الغفيرُ من الملائكة يعبدون اللهَ عندها[٤]. وقيل: ما يغشى من قدرة الله تعالى وأنواع الصفات التي يخترعها لها[٥]. وقال ابن مسعود وأنس ومسروق ومجاهد وإبراهيم: ذلك جَرادٌ من ذهبٍ كان يغشاها[٦]. وقال مجاهد: ذلك تبدُّل أغصانها دُرًّا وياقوتاً[٧]. ورُويَ في الحديث «رأيتُ على كلِّ ورقةٍ من ورقِها ملَكاً قائماً يُسبِّحُ اللهَ تعالى»[٨]. وأيضاً «يغشاها رَفْرَفٌ من طيرٍ أخضر»[٩]. وأيضاً «تغشاها ألوانٌ لا أدري ما هي»[١٠]. وعن أبي هريرة: يغشاها نورُ

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٩٢-٢٩٣.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.
(٣) ينظر الكشاف ٤/ ٢٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠.
(٤) الكشاف ٤/ ٢٩.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠.
(٦) أخرجه الطبري ٢٢/ ٤١ عنهم دون قول أنس بن مالك ﷺ. ورُوي عن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً فيما أخرجه مسلم (١٧٣).
وأما قول أنس فأخرجه عنه ابن مردويه مرفوعاً كما في الدر المنثور ٦/ ١٢٦، وكذلك ذكره القرطبي في تفسيره ٢٠/ ٢٩.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠. وأخرجه عنه بنحوه الطبري ٢٢/ ٤٢، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٢٧).
(٨) ذكره الثعلبي في تفسيره ٦/ ١٣، والواحدي في الوسيط ٤/ ١٩٨، والزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٩. وأخرجه بنحوه الطبري ٢٢/ ٤٢ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مرفوعاً. قال ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٦٠-١٦١: عبد الرحمن ضعيف، وهذا معضل.
(٩) ذكره الثعلبي في تفسيره ٦/ ١٣، والزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٩. وقال ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٦١: لم أجده.
(١٠) هو قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) عن أبي ذر ﷺ.

الخلّاق[١]. وعن الحسن: غشِيَها نورُ ربِّ العِزَّة فاستنارت[٢]. وعن ابن عباس: غشِيَها ربُّ العِزَّة[٣]. أي: أمْرُه، كما جاء في «صحيح مسلم» مرفوعاً: «فلمَّا غشِيَها من أمرِ الله ما غَشِي»[٤] ونظيرُ هذا الإبهام للتعظيم ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٣-٥٤].

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ قال ابن عباس: ما جالَ هكذا ولا هكذا[٥]. وقال الزمخشري: أي: أثبتَ ما رآه إثباتاً مُتَيَقَّنًا صحيحاً من غير أن يزيغَ بصرُه عنه أو يتجاوزَه، أو ما عدلَ عن رؤية العجائب التي أُمِرَ برؤيتها ومُكِّنَ منها ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾: وما جاوز ما أُمِرَ برؤيته[٦]. انتهى. وقال غيره: ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾: ولا تجاوز المرئيَّ إلى غيره، بل وقع عليه وقوعاً صحيحاً، وهذا تحقيقٌ للأمر ونفيٌ للرَّيب عنه[٧].

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ قيل: «الكبرى» مفعول «رأى»[٨]، أي: رأى الآياتِ الكبرى والعظمى التي هي بعضُ آياتِ ربِّه، أي: حين رقى إلى السماء رأى عجائبَ الملكوت، وتلك بعضُ آيات الله[٩]. وقيل: «من آيات» هو في موضع المفعول، و«الكبرى» صفةٌ لـ«آيات ربِّه»[١٠]، ومِثْلُ هذا الجمع يُوصَفُ بوصف الواحدة، وحسَّنَ ذلك هنا كونُها فاصلةً كما في قوله: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ [طه: ٢٣] عندَ مَنْ جعلَها صفةً لـ«آياتنا».

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ١٣. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٤٣ عن أبي هريرة ﷺ أو عن غيره على الشك.

(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ١٣، وتفسير البغوي ٤/ ٢٤٨.

(٣) أخرجه الطبري ٢٢/ ٤٢.

(٤) صحيح مسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٥) أخرجه بنحوه الطبري ٢٢/ ٤٤، والحاكم ٢/ ٤٦٩ وصححه، ووافقه الذهبي.

(٦) الكشاف ٤/ ٣٠.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠.

(٨) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٧.

(٩) الكشاف ٤/ ٣٠.

(١٠) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٧.

وقال ابن عباس وابن مسعود: رأى رَفْرَفاً أخضرَ قد سدَّ الأفق[1]. وقال ابن زيد: رأى جبريلَ في الصورة التي هو بها في السماء.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ خطابٌ لقريش، ولمَّا قرَّرَ الرسالة أولاً وأتْبَعَه بما أتْبَعَه من ذكر عظمةِ الله وقدرتِهِ الباهرةِ بذكر التوحيد والمنع عن الإشراك بالله تعالى، وقفَهم على حقارةِ معبوداتهم وهي الأوثان، وأنَّها ليست لها قدرةٌ[2].

و«اللَّات» صنمٌ كانت العرب تُعظِّمه. قال قتادة: كان بالطائف. وقال أبو عبيدة وغيره: كان في الكعبة. وقال ابن زيد: كان بنخلةَ عند سوق عكاظ. قال ابن عطية: وقول قتادة أرجح، ويؤيِّده قولُ الشاعر:

وفَــرَّتْ ثَــقِــيــفٌ إلــى لاتِــهــا  بِـمُـنْـقَـلَـبِ الـخـائـبِ الـخـاسـرِ[3]

انتهى. ويمكنُ الجمعُ بأنْ تكون أصناماً سُمِّيت باسم اللَّات فأُخبِرَ عن كلِّ صنمٍ بمكانه.

والتاء في «اللَّات» قيل: أصليةٌ لامُ الكلمة كالباء من باب[4]، وألِفُه منقلبة فيما يظهر من ياءٍ؛ لأنَّ مادة «ل ي ت» موجودةٌ، فإن وُجِدَتْ مادةٌ من «ل وت» جاز أن تكون منقلبةً من واو. وقيل: التاء للتأنيث، ووزنُها «فَعَلَة» من لوى[5]. قيل: لأنَّهم كانوا يَلْوُون عليها ويعكفون للعبادة، أو يلتوون عليها، أي: يطوفون، حُذِفَتْ لامُها.

وقرأ الجمهور: «اللَّات» خفيفةَ التاء. وابن عباس، ومجاهدٌ، ومنصور بن

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٨)، وأحمد (٤٢٨٩) عن ابن مسعود ﷺ. وهو عنهما في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠. وفيه ـ أيضاً ـ قول ابن زيد الآتي.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠.
(٣) البيت لضرار بن الخطاب الفهري كما في سيرة ابن هشام ١/ ٤٧، والكلام بتمامه من المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠، وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٥٣، والطبري ٢٢/ ٤٧. وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٣٦.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠.
(٥) الكشاف ٤/ ٣٠.

المُعْتَمِر، وأبو صالح، وطلحة، وأبو الجَوْزاء، ويعقوب، وابن كثير في روايةٍ بشَدِّها[١]. قال ابن عباس: كان هذا رجلاً بسوق عكاظ يَلُتُّ السَّمن والسَّويق عند صخرة[٢]. وقيل: كان ذلك الرجلُ من بَهْزٍ يَلُتُّ السَّويقَ للحاجِّ على حجر، فلمَّا مات عبدوا الحجر الذي كان عنده؛ إجلالاً لذلك الرجل، وسَمَّوه باسمه[٣]. وقيل: سُمِّي برجلٍ كان يلُتُّ عنده السمن بالزيت ويُطعمه الحاج. وعن مجاهد: كان رجلٌ يلُتُّ السَّويقَ بالطائف، وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثناً[٤]. وفي «التحرير» أنَّه كان صنماً تعظِّمه العرب. وقيل: حجر ذَلْكِ اللَّات، وسمَّوه باسمه. وعن ابن جُبير: صخرةٌ بيضاء كانت العرب تعبدها وتُعظِّمها. وعن مجاهد: شُجيراتٌ تُعبَدُ ببلادها، انتقل أمرُها إلى صخرة[٥]. انتهى ملخَّصاً، وتلخَّص في اللَّاتِ أهو صنمٌ، أو حجرٌ يُلَتُّ عليه، أو صخرةٌ يُلَتُّ عندها، أو قبر اللَّات، أو شُجيراتٌ، ثمَّ صخرةٌ، أو اللَّاتُ نفسُه. أقوال.

والعُزَّى صنم. وقيل: سَمُرَةٌ كانت لغطفان، وأصلها تأنيثُ «الأعزّ» بعثَ إليها رسولُ الله ﷺ خالدَ بن الوليد فقطعها، وخرجَتْ منها شيطانةٌ ناشرةٌ شعرَها، داعيةٌ ويلَها، واضعةٌ يدَها على رأسها، فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول:

يا عُزَّ كُفرانَكِ لا سُبحانَكِ إنِّي رأيتُ اللهَ قد أهانَكِ

(١) أي: «اللَّاتّ»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٤٧ عن ابن عباس ومجاهد، والمحتسب ٢/ ٢٩٤ عن ابن عباس ومنصور وطلحة، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠ عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح. وقراءة يعقوب ـ وهي رواية رويس عنه ـ في النشر ٢/ ٣٧٩، والمشهور عن ابن كثير بتخفيف التاء كقراءة الجمهور.

(٢) أخرجه عنه البخاري (٤٨٥٩) بلفظ: كان اللاتُ رجلاً يَلُتُّ سَويقَ الحاجِّ. لتَّ السَّويق: بلَّه بالماء ونحوه. والسَّويق: ما يُتَّخذ من الحنطة والشعير. اللسان (لتت) (سوق).
وأخرجه بنحوه الفراء في معاني القرآن ٣/ ٩٨.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠.

(٤) القولان في الكشاف ٤/ ٣٠. وقول مجاهد أخرجه بنحوه الفراء في معاني القرآن ٣/ ٩٧-٩٨، والطبري ٢٢/ ٤٧-٤٨.

(٥) القولان في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠-٢٠١. وأخرجهما الطبري ٢٢/ ٤٩.

ورجع فأخبرَ رسولَ الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «تلكَ العُزَّى ولَنْ تُعبَدَ أبداً»[(١)]. وقال أبو عبيدة: كانت العُزَّى ومناةُ بالكعبة[(٢)]. انتهى. ويدلُّ على هذا قول أبي سفيان في بعض الحروب للمسلمين: لنا عُزَّى ولا عُزَّى لكم[(٣)]. وقال ابن زيد كانت العُزَّى بالطائف. وقال قتادة: كانت بنخلة[(٤)]. ويمكن الجمعُ بأنه كان في كلِّ مكانٍ منها صنم يُسمَّى بالعُزَّى كما قلنا في اللَّات، فأخبرَ كلُّ واحدٍ عن ذلك الصنم المُسمَّى ومكانه.

«ومناة» قيل: صخرة كانت لهُذَيلٍ وخُزاعة. وعن ابن عباس: لثقيف[(٥)]. وقيل: بالمُشلَّل[(٦)] من قُديد بين مكة والمدينة، وكانت أعظمَ هذه الأوثان قدراً، وأكثرَها عائداً[(٧)]، وكانت الأوس والخزرج تُهِلُّ لها. وهذا اضطراب كثيرٌ في هذه الأوثان ومواضعها، والذي يظهر لنا أنَّها كانت ثلاثتَها في الكعبة؛ لأنَّ المخاطبَ بذلك في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ هم قريش.

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ١٥، والكشاف ٤/ ٣٠. وأخرجه بنحوه الواقدي في المغازي ٣/ ٨٧٣-٨٧٤ ـ ومن طريقه الأزرقي في أخبار مكة (١٤٦) ـ عن سعيد بن عمرو الهذلي. وهو مرسل.
وأخرجه بنحوه الفراء في معاني القرآن ٣/ ٩٨، وابن مردويه في تفسيره ـ فيما ذكر ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٦١ ـ من طريق محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنه. محمد بن السائب متروك، وأبو صالح مجهول.
وأخرجه بنحوه ـ دون ذكر البيت ـ النسائي في الكبرى (١١٤٨٣)، وأبو يعلى (٩٠٢)، وأبو نعيم في الدلائل (٤٦٣) عن أبي الطفيل.
وأخرج البيت ابن أبي شيبة (٣٨٠٩٤)، والطبراني في الكبير (٣٨١١) عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُّلمي مرسلاً.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٣٦.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٣٩)، وأحمد (١٨٥٩٣) ضمن حديث طويل عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠١. وأخرجهما الطبري ٢٢/ ٤٩-٥٠.

(٥) الكشاف ٤/ ٣٠.

(٦) المثبت من (يه)، وتصحف في باقي النسخ والمطبوع إلى: المشكك. والمُشلَّل: جبلٌ يُهبط منه إلى قُديد من ناحية البحر. معجم البلدان ٥/ ١٣٦.

(٧) المثبت من (د٣)، وفي المحرر الوجيز ٥/ ٢٠١ والكلام منه: عابداً. وفي باقي النسخ والمطبوع: عدداً.

وقرأ الجمهور: «ومَناةَ» مقصوراً. فقيل: وزنُها فَعْلَة، سُمِّيت مَناة؛ لأنَّ دماء النسائك كانت تُمنى عندها، أي: تُراق[١].

وقرأ ابن كثير: «ومناءَةَ» بالمدِّ والهمز[٢]. قيل: ووزنها مَفْعَلة، فالألف مُنقلبةٌ عن واو نحو: مقالة، والهمزة أصلٌ، مشتقَّةٌ من النَّوء، كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبرُّكاً بها، والقصر أشهر، قال جرير:

أزيدَ مَناةَ تُوعِدُ يا ابنَ تَيْمٍ تأمَّلْ أينَ تاهَ بكَ الوعيدُ[٣]

وقال آخر في المدِّ والهمز:

ألا هَلْ أتى تَيْمَ بنَ عبدِ مَناءَةٍ على النَّأيِ فيما بينَنا ابنُ تميمِ[٤]

و«اللَّات والعُزَّى ومناة» منصوبةٌ بقوله: «أفرأيتم»، وهي بمعنى: أخبرني، والمفعول الثاني الذي لها هو قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ على حدِّ ما تقرَّر في متعلَّق «أرأيت» إذا كانت بمعنى أخبرني. ولم يَعُدْ ضمير من جملة الاستفهام على اللَّات والعزى ومناة؛ لأنَّ قوله: «وله الأنثى» هو في معنى: وله هذه الإناث، فأغنى عن الضمير.

وكانوا يقولون في هذه الأصنام: هي بنات الله، فالمعنى: أَلَكم النوع المُستحسنُ المحبوبُ الموجودُ فيكم؟ وله النوعُ المذمومُ بزعمكم وهو المستثقل[٥]؟

وحسَّنَ إبرازَ الأنثى كونُه نصًّا في اعتقادهم أنَّهنَّ إناثٌ، وأنَّهنَّ بناتُ الله تعالى، وإن كان في لحاقِ تاء التأنيث في «اللَّات» وفي «مناة» وألف التأنيث في «العُزَّى» ما يُشعِرُ بالتأنيث، لكنَّه قد سمَّى المذكَّر بالمؤنَّث، فكان في قوله: «الأنثى» نصٌّ

(١) الكشاف ٤/ ٣٠.
(٢) السبعة ص ٦١٥، والتيسير ص ٢٠٤، والكلام الآتي من المحرر الوجيز ٥/ ٢٠١بنحوه.
(٣) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ١/ ٣٣٢.
(٤) البيت لهَوْبَر الحارثي كما في تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٧، واللسان (منى)، وفيهما: الشَّنْء، بدل: النَّأي.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠١.

على اعتقاد التأنيث فيها. وحسَّنَ ذلك أيضاً كونُه جاء فاصلةً؛ إذ لو أتى ضميراً فكان التركيب: ألكم الذَّكرُ وله هُنَّ، لم تقع فاصلة عندكم.

وقال الزجَّاج: وجهُ تلفيق هذه الآية مع ما قبلها، فيقول: أخبروني عن آلهتكم هل لها شيءٌ من القدرة والعظمة التي وُصِفَ بها ربُّ العِزَّة في الآي السالفة[١]. انتهى. فجعل المفعول الثاني لـ«أفرأيتم» جملة الاستفهام التي قدَّرها، وحُذِفَتْ لدلالة الكلام السابق عليها، وعلى تقديره يبقى قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ متعلِّقاً بما قبله من جهة المعنى لا من جهة الإعراب كما قلناه نحن، ولا يُعجِبني قولُ الزجَّاج: وجهُ تلفيقِ هذه الآية مع ما قبلها، ولو قال: وجهُ اتِّصال هذه، أو وجهُ انتظام هذه مع ما قبلَها، لكان الجيِّدَ في الأدب، وإن كان يعني هذا المعنى.

وقال ابن عطية: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ خطابٌ لقريش، وهي من رؤية العين؛ لأنَّه أحال على أجرامٍ مرئيَّة، ولو كانت «أرأيتَ» التي هي استفتاء لم تَتَعدَّ[٢]. انتهى.

ويعني بالأجرام اللَّات والعُزَّى ومناةَ، و«أرأيتَ» التي هي استفتاءٌ تقع على الأجرام، نحو: أرأيتَ زيداً ما صنع؟ وقوله: ولو كانت «أرأيتَ» استفتاءً - يعني الذي تقول النُّحاةُ فيه: إنَّها بمعنى «أخبرني» - لم تتعَدَّ، والتي هي بمعنى الاستفتاء تتعدَّى إلى اثنين؛ أحدهما منصوب، والآخر في الغالب جملة استفهامية، وقد تكرَّر لنا الكلامُ في ذلك وأوله في سورة الأنعام[٣]. ودلَّ كلامُ ابن عطية على أنَّه لم يُطالِعْ ما قاله الناس في «أرأيتَ» إذا كانت استفتاءً على اصطلاحه، وهي التي بمعنى: أخبرني.

والظاهر أنَّ «الثالثة الأخرى» صفتان لمَناة، وهما يفيدان التوكيد. قيل: ولمَّا كانت مناةُ هي أعظمَ هذه الأوثان أُكِّدَتْ بهذين الوصفين، كما تقول: رأيتُ فلاناً وفلاناً، ثم تذكر ثالثاً أجَلَّ منهما، فتقول: وفلاناً الآخر الذي من أمرِه وشأنِه.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٢ بنحوه، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٧١.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠.

(٣) عند تفسير الآية (٤٠) منها.

ولفظة «آخر» و«أُخرى» يوصَفُ به الثالث من المعدودات، وذلك نَصٌّ في الآية، ومنه قول ربيعة بن مُكَدَّم:

ولـقَـدْ شـفَـعْـتُـهـمـا بـآخَـرَ ثـالـثٍ[1]

انتهى.

وقول ربيعة مخالفٌ للآية؛ لأنَّ ثالثاً جاء بعد آخَرَ، وعلى قول هذا القائل: إنَّ مناةَ هي أعظمُ هذه الأوثان، يكون التأكيد لأجل عِظَمِها، ألا ترى إلى قوله: ثم تذكر ثالثاً أجلَّ منهما؟

وقال الزمخشريُّ: «والأُخرى» ذَمٌّ، وهي المتأخِّرةُ الوضيعةُ المقدار، كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ [الأعراف:٣٨] أي: وضعاؤُهم لرؤسائِهم وأشرافِهم. ويجوز أن تكون الأوَّليةُ والتقدُّمُ عندهم للَّات والعُزَّى[2]. انتهى. ولفظ «آخر» ومؤنَّثه «أخرى» لم يُوضَعا للذَّمِّ ولا للمدح، إنَّما يدُلَّان على معنى غيرٍ، إلَّا أنَّ من شرطِهما أن يكونا من جنس ما قبلَهما، لو قلت: مررتُ برجلٍ وآخَرَ، لم يدلَّ إلَّا على معنى غير، لا على ذمٍّ ولا على مدح.

وقال أبو البقاء: و«الأخرى» توكيد؛ لأنَّ الثالثةَ لا تكون إلا أُخرى[3]. انتهى.

وقيل: «الأُخرى» صفة لـ «العُزَّى» لأنَّها ثانيةُ اللَّات، والثانية يقال لها: الأخرى، وأُخِّرَتْ لموافقة رؤوس الآي. وقال الحسين[4] بن الفضل: فيه تقديمٌ وتأخير، تقديره: والعُزَّى الأُخرى ومناةَ الثالثة[5].

(١) عجزه كما في الأغاني ١٦/ ٦٧، وأمالي القالي ٢/ ٢٧٢، وزهر الأكم ١/ ١٠٤:
وأبى الفرارَ ليَ الغداةَ تكرُّمي
والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٠١.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٠.

(٣) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٧.

(٤) في النسخ والمطبوع: الحسن، والمثبت من المصادر.

(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ١٦، وزاد المسير ٨/ ٧٢-٧٣، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٧.

وقال أبو عبد الله الرازي: «الأُخرى» صفةُ ذمٍّ، كأنَّه يقول: ومناة الثالثة الذليلة، وذلك لأنَّ الأُولى كان وثناً على صورة آدميٍّ، والعُزَّى صورةَ نبات، ومناةُ صورةَ صخرة، فالآدميُّ أشرفُ من النبات، والنباتُ أشرفُ من الجماد، فالجماد متأخِّر، ومَناةُ جمادٌ فهي في أُخريات المراتب[(١)].

والإشارة بـ «تلك» إلى قسمتهم وتقديرهم أنَّ لهم الذُّكرانَ ولله تعالى البنات، وكانوا يقولون: إن هذه الأصنام والملائكة بناتُ الله تعالى[(٢)].

قال ابن عباس وقتادة: «ضِيزى»: جائرة. وسفيان: منقوصة. وابن زيد: مخالفة. ومجاهد ومقاتل: عوجاء. والحسن: غير معتدلة. وابن سيرين: غير مستوية[(٣)]. وكلُّها أقوال متقاربة في المعنى.

وقرأ الجمهور: «ضِيزى» من غير همز، والظاهر أنَّه صفةٌ على وزن فُعْلى بضمِّ الفاء كُسِرَت لتصِحَّ الياء[(٤)]. ويجوز أن تكون مصدراً على وزن فِعْلى كذِكرى، ووُصف به[(٥)].

وقرأ ابن كثير: «ضِئْزى» بالهمز، فوُجِّه على أنَّه مصدرٌ كذكرى[(٦)].

وقرأ زيد بن علي: «ضَيْزى» بفتح الضاد وسكون الياء، ويُوجَّه على أنَّه مصدرٌ كدَعْوى، وُصِفَ به، أو وَصْفٌ كسَكْرى وناقةٍ خَزْمى[(٧)]. ويقال:

(١) تفسير الرازي ٢٨/٢٩٦.
(٢) الكشاف ٤/ ٣٠-٣١.
(٣) هذه الأقوال في تفسير الثعلبي ٦/ ١٧، والأقوال الأربعة الأولى ـ دون ذكر مقاتل ـ في النكت والعيون ٥/ ٣٩٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠١، وأخرجها الطبري ٢٢/ ٥٣-٥٤.
(٤) ينظر الكتاب لسيبويه ٤/ ٣٦٤ و٣٨٩، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٣، وزاد المسير ٨/ ٧٣.
(٥) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٩٨.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠١، والقراءة في السبعة ص ٦١٥، والتيسير ص ٢٠٥.
(٧) أي: جُعِل في جانب منخرها الخِزامة: وهي حلقةٌ من شعر تُجعل في وتَرةِ أنفها يُشدُّ بها الزِّمام. تاج العروس (خزم).

«ضُؤْزَى» بالواو وبالهمز[(١)]. وتقدَّم في المفردات حكايةُ لغة الهمز عن الكسائي. وأنشد الأخفش:

فإنْ تنأَ عنها تَقْتَنِصْكَ وإنْ تَغِبْ فسهمُكَ مَضْؤوزٌ وأنفُكَ راغِمُ[(٢)]

﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ تقدَّم تفسيرُ نظيرها في قصة هود في سورة الأعراف[(٣)].

وقرأ الجمهور: «إنْ يتَّبِعون» بياء الغيبة. وعبد الله، وابن عباس، وابن وَثَّاب، وطلحة، والأعمش، وعيسى بن عمر بتاء الخطاب[(٤)].

﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: ميلُ النفس إلى أحدِ مُعتقَدَيْن من غير حجة ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ أي: تميل إليه بلذَّة، وإنَّما تهوى أبداً ما هو غيرُ الأفضل؛ لأنَّها مجبولةٌ على حبِّ المَلاذِّ، وإنَّما يسوقها إلى حسن العاقبةِ العقلُ.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ توبيخٌ لهم ـ والذي هم عليه باطل ـ واعتراضٌ بين الجملتين[(٥)]، أي: يفعلون هذه القبائح والهدى قد جاءهم، فكانوا أولى مَنْ يقبَلُه ويتركُ عبادة مَنْ لا تجدي عبادته.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ هو متَّصلٌ بقوله: ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ أي: بل للإنسان، والمراد به الجنس ﴿مَا تَمَنَّىٰ﴾ أي: ما تعلَّقَتْ به أمانيه، أي: ليست الأشياء والشهوات تحصل بالأماني، بل الأمر لله، وقولكم: إنَّ آلهتكم تشفعُ وتُقرِّبُ زُلفى، ليس لكم ذلك.

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٣، وزاد المسير ٨/ ٧٣.
(٢) لم أقف على قائله، وهو في الصحاح (ضيز)، وتهذيب اللغة ١٢/ ٥٢، وتفسير الطبري ٢٢/ ٥٢، والنكت والعيون ٥/ ٣٩٩، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٨. وفي الصحاح وتفسير القرطبي: فقسمُك، وفي التهذيب: فحظُّكَ، بدل: فسهمُكَ.
(٣) عند تفسير الآية (٧١) منها.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠١.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٢.

وقيل: أُمْنِيتُهم: قولهم: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]. وقيل: قول الوليد بن المغيرة: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧]. وقيل: تمنِّي بعضِهم أن يكون النبيَّ.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ أي: هو مالِكُهما، فيُعطي منهما من يشاء، ويمنع من يشاء، وليس لأحدٍ أن يبلغ منهما إلَّا ما شاء الله(١).

وقدَّم الآخرةَ في الذِّكر؛ لشرفها ولديمومتها، وأخَّرَ الأولى؛ لتأخُّرها في ذلك، ولكونها فاصلةً، فلم يُراعِ الترتيبَ الوجودي، كقوله: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [الليل: ١٣].

❋ ❋ ❋

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾.

و«كم» هي خبرية، ومعناها هنا: التكثير، وهي في موضع رفع بالابتداء والخبر «لا تغني»(٢).

والغَناء: جلبُ النفع ودفعُ الضرِّ بحسب الأمر الذي يكون فيه الغنى. و«كم» لفظها مفرد، ومعناها جمع(٣).

---

(١) الكشاف ٤/ ٣١.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٩٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٢.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٢.

وقرأ الجمهور: «شفاعتُهم» بإفرادِ الشفاعة وجَمْعِ الضمير. وزيد بن علي: «شفاعتُه» بإفرادِ الشفاعة والضمير. وابن مِقْسَم: «شفاعاتُهم» بجمعهما، وهو اختيار صاحب «الكامل» أبي القاسم الهُذَلي. وأُفردَتِ الشفاعةُ في قراءة الجمهور؛ لأنَّها مصدرٌ، ولأنَّهم لو شفعَ جميعُهم لواحدٍ لم تُغْنِ شفاعتُهم عنه شيئاً، فإذا كانت الملائكة المقرَّبون لا تغني شفاعتُهم إلَّا بعد إذن الله ورضاه ـ أي: يرضاه أهلاً للشفاعة ـ فكيف تشفع الأصنام لمن يعبدها؟[١].

ومعنى «تسمية الأنثى» كونُهم يقولون: إنَّهم بناتُ الله[٢].

و ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ هم العرب منكرو البعث[٣] ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ أي: ما يدركه العلم لا ينفع فيه الظنُّ، وإنَّما يُدرَك بالعلم والتيقُّن[٤]. قيل: ويحتمل أن يكون المراد بالحقِّ هنا هو الله تعالى، أي: الأوصاف الإلهية لا تُستخرَجُ بالظُّنون، ويدلُّ عليه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج:٦].

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ موادعة منسوخة بآية السيف[٥].

﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي لم تتعلَّق إرادتُه بغيرها، فليس له فِكْرٌ في سواها[٦] كالنَّضر بن الحارث والوليد بن المغيرة[٧].

والذِّكر هنا القرآن أو الإيمان أو الرسول ﷺ. أقوال[٨].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧٣، وتفسير الثعلبي ٦/ ١٨، والوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٠، والكشاف ٤/ ٣٢.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٢.
(٣) الكشاف ٤/ ٣٢.
(٤) تفسير الرازي ٢٨/ ٣٠٧.
(٥) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٠١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٣، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص٢٣٣.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٣ بنحوه.
(٧) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤١.
(٨) تفسير الثعلبي ٦/ ١٨.

﴿عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ هو سببُ الإعراض؛ لأنَّ مَنْ لا يُصغي إلى قول كيف يفهم معناه؟[١] فأُمِرَ ﷺ بالإعراض عمَّن هذه حالُه. ثُمَّ ذكر سبب التولِّي عن الذِّكر وهو حصر إرادته في الحياة الدنيا، فالتولِّي عن الذِّكر سببٌ للإعراض عنهم، وإيثارُ الدنيا سببٌ للتولِّي عن الذِّكر.

و«ذلك» إشارةٌ إلى تعلُّقهم بالدنيا وتحصيلها ﴿مَبْلَغُهُم﴾: غايتُهم ومنتهاهم من العلم، وهو ما تعلَّقت به علومُهم من مكاسب الدنيا، كالفلاحة والصنائع، كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٢][الروم:٧].

ولمَّا ذكرَ ما هم عليه أخبر تعالى بأنَّه عالمٌ بالضالِّ والمهتدي وهو مجازيهما. وقال الزمخشري[٣]: وقوله: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ اعتراض. انتهى. وكأنَّه يقول: هو اعتراضٌ بين ﴿فَأَعْرِضْ﴾ وبين ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ ولا يظهر هذا الذي يقوله من الاعتراض.

وقيل: «ذلك» إشارةٌ إلى جَعْلِهم الملائكةَ بناتِ الله. وقال الفرَّاء[٤]: صغَّرَ رأيَهم، وسفَّهَ أحلامَهم، أي: غايةُ عقولهم ونهايةُ علومهم أن آثروا الدنيا على الآخرة.

وقيل: «ذلك» إشارةٌ إلى الظنِّ، أي: غايةُ ما يفعلون أن يأخذوا بالظنِّ[٥].

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ الآية في معرض التسلية، إذ كان من خُلُقِه عليه الصلاة والسلام الحرص على إيمانهم، وفي ذلك وعيدٌ للكفار ووعدٌ للمؤمنين[٦].

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أخبر أنَّ مَنْ في العالَم العُلْويِّ والعالَم السُّفليِّ ملكٌ له تعالى، يتصرَّف فيهما بما شاء.

---

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ٣١١.
(٢) الكلام من تفسير أبي الليث ٢/ ٢٩٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٣ بنحوه.
(٣) في الكشاف ٤/ ٣٢، وما قبله منه.
(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٠٠، وما قبله منه.
(٥) تفسير الرازي ٢٩/ ٢.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٣.

واللامُ في «ليجزي» متعلِّقةٌ بما دلَّ عليه معنى الملك، أي: يُضِلُّ ويهدي «ليجزيَ»[١]. وقيل: بقوله «بمن ضَلَّ» و«بمن اهتدى»، واللَّامُ للصَّيرورة، والمعنى: إنَّ عاقبة أمرهم جميعاً للجزاء بما عملوا، أي: بعقاب ما عملوا، والحسنى: الجَنة. وقيل: التقدير: بالأعمال الحسنى[٢].

وحين ذكر جزاءَ المسيء قال: «بما عملوا»، وحين ذكر جزاء المحسن أتى بالصفة التي تقتضي التفضُّلَ وتدلُّ على الكرم والزيادة للمحسن، كقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣][العنكبوت:٧] والأحسن تأنيث «الحسنى».

وقرأ زيد بن علي: «لنجزيَ» «ونجزيَ» بالنون فيهما[٤].

وتقدَّم الكلامُ في الكبائر في قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ في سورة النساء [الآية:٣١].

والذُّنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر.

و«الفواحش» معطوف على «كبائر»[٥]: وهي ما فحُشَ من الكبائر؛ أفرَدَها بالذكر؛ لتدُلَّ على عِظَم مرتكبها.

وقال الزمخشريُّ: و«الكبائر»: الذنوب التي لا يسقط عقابُها إلَّا بالتوبة[٦]. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ استثناء منقطع؛ لأنه لم يدخل تحت ما قبله وهو صغار الذنوب، أو صفة إلى كبائر الإثم غير اللَّمم، كقوله ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: غير الله

(١) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٩٣-٦٩٤ بنحوه.
(٢) الكشاف ٤/ ٣٢ بنحوه.
(٣) تفسير الرازي ٢٩/ ٦ بنحوه.
(٤) ذكرها الزمخشري في الكشاف ٤/ ٣٢ من دون نسبة.
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧٥.
(٦) الكشاف ٤/ ٣٢.

﴿لَفَسَدَتَا﴾[١] [الأنبياء:٢٢]. وقيل: يصحُّ أن يكون استثناء متصلاً[٢]. وهذا يظهر عند تفسير اللَّمم ما هو.

وقد اختلفوا فيه اختلافاً؛ فقال الخُدريُّ: هو النَّظْرة والغَمْزة والقُبْلة، وقال السُّدِّيُّ: الخَطْرة من الذنب. وقال أبو هريرة وابن عباس والشَّعبي والكلبي: كلُّ ذنبٍ لم يذكُرِ اللهُ تعالى عليه حدًّا ولا عذاباً[٣]. وقال ابن عباس أيضاً وابن زيد: ما أَلمُّوا به من الشرك والمعاصي في الجاهلية قبل الإسلام[٤].

وعن ابن عباس وزيد بن ثابت وزيد بن أسلم وابنه: أنَّ سببَ الآية قولُ الكفار للمسلمين: قد كنتم بالأمس تعملون أعمالَنا. فنزلت، وهي مثل قوله: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[٥][النساء:٢٣]. وقيل: نزلت في نبهان التمَّار وحديثه مشهور[٦]. وقال ابن عباس وغيره: الفَلْتَة والسَّقْطَة دون دوام ثمَّ يتوب منه. وقال الحسن: الزنا والسرقة والخمر ثمَّ لا يعود. وقال ابن المسيِّب: ما خطر على القلب. وقال نفطويه: ما ليس بمعتاد. وقال الرُّمَّاني: الهَمُّ بالذنب وحديث النفس دون أن يواقع. وقيل: نظرة الفجأة[٧].

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ حيث يُكفِّر الصغائر باجتناب الكبائر. وقال الزمخشري[٨]: والكبائر بالتوبة. انتهى. وفيه نزعة الاعتزال.

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٢ بنحوه مع تقديم وتأخير.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٣.

(٣) الأقوال الثلاثة في الكشاف ٢/ ٣٤، والقول الثالث عن الكلبي وحده.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٤. وأخرجه الطبري ٢٢/ ٦٠-٦١ عن ابن زيد.

(٥) نقله ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٤ عن الثعلبي، وهو في تفسيره ٦/ ١٩ دون ذكر الآية.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٠١ عن مقاتل بن سليمان، وهناك حديثه. وتنظر ترجمة نبهان التمار في الإصابة ١٠/ ١٤٠.

(٧) الأقوال في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٤. وقول ابن المسيب في تفسير الثعلبي ٦/ ١٩.

(٨) في الكشاف ٤/ ٣٢، وما قبله منه.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ قيل: نزلت في قومٍ من اليهود عظَّموا أنفسهم، وإذا مات طفلٌ لهم قالوا: هذا صِدِّيقٌ عند الله. وقيل: في قومٍ من المؤمنين فخروا بأعمالهم. والظاهر أنَّه خطابٌ عامٌّ[١].

و«أعلَمُ» على بابها من التفضيل. وقال مكي[٢]: بمعنى: عالِمٌ بكم. ولا ضرورةَ إلى إخراجها عن أصلِ موضوعها، وكأنَّ مكِّيًا راعى عمل «أعلَمُ» في الظرف الذي هو «إذْ أنشأكم»، وتعلَّق عليه علمُه به في ذلك الوقت، لا مشاركة لأحدٍ معه فيه، على أنَّه قد يتعلَّق علمُ مَنْ أطلعه الله من الملائكة عليه. وقيل: الناصب لـ «إذْ» محذوف تقديره: واذكروا إذ أنشأكُم من الأرض، والظاهر أنَّ المراد بـ «أنشأكم» أنشأ أصلَكم وهو آدم.

ويجوز أن يُراد من فضلة الأغذية التي منشؤها من الأرض[٣].

﴿فَلَا تُزَكُّوٓا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا تنسبوها إلى زكاء الأعمال والطهارة عن المعاصي، ولا تُثنوا عليها واهضموها، فقد علمَ اللهُ منكم الزكيَّ والتقيَّ قبل إخراجكم من صلب آدم، وقبل إخراجكم من بطون أمهاتكم[٤].

وكثيراً ما ترى من المتصلِّحين إذا حدَّثوا يقولون: كان وِرْدُنا البارحةَ كذا، وفاتَنا من وِرْدِنا البارحةَ، أو فاتَنا وِرْدُنا، يوهمون الناسَ أنَّهم يقومون بالليل، وترى لبعضه في جبينه سواداً يُوهِم أنَّه من كثرة السجود، ولبعضهم احتضار النية حالةَ الإحرام، فيُحرِّك يديه مراراً، ويصعَقُ حتى ينزعجَ مَنْ بجانبه، وكأنَّه يخطف شيئاً بيديه وقتَ التحريكة الأخيرة، يُوهِم أنَّه يحافظ على تحقيق النيَّة. وبعضُهم يقول في حَلِفِه: وحَقِّ البيت الذي زُرْتُ، يُعْلِمُ أنَّه حاجٌّ، وإذا لاح له فَلْسٌ يَثِبُ عليه وثُوبَ الأسد على الفريسة، ولا يلحقه شيءٌ من الوسواس ولا من إحضار النية في أخْذِه، وتراه يحبُّ الثناءَ عليه بالأوصاف الجميلة التي هو عارٍ منها.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٤. وينظر أسباب النزول للواحدي ص ٤٢٢.
(٢) في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٩٣، وما قبله منه.
(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٥.
(٤) الكشاف ٤/ ٣٢-٣٣.

وقيل: المعنى: لا يُزكِّي بعضُكم بعضاً تزكيةَ السُّمعة أو المدح للدنيا، أو تزكيةً بالقطع، وأمَّا التزكية لإثبات الحقوق فهي جائزة للضرورة[١].

و«الجنين»: ما كان في البطن، فإذا خرج سُمِّيَ ولداً أو سَقْطاً.

وقوله: ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ﴾ تنبيهٌ على كمال العلم والقدرة، فإنَّ بطنَ الأمِّ في غاية الظُّلمة، ومن عَلِمَ حالَه وهو مُجَنٌّ لا يخفى عليه حالُه وهو ظاهر[٢].

﴿بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ قيل: الشرك. وقال علي: عمِلَ حسنةً وارعوى عن معصية[٣].

* * *

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ
يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ
لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ
رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ
ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾
وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ
إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ
تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ
﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ
وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ الآية، قال مجاهد وابن زيد ومقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، كان قد سمع قراءةَ رسول الله ﷺ وجلسَ إليه ووعظَه، فقرب من الإسلام، وطمِعَ فيه رسولُ الله ﷺ، ثمَّ إنَّه عاتبَه رجلٌ من المشركين وقال له: أتتركُ مِلَّة آبائك؟ ارجعْ إلى دينك واثبُتْ عليه، وأنا أتحمَّلُ لك بكلِّ شيءٍ تخافه في الآخرة، لكِنْ

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٥.

(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ١٠.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٢١.

على أن تعطيَني كذا وكذا من المال. فوافقَه الوليد على ذلك، ورجعَ عمَّا هَمَّ به من الإسلام، وضلَّ ضلالاً بعيداً، وأعطى بعضَ ذلك المال لذلك الرجل، ثمَّ أمسكَ عنه وشَحَّ[1].

وقال الضحَّاك: هو النَّضْر بن الحارث، أعطى خمس قلائص لفقيرٍ من المهاجرين حتى ارتدَّ عن دينه، وضمن له أن يحملَ عنه مآثِمَ رجوعِه.

وقال السُّدِّي: نزلت في العاص بن وائل السَّهمي، كان ربما يوافق النبيَّ ﷺ في بعض الأمور.

وقال محمد بن كعب: في أبي جهل بن هشام، قال: واللهِ ما يأمرُ محمدٌ إلَّا بمكارم الأخلاق[2].

ورُوي عن ابن عباس والسُّدِّي أنَّها نزلت في عثمان بن عفَّان رضي الله تعالى عنه كان يتصدَّق، فقال له أخوه من الرَّضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح نحواً من كلام القائل للوليد بن المغيرة الذي بدأنا به، وذكر القصة بتمامها الزمخشريُّ[3] ولم يذكر في سبب النزول غيرَها. قال ابن عطية[4]: وذلك كلُّه عندي باطل، وعثمان رضي الله عنه منزَّهٌ عن مثله. انتهى.

و«أفرأيت» هنا بمعنى «أخبِرْني»، ومفعولها الأول الموصول، والثاني الجملة الاستفهامية، وهي: أعنده علم الغيب؟

و«تولَّى» أي: أعرض عن الإسلام[5]. وقال الزمخشري: «تولَّى»: ترك المركز

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٥. وينظر تفسير الطبري ٢٢/ ٧٢، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢١، وأسباب النزول للواحدي ص ٤٢٣.
(٢) هذه الأقوال الثلاثة في زاد المسير ٨/ ٧٨. وقول السدي ومحمد بن كعب في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٢.
(٣) في الكشاف ٤/ ٣٣، وذكرها ـ أيضاً ـ الثعلبي في تفسيره ٦/ ٢١، والواحدي في أسباب النزول ص ٤٢٢-٤٢٣.
(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٥.
(٥) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٩٤، والوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٣.

يومَ أحد[١]. انتهى. لمَّا جعل الآية نزلت في عثمان ﷺ فسَّر التولّي بهذا، وإذا ذُكِرَ التولّي غيرَ مقيَّدٍ في القرآن فأكثر استعماله أنَّه استعارةٌ عن عدم الدخول في الإيمان.

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾ قال ابن عباس: أطاع قليلاً، ثمَّ عصى. وقال مجاهد: أعطى قليلاً من نفسه بالاستماع، ثمَّ أكدى بالانقطاع. وقال الضحَّاك: أعطى قليلاً من ماله، ثمَّ منع. وقال مقاتل: أعطى قليلاً من الخير بلسانه، ثم قطع[٢].

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ﴾ أي: أعلِمَ من الغيب أنَّ مَنْ تحمَّل ذنوبَ آخر فإنَّ المتحمَّلَ عنه ينتفع بذلك؟ فهو لهذا الذي عَلِمَه يرى الحقَّ وله فيه بصيرة؟ أم هو جاهل[٣]؟

وقال الزمخشري: ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾: فهو يعلم أنَّ ما قاله أخوه من احتمال أوزارِه حقٌّ[٤]. وقيل: يعلم حالَه في الآخرة[٥].

وقال الزجَّاج: يرى رفْعَ مأثِمِه في الآخرة. وقيل: فهو يرى أنَّ ما سمِعَه من القرآن باطل. وقال الكلبي: أُنزِل عليه قرآنٌ فرأى ما صنعه حتمًا. وقيل: ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أي: ألّا جزاء[٦].

واحتمل «يرى» أن تكون بصرية، أي: فهو يبصر ما خفي عن غيره ممَّا هو غيبٌ. واحتمل أن يكون بمعنى: يعلم، أي: فهو يعلم الغيب مِثْلَ الشهادة.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ أي: بل ألم يُخْبَر بما في صحف موسى وهي التوراة ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ أي: وفَّى صحف إبراهيم التي أنزلت عليه، وخصَّ هذين النبيَّين

(١) الكشاف ٤/ ٣٣.
(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٠٢-٤٠٣، وزاد المسير ٨/ ٧٨. وينظر تفسير الطبري ٢٢/ ٧٢-٧٣.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٥.
(٤) الكشاف ٤/ ٣٣.
(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٠١، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٧٨.
(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٠٣ دون قول الزجاج.

عليهما أفضل الصلاة والسلام[١]؛ قيل: لأنَّه ما بين نوح وإبراهيم كانوا يأخذون الرجلَ بأبيه وابنه وعمِّه وخاله، والزوجَ بامرأته، والعبدَ بسيِّده، فأوَّلُ مَنْ خالفَهم إبراهيم[٢]. ومن شريعة إبراهيم إلى شريعة موسى صلى الله عليهما كانوا لا يأخذون الرجل بجريرة غيره.

﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ قرأ الجمهور: «وفَّى» بتشديد الفاء. وقرأ أبو أمامة الباهلي، وسعيد بن جُبير، وأبو مالك الغِفَاري، وابن السَّمَيفع، وزيد بن علي بتخفيفها[٣].

ولم يذكر مُتعلَّق «وفَّى» ليتناول كلَّ ما يصلح أن يكون متعلَّقاً له؛ كتبليغ الرسالة، والاستقلال بأعباء الرسالة، والصبر على ذبح ولده، وعلى فراق إسماعيل وأمه، وعلى نار نُمروذ، وقيامِه بأضيافه وخدمتِه إيَّاهم بنفسه، وكان يمشي كلَّ يومٍ فرسخاً يرتاد ضيفاً، فإن وافقه أكرمه، وإلَّا نوى الصوم. وعن الحسن: ما أمره الله بشيء إلا وفَّى به. وعن عطاء بن السائب: عهِدَ أن لا يسأل مخلوقاً[٤]. وقال ابن عباس والربيع: وفَّى طاعة الله في أمر ذبح ابنه. وقال الحسن وقتادة: وفَّى بتبليغ الرسالة والمجاهدة في ذات الله. وقال عكرمة: وفَّى هذه العشر الآيات ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ فما بعدها. وقال ابن عباس أيضاً وقتادة: وفَّى ما افترض عليه من الطاعة على وجهها، وكملَتْ له شعب الإيمان والإسلام، فأعطاه الله براءته من النار. وقال ابن عباس أيضاً: وفَّى شرائع الإسلام ثلاثين سهماً[٥]، يعني عشرةً في «براءة» [الآية: ١١٢] ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ إلخ، وعشرة في ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ [المؤمنون: ١] وعشرة في الأحزاب [الآية: ٣٥] ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[٦].

(١) الكلام من تفسير أبي الليث ٢/ ٢٩٤، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٥٢.
(٢) الكشاف ٤/ ٣٣ عن الهُذيل بن شرحبيل.
(٣) المحتسب ٢/ ٢٩٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٦ دون ذكر زيد بن علي، وهي كذلك في القراءات الشاذة ص ١٤٧ ولم يذكر أبا أمامة.
(٤) الكشاف ٤/ ٣٣.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٥-٢٠٦.
(٦) الكشاف ٤/ ٣٣.

وقال أبو أمامة ورفعه إلى النبيِّ ﷺ: «وفَّى أربعَ صلواتٍ في كلِّ يوم»[(١)]. وقال أبو بكر الورَّاق: قامَ بشرط ما ادَّعى، وذلك أنَّ الله تعالى قال له: ﴿أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] فطالبه بصحة دعواه، فابتلاه في ماله وولده ونفسه، فوجده وافياً[(٢)]. انتهى.

وللمفسِّرين أقوال غير هذه، وينبغي أن تكون هذه الأقوال أمثلةً لما وفَّى لا على سبيل التعيين.

و«أنْ» هي المخفَّفة من الثقيلة، وهي بدل ممَّا في قوله: ﴿بِمَا فِى صُحُفِ﴾، أو في موضع رفع، كأنَّ قائلاً قال: ما في صُحُفِهما؟ فقيل: «ألَّا تزرُ» أي: هو أنْ لا تَزِرُ[(٣)].

وتقدَّم شرح «لا تزِر وازرةٌ وِزْرَ أخرى»[(٤)].

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ الظاهر أنَّ الإنسان يشمل المؤمن والكافر، وأنَّ الحصر في السَّعي، فليس له سعيُ غيره.

وقال عكرمة: كان هذا الحُكمُ في قوم إبراهيم وموسى، وأمَّا هذه الأمَّة فلها سعيُ غيرِها، يدلُّ عليه حديث سعد بن عبادة: هل لأمِّي إنْ تطوَّعْتُ عنها؟ قال: «نعم»[(٥)].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٦. وأخرجه بنحوه الدوري في جزء فيه قراءات النبي ﷺ (١٠٩)، والطبري ٢٢/ ٧٨، والثعلبي في تفسيره ٦/ ١٧، وفي إسناده جعفر بن الزبير، وهو متروك. وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١٩٧١) من طريق آخر، فيه أحمد بن أبي يحيى الحضرمي شيخ الطبراني، ليَّنه أبو سعيد بن يونس.

(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ٥٣.

(٣) الكشاف ٤/ ٣٣، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٨.

(٤) عند تفسير الآية (١٦٤) من سورة الأنعام.

(٥) أخرجه بنحوه البخاري (٢٧٥٦) من حديث ابن عباس ﷺ، أنَّ سعد بن عبادة توفِّيت أمُّه وهو غائبٌ عنها، فقال: يا رسول الله، إنَّ أمي توفِّيت وأنا غائبٌ عنها، أينفعها شيء إن تصدَّقتُ به عنها؟ قال: «نعم». والكلام من تفسير الثعلبي ٦/ ٢٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٦.

وقال الربيع: الإنسان هنا الكافر، وأمَّا المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيرُه[١].

وسأل والي خراسان عبدُ الله بن طاهر الحسينَ بن الفضل عن هذه الآية مع قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦١] فقال: ليس له بالعدل إلَّا ما سعى، وله بالفضل ما شاء الله. فقبَّلَ عبدُ الله رأسَ الحسين. وما رُويَ عن ابن عباس أنَّها منسوخة[٢] لا يصِحُّ؛ لأنَّه خبرٌ لم يتضمَّنْ تكليفاً، وعند الجمهور أنَّها مُحكَمة. قال ابن عطية[٣]: والتحرير عندي في هذه الآية أنَّ مِلاك المعنى هو اللام من قوله: ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾، فإذا حقَّقْت الشيء الذي هو حَقُّ الإنسان أن يقول فيه: لي كذا، لم تجِدْه إلَّا سعيَه، وما ثَمَّ بعدُ من رحمةٍ بشفاعةٍ، أو رعايةِ أبٍ صالحٍ وابنٍ صالحٍ، أو تضعيف حسناتٍ، أو تغمُّدٍ بفضلٍ ورحمةٍ، دون هذا كلِّه، فليس هو للإنسان، ولا يَسَعُه أن يقول: لي كذا وكذا، إلَّا على تجوُّز وإلحاقٍ بما هو حقيقة، واحتجَّ بهذه الآية مَنْ يرى أنَّه لا يعمل أحدٌ عن أحدٍ بعد موته ببَدَنٍ أو مال، وفرَّقَ بعضُ العلماء بين البدن والمال. انتهى[٤].

والسعيُ: التكسُّب.

و«يرى» مبني للمفعول، أي: سوف يراه حاضراً يوم القيامة.

وفي عرض الأعمال تشريفٌ للمحسن، وتوبيخٌ للمسيء.

والضمير المرفوع في «يُجزاه» عائدٌ على الإنسان، والمنصوبُ عائدٌ على السعي، والجزاء مصدر.

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون الضميرُ للجزاء، ثمَّ فسَّره بقوله: «الجزاء الأوفى» أو أبدلَه عنه، كقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[٥][الأنبياء:٣]. وقوله: ثمَّ فسَّره بقوله: الجزاء، وإذا كان تفسيراً للضَّمير المنصوب في «يُجزاه»

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٦، وزاد المسير ٨/ ٨١.

(٢) ينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/ ٣٥-٣٦، وتفسير الطبري ٢٢/ ٨٠.

(٣) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٦-٢٠٧ وما قبله منه.

(٤) لم ينتهِ كلامُ ابن عطية، فالكلام الآتي من المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧ بنحوه.

(٥) الكشاف ٤/ ٣٣-٣٤.

فعلى ماذا انتصابُه؟ وأمَّا إذا كان بدلاً فهو من باب بدل الظاهر من المُضْمَر الذي يُفسِّره الظاهر، وهي مسألةُ خلافٍ، والصحيح المنع[١].

وقرأ الجمهور: «وأنَّ إلى ربِّكَ» وما بعدها من «وأنَّه» «وأنَّ» بفتح الهمزة؛ عطفاً على ما قبلها.

وقرأ أبو السمَّال بالكسر فيهنَّ.

وفي قوله: ﴿ٱلْأَوْفَىٰ﴾ وعيدٌ للكافر ووعد للمؤمن[٢].

ومنتهى الشيء: غايتُه وما يصلُ إليه، أي: إلى حساب ربِّك والحشرِ لأجله، كما قال: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨] أي: إلى جزائه وحسابه، أو إلى ثوابه من الجنة وعقابه من النار[٣]. وهذا التفسير المناسب لما قبله في الآية.

وعن أُبيٍّ، عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: «لا فِكْرَةَ في الرَّبِّ»[٤].

وروى أنسٌ عنه ﷺ «إذا ذُكِرَ الربُّ فانتهوا»[٥].

---

(١) تعقَّبه السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ١٠٤-١٠٥ بقوله: العجب كيف يقول: فعلى ماذا ينتصب؟ فانتصابه من وجهين ـ وهو الظاهر البيِّن ـ أن يكون عطفَ بيان، وعطفُ البيان يصدُق عليه أنَّه مُفسِّر، وهي عبارة سائغة شائعة. والثاني: أن ينتصب بإضمار أعني، وهي عبارةٌ سائغةٌ أيضاً يسمُّون مثل ذلك تفسيراً.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧.

(٣) الكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ٣٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧.

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٦/ ٢٥، ومن طريقه البغوي في تفسيره ٤/ ٢٥٥. وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦) عن سفيان الثوري قوله.
وفي معناه أخرج البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: مَنْ خلقَ كذا؟ مَنْ خلقَ كذا؟ حتى يقول: مَنْ خلقَ ربَّك؟ فإذا بلغَه فليستعِذْ بالله».

(٥) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٦/ ٢٥، وابن عدي في الكامل ٤/ ٣٠١، وفي إسناده سنان بن سعد ـ ويقال: سعد بن سنان ـ ضعَّفه أحمد والدارقطني والجوزجاني، وقال محمد بن سعد والنسائي: منكر الحديث. وقال أحمد: روى خمسة عشر حديثاً منكرة كلها، ما أعرف منها

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾ الظاهر حقيقة الضحك والبكاء[١]. قال مجاهد: أضحك أهلَ الجنة، وأبكى أهلَ النار[٢]. وقيل: كنَى بالضحك عن السرور، وبالبكاء عن الحزن[٣]. وقيل: أضحك الأرضَ بالنبات، وأبكى السماءَ بالمطر[٤]. وقيل: أحيا بالإيمان، وأبكى بالكفر[٥].

وقال الزمخشري: ﴿أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾: خلقَ قوَّتي الضحك والبكاء[٦]. انتهى. وفيه دسيسة الاعتزال؛ إذ أفعالُ العباد من الضحكِ والبكاءِ وغيرِهما مخلوقةٌ للعبد عندهم لا لله تعالى؛ فلذلك قال: خلقَ قُوَّتَي الضحك والبكاء.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ﴾ المصطحِبَين من رجلٍ وامرأةٍ وغيرِهما من الحيوان[٧].

﴿مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ﴾ أي: إذا تُدْفق، وهو المني، يُقال: أمنى الرجل ومَنَى. وقال الأخفش: ﴿إِذَا تُمۡنَىٰ﴾ أي: تُخلَق وتُقدَّر من مني الماني، أي: قدَّرَ المقدِّر[٨].

﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ أي: إعادة الأجسام إلى الحشر بعد البِلى[٩]. وجاء بلفظ «عليه» المشعرة بالتحتُّم لوجود الشيء.

---

= واحداً. ولم يوثِّقه سوى ابن معين وابن حبان والعجلي. ينظر تهذيب التهذيب ١/ ٦٩٣.
وأخرجه بنحوه إسحاق بن راهويه في مسنده (٣٩٥)، والطبراني في مسند الشاميين (٢٣٥٠) من طريق عطاء الخراساني، عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً. وإسناده منقطع؛ لأن عطاء لم يسمع من أبي هريرة.

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٠٤.
(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧، وزاد المسير ٨/ ٨٣.
(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٠٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧.
(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٦، والوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٤، وتفسير البغوي ٤/ ٢٥٥، وزاد المسير ٨/ ٨٣ عن الضحاك.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧ ونقله عن الثعلبي، ولم أجده في تفسيره.
(٦) الكشاف ٤/ ٣٤.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧.
(٨) الكشاف ٤/ ٣٤.
(٩) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧.

لمَّا كانت هذه النشأةُ يُنكرها الكفارُ بُولِغَ بقوله: «عليه» بوجودها لا محالة، وكأنَّه تعالى أوجبَ ذلك على نفسه.

وتقدَّم الخلافُ في قراءة «النشأة» في سورة العنكبوت[١].

وقال الزمخشري: وقال: «عليه»؛ لأنَّها واجبةٌ عليه في الحكمة؛ ليُجازي على الإحسان والإساءة[٢]. انتهى. وهو على طريق الاعتزال.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ أي: أكسَبَ القِنْية، يقال: قَنيتُ المالَ، أي: كسِبْتُه، وأَقْنَيْتُه إيَّاه، أي: أكسَبْتُه إيَّاه[٣].

ولم يذكر متعلَّق «أغنى وأقنى»؛ لأنَّ المقصودَ نسبةُ هذين الفعلين له تعالى. وقد تكلَّم المفسِّرون على ذلك فقالوا اثني عشر قولاً، كقولهم: أغنى نفسَه، وأفقرَ خلقَه إليه[٤]. وكلُّ قولٍ منها لا دليلَ على تعيُّنه، فينبغي أن تُجعلَ أمثلة.

و﴿ٱلشِّعْرَىٰ﴾ التي عُبِدَت هي العَبور[٥]. قال السُّدِّي: كانت تعبدها حِمْيَر وخُزاعة. وقال غيره: أوَّلُ مَنْ عبَدَها أبو كَبْشة ـ أحدُ أجدادِ النبيِّ ﷺ من قِبَلِ أمَّهاته، وكان اسمُه عبد الشِّعْرى؛ ولذلك كان مشركو قريش يسمُّونه عليه السلام ابنَ أبي كبشة، ومن ذلك كلام أبي سفيان: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابنِ أبي كَبْشة ـ ومن العرب من كان يُعَظِّمها ولا يعبدُها ويعتقدُ تأثيرَها في العالم[٦]. وأنَّها من الكواكب الناطقة يزعم

(١) عند تفسير الآية (٢٠) منها.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧.

(٤) هو قول سليمان التيمي فيما أخرجه الطبري ٢٢/ ٨٤، وأبو الشيخ في العظمة (١٧٦)، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٠٥.

(٥) الكشاف ٤/ ٣٤.

(٦) الكلام بتمامه من تفسير القرطبي ٢٠/ ٦٢، وهو في النكت والعيون ٥/ ٤٠٥ دون ما جاء بين معترضتين، فهو في النهاية لابن الأثير (كبش)، وقول أبي سفيان أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٢)، وأحمد (٢٣٧٠) في سياق حديث طويل عن ابن عباس ﷺ. ومعناه: كثر وارتفع شأنه.

ذلك المنجِّمون ويتكلَّمون على المغيَّبات عند طلوعها، وهي تقطع السماءَ طولاً، والنجومُ كلُّها تقطعها عرضاً[١]. وقال مجاهد وابن زيد: هو مِرْزَم الجوزاء[٢].

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ جاء بين «أنَّ» وخبَرِها لفظُ «هو»، وذلك في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ ففي الثلاثة الأُوَل لمَّا كان قد يَدَّعي ذلك بعضُ الناس كقول نمروذ: ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٨] احتيجَ إلى تأكيدٍ في أنَّ ذلك إنَّما هو الله لا غيرُه، فهو الذي يُضحك ويُبكي، وهو المُميت المُحيي، والمُغني والمُقْني حقيقةً، وإنِ ادَّعى ذلك أحدٌ فلا حقيقةَ له، وأمَّا ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ فلأنَّها لـمَّا عُبِدَتْ من دون الله تعالى نَصَّ على أنَّه تعالى هو ربُّها وموجِدُها. ولمَّا كان خَلْقُ الزَّوجين والإنشاءُ الآخر وإهلاكُ عاد ومَنْ ذكر لا يُمكِنُ أن يَدَّعي ذلك أحدٌ لم يُحتَجْ إلى تأكيدٍ ولا تنصيصِ أنَّه تعالى هو فاعلُ ذلك.

وعادٌ الأولى: هم قوم هود، وعادٌ الأخرى: إرَم. وقيل: الأولى: القدماء؛ لأنَّهم أولُ الأمم هلاكاً بعد قوم نوح عليه السلام. وقيل: الأولى: المتقدِّمون في الدنيا الأشراف. قاله الزمخشريُّ[٣].

وقال ابن زيد والجمهور: لأنَّها في وجه الدَّهر وقديمِهِ، فهي أُولى بالإضافة إلى الأمم المتأخِّرة. وقال الطبري[٤]: وُصِفَتْ بالأولى لأنَّ عاداً الآخرة قبيلةٌ كانت بمكة مع العماليق، وهو بنو لُقَيم بن هَزَّال. وقال المبرِّد: عاد الأخيرة: هي ثمود، والدليل عليه قول زهير:

كـأحـمـرِ عـادٍ ثـمَّ تُـرْضِـعْ فـتَـفْـطِـمِ[٥]

---

(١) من قوله: وهي تقطع... إلى هنا في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨، وتفسير البغوي ٤/ ٢٥٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٨. وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٨٥-٨٦.

(٣) في الكشاف ٤/ ٣٤.

(٤) في تفسيره ٢٢/ ٨٧-٨٨، ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٨ والكلام منه.

(٥) ديوان زهير ص ٢٠، وصدره:

فتُنْتَجْ لكم غِلْمانَ أشأمَ كُلُّهُمْ

ذكره الزَّهراوي. وقيل: عاد الأخيرة: الجبَّارون[1]. وقيل: قبل الأولى؛ لأنَّهم كانوا من قبل ثمود. وقيل: ثمود من قبل عاد. وقيل: عاد الأولى: هو عاد بن إرَم بن عَوْص بن سام بن نوحٍ، وعاد الثانية من ولد عاد الأولى[2].

وقرأ الجمهور: «عاداً الأولى» بتنوين «عاداً»، وكَسْرِه لالتقائه ساكناً مع سكون لام «الأولى» وتحقيق الهمزة بعد اللام. وقرأ قومٌ كذلك غير أنَّهم نقلوا حركة الهمزة إلى اللام وحذفوا الهمزة. وقرأ نافع وأبو عمرو بإدغام التنوين في اللام المنقول إليها حركة الهمزة المحذوفة. وعاب هذه القراءة المازني والمبرِّد، وقالت العرب في الابتداء بعد النقل: الَحْمَر ولَحْمر، فهذه القراءة جاءت على لَحْمر، فلا عيبَ فيها. وهمز قالون عين الأولى بدل الواو الساكنة، ولمَّا لم يكن بين الضمة والواو حائلٌ تخيَّلَ أنَّ الضمة على الواو فهمزها كما قال:

أَحَبُّ المُؤْقِدينَ إليَّ مُؤسى[3]

وكما قرأ بعضهم: «على سؤقه»[4]. وهو توجيه شذوذ.

وفي حرف أُبيٍّ: «عادَ» غير مصروف، جعله اسمَ قبيلة، فمَنْعُه الصرف للتأنيث والعلمية، والدليل على التأنيث وصْفُه بالأُولى.

وقرأ الجمهور: «وثموداً» مصروفاً. وقرأه غيرَ مصروفٍ الحسنُ، وعاصمٌ، [وحمزة][5]، وعِصْمة.

---

(١) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٨.

(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ٦٣.

(٣) قائله جرير، وهو في ديوانه بشرح محمد بن حبيب ١/ ٢٨٨، وعجزه:

وجَعْدَةُ لو أضاءَهُما الوقودُ

وسلف عند تفسير الآية (٤٤) من سورة الفتح.

(٤) وهو قنبل عن ابن كثير كما في السبعة ص ٦٠٥، والتيسير ص ١٦٨. وسلفت في موضعها عند الآية (٤٤) من سورة الفتح. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٨ وينظر السبعة ص٦١٥، والتيسير ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٥) ما بين حاصرتين من المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٨، ونقلها عن المصنف الآلوسيُّ في روح =

﴿فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ الظاهر أنَّ مُتعلّق «أبقى» يرجع إلى عادٍ وثمود معاً، أي: فما أبقى عليهم، أي: أخذهم بذنوبهم.

وقيل: ﴿فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ أي: فما أبقى منهم عيناً تَطْرِف. وقال ذلك الحجاج بن يوسف حين قيل له: إنَّ ثقيفاً من نسل ثمود، فقال: قال الله تعالى: ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ وهؤلاء يقولون: بقِيَتْ منهم بقيَّة، والظاهر القول الأول؛ لأنَّ ثمود كان قد آمن منهم جماعةٌ بصالح عليه السلام، فما أهلَكَهم اللهُ مع الذين كفروا به[1].

﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ﴾ أي: من قبل عاد وثمود، وكانوا أولَ أمَّةٍ كذَّبَتْ من أهل الأرض، ونوحٌ عليه السلام أولُ الرسل[2].

والظاهر أنَّ الضمير في «إنَّهم» عائدٌ على قوم نوح، وجَعْلُهم أظلَم وأطغى؛ لأنَّهم كانوا في غاية العتُوِّ والإيذاء لنوحٍ عليه السلام يضربونه حتى لا يكاد يتحرَّك، ولا يتأثَّرون لشيءٍ ممَّا يدعوهم إليه[3].

وقال قتادة: دعاهم ألفَ سنةٍ إلَّا خمسين عاماً، كلَّما هَلَك قرنٌ نشأ قرنٌ، حتى كان الرجلُ يأخذ بيد ابنه يتمشَّى به إليه يحذِّره منه ويقول: يا بُنيَّ، إنَّ أبي مشى بي إلى هذا، وأنا مِثْلُك يومئذٍ، فإيَّاك أن تُصدِّقه[4]. فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير على وصية أبيه.

وقيل: الضمير في «إنَّهم» عائدٌ على مَنْ تقدَّم: عاد وثمود وقوم نوح، أي: كانوا أكفرَ من قريشٍ وأطغى، ففي ذلك تسليةٌ لرسول الله ﷺ.

و«هُم» يجوز أن يكون تأكيداً للضمير المنصوب. ويجوز أن يكون فصلاً؛ لأنَّه

---

= المعاني ٢٦/ ١٦٧. وقراءة عاصم وحمزة في السبعة ص ٦١٥، والتيسير ص ٢٠٥.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩.

(٢) الكلام في الوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩.

(٣) الكلام بنحوه في الوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩، والكشاف ٤/ ٣٤.

(٤) أخرجه الطبري ٤/ ٨٩، وهو في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨١. والكلام من تفسير القرطبي ٢٠/ ٦٤، وما بعده منه بنحوه.

واقعٌ بين معرفةٍ وأفعل التفضيل، وحُذِفَ المفضولُ بعد الواقع خبراً لـ«كان»؛ لأنَّه جارٍ مجرى خبر المبتدأ، وحَذْفُه فصيحٌ فيه، فكذلك في خبر «كان».

و﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾: هي مدائن قوم لوط بإجماع من المفسِّرين، وسُمِّيت بذلك؛ لأنَّها انقلبت، ومنه الإفك؛ لأنَّه قَلْبُ الحقِّ كذباً، أفكَتْ فائتُفِكَتْ[1]. قيل: ويحتمل أن يُراد بالمؤتفكة: كلُّ ما انقلبَتْ مساكِنُه ودَثَرَتْ أماكِنُه[2].

﴿أَهْوَىٰ﴾ أي: خسَفَ بهم بعد رَفْعِها[3] إلى السماء، رفعَها جبريلُ عليه السلام، ثمَّ أهوى بها إلى الأرض. وقال المبرِّد: جعلَها تهوي.

وقرأ الحسن: «والمؤتفكات» جمعاً[4].

والظاهر أنَّ «أهوى» ناصبٌ لـ «المؤتفكة»، وأُخِّرَ العاملُ لكونه فاصلةً، ويجوز أن يكون و«المؤتفِكة» معطوفاً على ما قبله، و«أهوى» جملةٌ في موضع الحال تُوضح كيفية إهلاكهم، أي: وإهلاك المؤتفكة مُهوياً لها.

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ فيه تهويلٌ للعذاب الذي حَلَّ بهم لمَّا قَلَبها جبريلُ عليه السلام أُتبِعَتْ حجارةً غشيَتْهم، واحتمل أن يكون التضعيف في «غشَّاها» للتعدية، فتكون «ما» مفعولة، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى. واحتمل أن يكون فَعَّل المشدَّد بمعنى المجرَّد فيتعدَّى إلى واحدٍ، فيكون الفاعلُ «ما»، كقوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه:٧٨].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ الباء ظرفية، والخطاب للسامع. و«تتمارى»: تتشكَّك، وهو استفهام في معنى الإنكار، أي: آلاؤه ـ وهي النِّعم ـ لا يتشكَّك فيها سامع.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩.
(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ٢٤.
(٣) تحرفت في النسخ والمطبوع إلى: رفعهم. والتصويب من تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٥، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٦٤ والكلام بتمامه منه.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩.

وقد سبق ذِكْرُ نِعَمٍ ونِقَمٍ وأُطلِقَ عليها كلِّها «آلاء»؛ لما في النِّقَم من الزَّجر والوعظ لمن اعتبر[١].

وقرأ يعقوب وابن مُحَيْصن: «ربِّك تَّمارى» بتاء واحدة مشدَّدة[٢].

وقال أبو مالك الغفاري: إنَّ قوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ [الآية:٣٨] إلى قوله: ﴿تَتَمَارَىٰ﴾ هو في صحف إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام[٣].

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ قال قتادة ومحمد بن كعب وأبو جعفر: الإشارة إلى رسول الله ﷺ؛ افتتح أول السورة به واختتم آخِرَها به. وقيل: الإشارة إلى القرآن. وقال أبو مالك: إلى ما سلف من الأخبار عن الأمم[٤]. أي: هذا إنذار من الإنذارات السابقة[٥].

والنَّذير يكون مصدراً أو اسمَ فاعل[٦] وكلاهما من أنذر، ولا ينقاسان، بل القياس في المصدر إنذار، وفي اسم الفاعل مُنْذِر، والنُّذُر إمَّا جمعٌ للمصدر، أو جمعٌ لاسم الفاعل، فإن كان اسمَ فاعلٍ فوَصْفُ النُّذرِ بالأولى على معنى الجماعة.

ولـمَّا ذكر إهلاك مَنْ تقدَّم ذِكْرُه وذكر قوله: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ ذكر أنَّ الذي أنذَرَ قريبُ الوقوع، فقال: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ أي: قَرُبَتِ الموصوفة بالقُرب في قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر:١] وهي القيامة ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي: نفس كاشفة تكشف وقتها وتعلمه. قاله الطبري والزجَّاج. وقال منذر بن سعيد: هو من كشفِ الضرِّ ودفعِه، أي: ليس لها مَنْ يكشِفُ خَطْبَها وهَوْلَها. انتهى. ويجوز أن تكون الهاء في «كاشفة» للمبالغة. وقال الرُّمَّاني وجماعة: ويحتمل أن يكون مصدراً

(١) الكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ٣٥.

(٢) القراءة عن يعقوب في النشر ١/ ٣٠٠، وعن ابن محيصن في القراءات الشاذة ص ١٤٧.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩، وما بعده منه.

(٤) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩.

(٥) الكشاف ٤/ ٣٥.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩.

كالعاقبة، و﴿خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾ [غافر:١٩]، أي: ليس لها كشفٌ من دون الله. وقيل: يحتمل أن يكون التقدير: حالٌ كاشفةٌ[١].

﴿أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ وهو القرآن ﴿تَعۡجَبُونَ﴾ فتنكرون ﴿وَتَضۡحَكُونَ﴾ مستهزئين ﴿وَلَا تَبۡكُونَ﴾ جزعاً من وعيده[٢].

﴿وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ﴾ قال مجاهد: معرضون. وقال عكرمة: لاهون. وقال قتادة: غافلون. وقال السُّدِّي: مستكبرون. وقال ابن عباس: ساهون. وقال المبرِّد: خامدون[٣]. وكانوا إذا سمعوا القرآن غَنَّوا تشاغلاً عنه[٤]. ورُوي أنَّه عليه الصلاة والسلام لم يُرَ ضاحكاً بعد نزولها[٥].

﴿فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ﴾ أي: صلُّوا له و﴿وَٱعۡبُدُواْ﴾ أي: أفردوه بالعبادة، ولا تعبدوا اللَّات والعُزَّى ومَناةَ والشِّعْرى وغيرَها من الأصنام.

وخرَّج البغويُّ[٦] بإسنادٍ متَّصلٍ إلى عبد الله قال: أوَّلُ سورةٍ أُنزِلَ فيها السجدة «النجم»، فسجد رسولُ الله ﷺ وسجدَ مَنْ خَلْفَه، إلَّا رجلاً رأيتُه أخذَ كفًّا من تراب فسجد عليه، فرأيتُه بعد ذلك قُتِلَ كافراً، والرجل أمية بن خلف.

---

(١) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩-٢١٠ مع تقديم وتأخير، وقول الطبري بنحوه في تفسيره ٢٢/ ٩٥-٩٦، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٥/ ٧٨.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٥، وتفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٦.

(٣) الأقوال في النكت والعيون ٥/ ٤٠٧ دون قول ابن عباس ﵄ وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩. وقول مجاهد في زاد المسير ٨/ ٨٦، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٩٩.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٥٥، والبزار كما في كشف الأستار (٢٢٦٤)، والطبري ٢٢/ ٩٧، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢٢٣ عن ابن عباس ﵄.

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ٣٥. وأخرجه وكيع في الزهد (٣٦)، وابن أبي شيبة (٣٥٤٩٧)، وهناد في الزهد (٤٧٣)، والثعلبي في تفسيره ٦/ ٣٠ عن صالح أبي الخليل مرفوعاً. وإسناده معضل.
وذكر ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٦١ طريقاً آخر، فقال: ورواه ابن مردويه من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس بإسناد ضعيف.

(٦) في تفسيره ٤/ ٢٥٦. قلت: وهو عند البخاري (٤٨٦٣)، ومسلم (٥٧٦)، وأحمد (٣٦٨٢).

ورُويَ أنَّ المشركين سجدوا مع رسول الله ﷺ[١].

وفي حرف أُبيٍّ وعبد الله: «تضحكون» بغير واو[٢].

وقرأ الحسن: «تُعْجِبون» «تُضْحِكون» بغير واوٍ وبضمِّ التاء وكسر الجيم والحاء.

وفي قوله: ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ حضٌّ على البكاء عند سماع القرآن. والسجود هنا عند كثير من أهل العلم، منهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، ووردت به أحاديثُ صِحاح، وليس يراها مالكٌ هنا[٣]. وعن زيد بن ثابت أنَّه قرأ بها عند رسول الله ﷺ فلَمْ يسجد[٤]. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٧١) من حديث ابن عباس ﵄.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٠.

(٣) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٢٣، والخبر عن عمر ﵁ أخرجه مالك في الموطأ ١/ ٢٠٦.

(٤) أخرجه البخاري (١٠٧٢) و(١٠٧٣)، ومسلم (٥٧٧)، وأحمد (٢١٥٩١). والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢١٠.

# (٥٣) سورة النجم مكية وآياتها اثنتان وستون

روى البخاري، عن عبد الله بن مسعود قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿والنجم﴾، قال: فسجد النبي ﷺ وسجد من خلفه، إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب، فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قُتِل كافراً، وهو أُمية بن خلف[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

قال الشعبي: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق، واختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿والنجم إذا هوى﴾ فقال مجاهد: يعني بالنجم الثريا إذا سقطت مع الفجر، واختاره ابن جرير، وزعم السدي: أنها الزهرة، وقال الضحاك: ﴿والنجم إذا هوى﴾ إذا رمي به الشياطين. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم ۝ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ۝ إنه لقرآن كريم﴾. وقوله تعالى: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة للرسول ﷺ بأنه راشد، تابع للحق ليس بضال، والغاوي: هو العالم بالحق العادل عنه قصداً إلى غيره، فنزه الله رسوله عن مشابهة أهل الضلال، كالنصارى وطرائق اليهود، وهي علم الشيء وكتمانه، والعمل بخلافه، بل هو صلاة الله وسلامه عليه، وما بعثه الله به من الشرع العظيم، في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد، ولهذا قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ أي ما يقول قولاً عن هوى وغرض ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ أي إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موفوراً، من غير زيادة ولا نقصان، كما روى الإمام أحمد، عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق»[2]

(١) أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي، وجاء في بعض الروايات أنه (عتبة بن ربيعة).
(٢) أخرجه أحمد وأبو داود وفي بعض الروايات: بشرٌ يتكلم في الرضى والغضب.

وقال ﷺ: « ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذي لا شك فيه »[1]. وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: « لا أقول إلا حقاً » قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله؟ قال: « إني لا أقول إلا حقاً »[2].

عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾

**يقول تعالى** مخبراً عن عبده ورسوله محمد ﷺ أنه علّمه ﴿ شديد القوى ﴾ وهو جبريل عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿ إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين ﴾. وقال هاهنا: ﴿ ذو مرة ﴾ أي ذو قوة، قاله مجاهد، وقال ابن عباس: ذو منظر حسن، وقال قتادة: ذو خَلْق طويل حسن، ولا منافاة بين القولين فإنه عليه السلام ذو منظر حسن وقوة شديدة، وقد ورد في الحديث الصحيح: « لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مِرّة سوي »، وقوله تعالى ﴿ فاستوى ﴾ يعني جبريل عليه السلام ﴿ وهو بالأفق الأعلى ﴾ يعني جبريل استوى في الأفق الأعلى، قال عكرمة ﴿ الأفق الأعلى ﴾ الذي يأتي منه الصبح، وقال مجاهد: هو مطلع الشمس، قال ابن مسعود: إن رسول الله ﷺ لم ير جبريل في صورته إلا مرتين: أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فسد الأُفق، وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد، فذلك قوله: ﴿ وهو بالأُفق الأعلى ﴾[3]. وهذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء بل قبلها ورسول الله ﷺ في الأرض، فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلى إليه، فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أُخرى عند سدرة المنتهى يعني ليلة الإسراء، وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل عليه السلام أول مرة، فأوحى الله إليه صدر سورة اقرأ، روى الإمام أحمد، عن عبد الله أنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأُفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم »[4].

**وقوله تعالى**: ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ أي فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض، حتى كان بينه وبين محمد ﷺ ﴿ قاب قوسين ﴾ أي بقدرهما إذا مدّا، قاله مجاهد وقتادة. وقوله: ﴿ أو أدنى ﴾ هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه، ونفي ما زاد عليه كقوله تعالى: ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ أي ما هي بألين من الحجارة بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة، وكذا قوله:

---

(١) اخرجه الحافظ البزار.

(٢) أخرجه الإمام أحمد.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٤) انفرد بهذه الرواية الإمام أحمد

﴿ يخشون النـاس كخشية الله أو أشد خشية ﴾ ، وقوله : ﴿ وأرسلنـاه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾ أي ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة أو يزيدون عليها، فهذا تحقيق للمخبر به لا شك، وهكذا هذه الآية ﴿ فكان قـاب قوسين أو أدنى ﴾ وهذا الذي قلنـاه من أن هذا المقترب الداني إنمـا هو جبريل عليه السلام، هو قول عائشـة وابن مسعود وأبي ذر كما سنورد أحاديثهم قريباً إن شاء الله تعالى. وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس أنه قال: « رأى محمد ربه بفؤاده مرتين » فجعل هذه إحداهما، وجاء في حديث الإسراء: « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى » ولهذا قـد تكلم كثير من النـاس في متن هذه الرواية ، فإن صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أُخْرَى، لا أنها تفسير لهذه الآية، فإن هذه كانت ورسول الله ﷺ في الأرض لا ليلة الإسراء، ولهذا قال بعده: ﴿ ولقد رآه نزلة أُخْرَى عند سدرة المنتهى ﴾ فهذه هي ليلة الإسراء والأولى كانت في الأرض، وقال ابن جرير ، قال عبدالله بن مسعود في هذه الآية: ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ قال، قال رسول الله ﷺ : « رأيت جبريل لـه ستمائة جناح »[1]. وروى البخاري، عن الشيباني قال: سألت زراً عن قوله: ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ● فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ قال: حدثنا عبدالله[2] أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح . فعلى ما ذكرناه يكون قوله: ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ معناه فأوحى جبريل إلى عبدالله محمد ما أوحى، أو فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل؛ وكلا المعنيين صحيح، وقوله تعالى: ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ● أفتمارونه على ما يرى ﴾ قال مسلم، عن أبي العالية، عن ابن عباس ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾، ﴿ ولقد رآه نزلة أُخْرَى ﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين ، وقد خالفه ابن مسعود وغيره، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب، وقول البغوي في تفسيره : وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر ، والله أعلم .

وروى الترمذي، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، قلت: أليس الله يقول: ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ ؟ قال: ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى ربه مرتين[3] . وقال أيضاً : لقي ابن عباس كعباً بعرفة فسأله عن شيء فكبّر حتى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم، فقال كعب : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلم موسى مرتين، ورآه محمد مرتين، وقال مسروق : دخلت على عائشة فقلت: هل رأى محمد ربه ؟ فقالت: لقد تكلمت بشيء وقف له شعري، فقلت: رويداً ، ثم قرأت: ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ ، فقالت: أين يذهب بك ؟ إنمـا هو جبريل، من أخبرك أن محمداً رأى ربه، أو كتم شيئاً مما أمر به، أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى: ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ﴾ فقد أعظم على الله الفرية ، ولكنه رأى جبريل؛ لم يره في صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجياد، وله ستمائة جناح قد سد الأفق »[4] . وروى النسائي، عن ابن عباس قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى ، والرؤية لمحمد عليهم السلام ؟ وفي صحيح مسلم، عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) أخرجه ابن جرير ، ورواه البخاري في صحيحه .

(٢) هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الترمذي وقال : حسن غريب .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه .

وسلم هل رأيت ربك؟ فقال: «نورٌ أنّى أراه»؟ وفي رواية: «رأيت نوراً»، وروى ابن أبي حاتم، عن عباد ابن منصور قال: سألت عكرمة عن قوله: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ فقال عكرمة: تريد أن أخبرك أنه قد رآه؟ قلت: نعم، قال: قد رآه، ثم قد رآه، قال: فسألت عنه الحسن، فقال: قد رأى جلاله وعظمته ورداءه»[١]. فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي عزّ وجلّ»، فإنه حديث إسناده على شرط الصحيح، لكنه مختصر من حديث المنام، كما رواه أحمد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني ربي الليلة في أحسن صورة - أحسبه يعني في النوم - فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال، قلت: لا، فوضع يده بين كتفيَّ حتى وجدت بردها بين ثديي - أو قال نحري - فعلمت ما في السماوات وما في الأرض، ثم قال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال، قلت: نعم، يختصمون في الكفارات والدرجات، قال: وما الكفارات؟ قال، قلت: المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإبلاغ الوضوء في المكاره، من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه. وقال: قل يا محمد إذا صليت: اللهم اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك: فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون، وقال: والدرجات، بذل الطعام وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام»[٢].

وقوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أُخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى﴾ هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلة الإسراء، روى الإمام أحمد، عن عامر قال: أتى مسروق عائشة فقال: يا أم المؤمنين هل رأى محمد ﷺ ربه عزّ وجلّ؟ قالت: سبحان الله لقد قفّ شعري لما قلت! أين أنت من ثلاث، من حدثكهن فقد كذب؟ من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾، ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾، ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد، فقد كذب، ثم قرأت ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام﴾ الآية، ومن أخبرك أن محمداً قد كتم فقد كذب، ثم قرأت ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾، ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين[٣]. وروى الإمام أحمد أيضاً عن مسروق قال: كنت عند عائشة فقلت أليس الله يقول ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾، ﴿ولقد رآه نزلة أُخرى﴾ فقالت: أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله ﷺ عنها فقال: إنما ذاك جبريل» لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين، رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض»[٤].

وقال مجاهد في قوله: ﴿ولقد رآه نزلة أُخرى﴾ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته مرتين، وقوله تعالى: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ قد تقدم في أحاديث الإسراء أنه غشيتها الملائكة مثل الغربان، وغشيها نور

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الإمام أحمد.

(٣) أخرجه أحمد في المسند.

(٤) أخرجه الشيخان والإمام أحمد.

الرب، وغشيها ألوان ما أدري ما هي . روى الإمام أحمد ، عن عبدالله بن مسعود قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السابعة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، ﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ قال: فراش من ذهب، قال: وأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً : أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته المقحمات[1] . وعن مجاهد قال: كان أغصان السدرة لؤلؤاً وياقوتاً وزبرجداً، فرآها محمد ﷺ ورأى ربه بقلبه، وقال ابن زيد: قيل يا رسول الله أي شيء رأيت يغشى تلك السدرة؟ قال: « رأيت يغشاها فراش من ذهب، ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح الله عزّ وجلّ » . وقوله تعالى: ﴿ ما زاغ البصر ﴾ قال ابن عباس: ما ذهب يميناً ولا شمالاً، ﴿ وما طغى ﴾ ما جاوز ما أمر به، ولا سأل فوق ما أعطي، وما أحسن ما قال الناظم:

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو رأى غيره ما قد رآه لتاها

وقوله تعالى: ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ كقوله: ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ أي الدالة على قدرتنا وعظمتنا .

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ * وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾

**يقول تعالى** مقرعاً للمشركين في عبادتهم الأصنام والأوثان، واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن، ﴿ أفرأيتم اللات ﴾ ؟ وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة، عليها بيت بالطائف، له أستار وسدنة، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش، قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا: اللات يعنون مؤنثة منه، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ اللات والعزى ﴾ قال: كان اللات رجلاً يلت السويق سويق الحاج[2] ، قال ابن جرير: وكذا العزى من العزيز وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة وهي بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أُحُد: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ : « قولوا الله مولانا ولا مولى لكم »، وروى البخاري، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ : « من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق »[3] ، فهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك كما كانت ألسنتهم قد اعتادته من زمن الجاهلية، كما قال النسائي، وأما مناة فكانت بالمشلل بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها

(١) أخرجه مسلم والإمام أحمد .
(٢) أخرجه البخاري .
(٣) أخرجه البخاري أيضاً .

يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة ، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها، قال ابن إسحاق: كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهي بيوت تعظمها ، كتعظيم الكعبة ، لها سدنة وحجاب تطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها، فكانت لقريش ولبني كنانة ( العزى ) بنخلة، وكان سدنتها وحجابها ( بني شيبان ) من سليم حلفاء بني هاشم، قلت: بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدمها وجعل يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك    إني رأيت الله قد أهانك

ولهذا قال تعالى: ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ ؟ ثم قال تعالى: ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى﴾ ؟ أي أتجعلون له ولداً وتجعلون ولده أنثى، وتختارون لأنفسكم الذكر ، فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت ﴿ قسمة ضيزى﴾ أي جوراً باطلة، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة، التي لو كانت بين مخلوقين كانت جوراً وسفهاً ؟

ثم قال تعالى منكراً عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة ﴿ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ أي من تلقاء أنفسكم ﴿ ما أنزل الله بها من سلطان﴾ أي من حجة ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ أي ليس له مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم، الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم وتعظيم آبائهم الأقدمين، ﴿ ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ أي ولقد أرسل الله إليهم الرسل، بالحق المنير والحجة القاطعة ، ومع هذا ما اتبعوا ما جاءهم به ولا انقادوا له، ثم قال تعالى: ﴿ أم للإنسان ما تمنى﴾ أي ليس كل من تمنى خيراً حصل له ، ﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾ ولا كل من ود شيئاً يحصل له، كما روي : « إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى فإنه لا يدري ما يكتب له من أمنيته »[1] . وقوله: ﴿ فلله الآخرة والأولى﴾ أي إنما الأمر كله لله، مالك الدنيا والآخرة والمتصرف فيهما ، وقوله تعالى: ﴿ وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾، كقوله: ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ ، ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون – أيها الجاهلون – شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله ؟ وهو تعالى لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها ؟

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾

يقول تعالى منكراً على المشركين ، في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى، وجعلهم لها أنها بنات الله ، تعالى الله عن ذلك ، كما قال الله تعالى: ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ؟ ستكتب شهادتهم ويسألون﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿ وما لهم به من علم﴾ أي ليس لهم علم صحيح يصدق ما قالوه ، بل هو كذب وزور

(١) تفرد به الإمام أحمد .

وافتراء وكفر شنيع، ﴿إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ أي لا يجدي شيئاً ولا يقوم أبداً مقام الحق، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»، وقوله تعالى: ﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا﴾ أي أعرض عن الذي أعرض عن الحق واهجره، وقوله: ﴿ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ أي وإنما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا، فذاك هو غاية ما لا خير فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ أي طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه، وقد روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له»[1]، وفي الدعاء المأثور: «اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا»، وقوله تعالى: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ أي هو الخالق لجميع المخلوقات، والعالم بمصالح عباده، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته.

* وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾

يخبر **تعالى** أنه مالك السماوات والأرض، وأنه الغني عما سواه، الحاكم في خلقه بالعدل، وخلق الخلق بالحق ﴿ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ أي يجازى كلاً بعمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، أي لا يتعاطون المحرمات الكبائر، وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم كما قال في الآية الأُخْرى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾، وقال ههنا: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾، وهذا استثناء منقطع لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال. عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنَّفْس تمنّى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»[1]. وقال عبد الرحمن ابن نافع: سألت أبا هريرة عن قول الله: ﴿إلا اللمم﴾، قال: القُبْلة، والغمزة، والنظرة، والمباشرة، فإذا مس الختان الختان، فقد وجب الغسل وهو الزنا، وقال ابن عباس: ﴿إلا اللمم﴾ إلا ما سلف، وكذا قال زيد بن أسلم، وروى ابن جرير، عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: ﴿إلا اللمم﴾ قال: الذي يلم بالذنب ثم يدعه، قال الشاعر:

إن تغفر اللهم تغفر جماً وأيّ عبد لك ما ألما؟

وعن الحسن في قول الله تعالى: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾ قال: اللمم من الزنا، أو السرقة، أو شرب الخمر ثم لا يعود، وروى ابن جرير، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿إلا اللمم﴾ يلم بها في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ورواه الشيخان أيضاً.

الحين. قلت: الزنا؟ قال: الزنا ثم يتوب. وعنه قال: اللمم الذي يلم المرة، وقال السدي، قال أبو صالح: سئلت عن اللمم، فقلت: هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب، وأخبرت بذلك ابن عباس فقال: لقد أعانك عليها ملك كريم.

وقوله تعالى: ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ أي رحمته وسعت كل شيء، ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها، كقوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾. وقوله تعالى: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾ أي هو بصير بكم، عليم بأحوالكم وأفعالكم، حين أنشأ أباكم آدم من الأرض، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر، ثم قسمهم فريقين: فريقاً للجنة وفريقاً للسعير، وكذا قوله: ﴿وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم﴾ قد كتب الملك الذي يوكل به رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد. وقوله تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ أي تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾، كما قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾ الآية. روى مسلم في صحيحه، عن محمد بن عمرو ابن عطاء قال: سميت ابنتي برة، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم، وسميت برة، فقال رسول الله ﷺ: «لا تزكوا أنفسكم إن الله أعلم بأهل البر منكم»، فقالوا: بم نسميها؟ قال: «سموها زينب»[1]. وقد ثبت أيضاً، عن أبي بكرة قال: مدح رجل رجلاً عند النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ويلك قطعت عنق صاحبك - مراراً - إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل أحسب فلاناً والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً، أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك»[2]. وروى الإمام أحمد، عن همام بن الحارث قال: جاء رجل إلى عثمان فأثنى عليه في وجهه، قال: فجعل المقداد بن الأسود يحثو في وجهه التراب، ويقول: أمرنا رسول الله ﷺ إذا لقينا المداحين أن نحثو في وجوههم التراب[3].

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ
مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ
سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذاماً لمن تولى عن طاعة الله ﴿فلا صدق ولا صلى ۝ ولكن كذب وتولى﴾، ﴿وأعطى قليلاً وأكدى﴾ قال ابن عباس: أطاع قليلاً ثم قطعه، قال عكرمة: كمثل القوم إذا كانوا يحفرون بئراً فيجدون في أثناء الحفر صخرة تمنعهم من تمام العمل، فيقولون: أكدينا ويتركون العمل، وقوله تعالى: ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾؟ أي أعند هذا الذي أمسك يده خشية الإنفاق، وقطع معروفه، أعنده علم الغيب أنه سينفد ما في يده حتى أمسك عن معروفه فهو يرى ذلك عياناً؟ أي ليس الأمر كذلك، وإنما أمسك عن الصدقة والبر والصلة بخلاً

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.
(٢) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجة.
(٣) أخرجه مسلم وأبو داود والإمام أحمد.

وشحاً وهلعاً، ولهذا جاء في الحديث: « أنفق بلالاً، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً »[١]، وقد قال الله تعالى: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾، وقوله تعالى: ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفّى﴾؟ أي بلّغ جميع ما أمر به، قال ابن عباس: ﴿وفّى﴾ لله بالبلاغ، وقال سعيد بن جبير: ﴿وفّى﴾ ما أمر به، وقال قتادة: ﴿وفّى﴾ طاعة الله وأدى رسالته إلى خلقه، وهذا القول هو اختيار ابن جرير وهو يشمل الذي قبله، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إمامًا﴾ فقام بجميع الأوامر، وترك جميع النواهي، وبلغ الرسالة على التمام والكمال، فاستحق بهذا أن يكون للناس إماماً يقتدى به. قال الله تعالى: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾. روى ابن حاتم، عن أبي أمامة قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿وإبراهيم الذي وفّى﴾ قال: « أتدري ما وفّى؟ » قلت: الله ورسوله أعلم، قال: « وفّى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار ». وعن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « ألا أخبركم لم سمى الله تعالى إبراهيم خليله الذي وفّى؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ » حتى ختم الآية[٢].

ثم شرع تعالى يبيّن ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال: ﴿أن لا تزر وازرة وزر أُخرَى﴾ أي كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب، فإنما عليها وزرها لا يحمله عنها أحد، كما قال: ﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾، ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ أي كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله، أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما، وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به » فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله، كما جاء في الحديث: « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه »، والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى: ﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ الآية، والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضاً من سعيه وعمله، وثبت في الصحيح: « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً »، وقوله تعالى: ﴿وأن سعيه سوف يرى﴾ أي يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾، فيجزيكم عليه أتم الجزاء إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وهكذا قال ههنا ﴿ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ أي الأوفر.

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير.

وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾

**يقول تعالى**: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ أي المعاد يوم القيامة، عن عمرو بن ميمون الأودي قال: قام فينا معاذ بن جبل فقال: يا بني أود ! إني رسول رسول الله ﷺ إليكم، تعلمون أن المعاد إلى الله، إلى الجنة أو إلى النار[1]، وذكر البغوي، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ قال: «لا فكرة في الرب»، وفي الصحيح: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته». وفي الحديث الذي في السنن: «تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله، فإن الله تعالى خلق ملكاً ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة ثلاثمائة سنة» أو كما قال، وقوله تعالى: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ أي خلق الضحك والبكاء وهما مختلفان ﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾، كقوله ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾، ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تمنى﴾، كقوله: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنى﴾؟ وقوله تعالى: ﴿وأن عليه النشأة الأخرى﴾، أي كما خلق البداءة هو قادر على الإعادة، وهي النشأة الآخرة يوم القيامة ﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾ أي ملّك عباده المال وجعله لهم (قنية) مقيماً عندهم لا يحتاجون إلى بيعه، فهذا تمام النعمة عليهم، وعن مجاهد ﴿أغنى﴾ موّل ﴿وأقنى﴾ أخدم، وقال ابن عباس ﴿أغنى﴾: أعطى، ﴿وأقنى﴾: رضّى، وقوله: ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ قال ابن عباس: هو هذا النجم الوقاد الذي يقال له مرزم الجوزاء، كانت طائفة من العرب يعبدونه، ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ وهم قوم (هود) ويُقال لهم (عاد بن إرم)، كما قال تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾؟ فكانوا من أشد الناس وأقواهم، وأعتاهم على الله تعالى وعلى رسوله فأهلكهم الله ﴿بريح صرصر عاتية﴾، وقوله تعالى: ﴿وثمود فما أبقى﴾ أي دمرهم فلم يبق منهم أحداً، ﴿وقوم نوح من قبل﴾ أي من قبل هؤلاء ﴿إنهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾ أي أشد تمرداً من الذين بعدهم، ﴿والمؤتفكة أهوى﴾ يعني مدائن لوط قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود، ولهذا قال: ﴿فغشاها ما غشى﴾ يعني من الحجارة التي أرسلها عليهم ﴿فبأي آلاء ربك تتمارى﴾؟ أي ففي أي نعم الله عليك أيها الإنسان تمتري قاله قتادة، وقال ابن جريج: ﴿فبأي آلاء ربك تتمارى﴾؟ يا محمد، والأول أولى وهو اختيار ابن جرير.

هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾ ۩

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

﴿ هذا نذير ﴾ يعني محمداً ﷺ ، ﴿ من النذر الأولى ﴾ أي من جنسهم أرسل كما أرسلوا، كما قال تعالى: ﴿ قل ما كنت بدعاً من الرسل ﴾، ﴿ أزفت الآزفة ﴾ أي اقتربت القريبة وهي القيامة، ﴿ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ أي لا يدفعها إذاً من دون الله أحـد، ولا يطلع على علمها سواه، و ﴿ النذير ﴾ الحذر لما يعاين من الشر، الذي يخشى وقوعه فيمن أنذرهم، وفي الحديث: « أنا النذير العريان » أي الذي أعجله شدة ما عاين من الشر عن أن يلبس عليه شيئاً، بل بادر إلى إنذار قومه قبل ذلك، فجاءهم عرياناً مسرعاً وهو مناسب لقوله: ﴿ أزفت الآزفة ﴾ أي اقتربت القريبة يعني يوم القيامة، قال ﷺ: « مثلي ومثل الساعة كهاتين » وفرّق بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام. ثم قال تعالى منكراً على المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون ﴾ ؟ من أن يكون صحيحاً، ﴿ وتضحكون ﴾ منه استهزاء وسخرية، ﴿ ولا تبكون ﴾ أي كما يفعـل الموقنون به كما أخبر عنهم، ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وأنتم سامدون ﴾ قال ابن عباس ﴿ سامدون ﴾ معرضون، وكذا قال مجاهد وعكرمة، وقال الحسن: غافلون، وهو رواية عن علي ابن أبي طالب، وفي رواية عن ابن عباس: تستكبرون، وبه يقول السدي[1]. ثم قال تعالى آمراً لعباده بالسجود له والعبادة: ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾، أي فاخضعوا له وأخلصوا ووحِّدوه. روى البخاري عن ابن عباس قال: سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس[2].

**[ آخر تفسير سورة النجم ، ولله الحمد والمنة ]**

* * *

(١) في اللباب: وأخرج ابن أبي حاتم: كانوا يمرون على الرسول وهو يصلي شامخين فنزلت ﴿ وأنتم سامدون ﴾.

(٢) انفرد به البخاري دون مسلم.

# تفسير سورة النَّجم

وهى مكية.

قال البخارى: حدثنا نصر بن على، أخبرنى أبو أحمد، حدثنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله قال: أولُ سورة أنزلت فيها سَجْدَة: ﴿ والنَّجم﴾، قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه، إلا رجلا رأيته أخذ كفاً من تُرَاب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قُتِل كافراً، وهو أمية بن خَلَف[١].

وقد رواه البخارى أيضا فى مواضع، ومسلم وأبو داود والنسائى، من طرق، عن أبى إسحاق، به[٢]. وقوله فى الممتنع: إنه أمية بن خلف فى هذه الرواية مشكل، فإنه قد جاء من غير هذه الطريق أنه عتبة بن ربيعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾.

قال الشعبى وغيره: الخالق يُقسِم بما شاء من خَلْقه، والمخلوق لا ينبغى له أن يقسم إلا بالخالق. رواه ابن أبى حاتم.

واختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ فقال ابن أبى نَجيح، عن مجاهد: يعنى بالنجم: الثُّرَيَّا إذا سقطت مع الفجر. وكذا رُوى عن ابن عباس، وسفيان الثورى. واختاره ابن جرير. وزعم السدى أنها الزهرة.

وقال الضحاك: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾: إذا رُمى به الشياطين. وهذا القول له اتجاه.

وروى الأعمش، عن مجاهد فى قوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ يعني: القرآن إذا نزل. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ .لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ .تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٨٠].

وقوله: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾: هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة للرسول، صلوات الله وسلامه عليه، بأنه بار راشد تابع للحق، ليس بضال، وهو: الجاهل الذى يسلك على غير طريق

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٨٦٣).

(٢) صحيح البخارى برقم (١٠٧٠، ٣٨٥٣، ٣٩٧٢) وصحيح مسلم برقم (٥٧٦) وسنن أبى داود برقم (١٤٠٦) وسنن النسائى (٢/ ١٦٠).

بغير علم، والغاوى: هو العالم بالحق العادل عنه قصداً إلى غيره، فنزه الله [سبحانه وتعالى][(١)] رسوله وشَرْعَه عن مشابهة أهل[(٢)] الضلال كالنصارى وطرائق اليهود، وعن[(٣)] علم الشىء وكتمانه والعمل بخلافه، بل هو، صلوات الله وسلامه عليه، وما بعثه الله به من الشرع العظيم فى غاية الاستقامة والاعتدال والسداد؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أى: ما يقول قولا عن هوى وغرض، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ أى: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملا موفَّراً من غير زيادة ولا نقصان، كما رواه الإمام أحمد.

حدثنا يزيد، حدثنا حَرِيز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن مَيْسَرَة، عن أبى أمامة؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليدخلنّ الجنة بشفاعة رجل ليس بنبى مثلُ الحيين ـ أو: مثل أحد الحيين ـ: رَبِيعة ومُضَر». فقال رجل: يا رسول الله، أو ما ربيعة من مضر؟ قال: «إنما أقول ما أقول»[(٤)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، عن عُبَيد الله بن الأخنس، أخبرنا الوليد بن عبد الله، عن يوسف بن مَاهَك، عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتنى قريش فقالوا: إنك تكتب كل شىء تسمعه من رسول الله، ورسول الله ﷺ بشر، يتكلم فى الغضب. فأمسكتُ عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «اكتب، فوالذى نفسى بيده، ما خرج منى إلا حق».

ورواه أبو داود عن مُسَدَّد وأبى بكر بن أبى شيبة، كلاهما عن يحيى بن سعيد القَطَّان، به[(٥)].

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث، عن ابن عَجْلان، عن زيد بن أسلم، عن أبى صالح، عن أبى هُرَيرة، عن النبى ﷺ قال: «ما أخبرتكم أنه الذى من عند الله، فهو الذى لا شَكّ فيه». ثم قال: لا نعلمه يُروَى إلا بهذا الإسناد[(٦)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا ليث، عن محمد، عن سعيد بن أبى سعيد، عن أبى هريرة، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «لا أقول إلا حقا». قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله؟ قال: «إنى لا أقول إلا حقا»[(٧)].

**﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا**

---

(١) زيادة من م. (٢) فى م: «أصحاب». (٣) فى م: «وهى».

(٤) المسند (٥/ ٢٥٧) وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٣٨١): «رجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ميسرة وهو ثقة».

(٥) المسند (٢/ ١٦٢) وسنن أبى داود برقم (٣٦٤٦).

(٦) مسند البزار برقم (٢٠٣) «كشف الأستار» وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ١٧٩): «فيه أحمد بن منصور الرمادى وهو ثقة، وفيه كلام لا يضر وبقية رجاله رجال الصحيح، وعبد الله بن صالح مختلف فيه».

(٧) المسند (٢/ ٣٤٠) ورواه الترمذى فى السنن برقم (١٩٩٠) من طريق المقبرى به وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

**رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨)﴾** .

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله محمد ﷺ أنه علَّمه الذى جاء به إلى الناس ﴿**شَدِيدُ الْقُوَىٰ**﴾، وهو جبريل، عليه السلام، كما قال: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ .مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢١].

وقال هاهنا: ﴿**ذُو مِرَّةٍ**﴾ أى: ذو قوة. قاله مجاهد، والحسن، وابن زيد. وقال ابن عباس: ذو منظر حسن.

وقال قتادة: ذو خَلْق طويل حسن.

ولا منافاة بين القولين؛ فإنه، عليه السلام، ذو منظر حسن، وقوة شديدة. وقد ورد الحديث الصحيح من رواية أبى هريرة وابن عمرو[1] أن النبى ﷺ قال: «لا تحل الصدقة لغنىٍّ، ولا لِذِى مِرّة سَوِىّ»[2] .

وقوله: ﴿**فَاسْتَوَىٰ**﴾ يعنى: جبريل، عليه السلام. قاله مجاهد والحسن وقتادة، والربيع بن أنس ﴿**وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ**﴾ يعنى: جبريل، استوى فى الأفق الأعلى. قاله عكرمة وغير واحد.قال عكرمة: والأفق الأعلى: الذى يأتى منه الصبح. وقال مجاهد: هو مطلع الشمس. وقال قتادة: هو الذى يأتى منه النهار. وكذا قال ابن زيد، وغيرهم.

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا مُصَرِّف بن عمرو اليامى أبو القاسم، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مصرف، حدثنى أبى، عن الوليد ـ هو ابن قيس ـ عن إسحاق بن أبى الكَهْتَلَة أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل فى صورته إلا مرتين، أما واحدة فإنه سأله أن يراه فى صورته فسد الأفق. وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد، فذلك[3] قوله: ﴿**وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ**﴾.

وقد قال ابن جرير هاهنا قولا لم أره لغيره، ولا حكاه هو عن أحد، وحاصله: أنه ذهب إلى أن المعنى: ﴿**فَاسْتَوَىٰ**﴾ أى: هذا الشديد القوى ذو المرة هو ومحمد صلى الله عليهما وسلم ﴿**بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ**﴾ أى: استويا جميعا بالأفق، وذلك ليلة الإسراء كذا قال، ولم يوافقه أحد على ذلك. ثم

(١) فى م: «ابن عمرو وأبى هريرة».

(٢) حديث عبد الله بن عمرو: رواه أبو داود فى السنن برقم (١٦٣٤) والترمذى فى السنن برقم (٦٥٢) عن ريحان بن يزيد عنه وحديث أبى هريرة: رواه النسائى فى السنن (٥/ ٩٩) وبن ماجه فى السنن برقم (١٨٣٩) عن سالم بن أبى الجعد عنه.

(٣) فى م: «فكذلك».

شرع يوجه ما قال من حيث العربية فقال: وهذا كقوله تعالى: ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا﴾ [النمل: ٦٧]، فعطف بالآباء على المكنّى فى ﴿كنا﴾ من غير إظهار «نحن»، فكذلك قوله: ﴿فَاسْتَوَىٰ. وَهُوَ﴾ قال: وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشده:

ألم تَرَ أنّ النبعَ يَصْلُبُ عُودُه ولا يَسْتَوى والخِرْوعُ المُتقصِّفُ[1]

وهذا الذى قاله من جهة العربية متجه، ولكن لا يساعده المعنى على ذلك؛ فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء، بل قبلها، ورسولُ الله ﷺ فى الأرض، فهبط عليه جبريل، عليه السلام، وتدلى إليه، فاقترب منه وهو على الصورة التى خلقه الله عليها، له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، يعنى ليلة الإسراء، وكانت هذه الرؤية الأولى فى أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل، عليه السلام، أول مرة، فأوحى الله إليه صدر سورة «اقرأ»، ثم فتر الوحى فترة ذهب النبى ﷺ فيها مرارا ليتردى من رؤوس الجبال، فكلما هَمّ بذلك ناداه جبريل من الهواء: «يا محمد، أنت رسول الله حقا، وأنا جبريل». فيسكن لذلك جأشه، وتقر عينه، وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها، حتى تَبَدّى له جبريل ورسول الله ﷺ فى الأبطح فى صورته التى خلقه الله عليها، له ستمائة جناح قد سد عُظْم خلقه الأفق، فاقترب منه[2]، وأوحى إليه عن الله، عز وجل، ما أمره به، فعرف عند ذلك عظمة المَلَك الذى جاءه بالرسالة، وجلالة قَدْره، وعلوّ مكانته عند خالقه الذى بعثه إليه. فأما الحديث الذى رواه الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حيث قال:

حدثنا سلمة بن شَبِيب، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا الحارث بن عبيد، عن أبى عمران الجَوْنى، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا قاعد إذ جاء جبريل، عليه السلام، فوكَز بين كتفى، فقمت إلى شجرة فيها كَوَكْرَى الطير، فقعد فى أحدهما وقعدت فى الآخر. فَسَمَت وارتفعت حتى سَدّت الخافقين وأنا أقلب طرفى، ولو شئت أن أمس السماء لمسست، فالتفت إلى جبريل كأنه حلْس لاط[3] فعرفتُ فضل علْمه بالله علىّ. وفُتِح لى بابٌ من أبواب السماء ورأيت النور الأعظم، وإذا دونَ الحجاب رفرفة الدر والياقوت. وأوحى إلىّ ما شاء الله أن يوحى».

ثم قال البزار: لا يرويه إلا الحارث بن عبيد، وكان رجلا مشهورا من أهل البصرة[4].

قلت: الحارث بن عُبَيد هذا هو أبو قدامة الإيادى، أخرج له مسلم فى صحيحه إلا أن ابن معين ضعَّفه، وقال: ليس هو بشىء. وقال الإمام أحمد: مضطرب الحديث. وقال أبو حاتم الرازى: كتب حديثه ولا يحتج به. وقال ابن حبان: كثُر وَهَمه فلا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد. فهذا الحديث من غرائب رواياته، فإن فيه نكارة وغرابة ألفاظ وسياقاً عجيبا، ولعله منام، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا شريك، عن عاصم، عن أبى وائل، عن عبد الله

---

(١) البيت فى تفسير الطبرى (٢٧/ ٢٥) وهو لجرير بن عطية.
(٢) فى م: «وأقرب منه». (٣) فى م: «لاطى».
(٤) مسند البزار برقم (٥٨).

قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل فى صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سَدّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم[(١)]. انفرد به أحمد[(٢)].

وقال أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن إدريس بن مُنَبِّه، عن وهب بن منبه، عن ابن عباس قال: سأل النبى ﷺ جبريل أن يراه فى صورته، فقال: ادع ربك. فدعا ربه، عز وجل، فطلع عليه سواد من قبل المشرق، فجعل يرتفع وينتشر، فلما رآه النبى ﷺ صعِق، فأتاه فَنَعَشَه ومسح البزاق عن شِدْقه.

انفرد به أحمد[(٣)]. وقد رواه ابن عساكر فى ترجمة «عتبة بن أبى لهب»، من طريق محمد بن إسحاق، عن عثمان بن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن هَبَّار بن الأسود قال: كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام، فتجهزت معهما، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقن إلى محمد ولأوذينه فى ربه، سبحانه، فانطلق حتى أتى النبى ﷺ، فقال: يا محمد، هو يكفر بالذى دنى فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى. فقال النبى ﷺ: «اللهم ابعث إليه كلبا من كلابك». ثم انصرف عنه فرجع إلى أبيه فقال: يا بنى، ما قلت له؟ فذكر له ما قال له، قال: فما قال لك؟ قال: قال: «اللهم سلط عليه كلبا من كلابك» قال: يا بنى، والله ما آمنُ عليك دُعاءه فسرنا حتى نزلنا الشراة، وهى مأسَدَة، ونزلنا إلى صَوْمَعَة راهب، فقال الراهب: يا معشر العرب، ما أنزلكم هذه البلاد، فإنها تسرح الأُسْدُ فيها كما تسرح الغنم؟ فقال لنا أبو لهب: إنكم قد عرفتم كبر سنى وحقى، وإن هذا الرجل قد دعا على ابنى دعوةً ـ والله ـ ما آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة، وافرشوا لابنى عليها، ثم افرشوا حولها. ففعلنا، فجاء الأسد فَشَمّ وجوهنا، فلما لم يجد ما يريد تَقَبّض، فوثب، فإذا هو فوق المتاع، فشم وجهه ثم هزمه هَزْمة فَفَضخ رأسه. فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا ينفلت عن دعوة محمد[(٤)].

وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ أى: فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض، حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قاب قوسين، أى: بقدرهما إذا مُدّا. قاله[(٥)] مجاهد، وقتادة.

وقد قيل: إن المراد بذلك بُعدُ ما بين وتر القوس إلى كبدها.

وقوله: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾، قد تقدم أن هذه الصيغة تستعمل فى اللغة لإثبات المخبر عنه ونفى ما زاد عليه، كقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، أى: ما هى بألين من الحجارة، بل هى مثلها أو تزيد عليها فى الشدة والقسوة. وكذا قوله: ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧]، وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:

---

(١) فى أ: «أعلم».
(٢) المسند (١/ ٣٩٥).
(٣) المسند (١/ ٣٢٢).
(٤) لم أجد ترجمة عتبة بن أبى لهب فى تاريخ دمشق المخطوط ولا فى مختصره لابن منظور.
وقد روى الأثر أبو نعيم فى دلائل النبوة ص (٣٨٩) من طريق محمد بن إسحاق به.
(٥) فى م: «قال».

١٤٧]، أي: ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة، أو يزيدون عليها. فهذا تحقيق للمخبر به لا شك ولا تردد[١]، فإن هذا ممتنع هاهنا، وهكذا هذه الآية: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾.

وهذا الذى قلناه، من أن هذا المقترب الدانى الذى صار بينه وبين محمد ﷺ، إنما هو جبريل، عليه السلام، هو قول أم المؤمنين عائشة، وابن مسعود، وأبى ذر، وأبى هريرة، كما سنورد أحاديثهم قريبا إن شاء الله. وروى مسلم فى صحيحه، عن ابن عباس أنه قال: «رأى محمد ربه بفؤاده مرتين»[٢]. فجعل هذه إحداهما. وجاء فى حديث شريك بن أبى نمر، عن أنس فى حديث الإسراء: «ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى» ولهذا تكلم[٣] كثير من الناس فى متن هذه الرواية، وذكروا أشياء فيها من الغرابة، فإن صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى، لا أنها تفسير لهذه الآية؛ فإن هذه كانت ورسول الله ﷺ فى الأرض لا ليلة الإسراء؛ ولهذا قال بعده: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾، فهذه هى ليلة الإسراء، والأولى كانت فى الأرض.

وقد قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا سليمان الشيبانى، حدثنا زر بن حبيش قال: قال عبد الله بن مسعود فى هذه الآية: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل له ستمائة جناح»[٤].

وقال ابن وهب: حدثنا ابن لَهِيعة، عن أبى الأسود، عن عُرْوَة، عن عائشة قالت: كان أولَ شأن رسول الله ﷺ أنه رأى فى منامه جبريل بأجياد، ثم إنه خرج ليقضى حاجته فصرخ به جبريل: يا محمد، يا محمد. فنظر رسول الله ﷺ يمينا وشمالا فلم ير شيئاً[٥] ـ ثلاثاً ـ ثم رفع بصره فإذا هو ثان إحدى رجليه مع[٦] الأخرى على أفق السماء فقال: يا محمد، جبريل، جبريلُ ـ يُسكّنه ـ فهرب النبى ﷺ حتى دخل فى الناس، فنظر فلم ير شيئا، ثم خرج من الناس، ثم نظر فرآه، فدخل فى الناس فلم ير شيئاً، ثم خرج فنظر فرآه، فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . [مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ][٧]﴾، إلى قوله: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾، يعنى جبريل إلى محمد، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾: ويقولون: القاب نصف الإصبع. وقال بعضهم: ذراعين كان بينهما.

رواه ابن جرير وابن أبى حاتم، من حديث ابن وهب[٨]. وفى حديث الزهرى عن أبى سلمة، عن جابر شاهد لهذا.

وروى البخارى عن طَلْق بن غنام، عن زائدة، عن الشيبانى قال: سألت زراً عن قوله: ﴿ فَكَانَ

(١) فى م، أ: «ولا ترديد».
(٢) صحيح مسلم برقم (١٧٦).
(٣) فى م: «ولهذا قد تكلم».
(٤) تفسير الطبرى (٢٧/٢٧).
(٥) فى م: «أحداً».
(٦) فى م، أ: «على».
(٧) زيادة من م.
(٨) تفسير الطبرى (٢٧/٢٧).

قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ قال: حدثنا عبد الله أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح[(١)].

وقال ابن جرير: حدثنى ابن بَزِيع البغدادى، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حلتا[(٢)] رفرف، قد ملأ ما بين السماء والأرض[(٣)].

فعلى ما ذكرناه يكون قوله: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ معناه: فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى. أو: فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل وكلا المعنيين صحيح، وقد ذُكر عن سعيد بن جبير فى قوله: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾، قال: أوحى إليه: «ألم أجدك يتيما»، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[الشرح: ٤].

وقال غيره: أوحى [الله][(٤)] إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك.

وقوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾: قال مسلم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وَكيع، حدثنا الأعمش، عن زياد بن حُصَين، عن أبى العالية، عن ابن عباس: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين[(٥)].

وكذا رواه سِماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، مثله. وكذا قال أبو صالح والسّدى وغيرهما: إنه رآه بفؤاده مرتين [أو مرة][(٦)]، وقد خالفه ابن مسعود وغيره[(٧)]، وفى رواية عنه أنه أطلق الرؤية، وهى محمولة على المقيدة بالفؤاد. ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب، فإنه لا يصح فى ذلك شىء عن الصحابة، رضى الله عنهم، وقولُ البغوى فى تفسيره: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسنُ وعكرمة. فيه نظر، والله أعلم[(٨)].

وقال الترمذى: حدثنا محمد بن عمرو بن نَبْهان[(٩)] بن صفوان، حدثنا يحيى بن كثير العنبرى، عن سَلْم بن جعفر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه قلت: أليس الله يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾؟ [الأنعام: ١٠٣] قال: ويحك! ذاك إذا تَجلى بنوره الذى هو نُورُه، وقد رأى ربه مرتين.

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٨٥٧).
(٢) فى م، أ: «ليا».
(٣) تفسير الطبرى (٢٧/ ٢٩).
(٤) زيادة من أ.
(٥) صحيح مسلم برقم (١٧٦).
(٦) زيادة من م .
(٧) فى م: «ابن عمرو عنه».
(٨) انظر تفسير البغوى (٧/ ٤٠٣).
(٩) فى م: «منهال».

ثم قال: حسن غريب(١).

وقال أيضا: حدثنا ابن أبى عمر، حدثنا سفيان، عن مجالد، عن الشعبى قال: لقى ابن عباس كعباً بعرفة، فسأله عن شىء فكَبَّر حتى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين. وقال مسروق: دخلتُ على عائشة فقلت: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد تكلمت بشىء قَفّ له شعرى. فقلت: رُوَيداً، ثم قرأتُ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾.

فقالت: أين يُذهَبُ بك؟ إنما هو جبريل، من أخبرك أن محمدا رأى ربه أو كتم شيئا مما أُمرَ به، أو يعلم الخمس التى قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، فقد أعظم الفرية(٢)، ولكنه رأى جبريل، لم يره فى صورته إلا مرتين، مرة عند سدرة المنتهى ومرة فى جياد(٣)، وله ستمائة جناح قد سد الأفق(٤).

وقال النسائى: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنى أبى، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أتعجبون أن تكون الخُلَّة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد، عليهم السلام؟!(٥).

وفى صحيح مسلم، عن أبى ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هل رأيتَ ربك؟ فقال: «نور أنى أراه». وفى رواية: «رأيت نورا»(٦).

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، عن موسى بن عُبيدةَ، عن محمد ابن كعب قال: قالوا: يا رسول الله، رأيت(٧) ربك؟ قال: «رأيته بفؤادى مرتين» ثم قرأ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾.

ورواه ابنُ جرير، عن ابن حُمَيد، عن مِهْرَان، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب، عن بعض أصحاب النبى ﷺ قال: قلنا: يا رسول الله، هل رأيت ربك؟ قال: «لم أره بعينى، ورأيته بفؤادى مرتين» ثم تلا: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾(٨).

---

(١) سنن الترمذى برقم (٣٢٧٩).
(٢) فى م: «أعظم على الله الفرية».
(٣) فى م: «أجنادين».
(٤) سنن الترمذى برقم (٣٢٧٨).
(٥) النسائى فى السنن الكبرى برقم (١١٥٣٩).
(٦) صحيح مسلم برقم (١٧٨).
(٧) فى أ: «هل رأيت».
(٨) تفسير الطبرى (٢٧/٢٧).

ثم قال ابن أبى حاتم: وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى، أخبرنى عَبّاد بن منصور قال: سألت عكرمة: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾، فقال عكرمة: تريد أن أخبرك أنه قد رآه؟ قلت: نعم. قال: قد رآه، ثم قد رآه. قال: فسألت عنه الحسن فقال: رأى جلاله وعَظَمته ورِداءَه.

وحدثنا أبى، حدثنا محمد بن مجاهد، حدثنا أبو عامر العَقَدى، أخبرنا أبو خلدة، عن أبى العالية قال: سُئِل رسولُ الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت نهرا، ورأيت وراء النهر حجابا، ورأيت وراء الحجاب نورا لم أر غير»[(١)].

وذلك غريب جدا، فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد:

حدثنا أسود بن عامر، حدثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربى عز وجل»[(٢)].

فإنه حديث إسناده على شرط الصحيح، لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه الإمام أحمد أيضا:

حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمَر، عن أيوب، عن أبى قِلاَبة عن ابن عباس؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أتانى ربى الليلة فى أحسن صورة ـ أحسبه يعنى فى النوم ـ فقال: يا محمد، أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟» قال: «قلت: لا. فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بَرْدَها بين ثديىّ ـ أو قال: نَحْرِى ـ فعلمت ما فى السموات وما فى الأرض، ثم قال: يا محمد، هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟» قال: «قلت: نعم، يختصمون فى الكفارات والدرجات». قال: «وما الكفارات والدرجات؟» قال: «قلت: المكث فى المساجد بعد الصلوات، والمشى على الأقدام إلى الجُمُعات[(٣)]، وإبلاغ الوضوء فى المكاره، من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه. وقال: قل يا محمد إذا صليت: اللهم، إنى أسألك الخيرات[(٤)] وترك المنكرات، وحبّ المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضنى إليك غير مفتون». قال: «والدرجات بَذْلُ الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام»[(٥)].

وقد تقدم فى آخر سورة «ص»، عن معاذ، نحوه[(٦)]. وقد رواه ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس، وفيه سياق آخر وزيادة غريبة فقال:

حدثنى أحمد بن عيسى التميمى، حدثنى سليمان بن عُمَر بن سَيَّار، حدثنى أبى، عن سعيد بن زَرْبِى، عن عمر بن سليمان[(٧)]، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال النبى ﷺ: «رأيت ربى فى

---

(١) ورواه ابن المنذر كما فى الدر المنثور (٧/٦٤٨) وهو مرسل.

(٢) المسند (١/ ٢٨٥).

(٣) فى هـ، أ: «الجماعات».

(٤) فى م: «إنى أسألك فعل الخيرات».

(٥) المسند (١/ ٣٦٨).

(٦) انظر تفسير الآية: ٦٩ من سورة «ص».

(٧) فى أ: «سليم».

أحسن صورة فقال لى: يا محمد، هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا يارب. فوضع يده بين كتفى فوجدت بَرْدَها بين ثديىّ، فعلمت ما فى السموات والأرض، فقلت: يارب، فى الدرجات والكفارات، ونقل الأقدام إلى الجُمُعات[١]، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. فقلت: يارب، إنك اتخذت إبراهيم خليلا، وكلمتَ موسى تكليما، وفعلت وفعلت، فقال: ألم أشرح لك صدرك؟ ألم أضع عنك وِزْرَك؟ ألم أفعل بك؟ ألم أفعل؟» قال: «فأفضى إلى بأشياء لم يؤذن لى أن أحدثكموها» قال: «فذاك قوله فى كتابه: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾، فجعل نور بصرى فى فؤادى، فنظرت إليه بفؤادى» . إسناده ضعيف[٢].

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر بسنده إلى هَبَّار بن الأسود، رضى الله عنه؛ أن عتبة بن أبى لهب لما خرج فى تجارة إلى الشام قال لأهل مكة: اعلموا أنى كافر بالذى دنا فتدلى. فبلغ قوله رسولَ الله ﷺ، فقال: «سَلَّطَ الله عليه كلبا من كلابه». قال هبار: فكنت معهم، فنزلنا بأرض كثيرة الأسد، قال: فلقد رأيت الأسد جاء فجعل يَشَمّ رؤوس القوم واحدا واحدا، حتى تخطى إلى عتبة فاقتطع رأسه من بينهم[٣].

وذكر ابن إسحاق وغيره فى السيرة: أن ذلك كان بأرض الزرقاء، وقيل: بالسراة، وأنه خاف ليلتئذ، وأنهم جعلوه بينهم وناموا من حوله، فجاء الأسد فجعل يزأر، ثم تخطاهم إليه فضغم رأسه، لعنه الله.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾، هذه هى المرة الثانية التى رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التى خلقه الله عليها، وكانت ليلة الإسراء. وقد قدمنا الأحاديث الواردة فى الإسراء بطرقها وألفاظها فى أول سورة «سبحان» بما أغنى عن إعادته هاهنا، وتقدم أن ابن عباس، رضى الله عنهما، كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء، ويستشهد بهذه الآية. وتابعه جماعة من السلف والخلف، وقد خالفه جماعات من الصحابة، رضى الله عنهم، والتابعين وغيرهم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن بَهْدَلَة، عن زر بن حُبَيْش، عن ابن مسعود فى هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل وله ستمائة جناح، ينتثر من ريشه التهاويل: الدرّ والياقوت»[٤]. وهذا إسناد جيد قوى.

وقال أحمد أيضا: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا شَرِيك، عن جامع بن أبى راشد، عن أبى وائل،

---

(١) فى أ: «الجماعات».
(٢) تفسير الطبرى (٢٧/ ٢٨).
(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٧/ ٦٣) ولم يقع لى فى ترجمته فيما بين يدى من مخطوطات تاريخ دمشق.
(٤) المسند (١/ ٤٦٠).

عن عبد الله قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل فى صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق: يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم»[١] . إسناده حسن أيضا.

وقال أحمد أيضا: حدثنا زيد بن الحُبَاب، حدثنى حسين، حدثنى عاصم بن بَهْدَلَة قال: سمعت شَقِيق بن سلمة يقول: سمعت ابن مسعود يقول: قال: رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل على سدرة[٢] المنتهى، وله ستمائة جناح» سألت عاصما عن الأجنحة، فأبى أن يخبرنى، قال: فأخبرنى بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب[٣] . وهذا أيضا إسناد جيد.

وقال أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثنى حسين، حدثنى عاصم بن بَهْدلة[٤]، حدثنى[٥] شقيق[٦] قال[٧]: سمعت ابن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: «أتانى جبريل،عليه السلام، فى خُضر معلق به الدر[٨]»[٩] . إسناد جيد أيضا.

وقال الإمام أحمد: حدثنى يحيى، عن إسماعيل، حدثنا عامر قال: أتى مسروقُ عائشة فقال: يا أم المؤمنين، هل رأى محمد ﷺ ربه عز وجل؟ قالت: سبحان الله لقد قَفّ شعرى لما قلت، أين أنت من ثلاث من حَدّثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾ [الشورى: ٥١]، ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ** ﴾الآية [لقمان: ٣٤] ، ومن أخبرك أن محمدا قد كتم[١٠]، فقد كذب، ثم قرأت: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** ﴾ [المائدة: ٦٧] ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين[١١] .

وقال أحمد أيضا: حدثنا محمد بن أبى عدى، عن داود، عن الشعبى، عن مسروق قال: كنت عند عائشة فقلت: أليس الله يقول: ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ** ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى** ﴾؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل[١٢] رسول الله ﷺ عنها، فقال: «إنما ذاك جبريل». لم يره فى صورته التى خلق عليها إلا مرتين، رآه منهبطا من السماء إلى الأرض، ساداً عُظْمُ خلقه ما بين السماء والأرض.

أخرجاه فى الصحيحين، من حديث الشعبى، به[١٣] .

رواية أبى ذر، قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا همام، حدثنا قتادة، عن عبد الله بن شقيق

(١) لم أجده فى المسند وذكره الحافظ ابن حجر فى أطرف المسند (١٥٨/٤) .
(٢) فى م: «السدرة».
(٣) المسند (٤٠٧/١).
(٤) فى أ: «حصين».
(٥) فى م: «قال سمعت». (٦) فى م: «شقيق بن سلمة». (٧) فى م، أ: «يقول».
(٨) فى م: «الدر، به».
(٩) المسند (٤٠٧/١).
(١٠) فى أ: «كتم شيئا من الوحى».
(١١) المسند (٤٩/٦).
(١٢) فى أ: «سالت».
(١٣) المسند (٢٤١/٦) وصحيح البخارى برقم (٤٨٥٥) وصحيح مسلم برقم (١٧٧) بنحوه.

قال: قلت لأبى ذر: لو رأيتُ رسول الله ﷺ لسألته. قال: وما كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله: هل رأى ربه، عز وجل؟ فقال: إنى قد سألته فقال: «قد رأيته، نورا أنى أراه»(١).

هكذا وقع فى رواية الإمام أحمد، وقد أخرجه مسلم من طريقين بلفظين فقال: حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة، حدثنا وَكِيع، عن يزيد بن إبراهيم، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق، عن أبى ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه».

وقال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبى، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبى ذر: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته. فقال: عن أى شىء كنت تسأله؟ قال: قلت: كنت أسأله: هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألت فقال: «رأيت نورا»(٢).

وقد حكى الخلال فى «علله» أن الإمام أحمد سُئل عن هذا الحديث فقال: ما زلتُ منكراً له، وما أدرى ما وجهه(٣).

وقد قال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا عمرو بن عون الواسطى، أخبرنا هُشَيْم، عن منصور، عن الحكم، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبى ذر قال: رآه بقلبه، ولم يره بعينه.

وحاول ابن خُزَيمة أن يدعى انقطاعه بين عبد الله بن شَقيق وبين أبى ذر، وأما ابن الجوزى فتأوله على أن أبا ذر لعله سأل رسول الله ﷺ قبل الإسراء، فأجابه بما أجابه به، ولو سأله بعد الإسراء لأجابه بالإثبات. وهذا ضعيف جدا، فإن عائشة أم المؤمنين، رضى الله عنها، قد سألت عن ذلك بعد الإسراء، ولم يثبت لها الرؤية. ومن قال: إنه خاطبها على قدر عقلها، أو حاول تخطئتها فيما ذهبت إليه ـ كابن خُزَيمة فى كتاب التوحيد(٤) ـ فإنه هو المخطئ، والله أعلم.

وقال النسائى: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشام(٥) عن منصور، عن الحكم، عن يزيد بن شريك، عن أبى ذر قال: رأى رسول الله ﷺ ربه بقلبه، ولم يره ببصره(٦).

وقد ثبت فى صحيح مسلم، عن أبى بكر بن أبى شيبة، عن على بن مُسْهِر، عن عبد الملك بن أبى سليمان، عن عطاء بن أبى رباح، عن أبى هريرة، رضى الله عنه؛ أنه قال فى قوله: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ**﴾، قال: رأى جبريل(٧)، عليه السلام(٨).

وقال مجاهد فى قوله: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ**﴾ قال: رأى رسولُ الله ﷺ جبريل فى صورته مرتين. وكذا قال قتادة، والربيع بن أنس، وغيرهم.

---

(١) المسند (٥/١٤٧).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٧٨).

(٣) ووجه الإنكار لا محل له فى المتن، فإن له شواهد وهو دليل على نفى الرؤية فى الدنيا.

(٤) التوحيد لابن خزيمة (ص٢٠٥، ٢٠٦)، (ص٢٢٥).

(٥) فى م، أ: «هشيم».

(٦) النسائى فى السنن الكبرى برقم (١١٥٣٦).

(٧) فى أ: «رأى رسول الله ﷺ جبريل».

(٨) صحيح مسلم برقم (١٧٥).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾: قد تقدم فى أحاديث الإسراء أنه غشيتها الملائكة مثل الغربان، وغشيها نور الرب، وغشيها ألوان ما أدرى ما هى.

وقال الإمام أحمد: حدثنا مالك بن مِغْوَل، حدثنا الزبير بن عدى، عن[1] طلحة، عن مرة، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال: لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهى فى السماء السابعة[2]، إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها، ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قال: فراش من ذهب، قال: وأعطى رسول الله ﷺ ثلاثا: أُعطى الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغُفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته المُقحمات. انفرد به مسلم[3].

وقال أبو جعفر الرازى، عن الربيع، عن أبى العالية، عن أبى هريرة أو غيره ـ شك أبو جعفر ـ قال: لما أسرى برسول الله انتهى إلى السدرة، فقيل له: هذه السدرة [قال][4]: فغشيها نور الخلاق، وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر، قال: فكلمه عند ذلك، فقال له: سل.

وقال[5] ابن أبى نَجيح، عن مجاهد: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قال: كان أغصان السدرة لؤلؤا وياقوتا وزبرجدا، فرآها محمد، ورأى ربه بقلبه.

وقال ابن زيد: قيل: يا رسول الله، أىّ شىء رأيت يغشى تلك السدرة؟ قال: «رأيتُ يغشاها فَرَاشٌ من ذهب، ورأيت على كل ورقة من ورقها مَلَكا قائما يسبح الله، عز وجل»[6].

وقوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ قال ابن عباس: ما ذهب يمينا ولا شمالا، ﴿وَمَا طَغَى﴾: ما جاوز ما أمر به.

وهذه صفة عظيمة فى الثبات والطاعة، فإنه ما فعل إلا ما أمر به، ولا سأل فوق ما أعطى. وما أحسن ما قال الناظم:

رأى جَنَّةَ المَأوَى وَمَا فَوْقَها، ولَو رأى غَيرُه ما قد رآه لتَاهَا

وقوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾، كقوله: ﴿لِنُرِيَكَ[7] مِنْ آيَاتِنَا﴾ [طه: ٢٣] أى: الدالة على قدرتنا وعظمتنا. وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع؛ لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾، ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس، وقد تقدم تقرير ذلك فى سورة «سبحان» وقد قال الإمام أحمد:

حدثنا أبو النضر، حدثنا محمد بن طلحة، عن الوليد بن قيس، عن إسحاق بن أبى الكَهْتَلة[8]

---

(١) فى أ: «بن». (٢) فى م: «السادسة».
(٣) المسند (١/ ٤٢٢) وصحيح مسلم برقم (١٧٣).
(٤) زيادة من أ. (٥) فى م: «فقال».
(٦) وهذا من مراسيل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف.
(٧) فى م: «لنريه». (٨) فى م، أ: «الكهبلة».

قال محمد: أظنه عن ابن مسعود ـ أنه قال: إن محمدا لم ير جبريل فى صورته إلا مرتين، أما مرة فإنه سأله أن يُريه نفسه فى صورته، فأراه صورته فسد الأفق. وأما الأخرى فإنه صَعد معه حين صعد به. وقوله: ﴿وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ قال: فلما أحسَّ[1] جبريل ربه، عز وجل، عاد فى صورته وسجد. فقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ قال: خَلْقَ جبريل، عليه السلام.

هكذا رواه الإمام أحمد، وهو غريب[2].

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣) أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَىٰ (٢٥) وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦)﴾ .

يقول تعالى مُقَرِّعا للمشركين فى عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان، واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التى بناها خليل الرحمن، عليه [الصلاة و][3] السلام: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ﴾؟ وكانت «اللات»[4] صخرةً بيضاء منقوشة، وعليها بيت بالطائف له أستار وسَدَنة، وحوله فناء معظّم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن تابعها، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.

قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله [تعالى][5]، فقالوا: اللات، يعنون مؤنثة منه، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. وحكى عن ابن عباس، ومجاهد، والربيع بن أنس: أنهم قرؤوا «اللاتّ» بتشديد التاء، وفسروه بأنه كان رجلا يَلُتُّ للحجيج فى الجاهلية السويق، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه.

وقال البخارى: حدثنا مسلم ـ هو ابن إبراهيم ـ حدثنا أبو الأشهب، حدثنا أبو الجوزاء، عن ابن عباس[6]: ﴿اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ قال: كان اللات رجلا يلت السَّويق، سويق الحاج[7].

قال ابن جرير: وكذا العُزَّى من العزيز.

وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، وهى بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها، كما

(١) فى أ: «أخبر».
(٢) المسند (١/٤٠٧).
(٣) زيادة من م.
(٤) فى م: «العزى».
(٥) زيادة من م.
(٦) فى م: «عن ابن عباس عن».
(٧) صحيح البخارى برقم (٤٨٥٩).

قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزى ولا عزّى لكم فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم»[١].

وروى البخارى من حديث الزهرى، عن حُمَيد بن عبد الرحمن، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف فقال فى حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه: تعال أقَامرْك، فليتصدق»[٢].

وهذا محمول على من سبق لسانه فى[٣] ذلك، كما كانت ألسنتهم قد اعتادته فى زمن الجاهلية، كما قال النسائى: أخبرنا أحمد بن بكّار وعبد الحميد بن محمد قالا: حدثنا مَخْلَد، حدثنا يونس، عن أبيه، حدثنى مصعب بن سعد بن أبى وقاص، عن أبيه قال: حلفت باللات والعزى، فقال لى أصحابى: بئس ما قلت ! قلت هجرا! فأتيت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فقال: «قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير. وانفث عن شمالك ثلاثا، وتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم لا تعد»[٤].

وأما «مناة» فكانت بالمُشَلَّل[٥] ـ عند قُدَيد، بين مكة والمدينة ـ وكانت خزاعة والأوس والخزرج فى جاهليتها يعظمونها، ويُهلّون منها للحج إلى الكعبة. وروى البخارى عن عائشة نحوه[٦]. وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التى نص عليها فى كتابه العزيز، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها.

قال ابن إسحاق فى السيرة: وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت، وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، بها[٧] سدنة وحجاب، وتهدى لها كما يهدى[٨] للكعبة، وتطوف بها كطَوَفَاتها بها، وتنحر عندها، وهى تعرف فضل الكعبة عليها؛ لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم،عليه السلام، ومسجده. فكانت لقريش وبنى كنانة العُزّى بنخلة، وكانت سدنتها وحجابها[٩] بنى شيبان من سليم حلفاء بنى هاشم[١٠].

قلت: بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدمها، وجعل يقول:

يَا عُزّ، كُفْرَانَكِ لا سُبْحَانَكِ إنى رأيت الله قَدْ أهَانَكِ

وقال النسائى: أخبرنا على بن المنذر، أخبرنا ابن فُضَيْل، حدثنا الوليد بن جُمَيْع، عن أبى الطُّفَيْلِ قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى، فأتاها خالد وكانت على ثلاث سَمُرات، فقطع السَّمُرات، وهدم البيت الذى كان عليها. ثم أتى النبى ﷺ

---

(١) تقدم تخريج الحديث عند تفسير سورة «محمد» الآية: ١١.
(٢) صحيح البخارى برقم (٤٨٦٠).
(٣) فى م: «إلى».
(٤) سنن النسائى (٧/٨).
(٥) فى أ: «بالمنال».
(٦) صحيح البخارى برقم (٤٨٦١).
(٧) فى م: «لها». (٨) فى م: «تهدى». (٩) فى م: «وحجبتها».
(١٠) السيرة النبوية لابن هشام (١/٨٣).

فأخبره، فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً». فرجع خالد، فلما أبصرته السَّدَنة ـ وهم حَجَبتها ـ أمعنوا فى الحِيَل وهم يقولون: «يا عزى، يا عزى». فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن(١) التراب على رأسها، فغمسها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «تلك العزى»(٢).

قال ابن إسحاق: وكانت اللات لثقيف بالطائف، وكان سَدَنتها وحجابها بنى مُعَتِّب(٣).

قلت: وقد بعث إليها رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر بن حرب، فهدماها وجعلا مكانها مسجد الطائف.

قال ابن إسحاق: وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المُشلَلّ بقديد، فبعث رسول الله ﷺ [إليها](٤) أبا سفيان صخر بن حرب، فهدمها. ويقال: على بن أبى طالب.

قال: وكانت ذو الخَلَصة(٥) لدَوس وخثعم وبَجِيله، ومن كان ببلادهم من العرب بِتَبَالة.

قلت: وكان يقال لها: الكعبة اليمانية، وللكعبة التى بمكة الكعبة الشامية.

فبعث إليه رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلى فهدمه.

قال: وكانت فَلْس(٦) لطيئ ولمن يليها بجبلى طيئ من(٧) سَلمى وأجا.

قال ابن هشام: فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليه على بن أبى طالب فهدمه، واصطفى منه سيفين: الرَّسُوب والمِخْذَم، فَنَفَّله إياهما رسول الله ﷺ، فهما سيفا على(٨).

قال ابن إسحاق: وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له: ريام. وذكر أنه كان به كلب أسود، وأن الحبرين اللذين ذهبا مع تبع استخرجاه وقتلاه، وهدما البيت.

قال ابن إسحاق: وكانت «رُضَاء» بيتا لبنى ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها فى الإسلام:

ولقد شَدَدْتُ عَلَى رُضَاء شَدَّةً    فَتَرَكْتُها قَفْراً بِقَاع أسحَمَا

قال ابن هشام: إنه عاش ثلاثمائة وثلاثين(٩) سنة، وهو القائل:

وَلَقَد سَئِمْتُ مِنَ الحَيَاة وَطُولِهَا    وَعُمِّرْتُ مِنْ عَدَدِ السِّنِينَ مئِينَا
مائَةً حَدَتْها بَعْدَها مِئَتَان لِى    وازددت(١٠) مِنَ عَدَد الشُّهور سنينا
هَلْ مَا بَقِى إلاّ كَمَا قَدْ فَاتَنَا    يَومٌ يَمُرُّ وَلَيلَةٌ تَحْدُونَا

(١) فى م: «تحثو».
(٢) النسائى فى السنن الكبرى رقم (١١٥٦٧).
(٣) فى م: «مغيث». (٤) زيادة من أ. (٥) فى أ: «الخليفة». (٦) فى م: «قيس».
(٧) فى م،أ: «بين».
(٧) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٨٧).
(٩) فى أ: «وستون». (١٠) فى م، أ: «وعمرت».

قال ابن إسحاق: وكان ذو الكَعَبَات لبكر وتغلب ابنى وائل، وإياد بِسَنْداد وله يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة:

بَيْنَ الخَوَرْنَق والسَّدير وبَارقٍ والبيت ذى الكَعَبَات من سَنْدَاد[١]

ولهذا قال [تعالى][٢]: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾؟.

ثم قال: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ﴾؟ أى: أتجعلون له ولدا، وتجعلون ولده أنثى، وتختارون لأنفسكم الذكور، فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ أى: جورا باطلة، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التى لو كانت بين مخلوقين كانت جورا وسفها.

ثم قال منكرا عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر، من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ أى: من تلقاء أنفسكم ﴿ مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ أى: من حجة، ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ ﴾ أى: ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم فى رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ أى: ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة، ومع هذا ما اتبعوا ما جاؤوهم به، ولا انقادوا له.

ثم قال: ﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ أى: ليس كل من تمنى خيرا حصل له، ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء:١٢٣]، ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال، ولا كل من ود[٣] شيئا يحصل له.

قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق، حدثنا أبو عَوَانة، عن عمر[٤] بن أبى سلمة، عن أبيه، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى، فإنه لا يدرى ما يكتب له من أمنيته». تفرد به أحمد[٥].

وقوله: ﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَىٰ﴾ أى: إنما الأمر كله لله، مالك الدنيا والآخرة، والمتصرف فى الدنيا والآخرة ،فهو الذى ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾، كقوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ:٢٣]، فإذا كان هذا فى حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله، وهم لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله، وأنزل بالنهى عن ذلك جميع كتبه؟

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٨٧، ٨٨). (٢) زيادة من م.

(٣) فى م: «رد». (٤) فى أ: «عمرو».

(٥) المسند (١/ ٣٥٧) وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ١٥١): «رجاله رجال الصحيح».

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَىٰ (٢٧) وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ (٣٠) ﴾.

يقول تعالى منكرا على المشركين فى تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى، وجعلهم لها أنها بنات الله، كما قال: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أى: ليس لهم علم صحيح يصدق ما قالوه، بل هو كذب وزور وافتراء، وكفر شنيع. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أى: لا يجدى شيئا، ولا يقوم أبدا مقام الحق. وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»[(١)].

وقوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ أى: أعرض عن الذى أعرض عن الحق واهجره.

وقوله: ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أى: وإنما[(٢)] أكثر[(٣)] همه ومبلغ علمه الدنيا، فذاك هو غاية ما لا خير فيه. ولذلك[(٤)] قال: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ أى: طلب الدنيا والسعى لها هو غاية ما وصلوا إليه.

وقد روى الإمام أحمد عن أم المؤمنين عائشة [رضى الله عنها][(٥)] قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له»[(٦)] وفى الدعاء المأثور: «اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همّنا، ولا مَبْلَغَ علمنا».

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ أى: هو الخالق لجميع المخلوقات، والعالم بمصالح عباده، وهو الذى يهدى من يشاء، ويضل من يشاء، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته، وهو العادل الذى لا يجور أبداً، لا فى شرعه ولا فى قَدَره.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا

---

(١) صحيح البخارى برقم (٥١٤٣) وصحيح مسلم برقم (٢٥٦٣) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.
(٢) فى م: «وإنا». (٣) فى أ: «أكبر». (٤) فى م، أ: «ولهذا».
(٥) زيادة من م.
(٦) المسند (٦/ ٧١).

**أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ (٣٢)﴾.**

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، وأنه الغنى عما سواه، الحاكم فى خلقه بالعدل، وخلق الخلق بالحق، ﴿**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾ أى: يجازى كلا بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، أى: لا يتعاطون المحرمات والكبائر، وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم، كما قال فى الآية الأخرى: ﴿**إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا**﴾ [النساء: ٣١]. وقال هاهنا: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ**﴾. وهذا استثناء منقطع؛ لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمَر[(١)]، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمَم مما قال أبو هريرة عن النبى ﷺ، قال: «إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فَزِنَا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تَمَنَّى وتَشْتَهِى، والفرج يُصدِّق ذلك أو يُكَذِّبه».

أخرجاه فى الصحيحين، من حديث عبد الرزاق، به[(٢)].

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن[(٣)] ثور، حدثنا مَعْمَر، عن الأعمش، عن أبى الضُّحَى؛ أن ابن مسعود قال: «زنا العينين النظر، وزنا الشفتين التقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشى، ويُصدِّق ذلك الفرج أو يُكَذِّبه، فإن تقدم بفرجه كان زانيا، وإلا فهو اللَّمَم»[(٤)]. وكذا قال مسروق، والشعبى.

وقال عبد الرحمن بن نافع ـ الذى يقال له: ابن لبابة الطائفى ـ قال: سألت أبا هريرة عن قول الله: ﴿**إِلَّا اللَّمَمَ**﴾ قال: القُبلة، والغمزة، والنظرة، والمباشرة، فإذا مس الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل، وهو الزنا.

وقال على بن أبى طلحة، عن ابن عباس: ﴿**إِلَّا اللَّمَمَ**﴾: إلا ما سلف. وكذا قال زيد بن أسلم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد أنه قال: فى هذه الآية: ﴿**إِلَّا اللَّمَمَ**﴾قال: الذى يلم بالذنب ثم يَدَعه، قال الشاعر:

إنْ تَغْفِرِ اللهمّ تغفر جمّا ... وأىّ عَبْد لَكَ مَا أَلَمّا؟!

---

(١) فى م: «معمر بن أرطاة» وزيادة «ابن أرطاة» خطأ. انظر: تعليق أحمد شاكر على المسند حديث رقم (٧٧٠٥).

(٢) المسند (٢/٢٧٦) وصحيح البخارى برقم (٦٦١٢) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٧).

(٣) فى أ: «أبو».

(٤) تفسير الطبرى (٢٧/٣٩).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد فى قول الله: ﴿إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ قال: الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه، قال: وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون:

إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك ما ألما؟!

وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعا[(١)].

قال ابن جرير: حدثنى سليمان بن عبد الجبار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ قال: هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب وقال: قال رسول الله ﷺ:

إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك ما ألما؟!

وهكذا رواه الترمذى، عن أحمد بن عثمان أبى[(٢)] عثمان البصرى، عن أبى عاصم النبيل. ثم قال: هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق. وكذا قال البزار: لا نعلمه يُروى متصلا إلا من هذا الوجه. وساقه ابن أبى حاتم والبغوى من حديث أبى عاصم النبيل، وإنما ذكره البغوى فى تفسير سورة «تنزيل»، وفى صحته مرفوعا نظر[(٣)].

ثم قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن بَزِيع، حدثنا يزيد بن زُرَيْع، حدثنا يونس، عن الحسن، عن أبى هريرة ـ أراه رفعه ـ: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ قال: «اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود، واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود، واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود»، قال: «ذلك[(٤)] الإلمام»[(٥)].

وحدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبى عَدِىّ، عن عوف، عن الحسن، فى قول الله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ قال: اللمم من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر، ثم لا يعود.

وحدثنى يعقوب، حدثنا ابن عُلَيَّةَ، عن أبى رَجاء، عن الحسن فى قول الله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: هو الرجل يصيب اللمة من الزنا، واللمة من شرب الخمر، فيجتنبها ويتوب منها.

وقال ابن جرير[(٦)]، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿إِلاَّ اللَّمَمَ﴾: يلم بها فى الحين. قلت: الزنا؟ قال: الزنا ثم يتوب.

وقال ابن جرير أيضا: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا ابن عُيَيْنَة، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن

(١) تفسير الطبرى (٢٧/ ٣٩).
(٢) فى م: «أى».
(٣) سنن الترمذى برقم (٣٢٨٤) وتفسير البغوى (٧/ ١٢٨).
(٤) فى م: «فتلك» وفى أ: «فعلك».
(٥) تفسير الطبرى (٢٧/ ٣٩).
(٦) فى أ: «جريج».

عباس قال: ﴿اللَّمَمَ﴾: الذى يلم المرَّةَ.

وقال السدى: قال أبو صالح: سئلت عن ﴿اللَّمَمِ﴾ فقلت: هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب. وأخبرت بذلك ابن عباس فقال: لقد أعانك عليها مَلَك كريم. حكاه البغوى.

وروى ابن جرير من طريق المثنى بن الصباح ـ وهو ضعيف ـ عن عمرو بن شعيب؛ أن عبد الله ابن عمرو قال: ﴿اللَّمَم﴾: ما دون الشرك.

وقال سفيان الثورى، عن جابر الجُعفى، عن عطاء، عن ابن الزبير: ﴿إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ قال: ما بين الحدين: حد الدنيا[١] وعذاب الآخرة. وكذا رواه شعبة، عن الحكم، عن ابن عباس، مثله سواء.

وقال العَوْفِىّ، عن ابن عباس فى قوله: ﴿إِلاَّ اللَّمَمَ﴾: كل شىء بين[٢] الحدين: حد الدنيا[٣] وحد الآخرة، تكفره الصلوات، وهو[٤] اللمم، وهو دون كل موجب، فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته فى الدنيا، وأما حد الآخرة فكل شىء ختمه الله بالنار، وأخَّر عقوبته إلى الآخرة. وكذا قال عكرمة، وقتادة، والضحاك.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ أى: رحمته وَسِعَت كل شىء، ومغفرته تَسَع الذنوب كلها لمن تاب منها، كقوله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾ أى: هو بصير بكم، عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التى تصدر[٥] عنكم وتقع منكم، حين أنشأ أباكم آدم من الأرض، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذَّر، ثم قسمهم فريقين: فريقا للجنة، وفريقا للسعير[٦]. وكذا قوله: ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾: قد كتب الملك الذى يُوَكَّل به رزقَه وأجَلَه وعمله، وشقى أم سعيد.

قال مكحول: كنا أجنة فى بطون أمهاتنا، فسقط منا من سقط، وكنا فيمن بقى ثم كنا مراضع فهلك منا من هلك. وكنا فيمن بقى ثم صرنا يَفَعَةً، فهلك منا من هلك. وكنا فيمن بقى ثم صرنا شباباً فهلك منا من هلك. وكنا فيمن بقى ثم صرنا شيوخا ـ لا أبا لك ـ فماذا بعد هذا ننتظر؟[٧] رواه ابن أبى حاتم عنه.

وقوله: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ أى: تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾، كما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [النساء: ٤٩].

وقال مسلم فى صحيحه: حدثنا عَمْرو الناقد، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا الليث، عن يزيد

---

(١) فى م، أ: «الزنا». (٢) فى م: «من». (٣) فى أ: «الزنا».
(٤) فى م: «فهو». (٥) فى م ،أ: «تستصدر». (٦) فى أ: «فريقا فى الجنة وفريقا فى السعير».
(٧) فى م، أ: «ينتظر».

ابن أبى حبيب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، قال: سميت ابنتى بَرّة، فقالت لى زينب بنت أبى سلمة: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم، وسميت بَرَّة، فقال رسول الله ﷺ: «لا تزكوا أنفسكم، إن الله أعلم بأهل البر منكم». فقالوا: بم نسميها؟ قال: «سموها زينب»[(١)].

وقد ثبت أيضا فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا خالد الحَذَّاء، عن عبد الرحمن بن أبى بكْرَة، عن أبيه قال: مدح رَجُلٌ رجلاً عند النبى ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ويلك! قطعت عُنُقَ صاحبك ـ مراراً ـ إذا كان أحدكم مادحا صاحبه لا محالة فليقل: أحسب فلانا ـ والله حسيبه، ولا أزكى على الله أحدا ـ أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك»[(٢)].

ثم رواه عن غُنْدَر، عن شعبة، عن خالد الحذاء، به. وكذا رواه البخارى، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، من طرق، عن خالد الحذاء، به[(٣)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكَيع، وعبد الرحمن قالا: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث قال: جاء رجل إلى عثمان فأثنى عليه فى وجهه، قال: فجعل المقداد بن الأسود يحثو فى وجهه التراب ويقول: أمرنا رسول الله ﷺ إذا لقينا المداحين أن نحثو فى وجوههم التراب.

ورواه مسلم وأبو داود، من حديث الثورى، عن منصور، به[(٤)].

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ (٣٤) أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ (٤١) ﴾ .

يقول تعالى ذَامًا لمن تولى عن طاعة الله : ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ . وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢] ، ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ﴾ قال ابن عباس: أطاع قليلا ثم قطعه. وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، وغير واحد. قال عكرمة، وسعيد: كمثل القوم إذا كانوا يحفرون بئراً، فيجدون فى أثناء الحفر صخرة تمنعهم من تمام العمل، فيقولون: «أكدينا»، ويتركون العمل.

وقوله: ﴿أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ﴾ أى: أعند هذا الذى قد أمسك يده خشية الإنفاق، وقطع

(١) صحيح مسلم برقم (٢١٤٢).

(٢) المسند (٥/ ٤٥).

(٣) المسند (٥/ ٤١) وصحيح البخارى برقم (٢٦٦٢) وصحيح مسلم برقم (٣٠٠٠) وسنن أبى داود برقم (٤٨٠٥) وسنن ابن ماجه برقم (٣٧٤٤).

(٤) صحيح مسلم برقم (٣٠٠٢) وسنن أبى داود برقم (٤٨٠٤).

معروفه، أعنده علم الغيب أنه سينفد ما فى يده، حتى قد أمسك عن معروفه، فهو يرى ذلك عيانا؟! أى: ليس الأمر كذلك، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلا وشحا وهلعا؛ ولهذا جاء فى الحديث: «أنفق بلالا، ولا تَخْشَ من ذى العرش إقلالا»[1]، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقوله: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ. وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ قال سعيد بن جبير، والثورى: أى بلغ جميع ما أمر به.

وقال ابن عباس: ﴿وَفَّىٰ﴾ لله بالبلاغ. وقال سعيد بن جُبَير: ﴿وَفَّىٰ﴾ ما أُمر به. وقال قتادة: ﴿وَفَّىٰ﴾ طاعة الله، وأدى رسالته إلى خلقه. وهذا القول هو اختيار ابن جرير، وهو يشمل الذى قبله، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، فقام بجميع الأوامر، وترك جميع النواهى، وبلغ الرسالة على التمام والكمال، فاستحق بهذا أن يكون للناس إماما يُقتَدى به فى جميع أحواله وأفعاله وأقواله، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحِمْصى، حدثنا آدم بن أبى إياس العسقلانى، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبى أمامة قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾، قال: «أتدرى ما وفى؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «وفى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار».

ورواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير، وهو ضعيف[2].

وقال الترمذى فى جامعه: حدثنا أبو جعفر السِّمْنانى، حدثنا أبو مُسْهِر، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن بحير بن سعد[3]، عن خالد بن مَعْدان، عن جبير بن نُفَير، عن أبى الدرداء وأبى ذر، عن رسول الله ﷺ عن الله، عز وجل، أنه قال: «ابن آدم، اركع لى أربع ركعات من أول النهار، أكفك آخره»[4].

قال ابن  أبى حاتم، رحمه الله: حدثنا أبى، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن لَهِيعَة، حدثنا زَبَّان بن قائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذى وفى؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى:

(١) جاء من حديث أبى هريرة وبلال وابن مسعود. أما حديث أبى هريرة: فرواه أبو نعيم فى الحلية (٢/ ٢٨٠) والطبرانى فى المعجم الكبير (١/ ٣٤١) من طريقين عن محمد بن سيرين عنه به.

وأما حديث بلال: فرواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١/ ٣٥٩) من طريق أبى إسحاق عن مسروق عنه به.

وأما حديث ابن مسعود: فرواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٠/ ١٩١) من طريق يحيى بن وثاب عن مسروق عنه به.

(٢) تفسير الطبرى (٢٧/ ٤٣).

(٣) فى م، أ: «يحيى بن سعيد».

(٤) سنن الترمذى برقم (٤٧٥) وقال: «هذا حديث حسن غريب».

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم:١٧]» حتى ختم الآية. ورواه ابن جرير عن أبى كُرَيْب، عن رِشْدِين بن سعد، عن[1] زبَّان، به[2].

ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه فى صحف إبراهيم وموسى فقال: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أى: كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شىء من الذنوب فإنما عليها وزرها، لا يحمله عنها أحد كما قال: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[فاطر: ١٨]، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ أى: كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه. ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعى، رحمه الله، ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى؛ لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم؛ ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة، رضى الله عنهم، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما، ومنصوص من الشارع عليهما

وأما الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به»[3]، فهذه الثلاثة فى الحقيقة هى من سعيه وكده وعمله، كما جاء فى الحديث: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه»[4]. والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هى من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ[5]﴾ الآية [يس:١٢]. والعلم الذى نشره فى الناس فاقتدى به الناس بعده، هو أيضا من سعيه وعمله، وثبت فى الصحيح: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيئا».

وقوله: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ أى: يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] أى: فيخبركم به، ويجزيكم عليه أتم الجزاء، إن خيراً فخير، وإن شرا فشر، وهكذا قال هاهنا: ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ﴾ أى: الأوفر.

---

(١) فى م: «بن».

(٢) تفسير الطبرى (٢٧/٤٣)ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (٢٠/١٩٢) من كلا الطريقين. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/١١٧): «فيه ضعفاء وثقوا».

قلت فى الأولى: ابن لهيعة وهو ضعيف.

وفى الثانية: رشدين بن سعد وهو ضعيف.

وفيهما: زيان بن فائد وهو ضعيف.

(٣) صحيح مسلم برقم (١٦٣١).

(٤) رواه أحمد فى المسند (٦/٣١) وأبو داود فى السنن برقم (٣٥٢٨) والترمذى فى السنن برقم(١٣٥٨) والنسائى فى السنن (٧/ ٢٤٠) من حديث عائشة رضى الله عنها، وقال الترمذى: «هذا حديث حسن صحيح».

(٥) فى م: ﴿وآثارهم وكل شىء أحصيناه﴾.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى [مخبرا][1]: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ أى: المعاد يوم القيامة.

قال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا سُوَيد بن سَعيد، حدثنا مسلم بن خالد، عن عبد الرحمن ابن سابط، عن عمرو بن ميمون الأَوْدىّ قال: قام فينا معاذ بن جبل فقال: يا بنى أود، إنى رسول الله إليكم، تعلمون أن المعاد إلى الله، إلى الجنة أو إلى النار.

وذكر البغوى من رواية أبى جعفر الرازى، عن الربيع بن أنس، عن أبى العالية، عن أُبى بن كعب، عن النبى ﷺ فى قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾، قال: لا فكرةَ فى الرب[2].

قال البغوى: وهذا مثل ما رُوى عن أبى هريرة مرفوعا: «تفكَّروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق، فإنه لا تحيط[3] به الفِكْرة».

كذا أورده، وليس بمحفوظ بهذا اللفظ[4]، وإنما الذى فى الصحيح: «يأتى الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول: من خلق ربك ؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولْيَنْتَه»[5]. وفى الحديث الآخر الذى فى السنن: «تفكروا فى مخلوقات الله، ولا تفكروا[6] فى ذات الله ، فإن الله خلق ملكا ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مَسِيرة ثلاثمائة سنة» أو كما قال[7].

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ أى: خلق فى عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾، كقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢]، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ

---

(١) زيادة من أ.
(٢) معالم التنزيل للبغوى (٧/ ٤١٧).
(٣) فى م: «يحيط».
(٤) معالم التنزيل للبغوى (٧/ ٤١٧) ورواه ابن عساكر فى المجلس التاسع والثلاثون ومائة من الأمالى (٥٠/ ١) كما فى السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٩٥) من طريق محمد بن سلمة البلخى عن بشر بن الوليد عن عبد العزيز بن أبى سلمة عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة به، وفيه بشر بن الوليد وهو ضعيف.
(٥) صحيح البخارى برقم (٣٢٧٦) وصحيح مسلم برقم (١٣٤).
(٦) فى أ: «ولا تتفكروا».
(٧) لم أجده بهذا اللفظ، وقد روى أبو داود القطعة الثانية فى سننه برقم (٤٧٢٧) من حديث جابر رضى الله عنه، مرفوعا بلفظ: «أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، وإن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام».
والقطعة الأولى: رويت مِنْ حديث أبى ذر مرفوعا: «تفكروا فى خلق الله، ولا تتفكروا فى الله فتهلكوا».
أخرجه أبو الشيخ فى العظمة برقم (٤).

الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ . مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾، كقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (١) . ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ. أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦ ـ ٤٠] .

وقوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَىٰ﴾ أى: كما خلق البداءة هو قادر على الإعادة، وهى النشأة الآخرة يوم القيامة. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ أى: مَلَّك عباده المال، وجعله لهم قُنْيَة مقيما عندهم، لا يحتاجون إلى بيعه، فهذا تمام النعمة عليهم. وعلى هذا يدور كلام كثير من المفسرين، منهم أبو صالح، وابن جرير، وغيرهما. وعن مجاهد: ﴿أَغْنَىٰ﴾: موَّل، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أخدم. وكذا قال قتادة.

وقال ابن عباس، ومجاهد أيضا: ﴿أَغْنَىٰ﴾: أعطى، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: رَضّى.

وقيل: معناه: أغنى نفسه وأفقر الخلائق إليه، قاله الحضرمى بن لاحق.

وقيل: ﴿أَغْنَىٰ﴾ من شاء من خلقه و ﴿أَقْنَىٰ﴾: أفقر من شاء منهم، قاله ابن زيد. حكاهما ابن جرير(٢)، وهما بعيدان من حيث اللفظ.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد وغيرهم: هو هذا النجم الوقاد الذى يقال له: «مرزَم الجوزاء»، كانت طائفة من العرب يعبدونه.

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَىٰ﴾ وهم: قوم هود. ويقال لهم: عاد بن إرم بن سام بن نوح، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾ [الفجر: ٦ـ ٨]، فكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله وعلى رسوله، فأهلكهم الله ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٦، ٧].

وقوله: ﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ﴾ أى: دمرهم فلم يبق منهم أحدا، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أى: من قبل هؤلاء، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ أى: أشد تمردا من الذين من بعدهم، ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ يعنى: مدائن لوط، قَلَبها عليهم فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليها حجارة من سجيل منضود؛ ولهذا قال: ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾ يعنى: من الحجارة التى أرسلها عليهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٣].

قال قتادة: كان فى مدائن لوط أربعة آلاف ألف إنسان، فانضرم عليهم الوادى شيئا من نار ونفط وقَطِران كفم الأتون(٣). رواه(٤) ابن أبى حاتم، عن أبيه، عن محمد بن وهب بن عطية، عن الوليد ابن مسلم، عن خليد، عنه به. وهو غريب جدا.

---

(١) فى م: «تمنى».

(٢) تفسير الطبرى (٢٧/ ٤٤).

(٣) فى أ: «كتم الأنوف». (٤) فى م: «ورواه».

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ أى: ففى أى نعم الله عليك أيها الإنسان تمترى؟ قاهل قتادة.

وقال ابن جُرَيْج: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ يا محمد. والأول أولى، وهو اختيار ابن جرير.

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الأُولَىٰ (٥٦) أَزِفَتِ الآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (٦٢)﴾.

﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ يعنى: محمدا ﷺ ﴿مِّنَ النُّذُرِ الأُولَى﴾ أى: من جنسهم، أرسل كما أرسلوا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩].

﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾ أى: اقتربت القريبة، وهى القيامة، ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أى: لا يدفعها إذاً من دون الله أحد، ولا يطلع على علمها سواه.

ثم قال تعالى منكرا على المشركين فى استماعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم: ﴿تَعْجَبُونَ(١)﴾ من أن يكون صحيحا، ﴿وَتَضْحَكُونَ(٢)﴾ منه استهزاء وسخرية، ﴿وَلا تَبْكُونَ﴾ أى: كما يفعل الموقنون به، كما أخبر عنهم: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وقوله: ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ قال سفيان الثورى، عن أبيه، عن ابن عباس قال: الغناء، هى يمانية، اسمِدْ لنا: غَنِّ(٣) لنا. وكذا قال عكرمة.

وفى رواية عن ابن عباس: ﴿سَامِدُونَ﴾: معرضون. وكذا قال مجاهد، وعكرمة. وقال الحسن: غافلون. وهو رواية عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب. وفى رواية عن ابن عباس: تستكبرون. وبه يقول السدى.

ثم قال آمرا لعباده بالسجود له والعبادة المتابعة لرسوله ﷺ والتوحيد والإخلاص: ﴿فَاسْجُدُوا(٤) لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ أى: فاخضعوا له وأخلصوا ووحدوا.

قال البخارى: حدثنا أبو مَعْمَر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: سجد النبى ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس. انفرد به دون مسلم(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن خالد، حدثنا رباح، عن مَعْمَر، عن ابن طاوس، عن عكرمة بن خالد، عن جعفر بن المطلب بن أبى وَدَاعة، عن أبيه قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم، فسجد وسَجَد من عنده، فرفعتُ رأسى وأبيتُ أن أسجد، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب،

(١) فى م: «يعجبون».
(٢) فى م: «يضحكون».
(٣) فى م، أ: «تغنى».
(٤) فى م: «فليسجدوا» وهو خطأ.
(٥) صحيح البخارى برقم (٤٨٦٢).

فكان بعد ذلك لا يسمع أحدا يقرؤها[١] إلا سجد معه.

وقد رواه النسائى فى الصلاة، عن عبد الملك بن عبد الحميد، عن أحمد بن حنبل، به[٢].

ذكر حديث له مناسبة بما تقدم من قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ. أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾، فإن النذير هو: الحذر لما يعاين من الشر، الذى يخشى وقوعه فيمن أنذرهم، كما قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ:٤٦]. وفى الحديث: «أنا النذير العُريان». أى: الذى أعجله شدة ما عاين من الشر عن أن يلبس عليه شيئاً، بل بادر إلى إنذار قومه قبل ذلك، فجاءهم عُريانا مسرعا، مناسب لقوله: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ أى: اقتربت القريبة، يعنى: يوم القيامة، كما قال فى أول السورة التى بعدها: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر:١]، قال الإمام أحمد:

حدثنا أنس بن عياض، حدثنى أبو حازم ـ لا أعلم إلا عن سهل بن سعد ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خُبْزَتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه». وقال أبو حازم: قال رسول الله ﷺ ـ قال أبو ضَمْرَة: لا أعلم إلا عن سهل بن سعد ـ قال: «مثلى ومثل الساعة كهاتين» وفرق بين أصبعيه الوسطى والتى تلى الإبهام ، ثم قال: «مثلى ومثل الساعة كمثل فَرَسَى رِهَان» ، ثم قال: «مثلى مثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة، فلما خشى أن يسبق ألاح بثوبه: أتيتم أتيتم». ثم يقول رسول الله ﷺ: «أنا ذلك»[٣]. وله شواهد من وجوه أخر من صحاح وحسان، ولله الحمد والمنة، وبه الثقة والعصمة.

## آخر [تفسير][٤] سورة النجم ولله الحمد والمنة

(١) فى م، أ: «يقرأ بها».

(٢) المسند (٦/ ٣٩٩) وسنن النسائى (٢/ ١٦٠).

(٣) المسند (٥/ ٣٣١).

(٤) زيادة من م، أ.

# تفسير سورة النجم

## وهي مكية

قال البخاري(١) : حدثنا نصر بن علي ، أخبرني أبو أحمد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود بن يزيد ، عن عبد الله قال : أولُ سورة أنزلت فيها سجدة ﴿ والنجم ﴾ ، قال[١] : فسجد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وسجد من خلفه ، إلا رجلًا رأيته أخذ كفًّا من تراب فسجد عليه ، فرأيته بعد ذلك قُتل كافرًا ، وهو أمية بن خلف .

وقد رواه البخاري أيضًا(٢) في مواضع ، ومسلم وأبو داود والنسائي ، من طرق ، عن أبي إسحاق ، به . وقوله في الممتنع : إنه أمية بن خلف في هذه الرواية - مشكل ، فإنه قد جاء من غير هذه الطريق أنه عتبة بن ربيعة[٢] .

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

قال الشعبي وغيره : الخالق يُقسم بما شاء من خلْقه ، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق . رواه ابن أبي حاتم .

واختلف المفسرون في معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ والنجم إذا هوىٰ ﴾ فقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : يعني بالنجم : الثريا إذا سقطت مع الفجر . وكذا رُوي عن ابن عباس وسفيان الثوري . واختاره ابن جرير . وزعم السدي أنها الزهرة .

وقال الضحاك : ﴿ والنجم إذا هوىٰ ﴾ إذا رمي به[٣] الشياطين ، وهذا القول له اتجاه .

---

(١) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ ، حديث (٤٨٦٣) .

(٢) - أخرجه البخاري في كتاب : سجود القرآن ، باب : ما جاء في سجود القرآن وسنتها ، حديث (١٠٦٧) . وأطرافه في ( ١٠٧٠، ٣٨٥٣، ٣٩٧٢، ٤٨٦٣ ) . ومسلم في كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، حديث ١٠٥ - (٥٧٦) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : من رأى فيها السجود ، حديث (١٤٠٦) . والنسائي في الكبرى ، في كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ ، حديث (١١٥٤٩) . كلهم من طريق شعبة عن أبي إسحاق .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : شيبة .

[٣] - في ز : بها .

وروىٰ الأعمش ، عن مجاهد في قوله : ﴿ **والنجم إذا هوىٰ** ﴾ ، يعني : القرآن إذا نزل . وهذه الآية[١] كقوله تعالىٰ : ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ما ضل صاحبكم وما غوىٰ** ﴾ : هذا هو المقسم عليه ، وهو الشهادة للرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بأنه بارّ راشد تابع للحق ليس بضال ، وهو : الجاهل الذي يسلك علىٰ غير طريق بغير علم . والغاوي : هو العالم بالحق العادل عنه قصدًا إلىٰ غيره ، فنزه الله رسوله وشرعَه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارىٰ وطرائق اليهود ، وعن علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه ، بل هو صلوات الله وسلامه عليه، وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد؛ ولهذا قال : ﴿ **وما ينطق عن الهوىٰ** ﴾ ، أي : ما يقول قولًا عن هوى وغرض ﴿ **إن هو إلّا وحي يوحىٰ** ﴾ أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملًا موفرًا من غير زيادة ولا نقصان ، كما رواه الإمام أحمد(٣) :

حدثنا يزيد ، حدثنا حَريز[٢] بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن ميسرة ، عن أبي أمامة؛ أنه سمع رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يقول : « **ليدخلن[٣] الجنة بشفاعة رجلٍ ليس بنبي مثلُ الحيين - أو مثل أحد الحيين - : ربيعة ومضر** » . فقال رجل : يا رسول الله ؛ أوَمَا ربيعة من مضر ؟ قال : « **إنما أقول ما أقول** » .

وقال الإمام أحمد (٤) :حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن عُبيد الله بن الأخنس ، أخبرنا الوليد ابن عبد الله ، عن يوسف بن مَاهَك ، عن عبد الله بن عمرو؛ قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أريد حفظه ، فنهتني قريش فقالوا : إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بشر[٤] ، يتكلم في الغضب .

(٣) - أخرجه أحمد (٥/٢٥٧) (٥/٢٢٣) والطبراني (٨/١٦٩)(٧٦٣٨) وفي إسناده : عبد الرحمن بن ميسرة وهو الحضرمي ، قال الحافظ : مقبول . وأخرجه أحمد أيضًا (٥/٢٥٧) (٢٢٣١٦) ، (٥/٢٦٧) (٢٢٣٩٦) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/٣٨٤) : رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني رجالهم رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ميسرة وهو ثقة . وأخرجه الطبراني بنحوه من طرق أخرى (٨/ ٢٨٠، ٣٣٠) ( ٧٩١٩، ٨٠٥٨) .

(٤) - أخرجه أحمد (٥/ ١٦٢، ١٩٢) . وصحح إسناد هذا الحديث أحمد شاكر في تعليقاته على المسند .

[١] - في ز ، خ : اللام .
[٢] - في ز : جرير .
[٣] - في ز : ليدخل .
[٤] - سقط من ز .

فأمسكت عن الكتاب .

[ فذكرت ذلك لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **اكتب ؛ فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق** » . ورواه أبو داود عن مسدد وأبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان ][١] .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٥) : حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث ، عن ابن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح ، عن أبي هُريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **ما أخبرتكم أنه الذي من عند الله ، فهو الذي لا شك فيه** » . ثم قال : لا نعلمه يُروىٰ إلا بهذا الإسناد .

وقال الإمام أحمد (٦) : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، عن بحر[٢] ، عن سعيد بن أبي سعيد[٣] ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم؛ أنه قال : « **لا أقول إلا حقًا** » . قال بعض أصحابه : فإنك تداعبنا يا رسول الله ؟ قال : « **إني لا أقول إلا حقًا** » .

﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾

---

(٥) - أخرجه البزار كما في مختصر الزوائد (١٣٩/١) (١٢١) وقال : لا نعلمه يروى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - إلا بهذا الإسناد .

قال الشيخ : رجاله رجال الصحيح . قلت - أي ابن حجر - : عادة الشيخ يتكلم في عبد الله بن صالح .اهـ . وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧٩/١) : رواه البزار وفيه أحمد بن منصور الرمادي ، وهو ثقة وفيه كلام لا يضر ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، وعبد الله بن صالح مختلف فيه . والحديث في كشف الأستار (١١٢/١) حديث (٢٠٣) ، ومجمع الزوائد (١٧٩/١) .

(٦) - أخرجه أحمد (٣٤٠/٢) وإسناده حسن .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ت .

[٢] - في ت : محمد .

[٣] - في ز : سعد .

يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله محمد صلىٰ اللّه عليه وسلم أنه عَلّمه الذي جاء به إلىٰ الناس ﴿ شديد القوىٰ ﴾ ، وهو جبريل - عليه السلام - كما قال : ﴿ إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثَم أمين ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ ذو مرة ﴾ ، أي : ذو قوة . قاله مجاهد ، والحسن ، وابن زيد . وقال ابن عباس : ذو منظر[١] حسن ، [ وقال قتادة : ذو خلق طويل حسن .

ولا منافاة بين القولين ، فإنه - عليه السلام - ذو منظر حسن ][٢] وقوة شديدة . وقد ورد الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة وابن عمر أن رسول الله - صلىٰ اللّه عليه وسلم - قال : « لا تحل الصدقة لغني ، ولا لذي مرّة سوي »(٧) .

وقوله : ﴿ فاستوىٰ ﴾ يعني : جبريل - عليه السلام - . قاله مجاهد والحسن وقتادة ، والربيع بن أنس . ﴿ وهو بالأفق الأعلىٰ ﴾ ، يعني : جبريل ، استوىٰ في الأفق الأعلىٰ .

---

(٧) - أما حديث أبي هريرة :

فأخرجه النسائي (٥/٩٩) كتاب : الزكاة ، باب : إذا لم يكن له دراهم وله عدلها . وابن ماجة في كتاب : الزكاة ، باب : من سأل عن ظهر غنى ، حديث (١٨٣٩) (١/٥٨٩) . وابن حبان (٨/٨٤) (٣٢٩٠) كلهم من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي حصين عن سالم بن أبي الجعد عن أبي هريرة . قال الزيلعي في : « نصب الراية » (٢/٣٩٩) : قال صاحب التنقيح : رواته ثقات إلا أن أحمد بن حنبل قال : سالم بن أبي الجعد لم يسمع من أبي هريرة . اهـ . لكن قال الشيخ الألباني في الإرواء (٣/٣٨٣) : وقول أحمد هذا لم يذكر في ترجمة سالم من التهذيب ، وقد جاء فيه نقول كثيرة عن الأئمة تبين أسماء الصحابة الذين لم يلقهم سالم أو لم يسمع منهم وليس فيهم أبو هريرة ، بل جاء ذكره في الصحابة الذين روى عنهم سالم ، ولم يعل بالانقطاع . فالله أعلم . والحديث أخرجه الحاكم (١/٤٠٧) عن ابن عيينة عن منصور عن أبي حازم عن أبي هريرة فذكره . قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وساق شاهدًا له حديث ابن عمر الآتي بإذن الله .

وللحديث طريق آخر أخرجه البزار كما في « نصب الراية » عن إسرائيل عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبي هريرة . ثم قال : قال البزار : وهذا الحديث رواه ابن عيينة عن منصور عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، والصواب حديث إسرائيل ، وقد تابع إسرائيل على روايته أبو حصين ، فرواه عن سالم عن أبي هريرة ، ثم أخرجه كذلك ، وهذا مخالف لكلام الحاكم . اهـ .

وقد صحح هذا الحديث الشيخ الألباني في الإرواء .

وأما حديث ابن عمرو : فأخرجه أبو داود في كتاب : الزكاة ، باب : من يعطى من الصدقة وحد الغنى ، حديث (١٦٣٤) (٢/١١٨) . والترمذي في كتاب : الزكاة ، باب : ما جاء من لا تحل له الصدقة ، حديث (٦٥٢) (٣/١٣ - ١٤) . كلاهما من طريق سعد بن إبراهيم عن ريحان بن يزيد عن عبد الله بن عمرو .

قال الترمذي : حديث حسن ، وقد روى شعبة عن سعد بن إبراهيم هذا الحديث بهذا الإسناد =

---

[١] - في ز ، خ : منطق . [٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

قاله عكرمة وغير واحد . قال عكرمة : والأفق الأعلىٰ : الذي يأتي منه الصبح . وقال مجاهد : هو مطلع الشمس . وقال قتادة : هو الذي يأتي منه النهار . وكذا قال ابن زيد ، وغيرهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا مُصَرِّف بن عمرو اليامي[١] أبو القاسم ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مصرف ، حدثني أبي ، عن الوليد - هو ابن قيس - عن إسحاق ابن أبي الكَهْتَلَة - أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود - أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لم ير جبريل في صورته إلا مرتين ، أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فسد الأفق . وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد ، فذلك قوله : ﴿ **وهو بالأفق الأعلى** ﴾(٨) .

وقد قال ابن جرير هاهنا قولًا لم أره لغيره ، ولا حكاه هو عن أحد ، وحاصله : أنه ذهب إلى أن المعنىٰ : ﴿ **فاستوىٰ** ﴾ ، أي : هذا الشديد القوي ذو المرة هو ومحمد صلىٰ الله عليهما وسلم بالأفق الأعلىٰ ، أي : استويا جميعًا بالأفق ، وذلك ليلة الإسراء . كذا قال ، ولم يوافقه أحد على ذلك . ثم شرع يوجه[٢] ما قال من حيث العربية فقال : وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **أئذا[٣] كنا ترابًا وآباؤنا** ﴾ ، فعطف بالآباء علىٰ المكنى في ﴿ **كنا** ﴾ من غير إظهار « **نحن** » ، فكذلك قوله : ﴿ **فاستوىٰ وهو** ﴾ . قال : وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشده

ألم تر أن النبع[٤] يصلب عودُه ولا يستوي والخروع[٥] المتقصّف

وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه ، ولكن لا يساعده المعنىٰ علىٰ ذلك ، فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء ، بل قبلها ورسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم في الأرض ، فهبط عليه جبريل - عليه السلام - وتدلىٰ إليه ، فاقترب[٦] منه وهو علي الصورة التي خلقه

---

= ولم يرفعه .اهـ . قال الزيلعي (٢/٣٩٩) : قال صاحب التنقيح : وريحان بن يزيد ، قال أبو حاتم : شيخ مجهول . ووثقه ابن معين . وقال ابن حبان : كان أعرابيًا صدوقًا . اهـ . وصححه الألباني في الإرواء (٣/ ٣٨٢) بشواهده . ومن أراد زيادة فائدة فليراجع الإرواء فقد فصل الشيخ فيه تفصيلًا مفيدًا .

(٨) - في إسناده مصرف بن عمرو اليامي : مجهول . ومحمد بن طلحة بن مصرف اليامي : صدوق له أوهام ، وأنكروا سماعه من أبيه لصغره كما في التقريب . وإسحاق بن أبي الكهتلة ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/٢٣٢) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

---

[١] - في ز ، خ : اليمامي .
[٢] - في ز ، خ : فوجه .
[٣] - في ز : إذا .
[٤] - في ز ،خ : البتع .
[٥] - في ز : والخردع .
[٦] - في ز : فأقرب .

اللَّه عليها ، له ستمائة جناح ، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرىٰ عند سدرة المنتهىٰ - يعني ليلة الإسراء - وكانت هذه الرؤية[١] الأولىٰ في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل - عليه السلام - أول مرة ، فأوحىٰ اللَّه إليه صدر « سورة اقرأ » ، ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم - فيها مرارًا ليتردىٰ من رءوس الجبال ، فكلما هَمّ بذلك ناداه جبريل من الهواء : « **يا محمد ، أنت رسول اللَّه حقًّا ، وأنا جبريل** » . فيسكن لذلك جأشه ، وتقر عينه ، وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها(٩) ، حتىٰ تَبَدّىٰ له جبريل ورسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في الأبطح في صورته التي خلقه اللَّه عليها ، له ستمائة جناح قد سد عُظْم[٢] خلقه الأفق ، فاقترب[٣] منه وأوحىٰ إليه عن اللَّه - عز وجل - ما أمره به ، فعرف عند ذلك

---

(٩) - وردت قصة محاولة تردي النبي - صلى الله عليه وسلم - في صحيح البخاري في كتاب : التعبير ، باب : أول ما بدء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصادقة ، حديث (٦٩٨٢) (٢/٣٥١ - ٣٥٢) . قال ابن حجر في الفتح (١٢/٣٦٠) : قال الإسماعيلي : موه بعض الطاعنين على المحدثين ، فقال : كيف يجوز للنبي أن يرتاب في نبوته حتى يرجع إلى ورقة ويشكو لخديجة ما يخشاه ، وحتى يوفى بذروة جبل ليلقى منها نفسه على ما جاء في رواية معمر ؟!.

قال : ولئن جاز أن يرتاب مع معاينة النازل عليه من ربه فكيف ينكر على من ارتاب فيما جاء به مع عدم المعاينة ؟ قال : والجواب أن عادة الله جرت بأن الأمر الجليل إذا قضي بإيصاله إلى الخلق ؛ أن يَقْدُمَه ترشيح وتأسيس ؛ فكان ما يراه النبي - صلى الله عليه وسلم - من الرؤية الصادقة ومحبة الخلوة والتعبد من ذلك ؛ فلما فجئه الملك فجئه بغتة أمرٌ خالف العادة والمألوف فنفر طبعه البشرى منه وهاله ذلك ، ولم يتمكن من التأمل في تلك الحال ؛ لأن النبوة لا تزيل طباع البشرية كلها ؛ فلا يتعجب أن يجزع مما لم يألفه وينفر طبعه منه ، حتى إذا تدرج عليه وألفه استمر عليه ؛ فلذلك رجع إلى أهله التى ألف تأنيسها له فأعلمها بما وقع له ؛ فهونت عليه خشيته بما عرفته من أخلاقه الكريمة وطريقته الحسنة ؛ فأرادت الاستظهار بمسيرها به إلى ورقة ؛ لمعرفتها بصدقه ومعرفته وقراءته الكتب القديمة ؛ فلما سمع كلامه أيقن بالحق واعترف به ، ثم كان من مقدمات تأسيس النبوة فترةُ الوحى ليتدرج فيه ويمرن عليه ؛ فشق عليه فتوره إذ لم يكن خوطب عن الله بعد : أنك رسول من الله ومبعوث إلى عباده ، فأشفق أن يكون ذلك أمر بدئ به ثم لم يرد استفهامه فحزن لذلك ، حتى تدرج على احتمال أعباء النبوة ، والصبر على ثقل ما يرد عليه فتح الله له من أمره بما فتح .

قال : ومثال ما وقع له أول ما خوطب ولم يتحقق الحال على جليتها مثل رجل سمع آخر يقول : « الحمد لله » فلم يتحقق أنه يقرأ حتى إذا وصلها بما بعدها من الآيات تحقق أنه يقرأ ، وكذا لو سمع قائلًا يقول : « خلت الديار » لم يتحقق أنه ينشد شعرًا حتى يقول : « محلها فمقامها » انتهى ملخصًا .

ثم قال : وأما إرادته إلقاء نفسه من رءوس الجبال بعد ما نبئ فلضعف قوته عن تحمل ما حمله من أعباء النبوة ، وخوفًا مما يحصل له من القيام بها من مباينة الخلق جميعًا ؛ كما يطلب الرجل الراحة من غم يناله في العاجل بما يكون فيه زواله عنه ، ولو أفضى إلى إهلاك نفسه عاجلًا ، حتى إذا تفكر فيما فيه صبره على ذلك من العقبى المحمودة صبر ، واستقرت نفسه . =

---

[١] - في ت : الرؤيا .
[٢] - بياض في ز ، خ .
[٣] - في ز : واقترب .

عظمة الملَك الذي جاءه بالرسالة ، وجلالة قَدْره وعلوّ مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه . فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حيث قال :

حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا الحارث بن عبيد ، عن أبي عمران الجَوْني ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « **بينا أنا قاعد إذ جاء جبريل - عليه السلام - فوكز بين كتفي ، فقمت إلىٰ شجرة فيها كَوَكْرَي الطير ، فقعد في أحدهما[١] وقعدت في الآخر . فَسَمَت[٢] وارتفعت حتىٰ سَدّت الخافقين وأنا أقلب طرفي ، ولو شئت أن أمس السماء لمسست ، فالتفت إليّ جبريل كأنه حلس لاطّ فعرفتُ فضلَ علْمه بالله عليّ ، وفُتح لي باب من أبواب السماء ورأيت النور الأعظم ، وإذا دون الحجاب رفرفة[٣] الدرّ والياقوت . وأوحىٰ إلي ما شاء الله أن يوحي** »(١٠) .

ثم[٤] قال البزار: لا يرويه إلا الحارث بن عبيد ، وكان رجلًا مشهورًا[٥] من أهل البصرة .

قلت : الحارث بن عُبَيد هذا هو أبو قدامة الإِيادي ، أخرج له مسلم في صحيحه إلا أن ابن[٦] معين ضعَّفه ، وقال : ليس هو بشيء . وقال الإِمام أحمد : مضطرب الحديث . وقال أبو حاتم الرازي : يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال ابن حبان : كَثُر وهمه فلا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد . فهذا الحديث من غرائب رواياته ، فإن فيه نكارة وغرابة ألفاظ وسياقًا عجيبًا ، ولعله منام ، والله أعلم .

وقال الإِمام أحمد(١١) : حدثنا حجاج ، حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن

= قلت - أي ابن حجر - : أما الإرادة المذكورة في الزيادة الأولى ففي صريح الخبر أنها كانت حزنا على ما فاته من الأمر الذي بشره به ورقة ، وأما الإرادة الثانية بعد أن تبدى له جبريل ، وقال له : إنك رسول الله حقًّا فيحتمل ما قاله ، والذي يظهر لى أنه بمعنى الذي قبله ، وأما المعنى الذي ذكره الإسماعيلي فوقع قبل ذلك في ابتداء مجيء جبريل .اهـ من الفتح .

(١٠) - أخرجه البزار كما في : « مختصر الزوائد » (١/٩٤ - ٩٥) (٣٥) . : وقال ابن حجر عن الحارث : أخرج له الشيخان ، وهو مع ذاك له مناكير ، هذا منها . والحديث في كشف الأستار (٥٨) ومجمع الزوائد (١/٧٥) وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(١١) - المسند (١/٣٩٥) . وفي إسناده شريك بن عبد الله النخعي تغير حفظه بعد أن ولي القضاء .=

[١] - في خ : أحدها .

[٢] - بياض في ز ، خ .

[٣] - في ز : رعرعة . وفي خ : زعزعة .

[٤] - سقط من ت ، خ .

[٥] - في ز : مشهودًا .

[٦] - سقط من ز ، خ .

عبد الله قال : رأىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جبريلَ في صورته وله[١] ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سَدّ الأفق ، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم ، انفرد به أحمد .

وقال أحمد(١٢) : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن إدريس بن منبه عن وهب بن منبه ، عن ابن عباس قال : سأل النبي صلىٰ الله عليه وسلم جبريل أن يراه في صورته ، فقال : ادع ربك . فدعا ربه - عز وجل - فطلع عليه سواد من قبل المشرق ، فجعل يرتفع وينتشر ، فلما رآه النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - صعِق ، فأتاه فبعشه[٢] ، ومسح البزاق عن شدقه . انفرد به أحمد .

وقد رواه ابن عساكر في ترجمة « **عتبة بن أبي لهب** » من طريق محمد بن إسحاق عن عثمان بن عروة بن الزبير عن أبيه عن هبار[٣] بن الأسود قال : كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلىٰ الشام ، فتجهزت معهما ، فقال ابنه عتبة : والله لأنطلقن إلىٰ محمد ولأوذينّه في ربه - سبحانه - فانطلق حتىٰ أتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، هو يكفر بالذي دنىٰ فتدلىٰ ، فكان قاب قوسين أوأدنىٰ . فقال النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - : « **اللّهم ابعث إليه كلبًا من كلابك** » . ثم انصرف عنه فرجع إلىٰ أبيه فقال : يا بني ، ما قلت له ؟ فذكر له ما قال له ، قال : فما قال لك ؟ قال : قال : « **اللّهم سلط عليه كلبًا من كلابك** » . قال : يا بني ، والله ما آمنُ عليك دُعاءه . فسرنا حتىٰ نزلنا [ الشراة - وهى مأسدة - ][٤]ونزلنا إلىٰ صومعة راهب ، فقال الراهب : يا معشر العرب ، ما أنزلكم هذه البلاد ، فإنما[٥] تسرح الأُسْدُ فيها كما تسرح الغنم ؟ فقال لنا أبو لهب : إنكم قد عرفتم كبر سني وحقي ، وإن هذا الرجل قد دعا علىٰ ابني دعوةً - والله - ما آمنها عليه ، فاجمعوا

= وعاصم بن بهدلة صدوق له أوهام . وصحح إسناد هذا الحديث العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند(٥/٢٨٢) .

وأخرجه (١/٤٠٧) من طريق عاصم بن بهدلة .

ولكن له شاهد في الصحيح من طريق ذر : أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ ، باب : ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ حديث ( ٤٨٥٦، ٤٨٥٧) (٨/٦١٠) . ومسلم (٢٨٠ - ١٧٤/٢٨٢) (٣/٤ - ٨) فذكر بعضه .

(١٢) - المسند (١/٣٢٢) (٢٩٦٧) قال الهيثمي في « المجمع » (٨/٢٦٠) : رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات . وفي إسناده إدريس بن سنان : أبو إلياس الصنعاني ابن بنت وهب بن منبه : ضعيف .

[١] - في ز : له .

[٢] - في . ، خ : فبعثه .

[٣] - في ز ، خ : هناد .

[٤] - في ز : « أسراه وهي بأسدة » .

[٥] - في ت : فإنها .

متاعكم إلىٰ هذه الصومعة ، وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها . ففعلنا ، فجاء الأسد فَشَمّ وجوهنا ، فلما لم يجد [ ما يريد ][١] تَقَبَّض ، فوثب وثبة[٢] ، فإذا هو فوق المتاع ، فشم وجهه ثم هزمه هَزمة ففتح[٣] رأسه . فقال أبو لهب : قد عرفت أنه لا ينفلت عن دعوة محمد (١٣) .

وقوله : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ ﴾ ، أي[٤] : فاقترب جبريل إلىٰ محمد لما هبط عليه إلىٰ الأرض ، حتىٰ كان بينه وبين محمد صلىٰ الله عليه وسلم قاب قوسين ، أي : بقدرهما إذا مُدّا . قاله مجاهد ، وقتادة .

وقد قيل : إن المراد بذلك بُعد ما بين وتد القوس إلى كبدها .

وقوله : ﴿ أو أدنىٰ ﴾ ، قد تقدم أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه و نفي ما زاد عليه ، كقوله : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ ، أي : ما هي بألين[٥] من الحجارة ، بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة . وكذا قوله : ﴿ يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ﴾ وقوله : ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ أي : ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة ، أو يزيدون عليها . فهذا تحقيق للمخبر به لا شك و[لا][٦] تردد[٧] ، فإن هذا ممتنع هاهنا ، وهكذا هذه الآية : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ ﴾ .

وهذا الذي قلناه من أن هذا المقترب[٨] الداني الذي صار بينه وبين محمد صلىٰ الله عليه وسلم إنما هو جبريل - عليه السلام - هو قول أم المؤمنين عائشة ، وابن مسعود ، وأبي ذر ، وأبي هريرة ، كما سنورد أحاديثهم قريبًا إن شاء الله .

وروىٰ مسلم في صحيحه ، عن ابن عباس أنه قال : « رأىٰ محمد ربه بفؤاده مرتين »(١٤) .

---

(١٣) - أخرجه الحاكم (٢/٥٣٩) . وأبو نعيم في دلائل النبوة (٣٨٩ - ٣٩٢) . قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٤/٣٩) .

(١٤) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : معنى قول الله - عز وجل - : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ ، حديث (٢٨٥/١٧٦) .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في ت ، خ : ففضخ .
[٤] - في ز : أو .
[٥] - في ز ، خ : بأكثر .
[٦] - بياض في ز .
[٧] - في ز ، خ : ترديد .
[٨] - في ز ، خ : القرب .

فجعل هذه إحداهما[١] . وجاء في حديث شريك بن أبي نمر ، عن أنس في حديث الإسراء : « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلىٰ »(١٥) . ولهذا تكلم كثير[٢] من الناس في متن هذه الرواية ، وذكروا أشياء فيها من الغرابة ، فإن صح فهو محمول علىٰ وقت آخر وقصة أخرىٰ ، لا أنها تفسير لهذه الآية ، فإن هذه كانت ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في الأرض لا ليلة الإسراء ، ولهذا قال بعده : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرىٰ * عند سدرة المنتهىٰ ﴾ ، فهذه هي ليلة الإسراء ، والأولىٰ كانت في الأرض .

وقد قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، حدثنا عبد الواحد ابن زياد ، حدثنا سليمان الشيباني ، حدثنا زر بن حبيش قال : قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ ﴾ ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « رأيت جبريل له ستمائة جناح »(١٦) .

وقال ابن وهب : حدثنا ابن لَهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، عن عائشة قالت : كان أولَ شأن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه رأىٰ في منامه جبريل بأجياد ، ثم إنه خرج ليقضي حاجته فصرخ به جبريل : يا محمد . يا محمد ، فنظر رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يمينًا وشمالاً فلم ير شيئًا - ثلاثًا - ثم رفع بصره فإذا هو ثان[٣] إحدىٰ رجليه مع الأخرىٰ علىٰ أفق السماء فقال : يا محمد ، جبريل جبريلُ - يُسَكنه - فهرب النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، حتىٰ دخل في الناس ، فنظر فلم ير شيئًا ، ثم خرج من الناس ، ثم نظر فرآه ، فدخل في الناس فلم ير شيئًا ، ثم خرج فنظر فرآه ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ والنجم إذا هوىٰ ﴾ . إلىٰ قوله : ﴿ ثم دنا فتدلىٰ ﴾ ؛ يعني جبريل إلىٰ محمد ، ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ ﴾ . ويقولون القاب نصف الأصبع . وقال بعضهم : ذراعين كان بينهما(١٧) . رواه ابن جرير . وابن أبي حاتم ، من حديث ابن وهب . وفي حديث الزهري ، عن أبي سلمة ، عن جابر شاهد لهذا .

---

(١٥) - تقدم تخريجه في أوائل سورة الإسراء .

(١٦) - أخرجه الطبري (٢٧/٤٥) . وإسناده صحيح . وقد تقدم تخريجه من طريق عبد الواحد بن زياد في الصحيحين قبل هذا الحديث بأربعة أحاديث .

(١٧) - أخرجه الطبرى (٢٧/٤٩) .

وعبد الله بن وهب قد روى عن ابن لهيعة قبل الاختلاط ، غير أن سفيان بن وكيع لا يعتد بروايته وهو شيخ الطبرى .

---

[١] - في ز : أحدهما . [٢] - في خ : بعض .

[٣] - في ز : ثاني رجليه .

[ وروىٰ البخاري عن طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن الشيباني قال : سألت زرًّا عن قوله : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ * فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ ﴾ ، قال : حدثنا عبد اللَّه أن محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم رأىٰ جبريل له ستمائة جناح(١٨) .

وقال ابن جرير : حدثني ابن بزيع البغدادي ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد اللَّه : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأىٰ ﴾ ، قال : رأىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، جبريل عليه حلتا رفرفٍ قد ملأ ما بين السماء والأرض ][١](١٩) . فعلىٰ ما ذكرناه يكون قوله : ﴿ فأوحىٰ إلىٰ عبده [ ما أوحىٰ ﴾ ، معناه : فأوحىٰ جبريل إلىٰ عبد اللَّه محمد ما أوحىٰ ، أو : فأوحىٰ اللَّه إلىٰ عبده][٢] محمد ما أوحىٰ بواسطة جبريل . وكلا المعنيين صحيح . وقد ذكر عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ ﴾ ، قال : أوحى إليه : ( ألم أجدك يتيمًا ) ، ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ .

وقال غيره : أوحىٰ إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها ، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك .

وقوله : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأىٰ * أفتمارونه علىٰ ما يرىٰ ﴾ . قال مسلم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن زياد بن حُصَين ، عن أبي العالية ، عن ابن عباس : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأىٰ ﴾ ، ﴿ ولقد رآه نزلة أخرىٰ ﴾ ، قال : رآه بفؤاده مرتين(٢٠) .

وكذا رواه سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله. وكذا قال أبو صالح والسدي وغيرهما : إنه رآه بفؤاده مرتين . [ وقد خالفه ابن مسعود وغيره ][٣] ، وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية ، وهي محمولة علىٰ المقيدة بالفؤاد . ومن روىٰ عنه بالبصر فقد أغرب ، فإنه لايصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي اللَّه عنهم. وقول البغوي في تفسيره : وذهب

(١٨) - أخرجه البخاري ( ٤٨٥٦، ٤٨٥٧) ، ومسلم (٢٨٠ - ١٧٤/٢٨٢) .

(١٩) - أخرجه الطبرى (٤٩/٢٧) ، وابن بزيع هو محمد بن عبد الله ، وأخرجه البخاري من طريق آخر بنحوه في التفسير برقم (٤٨٥٨) .

(٢٠) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : قوله تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ حديث (٢٨٥/ ١٧٦) (١٠/٣) .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز . وبياض في خ .

جماعة إلىٰ آنه رأه بعينه - وهو قول أنس والحسن وعكرمة - فيه نظر ، والله أعلم .

وقال الترمذي : حدثنا محمد بن عمرو بن نَبْهان[١] بن صفوان ، حدثنا يحيىٰ بن كثير العنبري ، عن سَلْم[٢] بن جعفر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : رأىٰ محمد ربه ! قلت : أليس الله يقول : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ ؟ قال : ويحك ! ذاك إذا تجلّىٰ بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين(٢١) .

ثم قال : « **حسن غريب** » .

وقال أيضًا : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن مجالد ، عن الشعبي قال : لقي ابن عباس كعبًا بعرفة[٣] ، فسأله عن شيء فكَبّر[٤] حتىٰ جاوبته الجبال ، فقال ابن عباس : إنا بنو هاشم . فقال كعب : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسىٰ ، فكلم موسىٰ مرتين ورآه محمد مرتين .

وقال مسروق : دخلتُ علىٰ عائشة فقلت : هل رأىٰ محمد ربه ؟ فقالت : لقد تكلمت بشيء قَفّ له شعري . فقلت : رُوَيدًا ! ثم قرأتُ : ﴿ **لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ** ﴾ . فقالت : أين يُذهَبُ بك ؟ إنما هو جبريل ، من أخبرك أن محمدًا رأىٰ ربه أو[٥] كتم شيئًا مما [ أمر به ][٦] ، [ أو يعلم الخمس التي ][٧] [ ][٨] قال الله تعالى : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ...** ﴾ الآيات[٩] . فقد أعظم الفرية ، [ ولكنه رأىٰ ][١٠] [ ][١١]جبريل ، لم يره في صورته إلا مرتين ، مرة عند سدرة المنتهىٰ ومرة في جيّاد ، وله ستمائة جناح قد سد الأفق(٢٢) .

---

(٢١) - أخرجه الترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة النجم ، حديث (٣٢٧٥) (٩/٢٩) .
قال الترمذي : حديث حسن غريب ، قلت : في إسناده محمد بن عمرو بن نبهان ، قال الحافظ : مقبول . والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٤٧ - ٣٥١٠) .

(٢٢) - أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة النجم ، حديث (٣٢٧٤) (٩/٢٨) . وفي إسناده مجالد ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره . وابن أبي عمر هو محمد بن يحيى بن أبي عمر قال الحافظ : صدوق لازم ابن عيينة لكن قال أبو حاتم : كانت فيه غفلة . وقد ورد عن عائشة في الصحيح نحو عجز هذا الحديث ، وسيأتي بإذن الله .

---

[١] - في ز ، خ : منهال .
[٢] - في ز ، خ : مسلم .
[٣] - في ز ، خ : فعرفه .
[٤] - في ز : قلت .
[٥] - في ز ، خ : و .
[٦] - في خ : أمره .
[٧] - ما بين المعكوفين بياض في ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : لكن .
[٩] - سقط من ز ، خ .
[١٠] - بياض في ز ، خ .
[١١] - في ز ، خ : التي .

وقال النسائي : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أتعجبون أن تكون الخلّة[١] لإبراهيم ، والكلام لموسىٰ ، والرؤية لمحمد عليهم السلام ؟ !(٢٣) .

وفي صحيح مسلم ، عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : هل رأيتَ ربك ؟ فقال : « **نور أنّىٰ أراه** »(٢٤) . وفي رواية : « **رأيت نورًا** »(٢٥) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو[٢] خالد ، عن موسىٰ بن عبيدة ، عن محمد بن كعب قال : قالوا : يا رسول الله ، رأيت ربك ؟ قال : « **رأيته بفؤادي مرتين** » ثم قرأ : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأىٰ** ﴾(٢٦) .

ورواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب ، عن بعض أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : قلنا : يا رسول الله ، هل رأيت ربك ؟ قال : « **لم أره بعيني ، ورأيته بفؤادي مرتين** » . ثم تلا : ﴿ **ثم دنا فتدلىٰ** ﴾(٢٧) .

ثم قال ابن أبي حاتم : وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، أخبرني عَبّاد بن منصور قال : سألت عكرمة : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأىٰ** ﴾ ؟ فقال عكرمة : تريد أن أخبرك أنه قد رآه ؟ قلت : نعم . قال : قد رآه ، ثم قد رآه . قال[٣] : فسألت عنه الحسن فقال : قد[٤] رأىٰ جلاله وعظمته ورداءه(٢٨) .

---

(٢٣) - أخرجه النسائي في « الكبرى » في كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأىٰ** ﴾ حديث (١١٥٣٩) (٤٧٢/٦) ، وابن أبي عاصم في السنة (٤٤٢/١٩٢/١) ، وابن خزيمة في التوحيد (١٩٧) ، وعبد الله بن أحمد في السنة . والآجرى في الشريعة ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٩) ، وابن منده (٧٦٢) واللالكائي (٩٠٥) .

(٢٤) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : قوله عليه السلام : « **نور أنى أراه** » حديث (٢٩١/ ١٧٨) (١٥/٣) .

(٢٥) - أخرجه مسلم في الموضع السابق (١٧٨/٢٩٢) (١٦/٣) .

(٢٦) - في إسناده موسى بن عبيدة وهو ضعيف .

(٢٧) - وأخرجه الطبرى (٤٩/٢٧ - ٥٠) .

(٢٨) - إن كان محمد بن عبد الله الأنصاري هو ابن زيد فقد كذبوه وإلا فإسناده صحيح إلى عكرمة .
ورواه ابن جرير الطبري من حديث خلاد بن أسلم قال : أخبرني النضر بن شميل قال : أخبرني عباد بن منصور ... فذكره دون ذكر الحسن .

---

[١] - في ز ، خ : الحكمة .
[٢] - في ز : ابن .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من ز ، ت .

وحدثنا أبي ، حدثنا محمد بن مجاهد ، حدثنا أبو عامر العَقَدي ، أخبرنا أبو خلدة ، عن أبي العالية قال : سُئِل رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ قال : « **رأيت نهرًا ، ورأيت وراء النهر حجابًا ، ورأيت وراء الحجاب نورًا لم أر غير ذلك**[١] » .

وذلك[٢] غريب جدًا ، فأمّا الحديث الذي رواه الإمام أحمد :

حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **رأيت ربي عز وجل** »(٢٩) . فإنه حديث إسناده علىٰ شرط الصحيح ، لكنه مختصر من حديث المنام ، كما رواه الإمام أحمد أيضًا :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن ابن عباس أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **أتاني ربي الليلة في أحسن صورة - أحسبه يعني في النوم - فقال : يا محمد ، أتدري فيم يختصم الملأ الأعلىٰ ؟ قال : قلت : لا . فوضع يده بين كتفي حتىٰ وجدت بَرْدَها بين ثدييّ - أو قال : نحري - فعلمت ما في السماوات وما في الأرض ، ثم قال : يا محمد ، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قال : قلت : نعم ، يختصمون في الكفارات والدرجات**[٣] . **قال : وما الكفارات والدرجات قال : قلت : المكث**[٤] **في المساجد بعد الصلوات ، والمشي علىٰ الأقدام إلىٰ الجمعات**[٥] ، **وإبلاغ الوضوء في المكاره . من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه . وقال : قل يا محمد إذا صليت : اللّهم ، إني أسألك الخيرات ، وترك المنكرات ، وحبّ المساكين ، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون . قال : والدرجات بذلُ الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام** »(٣٠) . وقد تقدم في آخر سورة « ص » عن معاذ نحوه . وقد رواه ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس ، وفيه سياق آخر وزيادة غريبة فقال :

حدثني أحمد بن عيسىٰ التميمي ، حدثني سليمان بن عمر بن سيار[٦] ، حدثني أبي ،

---

(٢٩) - أخرجه أحمد (٢٨٥/١) (٢٥٨٠) وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقاته على المسند ، والشيخ الألباني في كتاب السنة لابن أبي عاصم (٤٦٩) .

(٣٠) - أخرجه أحمد (٣٦٨/١) (٣٤٨٤) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند ، والشيخ الألباني في تعليقاته على السنة برقم (٣٨٨) .

---

[١] - سقط من ت ، خ .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : الكثرة .

[٥] - في ز ، خ : الجماعات .

[٦] - في خ : يسار .

عن سعيد بن زربي[١] ، عن عمر بن سليمان ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : **« رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي : يا محمد ، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلىٰ ؟ فقلت : لا ، يا رب . فوضع يده بين كتفي فوجدت بَرْدَها بين ثدييّ ، فعلمت ما في السماوات والأرض ، فقلت : يا رب ، في الدرجات والكفارات ، ونقل الأقدام إلىٰ الجماعات[٢] وانتظار الصلاة بعد الصلاة . فقلت : يا رب ؛ إنك اتخذت إبراهيم خليلًا ، وكلمتَ موسىٰ تكليمًا ، وفعلت وفعلت . فقال : ألم أشرح لك صدرك ؟ ألم أضع عنك وزرك ؟ ألم أفعل بك ؟ ألم أفعل ؟ قال : فأفضىٰ إليَّ بأشياء لم يؤذن لي أن أحدثكموها . قال : فذاك قوله في كتابه : ﴿ ثم دنا فتدلىٰ * فكان قاب قوسين أو أدنىٰ * فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ * ما كذب الفؤاد ما رأىٰ ﴾ ، فجُعل نور بصري في فؤادي ، فنظرت إليه بفؤادي »**(٣١) . إسناده[٣] ضعيف .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر بسنده إلى هبار بن الأسود - رضي اللّٰه عنه - : أن عتبة[٤] ابن أبي لهب لما خرج في تجارة إلىٰ الشام قال لأهل مكة : اعلموا أني كافر بالذي دنا فتدلىٰ . فبلغ قوله رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : **« سَلَّطَ اللّٰه عليه كلبًا من كلابه »** . قال هبار : فكنت معهم ، فنزلنا بأرض كثيرة الأسد ، قال : فلقد رأيت الأسد جاء فجعل يَشَمّ رءوس القوم واحدًا واحدًا ، حتىٰ تخطىٰ إلىٰ عتبة فاقتطع رأسه من بينهم (٣٢) .

وذكر ابن[٥] إسحاق وغيره في السيرة : أن ذلك كان بأرض الزرقاء ، وقيل بالشراة ، وأنه خاف[٦] ليلتئذ ، وأنهم جعلوه بينهم وناموا من حوله ، فجاء الأسد فجعل يزأر ، ثم تخطاهم إليه فضغم رأسه ، لعنه الله .

وقوله : **﴿ ولقد رآه نزلة أخرىٰ * عند سدرة المنتهىٰ * عندها جنة المأوىٰ ﴾** ، هذه هي المرة الثانية التي رأىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فيها جبريل علىٰ صورته التي خلقه اللّٰه عليها ، وكانت ليلة الإسراء . [وقد][٧] قدمنا الأحاديث الواردة في الإسراء بطرقها وألفاظها في أول سورة **« سبحان »** بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا ، وتقدم أن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما

---

(٣١) - أخرجه الطبرى (٢٧/٤٨) ، وفي إسناده سعيد بن زربي ، منكر الحديث .

(٣٢) - تقدم تخريجه قريبًا وهو حديث حسن ؛ حسنه الحافظ ابن حجر في الفتح .

---

[١] - في ز ، خ : زرعي .
[٢] - في ت : الجمعات .
[٣] - في ت : إسناد .
[٤] - في ز : عيينة .
[٥] - في خ : ابن أبي .
[٦] - في ز ، خ : كان .
[٧] - في خ : و .

كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء ، ويستشهد بهذه الآية . وتابعه جماعة من السلف والخلف ، وقد خالفه جماعات من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن[١] بهدلة ، عن زرّ بن حُبَيش ، عن ابن مسعود في هذه الآية : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرىٰ * عند سدرة المنتهي** ﴾ ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **رأيت جبريل وله ستمائة جناح ، ينتثر من ريشه التهاويل : الدر والياقوت** »(٣٣) . وهذا إسناد جيد قوي .

وقال أحمد أيضًا : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا شريك ، عن جامع بن أبي راشد ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : رأىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سد الأفق ، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم(٣٤) . إسناده حسن أيضًا .

وقال أحمد أيضًا : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني حسين ، حدثني عاصم بن بهدلة قال : سمعت شقيق[٢] بن سلمة يقول : سمعت ابن مسعود يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **رأيت جبريل علىٰ سدرة[٣] المنتهىٰ ، وله ستمائة جناح** » . سألت عاصمًا عن الأجنحة ؟ فأبىٰ أن يخبرني . قال : فأخبرني بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب(٣٥) . وهذا أيضًا إسناد جيد .

وقال أحمد : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني حسين ، حدثني حصين[٤] حدثني شقيق[٥] قال : سمعت ابن مسعود يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أتاني جبريل - عليه السلام - في خُضر[٦] معلق به الدر** »(٣٦) . إسناده جيد أيضًا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيىٰ ، عن إسماعيل ، حدثنا عامر قال : أتىٰ مسروقٌ عائشة فقال : يا أم المؤمنين ، هل رأى محمد - صلىٰ الله عليه وسلم - ربه عز وجل؟ قالت : سبحان الله ! لقد قَفَّ شعري لما قلت ، أين أنت من ثلاث من حَدَّثكهُنَّ فقد كذب : من

(٣٣) - أخرجه أحمد (٤٦١/١) (٤٣٩٦) . وصححه أحمد شاكر في المسند .
(٣٤) - ذكره ابن حجر في « أطراف المسند » (١٥٨/٤) .
(٣٥) - أخرجه أحمد (٤٠٧/١) (٣٨٦٢) وصححه أحمد شاكر .
(٣٦) - أخرجه أحمد (٤٠٧/١) وصححه أحمد شاكر أيضًا .

[١] - في خ : عن .
[٢] - في ز ، خ : منصور .
[٣] - في ز : السدرة .
[٤] - في ت : عاصم بن بهداة .
[٥] - في ز ، خ : سفيان .
[٦] - في ز : حصر .

حدثك أن محمدًا رأىٰ ربه فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ ، ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب** ﴾ ، ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام** ﴾ .. الآية . ومن أخبرك أن محمدًا قد كتم ، فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾ . ولكنه رأىٰ جبريل [ في صورته ][١] مرتين(٣٧) .

وقال أحمد أيضًا : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن داود ، عن الشعبي ، عن مسروق قال : كنت عند عائشة فقلت : أليس الله يقول : ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ ، ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرىٰ** ﴾ ؟ فقالت : أنا أول هذه الأمة[٢] سأل[٣] رسولَ الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، عنها ، فقال : « **إنما ذاك جبريل** » . لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين ، رآه منهبطًا من السماء إلىٰ الأرض ، سادًّا عُظْمُ خلقه ما بين السماء والأرض(٣٨) . أخرجاه في الصحيحين من حديث الشعبي به(٣٩) .

( رواية أبي ذر ) قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، حدثنا قتادة ، عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لأبي ذر : لو رأيتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لسألته . قال : وما كنت تسأله ؟ قال : كنت أسأله : هل رأىٰ ربه عز وجل ؟ فقال : إني قد سألته فقال : « **قد رأيته نورًا أنَّىٰ أراه** »(٤٠) .

هكذا وقع في رواية الإمام أحمد ، وقد أخرجه مسلم من طريقين بلفظين فقال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا وكيع ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن قتادة ، عن عبد الله بن شقيق ، عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال :

---

(٣٧) - أخرجه أحمد (٦/٤٩) برقم (٢٤٣٣٨) ، وهو عند البخاري برقم (٤٨٥٥) (٦/٦٠٦) .

(٣٨) - أخرجه أحمد (٦/٢٤٠) برقم (٢٦١٤٩) .

(٣٩) - أخرجه البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا** ﴾ حديث (٧٣٨٠) (١٣/٣٦١) . وباب : قول الله تعالى : ﴿ **يأيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾ حديث (٧٥٣١) (١٣/٥٠٣) مقطعًا . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : معنى قول الله - عز وجل - : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ حديث (٢٨٧/١٧٧) (٣/١١ - ١٢) .

(٤٠) - أخرجه أحمد (٥/١٤٧) (٢١٣٩٣) وهو عند مسلم من طريق عفان بهذا الإسناد بلفظ : « رأيت نورًا » ولم يزد (٢٩٢/١٧٨) .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز ، خ : الآية .

[٣] - في خ : سألت .

« نور أنَّىٰ أراه »(٤١) .

وقال : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي ، عن قتادة ، عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لأبي ذر : لو رأيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لسألته . فقال : عن أي شيء كنت تسأله ؟ قال : قلت : كنت أسأله : هل رأيت ربك ؟ قال أبو ذر : قد سألت ؛ فقال : « رأيت نورًا »(٤٢) .

وقد حكىٰ الخلال في علله أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث ؟ فقال : ما زلتُ منكرًا له ، وما أدري ما وجهه .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عون الواسطي ، أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أبي ذر قال : رآه بقلبه ، ولم يره بعينه(٤٣) .

وحاول ابن خزَيمة أن يدعي انقطاعه بين عبد الله بن شقيق وبين أبي ذر ، وأما ابن الجوزي فتأوله علىٰ أن أبا ذر لعله سأل رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قبل الإسراء ، فأجابه بما أجابه به ، ولو سأله بعد الإسراء لأجابه بالإثبات . وهذا ضعيف جدًا ، فإن[١] عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قد سألت عن ذلك بعد الإسراء ، ولم يثبت لها الرؤية .

ومن قال : إنه خاطبها علىٰ قدر عقلها ، أو حاول تخطئتها فيما ذهبت إليه - كابن خُزيمة في « **كتاب التوحيد** » - فإنه هو المخطئ، والله أعلم.

وقال النسائي : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشام ، عن منصور ، عن الحكم ، عن يزيد بن شريك ، عن أبي ذر قال : رأىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ربه بقلبه ، ولم يره ببصره(٤٤) .

وقد ثبت في صحيح مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن علي بن مُشهر ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال

(٤١) - أخرجه مسلم (١٧٨/٢٩١) (١٥/٣) .

(٤٢) - أخرجه مسلم (١٧٨/٢٩٢) (٩٦/٣) .

(٤٣) - في إسناده هشيم وهو ثقة إلا أنه كثير التدليس وقد عنعن .

(٤٤) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ حديث (١١٥٣٦) (٤٧٢/٦) . وفي إسناده هشيم ذكره ابن حجر في الطبقة الثالثة من المدلسين وقد عنعن ، وبقية رجال الإسناد ثقات .

[١] - في ز ، خ : قالت .

في قوله : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرىٰ ﴾ ، قال : رأىٰ جبريل عليه السلام (٤٥) .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرىٰ ﴾ ، قال : رأىٰ رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - جبريل في صورته مرتين. وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وغيرهم.

وقوله تعالىٰ : ﴿ إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ ﴾ ، قد تقدم في أحاديث الإسراء أنه غشيتها الملائكة مثل الغِرْبان ، وغشيها نور الرب ، وغشيها ألوان ما أدري ما هي ؟

وقال الإمام أحمد : حدثنا مالك بن مغْوَل ، حدثنا الزبير بن عدي ، عن طلحة ، عن مرة ، عن عبد اللّٰه - هو ابن مسعود - قال : لما أسري برسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم انتهي به إلىٰ سدرة المنتهىٰ ، وهي في السماء السابعة[١] ، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض[٢] منها ، وإليها ينتهي ما يهبط[٣] به من فوقها فيقبض منها ، ﴿ إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ ﴾ ، قال : فراش من ذهب . قال : وأعطي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ثلاثًا[٤] : أعطي الصلوات الخمسَ ، وأُعطيَ خواتيم سورة البقرة ، وغُفر لمن لا يشرك باللّٰه شيئًا من أمته المقحمات (٤٦) . انفرد به مسلم.

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة أو غيره - شك أبو جعفر - قال : لما أسري برسول اللّٰه انتهىٰ إلىٰ السدرة ، فقيل له : هذه السدرة ، فغشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر[٥] ، قال : فكلمه عند ذلك فقال له : سل... إلخ[٦] (٤٧) .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ ﴾ ، قال : كان أغصان السدرة لؤلؤًا وياقوتًا وزبرجدًا ، فرآها محمد ، ورأىٰ ربه بقلبه .

وقال ابن زيد : قيل : يا رسول اللّٰه ، أي شيء رأيت يغشىٰ تلكِ السدرة ؟ قال : « رأيت يغشاها فَراش من ذهب ، ورأيت علىٰ كل ورقة من ورقها مَلَكًا قائمًا يسبح اللّٰه

(٤٥) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : معنى قول الله - عز وجل - : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ ، حديث (١٧٥/٢٨٣) (٩/٣) .

(٤٦) - أخرجه أحمد (٤٢٢/١) ، ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : في ذكر سدرة المنتهى ، حديث (١٧٣/٢٧٩) (٣/٣ -٤) .

(٤٧) - أبو جعفر الرازي : سيئ الحفظ .

[١] - في خ : السادسة .

[٢] - في خ : فتفيض .

[٣] - في خ : يقبض .

[٤] - في خ : صلبا .

[٥] - في خ : الشجرة .

[٦] - سقط من ز ، خ .

عز وجل»(٤٨) .

وقوله : ﴿ ما زاغ البصر وما طغىٰ ﴾ ، قال ابن عباس : ما ذهب يمينًا ولا شمالًا ، ﴿ وما طغىٰ ﴾ : ما جاوز ما أمر به .

وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة ، فإنه ما فعل إلا ما أمر به ، ولا سأل فوق ما أعطي . وما أحسن ما قال الناظم :

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو رأى غيره ما قد رآه لتاها

وقوله : ﴿ لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ ﴾ ، كقوله : ﴿ لنريه[١] من آياتنا ﴾ ، أي : الدالة علىٰ قدرتنا وعظمتنا . وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع ، لأنه قال : ﴿ لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ ﴾ ، ولو كان رأىٰ ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس ، وقد تقدم تقرير ذلك في سورة « سبحان » . و[قد][٢] قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو النضر ، حدثنا محمد بن طلحة ، عن الوليد بن قيس ، عن إسحاق بن أبي الكَهْتَلَة[٣] - قال محمد : أظنه عن ابن مسعود - أنه قال : إن محمدًا لم ير جبريل في صورته إلا مرتين ، أما مرة فإنه سأله أن يُريه نفسه في صورته ، فأراه صورته فسد الأفق . وأما الأخرىٰ فإنه صَعد معه حين صعد به .

وقوله : ﴿ وهو بالأفق الأعلىٰ * ثم دنا فتدلىٰ * فكان قاب قوسين أو أدنىٰ * فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ ﴾ . قال[٤] : فلما أحس[٥] جبريل ربه - عز وجل - عاد في صورته وسجد ، فقوله : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرىٰ * عند سدرة المنتهىٰ * عندها جنة المأوىٰ * إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ * ما زاغ البصر وما طغىٰ * لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ ﴾ ، قال : خَلْقَ جبريل عليه السلام(٤٩) . هكذا رواه الإمام أحمد وهو غريب .

---

(٤٨) - تقدم تخريج أحاديث المعراج في أول سورة الإسراء .

(٤٩) - أخرجه أحمد (٤٠٧/١) (٣٨٦٤) وفي إسناده إسحاق بن أبي الكهتلة ، قال ابن حجر في التعجيل (٢٩) : قال البخاري : حديثه في الكوفيين ، ولم يذكر فيه جرحًا ، وتبعه ابن أبي حاتم ، وذكره ابن حبان في الثقات .

---

[١] - في ت ، خ : لنريك .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : الكهيلة .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز ، خ : أخبر .

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ (٢٠) أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ (٢٢) إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ (٢٣) أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ (٢٥) ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ (٢٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ (٢٧)﴾

يقول تعالىٰ مُقَرِّعًا للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان ، واتخاذهم لها البيوت مضاهاة[١] للكعبة التي بناها خليل الرحمٰن - عليه السلام - : ﴿ **أفرأيتم اللات** ﴾ ، وكانت « **اللات** » صخرةً بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وسَدَنة ، وحوله فناء معظَّم عند أهل الطائف ، وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها علىٰ من عداهم من أحياء العرب بعد قريش .

قال ابن جرير : وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله ، فقالوا : اللات ، يعنون مؤنثة منه ، تعالىٰ الله عن قولهم علوًّا كبيرًا . وحكي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والربيع بن أنس : أنهم قرءوا : ( **اللاتّ** ) بتشديد التاء ، وفسروه بأنه كان رجلًا يلت للحجيج في الجاهلية السويق ، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه .

وقال البخاري : حدثنا مسلم - هو ابن إبراهيم - حدثنا أبو الأشهب ، حدثنا أبو الجوزاء ، عن ابن عباس [عن ][٢]: ﴿ **اللات والعزىٰ** ﴾ ، قال : كان اللات رجلًا يلت السويق سويق الحاج (٥٠) .

قال ابن جرير : وكذا العُزَّىٰ من العزيز . وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة ، وهي بين مكة والطائف ، كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد : لنا العزىٰ ولا عزَّىٰ لكم . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **قولوا : الله[٣] مولانا ولا مولىٰ**

---

(٥٠) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى** ﴾ ، حديث (٤٨٥٩) (٦١١/٨) .

---

[١] - في ز : مطاهاو . كذا .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - سقط من ز .

**لكم »**(٥١) .

ورویٰ البخاري من حديث الزهري ، عن حُمَيد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« من حلف فقال في حلفه : واللات والعزىٰ فليقل : لا إله إلا الله . ومن قال لصاحبه : تعال أقَامِرْك فليتصدق »**(٥٢) .

وهذا محمول علىٰ من سبق لسانه إلىٰ[١] ذلك ، كما كانت ألسنتهم قد اعتادته في زمن الجاهلية ، كما قال النسائي : أخبرنا أحمد بن بكار وعبد الحميد بن محمد قالا : حدثنا مَخْلد ، حدثنا يونس[٢] ، عن أبيه : حدثني مصعب بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه قال : حلفت باللات والعزىٰ ، فقال لي أصحابي : بئس ما قلت ! قلت هجرًا . فأتيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فقال : **« قل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير . وانفث عن شمالك ثلاثًا ، وتعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم لا تعد »**(٥٣) .

وأما مناة فكانت بالمُشَلَّل[٣] - عند قُدَيد ، بين مكة والمدينة - وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ، و[٤]يهلون منها للحج إلى الكعبة . وروى البخاري عن عائشة نحوه(٥٤) . وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أُخَر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير[٥] هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز ، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر

(٥١) - أخرجه البخاري بطوله في كتاب المغازي باب : غزوة أحد ، حديث (٤٠٤٣) (٧/٣٤٩ - ٣٥٠) .

(٥٢) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى** ﴾ حديث (٤٨٦٠) (٨/ ٦١١) .

(٥٣) - أخرجه النسائي (٧/٨) في كتاب : الأيمان والنذور ، باب : الحلف باللات والعزى ، من طريق عبد الحميد بن محمد . وفي الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول من حلف باللات والعزى ، حديث (١٠٨٢٦) (٦/٢٤٥ - ٢٤٦) . وفيه يونس بن أبي إسحاق . قال الذهبي : قال ابن مهدي : لم يكن به بأس . وقال أبو حاتم : صدوق ، لا يحتج به . وقال النسائي : ليس به بأس . وقال ابن خراش : في حديثه لين . وقال ابن حزم : ضعفه يحيى بن القطان وأحمد بن حنبل جدًّا . قلت - أي الذهبي - : بل هو صدوق ما به بأس ، ما هو في قوة مسعر ولا شعبة . وعن يحيى بن سعيد : فيه غفلة . وقال أحمد : حديثه مضطرب . وعن ابن معين : ثقة . ( ميزان الاعتدال ٦/١٥٦ - ١٥٧) .

(٥٤) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ ، حديث (٤٨٦١) (٨/ ٦١٣) .

[١] - في ت : في .
[٢] - في ز : قريش .
[٣] - في ز : بالسلل . وفي خ : بالسكك .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - في ز ، خ : عن .

من غيرها .

قال ابن إسحاق في السيرة : وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها[١] سدنة وحجاب ، وتهدي لها كما يهدىٰ للكعبة ، وتطوف بها كطَوافِهَا بها ، وتنحر عندها ، وهي تعرف فضل الكعبة عليها ، لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم - عليه السلام - ومسجده . فكانت لقريش وبني كنانة العُزَّىٰ بنخلة ، وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم حلفاء بني هاشم .

قلت : بعث إليها رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، خالد بن الوليد فهدمها ، وجعل يقول :

يا عز، كفرانك لاسبحانك إني رأيت الله قد أهانك .

وقال النسائي : أخبرنا علي بن المنذر ، أخبرنا ابن فُضيل ، حدثنا الوليد بن جُمَيع ، عن أبي الطفيل قال : لما فتح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلىٰ نخلة ، وكانت بها العزىٰ ، فأتاها خالد وكانت علىٰ ثلاث سَمُرات ، فقطع السَّمرات ، وهدم البيت الذي كان عليها . ثم أتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : « ارجع فإنك لم تصنع شيئًا » . فرجع خالد ، فلما أبصرته السدنة - وهم حَجَبتها - أمعنوا في الحِيَل[٢] وهم يقولون : يا عزىٰ ، يا عزىٰ . فأتاها[٣] خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب علىٰ رأسها ، فغمسها بالسيف حتىٰ قتلها . ثم رجع إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال : « تلك العزىٰ »(٥٥) .

قال ابن إسحاق : وكانت اللات لثقيف بالطائف ، وكان سدنتها وحجابها بني معتّب .

قلت : وقد بعث إليها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر ابن حرب ، فهدماها وجعلا مكانها مسجد الطائف .

قال ابن إسحاق : وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب علىٰ ساحل البحر من ناحية المُشَلّل بقديد ، فبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أبا سفيان صخر[٤] بن حرب فهدمها . ويقال : علي بن أبي طالب . قال : وكانت ذو الخلصة[٥]

---

(٥٥) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى﴾ ، حديث (١١٥٤٧) (٦/٤٧٤) ورجاله وثقوا .

---

[١] - في ت : بها .
[٢] - في خ : الجبل .
[٣] - في ز : فأتاه .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في خ : لخصة .

لدوس، وخثعم، وبجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة. قلت: وكان يقال لها: الكعبة اليمانية، وللكعبة التي بمكة: الكعبة الشامية.

فبعث إليه رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، جرير بن عبد الله البجلي فهدمه.

قال: وكانت فلس[١] لطيئ ولمن يليها بجبلي[٢] طيئ من سلمى وأجاء.

قال ابن هشام: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعث إليه علي ابن أبي طالب فهدمه، واصطفىٰ منه سيفين: [ الرسُوب ][٣] والمخْذَم، فنفَّله إياهما رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فهما[٤] سيفا علي.

قال ابن إسحاق: وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له: رئام، وذكر أنه كان به كلب أسود، وأن الحبرين اللذين ذهبا مع تبع[٥] استخرجاه وقتلاه، وهدما البيت.

قال ابن إسحاق: وكانت «رُضَاء» بيتًا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ولها يقول المستوغر[٦] بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام:

ولقد شددت على رضاء شدة فتركتها قفرًا بقاع أسحما

قال ابن هشام: يقال[٧]: إنه عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة، وهو القائل:

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الحَيَاةِ وَطُولِهَا وَعُمِّرْتُ مِنْ عَدَدِ السِّنِينَ مِئِينَا
مائَةٌ حَدَتْها بَعْدَها مِئَتَان لي وازْدَدتُ[٨] من عدد الشهور سنينًا
هل ما بقي إلا كَمَا قَدْ فَاتَنَا يَومٌ يَمُرّ وَلَيْلَةٌ تَحْدُونَا

قال ابن إسحاق: وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل، وإياد بسنداد وله يقول أعشىٰ بني قيس بن ثعلبة:

بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذي الكعبات من[٩] سنداد

ولهذا قال: ﴿ أفرأيتم اللات والعزىٰ * ومناة الثالثة الأخرىٰ ﴾؟.

ثم قال: ﴿ ألكم الذكر وله الأنثىٰ ﴾؟، أي: أتجعلون له ولدًا، وتجعلون ولده أنثىٰ،

---

[١] - في خ: قلس. وكذا في البداية [ ٢/٢٤٢ ].
[٢] - في خ: بجبل.
[٣] - في ز، خ: الرسوف.
[٤] - في ز: لهما.
[٥] - بياض في ز، خ.
[٦] - في ز، خ: المستوعد.
[٧] - سقط من ت.
[٨] - في ز، خ: وعمرت.
[٩] - في ز: في.

وتختارون لأنفسكم الذكور ، فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت ﴿ **قسمة ضيزىٰ** ﴾ ، أي : جورًا باطلة ، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورًا وسفهًا .

ثم قال منكرًا عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر ، من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة : ﴿ **إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم** ﴾ ، أي : من تلقاء أنفسكم ، ﴿ **ما أنزل الله بها من سلطان** ﴾ ، أي : من حجة ، ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس** ﴾ ، أي : ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم ، وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين ، ﴿ **ولقد جاءهم من ربهم الهدىٰ** ﴾ ، أي : ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة ، ومع هذا ما اتبعوا ما جاءوهم به ، ولا انقادوا له .

ثم قال : ﴿ **أم للإنسان ما تمنى** ﴾ أي : ليس كل من تمنى خيرًا حصل له ، ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب** ﴾ ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال ، ولا كل من ودَّ شيئًا يحصل له .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق ، حدثنا أبو عَوَانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا تمنىٰ أحدكم فلينظر ما تمنىٰ**[١] ، **فإنه لا يدري ما يكتب له من أمنيته** »(٥٦) تفرد به أحمد .

وقوله : ﴿ **فلله الآخرة والأولىٰ** ﴾ ، أي : إنما الأمر كله لله ، مالك الدنيا والآخرة ، والمتصرف في الدنيا والآخرة ، فهو الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وقوله : ﴿ **وكم من ملك في السمٰوات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضىٰ** ﴾ ، كقوله : ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ ﴿ **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** ﴾ ، فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين ، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله ، وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها ، بل قد نهىٰ عنها علىٰ ألسنة جميع رسله ، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه ؟ !

---

(٥٦) - أخرجه أحمد (٣٥٧/٢) . وفي إسناده عمر بن أبي سلمة ، وهو ابن عبد الرحمن ، قال : ابن الجوزي في « الضعفاء والمتروكين » (٢١٠/٢) : ضعفه شعبة ويحيى . وقال الرازي : لا يحتج به . وقال النسائي : ليس بالقوي . والحديث ضعفه الشيخ الألباني في الضعيفة برقم (٢٢٥٥) .

---

[١] - في ت : يتمنى .

وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثىٰ ، وجعلهم لها أنها بنات الله كما قال : ﴿ **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون** ﴾ . ولهذا قال : ﴿ **وما لهم به من علم** ﴾ أي : ليس لهم علم صحيح يُصَدِّق ما قالوه ، بل هو كذب وزور وافتراء وكفر شنيع . ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا** ﴾ ، أي : لا يجدي شيئًا ، ولا يقوم أبدًا مقام الحق . وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إياكم والظن ! فإن الظن أكذب الحديث** »(٥٧) .

وقوله : ﴿ **فأعرض عمَّن تولىٰ عن ذكرنا** ﴾ ، أي : أعرض عن الذي أعرض[١] عن الحق واهجره .

وقوله : ﴿ **ولم يرد إلا الحياة الدنيا** ﴾ ، أي : وإنما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا ، فذلك[٢] هو غاية ما لا خير فيه . ولذلك قال : ﴿ **ذلك مبلغهم من العلم** ﴾ ، أي : طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه . وقد روىٰ الإمام أحمد عن أم المؤمنين عائشة قالت : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم :« **الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له** »(٥٨) . وفي الدعاء المأثور: « **اللّهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا** »(٥٩) .

---

(٥٧) - أخرجه البخاري في كتاب : الأدب ، باب : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا** ﴾ حديث (٦٠٦٦) . ومسلم في كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها ، حديث (٢٥٦٣/٢٨) (١٦/١٧٩) . كلاهما من حديث أبي هريرة .

(٥٨) - أخرجه أحمد (٦/٧١) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٢٩١) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير دويد وهو ثقة . وضعفه الألباني في الضعيفة (١٩٣٣)، ونقل عن ابن قدامة في المنتخب أنه قال : هذا حديث منكر . ونقل العراقي في تخريج الإحياء (٤/١٨٥٨) قول المنذري بأن إسناده جيد .

(٥٩) - أخرجه الترمذي في كتاب : الدعوات ، باب : الدعاء حين يقوم من مجلسه ، حديث (٣٤٩٧) (٩/١٦٩ - ١٧٠) . وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧٨٨ - ٣٧٥٨) .

---

[١] - في خ : تولى .    [٢] - في ز : فذاك .

وقوله : ﴿ **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدىٰ** ﴾ ، أي : هو الخالق لجميع المخلوقات ، والعالم بمصالح عباده ، وهو الذي يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته ، وهو العادل الذي لا يجور أبدًا ، لا في شرعه ولا في قَدَره .

**وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾**

يخبر تعالىٰ أنه مالك السماوات والأرض ، وأنه الغني عما سواه ، الحاكم في خلقه بالعدل ، وخَلَق الخلق بالحق ، ﴿ **ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ** ﴾ ، أي : يجازي كلًّا بعمله ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر ، ثم فسر المحسنين بأنهم ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش** ﴾ أي : لا يتعاطون المحرمات والكبائر وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلًا كريمًا** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿**الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ . وهذا استثناء منقطع ؛ لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن ابن طاوس ، [ عن أبيه ، عن ابن عباس قال : ما رأيت شيئًا أشبهَ باللمَم مما قال أبو هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم][١] قال : « **إن الله تعالىٰ كتب علىٰ ابن آدم حظه من الزنا ، أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تَمَنّىٰ وتشتهي ، والفرج يُصَدِّق ذلك أو يكذبه** »(٦٠) .

أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به(٦١) .

(٦٠) - أخرجه أحمد (٢/٣١٧ - ٣٧٩) .

(٦١) - أخرجه البخاري في كتاب : الاستئذان ، باب : زنا الجوارح دون الفرج ، (٦٣٤٣) (١١/٢٦) .
ومسلم في كتاب : القدر ، باب : قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره (٢٠/٢٦٥٧) (١٦/٣١٥) .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن ثور ، حدثنا معمر ، عن الأعمش ، عن أبي الضحىٰ : أن ابن مسعود قال : « **زنا العينين النظر ، وزنا الشفتين التقبيل ، وزنا اليدين البطش ، وزنا الرجلين المشي ، ويُصدّق ذلك الفرجُ أو يُكذبه ، فإن تقدم بفرجه كان زانيًا ، وإلا فهو اللّمم** »(٦٢) وكذا قال مسروق والشعبي ، وقال عبد الرحمن بن نافع - الذي يقال له[١] : ابن لبابة[٢] الطائفي - قال : سألت أبا هريرة عن قول الله : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ ؟ قال : القبلة ، والغمزة ، والنظرة ، والمباشرة ، فإذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل ، وهو الزنا .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ إلا ما سلف . وكذا قال زيد ابن أسلم .

وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى[٣] ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد أنه قال : في هذه الآية : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ ، قال : الذي يلم بالذنب ثم يَدعُه ، قال الشاعر :

إن تغفر اللّهم تغفر جمّا وأي عبد لك ما ألمّا(٦٣)

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ ، قال : الرجل يلمّ بالذنب ثم ينزع عنه . قال : وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون :

إن [ تغفر اللّهم تغفر ][٤] جمّا وأي عبد لك ما ألمّا(٦٤)

وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعًا . قال ابن جرير : حدثني سليمان بن عبد الجبار ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس : ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ ، قال : هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب .

وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(٦٢) - تفسير الطبرى (٦٥/٢٧) .

(٦٣) - تفسير الطبرى (٦٦/٢٧) .

(٦٤) - تفسير الطبرى (٦٧/٢٧) .

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز : لبانة .

[٣] - في ز : عيسى . وبعده في خ : ثنا ابن عيسى .

[٤] - في ز : « يغفر الله يغفر » .

إن تغفر اللهم تغفر جمًّا وأي عبد لك ما ألمَّا(٦٥)

وهكذا رواه الترمذي ، عن أحمد بن عثمان أبي عثمان البصري ، عن أبي عاصم النبيل(٦٦) . ثم قال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق . وكذا قال البزار : لا نعلمه يُروىٰ متصلًا إلا من هذا الوجه . وساقه ابن أبي حاتم والبغوي من حديث أبي عاصم النبيل . وإنما ذكره البغوي في تفسير[١] « **سورة تنزيل** » ، وفي صحته مرفوعًا - نظر .

ثم قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، حدثنا يونس ، عن الحسن ، عن أبي هريرة - أراه رفعه - : [ ][٢]﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ ، قال : اللمَّةُ[٣] من الزنا ثم[٤] يتوب ولا يعود ، واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود ، واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود ، قال : ذلك الإلمام(٦٧) .

وحدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن أبي عَديّ ، عن عوف ، عن الحسن في قول الله : ﴿**الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ ، قال : اللمم من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ، ثم لا يعود(٦٨) .

وحدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن في قول الله : ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ ، قال : كان أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقولون : هو الرجل يصيب اللمة من الزنا ، واللمة من شرب الخمر ، فيجتنبها ويتوب منها(٦٩) .

وقال ابن جرير[٥] ، عن عطاء ، عن ابن عباس : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ : يلم بها في الحين .

---

(٦٥) - تفسير الطبرى (٦٦/٢٧) .

(٦٦) - أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة النجم ، حديث (٣٢٨٠) (٩/ ٣١) . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٦١٨) .

(٦٧) - تفسير الطبرى (٦٦/٢٧ - ٦٧) وفيه انقطاع بين الحسن وأبي هريرة . وقد ورد في الطبرى : حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا يونس ، وقد أثبت ابن كثير هنا يزيد بن زريع بين ابن بزيع ويونس .

(٦٨) - تفسير الطبرى (٦٧/٢٧) .

(٦٩) - تفسير الطبرى (٦٧/٢٧) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز : إن .

[٣] - في خ : اللمم .

[٤] - سقط من خ . وفي ز : من .

[٥] - في ز ، خ : جريج .

قلت : الزنا ؟ قال : الزنا ثم يتوب .

وقال ابن جرير أيضًا : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : اللمم : الذي يلم المرّة(٧٠) .

وقال السدي : قال أبو صالح : سُئِلتُ عن اللمم ؟ فقلت : هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب . وأخبرتُ بذلك ابن عباس فقال : لقد أعانك عليها مَلَك كريم . حكاه البغوي .

وروىٰ ابن جرير من طريق المثنىٰ بن الصباح - وهو ضعيف - عن عمرو بن شعيب : أن عبد اللّٰه بن عمرو[١] قال : اللمم : ما دون الشرك (٧١) .

وقال سفيان الثوري ، عن جابر الجُعفي ، عن عطاء ، عن ابن الزبير : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ ، قال : ما بين الحدين : حد الدنيا[٢] وعذاب الآخرة ، وكذا رواه شعبة عن الحكم عن ابن عباس مثله سواء .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ : كل شيء بين الحدين : حد الدنيا وحد الآخرة ، تكفره[٣] الصلوات ، وهو اللمم ، وهو دون كل موجب ، فأما حد الدنيا فكل حد فرض اللّٰه عقوبته في الدنيا ، وأما حد الآخرة فكل شيء ختمه اللّٰه بالنار ، وأخر عقوبته إلىٰ الآخرة . وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك .

وقوله : ﴿ **إن ربك واسع المغفرة** ﴾ ، أي رحمته وَسِعَت كل شيء ، ومغفرته تَسَع الذنوب كلها لمن تاب منها ، كقوله : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّٰه إن اللّٰه يغفر الذنوب جميعًا إنه هوالغفور الرحيم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض** ﴾ ، أي : هو بصير بكم ، عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم [ التي تصدر ][٤] عنكم[٥] وتقع منكم ، حين أنشأ أباكم آدم من الأرض ، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذرّ ، ثم قسمهم فريقين : فريقًا للجنة ، وفريقًا للسعير . وكذا قوله : ﴿ **وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم** ﴾ : قد كتب الملك الذي يُوكَّل به رزقَه وأجلَه وعمله ، وشقي أم سعيد .

---

(٧٠) - تفسير الطبرى (٦٧/٢٧) .

(٧١) - تفسير الطبرى (٦٧/٢٧) والمثنى بن الصباح ضعيف اختلط بأخره وكان عائدًا كما في التقريب .

---

[١] - في خ : عمر .

[٢] - في ز ، خ : الزنا .

[٣] - في ز : تكفرها .

[٤] - في ز ، خ : الذي يقدر .

[٥] - في خ : منكم .

قال مكحول : كنا أجنة في بطون أمهاتنا ، فسقط منا من سقط ، وكنا فيمن بقي ، ثم كنا مراضع فهلك منا من هلك ، وكنا فيمن بقي ، ثم صرنا يَفَعة ، فهلك منا من هلك . وكنا فيمن بقي ثم صرنا شبابًا فهلك منا من هلك . وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخًا - لا أبا لك - فماذا بعد هذا ننتظر[١] ؟ رواه ابن أبي حاتم عنه .

وقوله : ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم** ﴾ ، أي : تمدحوها وتشكروها و[٢]تمنوا بأعمالكم ، ﴿ **هو أعلم بمن اتقىٰ** ﴾ . كما قال : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلًا** ﴾ .

وقال مسلم في صحيحه : حدثنا عَمْرو الناقد ، حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء قال : سميتُ ابنتي بَرّةَ ، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نهىٰ عن هذا الاسم ، وسُميت بَرّة فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا تزكوا أنفسكم ، إن الله أعلم بأهل البر منكم** » . فقالوا : بم نسميها ؟ قال : « **سموها زينب** »(٧٢) وقد ثبت أيضًا في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا عفان ، حدثنا وُهيب[٣] ، حدثنا خالد الحذاء ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه قال : مدح رجل رجلًا عند النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم :« **ويلك**[٤] **! قطعتَ عنق صاحبك - مرارًا - إذا كان أحدكم مادحًا صاحبه لا محالة فليقل : أحسب فلانًا والله حسيبه ، ولا أزكي علىٰ الله أحدًا ، أحسبه كذا وكذا ، إن كان يعلم ذلك** » (٧٣) .

ثم رواه عن [ غندر عن ][٥]شعبة عن خالد الحذاء به(٧٤) . [ وكذا رواه البخاري ، وأبو داود ، وابن ماجة ، من طرق ، عن خالد الحذاء ، به ][٦](٧٥) .

(٧٢) - صحيح مسلم في كتاب : الأداب ، باب : استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن ، حديث (١٩/ ٢١٤٢) (١٧١/١٤) .

(٧٣) - مسند أحمد (٤٦/٥) (٢٠١٧) .

(٧٤) - المسند (٤١/٥) (٢٠٤٧٥) .

(٧٥) - صحيح البخاري في كتاب : الشهادات ، باب : إذا زكى رجل رجلًا كفاه ، حديث (٢٦٦٢) (٢٧٤/٥) . ومسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، باب : النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط ، حديث=

[١] - في خ : أنتظر .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز ، خ : وهب .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفين في خ : « عبيد عن » .وفي ز : « عبيد وعن » .
[٦] - سقط من ز ، خ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، وعبد الرحمن قالا : حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن همام بن الحارث قال : جاء رجل إلىٰ عثمانَ فأثنىٰ عليه في وجهه ، قال : فجعل المقداد بن الأسود يحثو في وجهه التراب ويقول : أمَرنا رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا لقينا المداحين أن نحثوَ في وجوههم التراب (٧٦) .

ورواه مسلم وأبو داود من حديث الثوري عن منصور به(٧٧) .

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذامًّا لمن تولّىٰ عن طاعة الله : ﴿ فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولّىٰ ﴾ ، ﴿ وأعطىٰ قليلًا وأكدىٰ ﴾ قال ابن عباس: أطاع قليلًا ثم قطعه . وكذا قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وقتادة ، وغير واحد .

قال عكرمة ، وسعيد : كمثل القوم إذا كانوا يحفرون بئرًا ، فيجدون في أثناء الحفر صخرةً تمنعهم من تمام العمل ، فيقولون : أكدينا ، ويتركون العمل .

وقوله : ﴿ أعنده علم الغيب فهو يرىٰ ﴾ أي : أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق ، وقطع معروفه ، أعنده علم الغيب أنه سينفد ما في يده ، حتىٰ قد أمسك عن معروفه ، فهو يرىٰ ذلك عيانًا ؟ ! أي : ليس الأمر كذلك ، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلًا وشحًا وهلعًا؛ ولهذا جاء في الحديث: «أنفق بلال[١] ولا

= ( ٦٥، ٦٦/٣٠٠٠) (١٧١/١٨ - ١٧٢) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في كراهية التمادح ، حديث (٤٨٠٥) (٢٥٤/٤) . وابن ماجة في كتاب : الأدب ، باب : المدح ، حديث (٣٧٤٤) (٢/ ١٢٣٢) .

(٧٦) - المسند (٥/٦) (٢٣٩٣٩) . وإسناده رجاله ثقات .

(٧٧) - صحيح مسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، باب : النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط ، حديث (٦٩م/ ٣٠٠٢) (١٧٣/١٨ - ١٧٤) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في كراهية التمادح ، حديث (٤٨٠٤) (٢٥٤/٤) .

[١] - في ت ، خ : بلالًا .

**تخش[١] من ذي العرش إقلالًا »**(٧٨) وقد قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أم لم ينبأ بما في صحف موسىٰ * وإبراهيم الذي وفىٰ** ﴾ ، قال سعيد بن جبير ، والثوري : أي بَلّغ جميع ما أمر به .

وقال ابن عباس : ﴿ **وفىٰ** ﴾ للّٰه[٢] بالبلاغ . وقال سعيد بن جُبَيْر : ﴿ **وفىٰ** ﴾ ما أمر به . وقال قتادة : ﴿ **وفىٰ** ﴾ طاعة اللّٰه ، وأدىٰ رسالته إلىٰ خلقه . وهذا القول هو اختيار ابن جرير ، وهو يشمل الذي قبله ، ويشهد له قوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ ابتلىٰ إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إمامًا** ﴾ ، فقام بجميع الأوامر ، وترك جميع النواهي ، وبَلّغ الرسالة علىٰ التمام والكمال ، فاستحق بهذا أن يكون للناس إمامًا يُقْتَدىٰ به في جميع أحواله وأفعاله وأقواله ؛ قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين** ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا[ ][٣] حدثنا آدم بن أبي إياس العسقلاني ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : تلا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم هذه الآية : ﴿ **وإبراهيم الذي وفىٰ** ﴾ ، قال : « **أتدري[٤] ما وفىٰ ؟** » قلت : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **وَفّىٰ عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار** » .

ورواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير وهو ضعيف(٧٩) .

(٧٨) أخرجه الطبراني في : الكبير (١/٣٤٠) (١٠٢٠) ، والبزار كما في المختصر (٢/٤٩٣) (٢٢٧٨) . كلاهما من طريق قيس بن الربيع عن أبي حصين عن يحيى بن وثاب عن مسروق عن عبد الله ... فذكر الحديث . قال الهيثمي في « المجمع » (٣/١٢٩) : رواه كله الطبراني في الكبير ، وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وفيه كلام .اهـ . قال المنذري في « الترغيب والترهيب » (١/٥١) : رواه البزار بإسناد حسن .
وأخرجه الطبراني في الكبير (١/٣٤١ - ٣٤٢) (١٠٢٤) ، وأبو يعلى (١٠/٤٢٩) (٦٠٤٠) ، والبزار (٢/٤٩٤) (٢٢٨٠) . كلهم من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة . قال البزار : تفرد به مبارك وإسناده حسن . قال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٢٤٤) : رواه البزار وأبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط وإسناده حسن .

(٧٩) - تفسير الطبري (٢٧/٧٣) .

[١] - في ت : تخف .
[٢] - في ز ، خ : بينه .
[٣] - بياض في ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : أتدرون .

وقال الترمذي في جامعه : حدثنا أبو جعفر السِّمناني ، حدثنا أبو مسهر ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن بَحير[١] بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نُفَير ، عن أبي الدرداء و[٢]أبي ذر ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، عن الله - عز وجل - أنه قال : « ابن آدم ، اركع لي أربع ركعات من أول النهار ، أكفك آخره » (٨٠) .

قال ابن أبي حاتم رحمه الله : حدثنا أبي ، حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زبان[٣] بن فائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « ألا أخبركم لم سمىٰ الله إبراهيم خليله الذي وفىٰ ؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسىٰ : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾ » . حتىٰ ختم الآية(٨١) . ورواه ابن جرير عن أبي كريب [ عن رشدين بن سعد ، عن زَبَّان به ][٤] (٨٢) .

ثم شرع تعالىٰ يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسىٰ فقال : ﴿ ألَّا تزر وازرة وزر أخرىٰ ﴾ ، أي : كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فإنما عليها وزرها ، لا يحمله عنها أحد ، كما قال : ﴿ وإن تدع مثقلة إلىٰ حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربىٰ ﴾ ، ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعىٰ ﴾ أي : كما لا يحمل عليه وزر غيره ، كذلك لا يحصل من الأجر إلَّا ما كسب هو لنفسه .

ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلىٰ الموتىٰ ، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم . ولهذا لم يندب إليه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أمته ولا حَثّهم عليه ، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء ، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة - رضي الله عنهم - ولو كان خيرًا لسبقونا إليه ، وباب القربات يقتصر فيه علىٰ النصوص ، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء ، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع علىٰ وصولهما ، ومنصوص من الشارع عليهما .

---

(٨٠) - أخرجه الترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في صلاة الضحى ، حديث (٤٧٥) (٢/ ١١٥) . وإسناده رجاله ثقات . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٣٩٥ - ٤٧٨) .

(٨١) - في إسناده زبان بن فائد وهو ضعيف وكذا ابن لهيعة . وأسد بن موسى : صدوق يغرب وفيه نصب .

(٨٢) - تفسير الطبري (٢٧/٧٣) وفي إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف في زبان ، وزبان ضعيف .

---

[١] - في ز ، خ : يحيى .
[٢] - في ز : أو .
[٣] - في ز ، خ : زياد .
[٤] - بياض في ز ، خ .

وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : من ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية من بعده ، أو علم ينتفع به** »(٨٣) فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله ، كما جاء في الحديث : « **إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وإن ولده من كسبه** »(٨٤) . والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ **إنا نحن نحيي الموتىٰ ونكتب ما قدموا وآثارهم** ﴾ ... الآية . والعلم الذي نشره في الناس فاقتدىٰ به الناس بعده ، هو أيضًا من سعيه وعمله ، وثبت في الصحيح : « **من دعا إلىٰ هدىً كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه ، من غير أن ينقُص من أجورهم شيئًا** »(٨٥)

وقوله : ﴿ **وأن سعيه سوف يرىٰ** ﴾ ، أي : يوم القيامة كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقل اعملوا فسيرىٰ الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلىٰ عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ ، أي : فيخبركم به ، ويجزيكم عليه أتم الجزاء ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر . وهكذا[١] قال هاهنا : ﴿ **ثم يجزاه الجزاء الأوفىٰ** ﴾ ، أي : الأوفر .

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ

(٨٣) - صحيح مسلم كتاب : الوصية ، باب : ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، حديث (١٤/ ١٦٣١) (١١/١٢٢) .

(٨٤) - أخرجه أبو داود في كتاب : البيوع ، باب : في الرجل يأكل من مال ولده ، حديث ( ٣٥٢٨، ٣٥٢٩) (٣/٢٨٨ - ٢٨٩) . والترمذي في كتاب الأحكام ، باب : ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده ، حديث (١٣٥٨) (٥/٣٩) . والنسائي (٧/٢٤١) كتاب : البيوع ، باب : الحث على الكسب . وابن ماجة في كتاب : التجارات ، باب : ما للرجل من مال ولده ، حديث (٢٢٩٠) (٢/٧٦٩) . كلهم من طريق عمارة بن عمير ، عن عمته ، عن عائشة - رضي الله عنها . وأخرجه النسائي (٧/٢٤١) كتاب : البيوع ، باب : الحث على الكسب . وابن ماجة في كتاب : التجارات ، باب : الحث على المكاسب ، حديث (٢١٣٧) (٢/٧٢٣) . وأحمد (٦/٤٢) . كلهم من طريق الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة - رضي الله عنها - به . وصححه الشيخ الألباني في الإرواء برقم (١٦٢٦) .

(٨٥) - أخرجه مسلم في كتاب : العلم ، باب : من سن سنة حسنة أو سيئة ، حديث (١٦/٢٦٧٤) (١٦/٣٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[١] - في خ : كما .

ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾

يقول تعالىٰ: ﴿وأن إلى ربك المنتهىٰ﴾ أي: المعاد يوم القيامة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سُويد بن سَعيد، حدثنا مسلم بن خالد، عن عبد الرحمن بن سابط، عن عمرو بن ميمون الأَوْديّ قال: قام فينا معاذ بن جبل فقال: يا بني أود، إني رسول رسول الله إليكم، تعلمون أن المعاد إلىٰ الله، إلىٰ الجنة أو إلىٰ النار(٨٦).

وذكر البغوي من رواية أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي ابن كعب، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في قوله: ﴿وأن إلىٰ ربك المنتهىٰ﴾، قال: «**لا فكرةَ في الرب**»(٨٧).

قال البغوي: وهذا مثلُ ما رُوي عن أبي هُرَيرة مرفوعًا: «**تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق، فإنه لا تحيط به الفكرة**»(٨٨).

كذا أورده وليس بمحفوظ بهذا اللفظ، وإنما الذي في الصحيح: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلقِ كذا؟ من خلق كذا؟ حتىٰ يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته**». وفي الحديث الآخر الذي في السنن[١]: «**تفكروا في**

(٨٦) - في إسناده سويد بن سعيد الهروي، صدوق في نفسه إلا أنه عمي فصار يتلقن ما ليس من حديثه فأفحش فيه ابن معين القول.

(٨٧) - أخرجه الدارقطني في الأفراد كما في فتح القدير (١٣٩/٥)، وأبو جعفر الرازي صدوق إلا أنه سيئ الحفظ، والربيع بن أنس صدوق له أوهام.

(٨٨) - ذكره العراقي في تخريج الإحياء (٢٤٥٨/٦) بنحو هذا في حديث طويل دون قوله: «فإنه لا تحيط به الفكرة» وعزاه إلى أبي الشيخ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وبنحو ذلك أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢٠٩/١ - ٢١٦) من حديث ابن عمر وابن عباس وأبي ذر. قال السخاوي في المقاصد الحسنة: وهذه الأخبار أسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يكتسب قوة، والمعنى صحيح، وفي صحيح مسلم من حديث =

[١] - بياض في ز، خ.

مخلوقات الله ، ولا تفكروا في ذات الله ، فإن الله خلق ملكًا ما بين شحمة أذنه إلىٰ عاتقه مسيرةُ ثلاثمائة سنة » ، أو كما قال[٨٩] .

وقوله : ﴿ وأنه هو أضحك وأبكىٰ ﴾ ، أي : خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان ، ﴿ وأنه هو أمات وأحيا ﴾ ، كقوله : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ﴾ . ﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثىٰ * من نطفة إذا تُمْنىٰ ﴾ ، كقوله : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنىٰ * ثم كان علقة فخلق فسوىٰ * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثىٰ * أليس ذلك بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ ﴾ .

وقوله : ﴿ وأن عليه النشأة الأخرىٰ ﴾ ، أي : كما خلق البداءة هو قادر علىٰ الإعادة ، وهي النشأة الآخرة يوم القيامة ﴿ وأنه هو أغنىٰ وأقنىٰ ﴾ ، أي : مَلّك عباده المال ، وجعله لهم قُنْيَةً مقيمًا عندهم ، لا يحتاجون إلىٰ بيعه ، فهذا تمام النعمة عليهم . وعلىٰ هذا يدور كلام كثير من المفسرين ، منهم أبو صالح ، وابن جرير ، وغيرهما .

وعن مجاهد : ﴿ أغنىٰ ﴾ : مَوّل ، ﴿ وأقنىٰ ﴾ : أخدم . وكذا قال قتادة .

وقال ابن عباس، ومجاهد أيضًا : ﴿أغنىٰ﴾ أعطىٰ ﴿وأقنىٰ﴾ رضىٰ .

وقيل : معناه أغنىٰ نفسه وأفقر الخلائق إليه . قاله الحضرمي بن لاحق .

وقيل : ﴿أغنىٰ﴾ من شاء من خلقه و ﴿أقنىٰ﴾ : أفقر من شاء منهم . قاله ابن زيد . حكاهما ابن جرير ، وهما بعيدان من حيث اللفظ .

وقوله : ﴿ وأنه هو رب الشعرىٰ ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد وغيرهم : هو هذا النجم الوقاد الذي يقال له : « مرزَم الجوزاء » ، كانت طائفة من العرب يعبدونه .

﴿ وأنه أهلك عادًا الأولىٰ ﴾ ، وهم : قوم هود . ويقال لهم : عاد بن إرم بن سام بن نوح ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ ، فكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم علىٰ الله وعلىٰ رسوله ، فأهلكهم الله ﴿بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا ﴾ .

---

= أبي هريرة - رضي الله عنه - لا يزال الناس يتساءلون ... فذكر الحديث التالي . وقد أورد الألباني في الصحيحة برقم (١٧٨٨) بلفظ : « تفكروا في آلاء الله ، ولا تفكروا في الله عز وجل » .

(٨٩) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : الوسوسة من الإيمان وما يقوله من وجدها ، حديث (٢١٢ - ٢١٤/١٣٤) (٢/ ٢٠٢، ٢٠٣) .

وقوله : ﴿ وثمود فما أبقىٰ ﴾ ، أي : دمرهم فلم يبق منهم أحدًا ، ﴿ وقوم نوح من قبل ﴾ ، أي : من قبل هؤلاء ﴿ إنهم كانوا هم أظلم وأطغىٰ ﴾ ، أي : أشد تمردًا من الذين من بعدهم ، ﴿ والمؤتفكة أهوىٰ ﴾ ، يعني : مدائن لوط ، قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليها[١] حجارة من سجيل منضود ؛ ولهذا قال : ﴿ فغشاها ما غشىٰ ﴾ ، يعني من الحجارة التي أرسلها عليهم ﴿ وأمطرنا عليهم مطرًا فساء مطر المنذرين ﴾ .

قال قتادة : كان في مدائن لوط أربعة آلاف ألف إنسان فانضرم عليهم الوادي شيئًا من نار ونِفْط وقَطِران كفم الأَتُون . رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن محمد بن وهب بن عطية ، عن الوليد بن مسلم ، عن خليد ، عنه ، به .وهو غريب جدًّا .

﴿ فبأي آلاء ربك تتمارىٰ ﴾ أي: ففي أي نعم الله عليك أيها الإنسان تمتري؟ قاله قتادة .

وقال ابن جريج[٢] : ﴿ فبأي آلاء ربك تتمارىٰ ﴾ ؟ يا محمد . والأول[٣] أولىٰ ، وهو اختيار ابن جرير .

هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

﴿ هذا نذير ﴾ . يعني : محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ من النذر الأولىٰ ﴾ ، أي : من جنسهم ، أرسل كما أرسلوا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ قل ما كنت بدعًا من الرسل ﴾ ﴿ أزفت الآزفة ﴾ ، أي : اقتربت القريبة ، وهي القيامة ، ﴿ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ ، أي : لا يدفعها إذًا [ من دون ][٤] الله أحد ، ولا يطلع علىٰ علمها سواه .

ثم[٥] قال تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم : ﴿ تعجبون ﴾ من أن يكون صحيحًا ، ﴿ وتضحكون ﴾ منه استهزاء وسخرية ، ﴿ ولا تبكون ﴾ ، أي :كما يفعل الموقنون به ، كما أخبر عنهم[٦] : ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا ﴾ .

---

[١] - في خ : عليهم .
[٢] - في ز ، خ : جرير .
[٣] - في ز : والأولى .
[٤] - بياض في ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : كما .
[٦] - في ز : عنه .

وقوله: ﴿وأنتم سامدون﴾ قال سفيان الثوري عن أبيه عن ابن عباس قال: الغناء هي [ يمانية اسمد لنا: غنّ لنا ][١]. وكذا قال عكرمة.

وفي رواية عن ابن عباس: ﴿ سامدون ﴾ : معرضون. وكذا قال مجاهد، وعكرمة. وقال الحسن: غافلون. وهو رواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وفي رواية عن ابن عباس: تستكبرون. وبه يقول السدي[٢].

ثم قال آمرًا لعباده بالسجود له، والعبادة [ والمتابعة ][٣] لرسوله، صلىٰ الله عليه وسلم، والتوحيد والإِخلاص: ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾، أي: فاخضعوا له وأخلصوا ووحدوا.

قال البخاري: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: سجد النبي صلىٰ الله عليه وسلم بالنجم، وسَجَد معه المسلمون والمشركون والجن والإِنس(٩٠). انفرد به دون مسلم.

وقال الإِمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن خالد، حدثنا رباح، عن معمر، عن ابن طاوس، عن عكرمة بن خالد، عن جعفر بن المطلب بن أبي وَدَاعة، عن أبيه قال: قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بمكة سورة النجم، فسجد وسَجَد من عنده، فرفعتُ رأسي وأبيتُ أن أسجد، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب، فكان بعد ذلك لا يسمع أحدًا يقرؤها إلا سجد معه(٩١).

وقد رواه النسائي في الصلاة، عن عبد الملك بن عبد الحميد، عن أحمد بن حنبل به(٩٢).

[آخر سورة النجم، ولله الحمد والمنة].

ذكر حديث له مناسبة بما تقدم من قوله تعالىٰ: ﴿ هذا نذير من النذر الأولىٰ * أزفت

(٩٠) - أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾، حديث (٤٨٦٢) (٨/٦١٤).

(٩١) - المسند (٦/٣٩٩) (٢٧٣٥٣) وإسناده رجاله ثقات، غير جعفر بن المطلب بن أبي وداعة قال الحافظ: مقبول، لكن رواه الإمام أحمد في الحديث الذي يلي هذا عن المطلب دون ذكر جعفر، وانظر الحديث التالي.

(٩٢) - وأخرجه النسائي (٢/١٦٠) في سجود القرآن، باب: السجود في ﴿ والنجم ﴾ من طريق جعفر، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم (٩١٨).

[١] - في ز، خ: « ثمانية اشهر لنا يغن لنا ».

[٢] - سقط من ز، خ.

[٣] - في ز، خ: التابعة.

**الآزفة ﴾** ، فإن النذير هو : الحذرُ لما يعاين[١] من الشر ، الذي يخشىٰ وقوعه فيمن[٢] أنذرهم ، كما قال : **﴿ [ إن هو إلا ][٣] نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾** .

وفي الحديث : « **أنا النذير العريان** »(٩٣) . أي : الذي أعجله شدةُ ما عاين من الشر عن أن يلبس عليه شيئًا ، بل بادر ، إلىٰ إنذار قومه قبل ذلك ، فجاءهم عُريانًا مسرعًا ، مناسب لقوله : **﴿ أزفت الآزفة ﴾** ، أي : اقتربت القريبة . يعني يوم القيامة ، كما قال في أول السورة التي بعدها : **﴿ اقتربت الساعة ﴾** قال الإمام أحمد :

حدثنا أنس بن عياض ، حدثني أبو حازم[٤] - لا أعلم إلا عن سهل بن سعد - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إياكم ومحقرات الذنوب ! فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد ، فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود ،حتىٰ أنضجوا خُبزتهم ، وإن محقرات الذنوب متىٰ يؤخذ بها صاحبها تهلكه** »(٩٤) .

وقال أبو حازم : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال أبو ضَمْرَةَ : لا أعلم إلا عن سهل بن سعد قال : « **مثلي ومثل الساعة كهاتين** » - وفرق[٥] بين إصبعيه الوسطىٰ والتي تلي الإبهام - ثم قال : « **مثلي ومثل الساعة كمثل فَرَسي رهَان** » ، ثم قال : « **مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طَليعةً ، فلما خشي أن يسبقَ ألاح بثوبه : أُتيتم أُتيتم** » . ثم يقول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « **أنا ذلك** »(٩٥) . [ وله شواهد ][٦] من وجوه أخر من صحاح وحسان ، ولله الحمد والمنة ، وبه الثقة والعصمة .

☆ ☆ ☆

(٩٣) - أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : الانتهاء عن المعاصي ، حديث (٦٤٨٢) (١١/ ٣١٦) . وطرفه في [٧٢٨٣] . ومسلم في كتاب : الفضائل ، باب : شفقته - صلى الله عليه وسلم - على أمته ، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم ، حديث (٢٢٨٣/١٦) (١٥/ ٧٠) .

(٩٤) - أخرجه أحمد (٥/ ٣٣١) (٢٢٩١٦) وإسناده صحيح رجاله رجال الشيخين .

(٩٥) - هو تتمة الحديث السابق عند أحمد ، ولفظ « **ومثلي ومثل الساعة كهاتين** » أخرجه البخاري من طريق أبي حازم في كتاب : الطلاق ، باب : اللعان ، حديث (٥٣٠١) (١١/ ٤٣٩) .

[١] - في ز ، خ : عاين .
[٢] - في ز ، خ : ممن .
[٣] - في ز : إني .
[٤] - في ز ، خ : حاتم .
[٥] - في ز : قرن .
[٦] - في ز ، خ : له شاهد .

# سورة والنجم

مكيّة، وهي إحدى وستّون أو[1] اثنتان[2] وستّون آيةً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ المراد بـ﴿ٱلنَّجۡمِ﴾ إمّا الثريّا فإنّه اسم غالبٌ له، أو جنس النجوم. وبهُويّه غروبه، وقيل: طلوعه، يقال: "هَوى هَويًا" بوزن "قَبول" إذا غرَب، و"هُويًا" بوزن "دُخول" إذا علا وصعِد. وأمّا النجم مِن نجوم القرآن فهُويّه نزوله، والعامل في ﴿إِذَا﴾ فعل القسَم فإنّه بمعنى مطلقِ الوقت منسلِخ مِن معنى الاستقبال، كما في قولك: "آتيك إذا احمرَّ البُسر".[3]

وفي الإقسام بذلك على نزاهته عليه السلام عن شائبة الضلال والغَواية مِن البراعة البديعةِ وحُسنِ الموقع ما لا غايةَ وراءه، أمّا على الأوّلين فلأنّ النجمَ شأنُه أن يهتدي به الساري إلى مسالك الدنيا، كأنّه قيل: والنجم الذي يهتدي به السابلة إلى سواء السبيل.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ﴾ أي: ما عدل عن طريق الحقّ الذي هو مَسلَك الآخرة ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ أي: وما اعتقد باطلًا قطُّ، أي: هو في غاية الهدى والرُّشد، وليس ممّا تتوهّمونه مِن الضلال والغَواية في شيء أصلًا.

وأمّا على الثالث فلأنّه تنويهٌ بشأن القرآن، كما أشيرَ إليه في مطلع سورة يس وسورة الزخرف، وتنبيهٌ / على مناط اهتدائه عليه السلام ومدار رشاده، [١٣٧ظ]

---

[1] س: وقيل.

[2] س: ثنتان.

[3] هذا القول للعرب في كتاب سيبويه، ٣/٦٠.

كأنّه قيل: والقرآنِ الذي هو عَلَم في الهداية إلى مناهج الدِّين ومسالك الحقّ ما ضلّ عنها محمّد عليه السلام وما غوى.

والخطاب لقريش، وإيرادُه عليه السلام بعنوان صاحبيّته لهم للإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة وإحاطتهم خُبرًا ببراءته عليه السلام ممّا نُفي عنه بالكلّيّة وباتّصافه عليه السلام بغاية الهدى والرَّشاد، فإنّ طُول صحبتهم له عليه السلام ومشاهدتَهم لمحاسن شئونه العظيمة مقتضيةٌ لذلك حتمًا.

وتقييدُ القسم بوقت الهُويّ على الوجه الأخير ظاهر، وأمّا على الأوّلين فلأنّ النجم لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط السماء، ولا يعلم المشرِق مِن المغرِب ولا الشَّمال مِن الجنوب، وإنّما يهتدي به عند هبوطه أو صعوده مع ما فيه مِن كمال المناسبة؛ لِما سيُحكى مِن تدلّي جبريلَ مِن الأفق الأعلى ودنوّه منه عليهما السلام، هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل.

وأمّا حَمْل هُويّه على انتثاره يوم القيامة أو على انقضاض النجم الذي يُرجَم به أو حملُ النجم على النبات وحَمْلُ هُويّه على سقوطه على الأرض أو ظهوره منها،[١] فممّا لا يناسب المقام.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ أي: وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه أصلًا، فإنّ المراد استمرار نفي النطق عن الهوى، لا نفيُ استمرار النطق عنه، كما مرّ مرارًا.

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما الذي ينطق به مِن القرآن ﴿إِلَّا وَحْىٌ﴾ مِن الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿يُوحَىٰ﴾ صفة مؤكِّدة لـ﴿وَحْىٌ﴾ رافعة لاحتمال المجاز مفيدةٌ للاستمرار التجدّدي.

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ أي: مَلَك شديدٌ قُواه وهو جبريلُ عليه السلام، فإنّه الواسطة في إبداء الخوارق. وناهيك دليلًا على شدّة قوّته أنّه قلَع قُرى قوم لوط

---

[١] هذه الوجوه في الكشّاف للزمخشري، ٣١٥/٤؛ وأنوار التنزيل للبيضاوي، ٣٣٥/٣.

مِن الماء الأسود الذي تحت الثرى وحَمَلها على جناحه ورفعها إلى السماء ثمّ قَلَبها، وصاح بثمودَ[١] صيحةً فأصبحوا جاثمين، وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده في أسرع مِن رجعة الطرف.[٢]

﴿ذُومِرَّةٍ﴾ أي: حَصَافةٍ[٣] في عقله ورأيه ومتانةٍ في دينه ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ / عطفٌ على ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ بطريق التفسير، فإنّه إلى قوله تعالى: ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ بيان لكيفيّة التعليم، أي: فاستقام على صورته التي خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التي كان يتمثّل بها كلّما هبط بالوحي، وذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أحبَّ أن يراه في صورته التي جُبل عليها، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بحِراء[٤] فطلع له جبريلُ عليهما السلام مِن المشرق فسدّ الأرض مِن المغرب وملأ الأفق، فخرَّ رسول الله عليه السلام، فنزل جبريلُ في صورة الآدميّين فضمّه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه.[٥] [١٣٨و]

قيل: ما رآه أحد مِن الأنبياء في صورته غير النبيّ عليهم السلام، فإنّه رآه فيها مرّتين مرّةً في الأرض ومرّةً في السماء.[٦] وقيل: استوى بقوّته على ما جُعل له مِن الأمر.[٧]

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: أفقِ الشمس، حالٌ مِن فاعل ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ أي: أراد الدنوَّ مِن النبيّ عليهما السلام ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ أي: استرسل مِن الأفق الأعلى مع تعلُّق به فدنا مِن النبيّ، يقال: "تدلّت الثمرة" و"دلّى رجليه مِن السرير" و"أدلى دَلْوه"، والدوالي: التمر المعلّق.

---

١ س: ثمود.
٢ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٣١٦/٤.
٣ وفي هامش م: إحكام. «منه».
٤ حِراء: جبل مِن جبال مكّة على ثلاثة أميال، وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبل نزول الوحي يتعبّد في غار مِن هذا الجبل، وفيه أتاه جبريل عليه السلام. انظر: معجم البلدان للحموي، ٢٣٣/٢.
٥ بلفظ قريب في معالم التنزيل للبغوي، ٤٠١/٧؛ واللباب لابن عادل، ١٦٠/١٨.
٦ القول في معالم التنزيل للبغوي، ٤٠١/٧؛ والكشّاف للزمخشري، ٣١٦/٤.
٧ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣٣٦/٣.

﴿فَكَانَ﴾ أي: مقدار امتداد ما بينهما ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أي: مقدارهما، فإنّ القاب والقِيب والقاد والقِيد والقِيس: المقدار. وقيل: فكان جبريلُ عليه السلام كما في قولك: "هو منّي معقدَ الإزار".[١] ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي: على تقديركم، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات، ١٤٧/٣٧]، والمراد تمثيلُ ملكة الاتّصال وتحقيقُ استماعه لِما أوحي إليه بنفي البُعد المُلبِس.

﴿فَأَوْحَىٰ﴾ أي: جبريلُ ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ عبد الله تعالى، وإضماره قبل الذِّكر لغاية ظهوره كما في قوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ [فاطر، ٤٥/٣٥]. ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ أي: مِنَ الأمور العظيمة التي لا تفي بها العبارة، أو فأوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريلَ ما أوحى. قيل: أوحى إليه أنّ الجنّةَ محرَّمة على الأنبياء حتّى تدخلها، وعلى الأمم حتّى تدخلها أمّتك.[٢]

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ أي: فؤاد محمّد عليه السلام ﴿مَا رَأَىٰ﴾ أي: ما رآه ببصره
[١٣٨ظ] مِن صورة جبريلَ عليهما السلام، / أي: ما قال فؤاده لمّا رآه: لم أعرِفك، ولو قال ذلك لَكان كاذبًا؛ لأنّه عرَفه بقلبه كما رآه ببصره. وقُرئ: "مَا كَذَّبَ"،[٣] أي: صدّقه ولم يشكّ أنّه جبريلُ بصورته.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ أي: أتكذِّبونه فتُجادلونه على ما يراه معاينةً؟ أو أبعَد ما ذُكر مِن أحواله المنافية للمُماراة تُمارونه؟ مِن "المِراء" وهو الملاحاة والمجادلة، واشتقاقه مِن "مَرْي الناقةِ" كأنّ كلًّا مِن المتجادلَين يمري ما عند صاحبه. وقُرئ: "أَفَتَمْرُونَهُ"،[٤] أي: فتغلبونه في المِراء مِن "مارَيته فمَريته"،

---

[١] كتاب سيبويه، ٤١٤/١؛ الصحاح للجوهري، «عقد».

[٢] القول في الكشّاف للزمخشري، ٣١٧/٤.

[٣] قرأ بها أبو جعفر وهشام. النشر لابن الجزري، ٣٧٩/٢.

[٤] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود والشعبي، والهَمْداني عن طلحة، وسعيد بن جبير ويحيى بن يعمر. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٤٧؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٧٢٣.

ولِما فيه مِن معنى الغلَبة عُدّي بـ﴿عَلَىٰ﴾، كما يقال: "غلبتُه على كذا". وقيل: أفتُمرونه: أفتجحدونه، مِن "مراه حقَّه"، أي:[١] جحَده.[٢]

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: وبالله لقد رأى جبريلَ في صورته مرّةً أخرى مِن النزول، نُصبت النَّزْلة نَصْبَ الظرف الذي هو مرّة؛ لأنّ "الفعلة" اسم للمرّة مِن الفعل، فكانت في حكمها. وقيل: تقديره: ولقد رآه نازلًا نزلةً أخرى فنصبُها على المصدر.[٣]

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقِلال هَجَر،[٤] وورقُها كآذان الفُيول تنبع مِن أصلها الأنهار التي ذَكَرها الله تعالى في كتابه، يسير الراكب في ظِلّها سبعين عامًا لا يقطعها. و﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ موضع الانتهاء أو الانتهاء، كأنّها في منتهى الجنّة. وقيل: إليها ينتهي عِلم الخلائق وأعمالهم ولا يعلم أحد ما وراءها. وقيل: ينتهي إليها أرواح الشهداء.[٥] وقيل: ينتهي إليها ما يهبط مِن فوقها ويصعد مِن تحتها.[٦]

قيل: إضافة السِّدرة إلى المنتهى إمّا إضافة الشيء إلى مكانه كقولك أشجار البستان، أو إضافة المحلّ إلى الحالّ كقولك: "كتاب الفقه"، والتقدير: سدرةٌ عندها منتهى العلوم، أو إضافة المُلك إلى المالك على حذف الجارّ والمجرور، أي: سدرة المنتهى إليه وهو الله عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم، ٤٢/٥٣].[٧]

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ أي: الجنّة التي يأوي إليها المتّقون أو أرواح الشهداء، والجملة حاليّة. قيل: الأحسنُ أن يكون الحال هو الظرف و﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ مرتفعٌ به على الفاعليّة.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ ظرف زمان لـ﴿رَءَاهُ﴾، لا لِما بعده مِن الجملة المنفيّة كما قيل،[٨] فإنّ "ما" النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها.

---

١ س: إذا.

٢ القول في الكشّاف للزمخشري، ٣١٧/٤.

٣ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣٣٧/٣.

٤ هجر: هي قاعدة البحرين، وقيل: ناحية البحرين كلّها هجر. معجم البلدان للحموي، ٣٩٣/٥.

٥ القولان في الكشّاف للزمخشري، ٣١٧/٤.

٦ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣٣٧/٣.

٧ الوجهان في اللباب لابن عادل، ١٧٣/١٨.

٨ وفي هامش م: إمام رازي. «منه». | انظر: تفسير الرازي، ٢٤٥/٢٨؛ ونقله ابن عادل في اللباب، ١٧٣/١٨.

والغِشيان بمعنى التغطية والسَّتر، ومنه "الغواشي"، أو بمعنى الإتيان، يقال: "فلان يغشاني كلَّ حين"، أي: يأتيني، والأوّل هو الأليَق بالمقام.

[١٣٩و] / وفي إبهام ﴿مَا يَغْشَىٰ﴾ مِن التفخيم ما لا يخفى، وتأخيرُه عن المفعول للتشويق إليه، أي: ولقد رآه عند السِّدرة وقتَ ما غشيها ما غشيها ممّا لا يكتنهه الوصفُ ولا يفي به البيانُ كيفًا ولا كمًّا. وصيغةُ المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارًا لصورتها البديعة أو للإيذان باستمرار الغشيان بطريق التجدّد.

قيل: يغشاها الجمّ الغفير مِن الملائكة يعبدون الله تعالى عندها،[١] وقيل: يزورونها متبرّكين بها كما يزور الناسُ الكعبةَ، وقيل: يغشاها سُبُحاتُ أنوار الله عزّ وجلّ[٢] حين يتجلّى لها كما تجلّى للجبل، لكنّها كانت أقوى مِن الجبل وأثبتَ، حيث لم يصبها ما أصابه مِن الدكّ، وقيل: يغشاها فَراش أو جراد مِن ذهب، وهو قول ابن[٣] عبّاس وابن مسعود والضحّاك.[٤]

ورُوي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «رأيتُ السِّدرة يغشاها فَراش مِن ذهب، ورأيتُ على كلّ ورقة مَلَكًا قائمًا يسبّح الله تعالى»،[٥] وعنه عليه السلام: «يغشاها رَفرف[٦] مِن طير خُضر».[٧]

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ أي: ما مال بصرُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عمّا رآه ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ وما تجاوزه مع ما شاهَدَ هناك مِن الأمور المذهِلة ما لا يحصى؛ بل أثبتَه إثباتًا صحيحًا متيقّنًا، أو ما عَدَل عن رؤية العجائب التي أُمِر برؤيتها ومُكِّن منها وما جاوَزها.

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٣١٨/٤.

٢ مرويّ بمعناه عن ابن عبّاس في جامع البيان للطبري، ٤٢/٢١.

٣ س + ابن قول.

٤ كما في جامع البيان للطبري، ٤١/٢١-٤٢؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٤٠٦/٧؛ والكشّاف للزمخشري، ٣١٨/٤.

٥ جامع البيان للطبري، ٤٢/٢١؛ معالم التنزيل للبغوي، ٤٠٦/٧؛ الكشّاف للزمخشري، ٣١٨/٤.

٦ وفي هامش م: جماعة. «منه».

٧ لم أجِده في مظانّه. وهو في الكشف والبيان للثعلبي، ١١٢/٢٥؛ والكشّاف للزمخشري، ٣١٨/٤. وفي صحيح البخاري، ١٦١/٦ (٤٨٥٨) في تفسير الآية الثامنة عشرة مِن هذه السورة مِن حديث ابن مسعود رضيَ الله عنه، قال: «رأى رَفرفًا أخضرَ قد سدَّ الأفق».

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ أي: والله لقد رأى الآيات التي هي كُبراها وعُظماها حين عُرج به إلى السماء، فأُري مِن عجائب المُلك والملكوت ما لا يُحيط به نطاق العبارة. ويجوز أن يكون ﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ صفةً لـ"الآيات" والمفعول محذوف، أي: شيئًا عظيمًا مِن آيات ربّه، وأن يكون ﴿مِن﴾ مزيدةً.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢﴾

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ هي أصنام كانت لهم، فـ"اللات" كانت لثقيف بالطائف، وقيل: لقريش بنَخْلَة.[1] وهي "فَعْلة" مِن "لوى"؛ لأنّهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها. وقُرئ بتشديد "التاء"[2] على أنّه اسم فاعل اشتُهر به رجل كان يلتّ السمن بالزيت ويُطعِمه الحاجّ، وقيل: كان / يلتّ السَّويق[3] بالطائف ويُطعمه الحاجّ، فلمّا مات عكفوا على قبره يعبدونه،[4] وقيل: كان يجلس على حَجَر فلمّا مات سُمّي الحَجَر باسمه، وعُبد مِن دون الله، وقيل: كان الحَجَر على صورته.[5] [١٣٩ظ]

و"العزّى" تأنيث "الأعزّ" كانت لغطفان[6] وهي سمُرةٌ كانوا يعبدونها، فبَعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خالدَ بن الوليد فقطعها، فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعةً يدها على رأسها وهي تُولوِل فجعل خالدٌ يضربها بالسيف حتّى قتلها، فأخبر رسول الله عليه السلام، فقال: «تلك العُزّى ولن تُعبَد أبدًا».[7]

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٣١٨/٤. | نخلة: موضع بالحِجاز قريب مِن مكّة. معجم البلدان للحموي، ٢٧٧/٥.

٢ قرأ بها رُويس. النشر لابن الجزري، ٣٧٩/٢.

٣ السَّويق: طعام يتّخذ مِن الحنطة والشعير، ولتُّه: بلُّه بالماء. لسان العرب لابن منظور، «سوق»، «لتت».

٤ القول في الكشّاف للزمخشري، ٣١٨/٤.

٥ القول في اللباب لابن عادل، ١٧٨/١٨-١٧٩.

٦ غَطَفان: وهي قبيلة عظيمة مِن قبائل سعد بن قيس بن عيلان، وهم بطن متّسع كثير البطون والشعوب، منهم بنو عبس وبنو ذُبيان، كانت منازلهم ممّا يلي وادي القرى وجبلي طيئ أجأ وسلمى، ثمّ تفرّقوا في الفتوحات الإسلاميّة، واستولت على مواطنهم قبائل طيئ. انظر: اللباب لابن الأثير، ٣٨٦/٢؛ وقلائد الجمان للقلقشندي، ص ١١٢.

٧ التفسير البسيط للواحدي، ٤٤٢/٢١؛ معالم التنزيل للبغوي، ٤٠٧/٧-٤٠٨؛ الكشّاف للزمخشري، ٣١٨/٤.

و"مناة" صخرة لهُذيل وخزاعة، وقيل: لثقيف، وكأنّها سُمّيت مناةَ؛ لأنّ دماء النسائك تُمنَى عندها، أي: تُراق. وقُرئ: "وَمَنَاءَةَ"[1] وهي "مَفْعَلة" مِن "النَّوْء"؛ كأنّهم كانوا يستمطِرون عندها الأنواءَ تبرُّكًا بها، و﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾ صفة ذمّ لها، وهي المتأخِّرة الوضيعةُ المقدارِ. وقد جُوّز أن تكون الأوّليّة والتقدّم عندهم للات والعُزّى.[2]

ثمّ إنّهم كانوا مع ما ذُكر مِن عبادتهم لها يقولون: إنّ الملائكة وتلك الأصنام بنات الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فقيل: لهم توبيخًا وتبكيتًا ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾... إلخ، و"الهمزة" للإنكار، و"الفاء" لتوجيهه إلى ترتيب الرؤية على ما ذُكر مِن شئون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة، وهي قلبيّة، ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه.

فالمعنى أعَقِيب ما سمعتم مِن آثار كمال عظمة الله عزّ وجلّ في مُلكه وملكوته وجلاله وجبروته وإحكامِ قدرته ونفاذِ أمره في الملأ الأعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتُم هذه الأصنام مع غاية حقارتها وقماءتها بناتٍ له تعالى.

وقيل: المعنى أفرأيتم هذه الأصنام مع حقارتها وذِلّتها شركاءَ لله تعالى مع ما تقدَّم مِن عظمته. وقيل: أخبروني عن آلهتكم / هل لها شيء مِن القدرة [١٤٠و]
والعظمة التي وُصف بها ربّ العزّة في الآي السابقة. وقيل:[3] المعنى أظننتم أنّ هذه الأصنام التي تعبدونها تنفعكم. وقيل: أظننتم أنّها تشفع لكم في الآخرة. وقيل: أفرأيتم إلى هذه الأصنام إن عبدتموها لا تنفعكم وإن تركتموها لا تضرُّكم.

والأوّل هو الحقّ، كما يشهد به قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ شهادة بيّنةً، فإنّه توبيخ مبنيٌّ على التوبيخ الأوّل، وحيث كان مداره تفضيلَ جانب أنفسهم على جنابه تعالى بنسبتهم إليه تعالى الإناثَ مع اختيارهم لأنفسهم الذكورَ، وجب أن يكون مناطُ الأوّل نفسَ تلك النسبة حتّى يتسنّى بناء التوبيخ الثاني عليه، وظاهرٌ أن ليس في شيء مِن التقديرات المذكورة مِن تلك النسبة عينٌ ولا أثرٌ.

---

١ قرأ بها ابن كثير. النشر لابن الجزري، ٣٧٩/٢.

٢ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٣١٩/٤.

٣ وفي هامش م: أبو الليث السمرقندي. «منه».| انظر القول في تفسير السمرقندي، ٢٩١/٣.

وأمّا ما قيل مِن أنّ هذه الجملة مفعول ثانٍ للرؤية وخلوّها عن العائد إلى المفعول الأوّل لِما أنّ الأصل: أخبروني أنّ اللات والعزّى ومَناة، ألكم الذَّكَر وله هُنّ؟ أي: تلك الأصنام، فوُضع موضعَها الأنثى لمراعاة الفواصل وتحقيقِ مناط التوبيخِ،[1] فمع ما فيه مِن التمحّلات التي ينبغي تنزيهُ ساحة التنزيل عن أمثالها يقتضي اقتصارَ التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقيرِ على جَناب الله العزيز الجليل مِن غير تعرُّض للتوبيخ على نسبة الولد إليه سبحانه.

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى القِسمة المنفهِمة مِن الجملة الاستفهاميّة. ﴿إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ أي: جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه، وهي "فُعْلى" مِن "الضَّيْز" وهو الجَوْر، لكنّه كُسر فاؤه لتسلم "الياء"، كما فُعل في "بِيض"، فإنّ "فِعلى" بالكسر لم يأتِ في الوصف.

وقُرئ: "ضِئْزَى"[2] بـ"الهمز" مِن "ضَأَزه" إذا ظلمه، على أنّه مصدر نُعت به. وقُرئ: "ضَيْزَى"[3] إمّا على أنّه مصدر وُصف به كـ"دَعوى"، أو على أنّه صفة كـ"سَكْرى" و"عَطْشى".

﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِنْ هِىَ﴾ الضمير للأصنام، أي: ما الأصنام باعتبار الألوهيّة التي يدّعونها ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ محضة ليس تحتها ممّا تنبئ هي عنه مِن معنى الألوهيّة شيءٌ ما أصلًا.

وقوله تعالى: ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ صفة لـ﴿أَسْمَآءٌ﴾ وضميرها لها لا للأصنام، والمعنى جعلتموها أسماءً، لا جعلتم لها أسماءً، فإنّ التسمية نسبة بين الاسم والمسمّى، / فإذا قِيسَت إلى الاسم فمعناها جَعْلُه اسمًا للمسمّى، وإن قِيسَت [١٤٠ظ]
إلى المسمّى فمعناها جَعْلُه مسمّى للاسم، وإنّما اختير ههنا المعنى الأوّل مِن غير تعرُّض للمسمّى لتحقيق أنّ تلك الأصنام التي يسمّونها آلهةً أسماءٌ مجرّدة

---

١ القول في اللباب لابن عادل، ١٨/١٨٢.

٢ قرأ بها ابن كثير. النشر لابن الجزري، ١/٣٩٥.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن عُبيد بن عُمير وزيد بن عليّ. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٢.

ليس لها مسمّياتٌ قطعًا، كما في قوله تعالى: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَا﴾ الآية [يوسف، ١٢/٤٠]، لا أنّ هناك مسمّيات لكنّها لا تستحقّ التسمية.

وقيل: هي للأسماء الثلاثة المذكورة،[١] حيث كانوا يُطلقونها على تلك الأصنام لاعتقادهم أنّها تستحقّ العكوفَ على عبادتها والإعزازَ والتقرّب إليها بالقرابين. وأنت خبير بأنّه لو سُلِّم دلالة الأسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصّة للأصنام فليس في سَلْبها عنها مزيدُ فائدة؛ بل إنّما هي في سَلْب الألوهيّة عنها كما هو زعمُهم المشهور في حقّ جميع الأصنام على وجه برهاني، فإنّ انتفاء الموصوف يقتضي انتفاءَ الوصف بطريق الأولويّة، أي: ما هي إلّا أسماءٌ خالية عن المسمّيات وضعتموها ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ بمقتضى أهوائكم الباطلة ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾ برهان تتعلّقون به.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ التفات إلى الغيبة للإيذان بأنّ تعداد قبائحهم اقتضى الإعراضَ عنهم وحكايةَ جناياتهم لغيرهم، أي: ما يتّبعون فيما ذُكر مِن التسمية والعمل بموجَبها ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إلّا توهُّم أنّ ما هم عليه حقٌّ توهّمًا باطلًا. ﴿وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُ﴾ أي: تشتهيه أنفسهم الأمّارة بالسوء.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ قيل: هي حال مِن فاعل ﴿يَتَّبِعُونَ﴾،[٢] أو اعتراضٌ، وأيًّا ما كان ففيه تأكيدٌ لبطلان اتّباع الظنّ وهو النفس، وزيادةُ تقبيح لحالهم، فإنّ اتّباعهما مِن أيّ شخص كان قبيحٌ وممّن هداه الله تعالى بإرسال الرسول عليه السلام وإنزالِ الكتاب أقبحُ.

﴿أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ۝٢٥﴾

﴿أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ ﴿أَمۡ﴾ منقطعة، وما فيها مِن "بل" للانتقال مِن بيان أنّ ما هُم عليه غيرُ مستند إلّا إلى توهُّمهم وهوى أنفسهم إلى بيان أنّ ذلك ممّا لا يُجدي نفعًا أصلًا. / و"الهمزة" للإنكار والنفي، أي: ليس للإنسان كلّ ما يتمنّاه [١٤١و]

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٣١٩.

٢ وفي هامش م: طيبيّ وابن عادل. | وانظر هذا الوجه في فتوح الغيب للطِّيبي، ١٥/٩٢؛ واللباب لابن عادل، ١٨/١٨٧.

وتشتهيه نفسه مِن الأمور التي مِن جملتها أطماعهم الفارغة في شفاعة الآلهة ونظائرِها التي لا تكاد تدخل تحت الوجود.

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ﴾ تعليل لانتفاء أن يكون للإنسان ما يتمّناه حتمًا، فإنّ اختصاص أمور الآخرة والأولى جميعًا به تعالى مقتضٍ لانتفاء أن يكون له أمرٌ مِن الأمور.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾

وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ إقناط لهم عمّا علّقوا به أطماعهم مِن شفاعة الملائكة لهم موجِبٌ لإقناطهم عن شفاعة الأصنام بطريق الأولويّة. و﴿كَم﴾ خبريّة مفيدةٌ للتكثير محلُّها الرفع على الابتداء، والخبرُ هي الجملة المنفيّة، وجَمْعُ الضمير في ﴿شَفَٰعَتُهُمۡ﴾ مع إفراد "المَلَك" باعتبار المعنى، أي: وكثير مِن الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله تعالى شيئًا مِن الإغناء في وقت مِن الأوقات.

﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ﴾ لهم في الشفاعة ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ أن يشفعوا له ﴿وَيَرۡضَىٰٓ﴾ ويراه أهلًا للشفاعة مِن أهل التوحيد والإيمان، وأمّا مَن عداهم مِن أهل الكفر والطغيان فهم مِن إذن الله تعالى بمَعزِل ومِن الشفاعة بألف مَنزِل، فإذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذُكر فما ظنهم بحال الأصنام؟

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ٢٧ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا ٢٨﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وبما فيها مِن العقاب على ما يتعاطَونه مِن الكفر والمعاصي ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ المنزَّهين عن سِمات النقصان على الإطلاق، أي: يسمُّون كلَّ واحد منهم ﴿تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ﴾، فإنّ قولهم: "الملائكةُ بناتُ الله" قولٌ منهم بأنّ كلًّا منهم بنتُه سبحانه، وهي التسمية بالأنثى،

وفي تعليقها بعدم الإيمان بالآخرة إشعارٌ بأنّها في الشناعة والفظاعة[١] واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترئ عليها إلّا مَن لا يؤمن بها رأسًا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ حال مِن فاعل ﴿يُسَمُّونَ﴾، أي: يسمُّونهم والحال أنّه لا عِلم لهم بما يقولون أصلًا. / وقُرئ: "بِهَا"،[٢] أي: بالملائكة أو بالتسمية. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الفاسدَ ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ﴾ أي: جنس الظنّ، كما يلوِّح به الإظهارُ في موقع الإضمار ﴿لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ مِن الإغناء، فإنّ الحقّ: الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء، لا يُدرَك إلّا بالعِلم، والظنُّ لا اعتدادَ به في شأن المعارف الحقيقيّة، وإنّما يُعتدّ به في العمليّات وما يؤدّي إليها. [١٤١ظ]

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ۝٣٠﴾

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: عنهم. ووَضْعُ الموصول موضعَ ضميرهم للتوسّل به إلى وصفهم بما في حيّز صلته مِن الأوصاف القبيحة وتعليلِ الحكم بها، أي: فأعرِضْ عمّن أعرَض عن ذكرنا المفيدِ للعِلم اليقيني وهو القرآن المنطوي على علوم الأوّلين والآخرين المذكِّر لأمور الآخرة، أو عن ذِكرنا كما ينبغي، فإنّ ذلك مستتبع لذِكر الآخرة وما فيها مِن الأمور المرغوبِ فيها والمهروب عنها.

﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ راضيًا بها قاصرًا نظرَه عليها، والمرادُ النهي عن دعوته والاعتناءِ بشأنه، فإنّ مَن أعرض عمّا ذُكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همّته وقُصارى سعيه لا تزيده الدعوة إلى خلافها إلّا عِنادًا وإصرارًا على الباطل.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ما أدّاهم إلى ما هم فيه مِن التولّي وقَصْرِ الإرادة على الحياة الدنيا ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ لا يكادون يُجاوزونه إلى غيره حتّى تُجديهم الدعوة والإرشاد. وجَمْعُ الضمير في ﴿مَبْلَغُهُم﴾ باعتبار معنى ﴿مَن﴾ كما أنّ إفراده

---

١ س: الفضاحة.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ بن كعب. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٧٢٥.

فيما سبق باعتبار لفظها. والمرادُ بـ﴿ٱلْعِلْمِ﴾ مطلقُ الإدراك المنتظِم للظنّ الفاسد. والجملةُ اعتراضٌ مقرِّر لمضمون ما قبلها مِن قَصْر الإرادة على الحياة الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ تعليل للأمر بالإعراض، وتكريرُ قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ لزيادة التقرير والإيذانِ بكمال تباينِ المعلومَين. والمراد ﴿بِمَن ضَلَّ﴾ مَن أصرّ عليه ولم يرجع إلى الهدى أصلًا، و﴿بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ مَن مِن شأنه الاهتداء في الجملة، أي: هو المبالغ في العِلم بمَن لا يرعوي عن الضلال أبدًا وبمَن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيرَه، فلا تُتعب نفسك في دعوتهم فإنّهم مِن القبيل الأوّل.

وفي تعليل الأمر بإعراضه عليه السلام عن الاعتناء بأمرهم باقتصار العِلم بأحوال الفريقين عليه تعالى رمزٌ إلى أنّه تعالى يُعاملهم / بموجَب عِلمه بهم، فيجزي كلًّا منهم بما يليق به مِن الجزاء، ففيه وعيدٌ ووعدٌ ضِمنًا، كما سيأتي صريحًا. [١٤٢و]

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خَلقًا ومُلكًا لا لغيره أصلًا، لا استقلالًا ولا اشتراكًا. وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ﴾... إلخ متعلِّق بما دلّ عليه ﴿أَعْلَمُ﴾... إلخ،[١] وما بينهما اعتراضٌ مقرِّر لِما قبله، فإنّ كون الكلّ مخلوقًا له تعالى ممّا يقرِّر عِلمه تعالى بأحوالهم، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك، ١٤/٦٧]، كأنّه قيل: فيعلم ضلالَ مَن ضلّ واهتداءَ مَن اهتدى ويحفظهما ليجزي ﴿ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ أي: بعقاب ما عملوا مِن الضلال الذي عُبّر عنه بالإساءة بيانًا لحاله، أو بسبب ما عملوا ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ أي: اهتدوا ﴿بِٱلْحُسْنَى﴾ أي: بالمثوبة الحسنى التي هي الجنّة، أو بسبب أعمالهم الحسنى.

---

[١] في الآية السالفة.

وقيل: متعلِّق بما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، كأنّه قيل: خَلَق ما فيهما ليجزي... إلخ.[١] وقيل: متعلِّق بـ﴿ضَلَّ﴾ و﴿ٱهْتَدَىٰ﴾[٢] على أنّ "اللام" للعاقبة، أي: هو أعلمُ بمَن ضلّ ليئول أمرُه إلى أن يجزيَه الله تعالى بعمله وبمَن اهتدى ليئول أمرُه إلى أن يجزيَه بالحسنى.[٣] وفيه مِن البعد ما لا يخفى.

وتكريرُ الفعل لإبراز كمال الاعتناءِ بأمر الجزاء والتنبيهِ على تباين الجزاءين.

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ بدل مِن الموصول الثاني وصيغةُ الاستقبال في صلته للدلالة على تجدّد الاجتناب واستمراره، أو بيانٌ، أو نعتٌ، أو منصوبٌ على المدح. و﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ ما يكبر عقابه مِن الذنوب وهو ما رُتِّب عليه الوعيدُ بخصوصه. وقُرئ: "كَبِيرَ الإثْمِ"[٤] على إرادة الجنس أو الشرك.

﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ وما فحُش مِن الكبائر خصوصًا ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ أي: إلّا ما قلّ وصغُر فإنّه مغفور ممّن يجتنب الكبائر. قيل: هي النظرة والغَمْزة والقُبلة،[٥] وقيل: هي الخَطْرة مِن الذنب، وقيل: كلّ ذَنْب لم يُذكَر الله عليه حدًّا ولا عذابًا، وقيل: عادة النفس الحين بعد الحين.[٦] والاستثناءُ منقطِع.

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر، فالجملة تعليلٌ لاستثناء ﴿ٱللَّمَمَ﴾ وتنبيهٌ على أنّ إخراجه عن حُكم المؤاخذة به ليس لخُلوّه عن الذّنب في نفسه؛ بل لسَعة المغفرة الربّانيّة. وقيل: المعنى له أن يغفر / لمَن يشاء مِن المؤمنين ما يشاء مِن الذنوب صغيرِها وكبيرِها.[٧] ولعلّ تعقيبَ [١٤٢ظ]
وعيدِ المسيئين ووعدِ المحسنين بذلك حينئذ لئلّا ييأس صاحبُ الكبيرة مِن رحمته تعالى ولا يتوهَّم وجوبَ العقاب عليه تعالى.

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٣٢٠/٤.

٢ في الآية السالفة.

٣ القول بمعناه في الكشّاف للزمخشري، ٣٢٠/٤؛ ووضحه ابن عادل في اللباب، ١٩٤/١٨.

٤ قراءة شاذّة، غير منسوبة. الكشّاف للزمخشري، ٣٢١/٤.

٥ وهو قول ابن مسعود وأبي هريرة ومسروق والشعبي ورواية طاوس عن ابن عبّاس. انظر: جامع البيان للطبري، ٦٣/٢٢-٦٤؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٤١٢/٧.

٦ القولان في اللباب لابن عادل، ١٩٧/١٨.

٧ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣٤٠/٣.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أي: بأحوالكم يعلمها ﴿إِذْ أَنشَأَكُم﴾ في ضمن إنشاء أبيكم آدمَ عليه السلام ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ إنشاءً إجماليًا حسبما مرّ تحقيقه مرارًا. ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ ووقتَ كونكم أجِنّةً ﴿فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ على أطوار مختلفة مترتّبة لا يخفى عليه حالٌ مِن أحوالكم وعملٌ مِن أعمالكم التي مِن جملتها اللَّمَم الذي لولا المغفرةُ الواسعة لأصابكم وَبالُه، فالجملةُ استئناف مقرِّر لِما قبلها.

و"الفاء" في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق مِن أنّ عدم المؤاخذة باللَّمَم ليس لعدم كونه مِن قبيل الذنوب؛ بل لمَحْض مغفرته تعالى مع عِلمه بصدوره عنكم، أي: إذا كان الأمر كذلك فلا تُثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلّيّة،[١] أو بما يستلزمها مِن زكاء العمل ونماء الخير؛ بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ المعاصي جميعًا، وهو استئنافٌ مقرِّر للنهي ومشعِرٌ بأنّ فيهم مَن يتّقيها بأسرها. وقيل: كان ناس يعملون أعمالًا حسنةً، ثمّ يقولون: صلاتنا وصيامنا وحجُّنا، فنزلت.[٢] وهذا إذا كان بطريق الإعجاب أو الرِّياء، فأمّا مَن اعتقد أنّ ما عمله مِن الأعمال الصالحة مِن الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدّح لم يكن مِن المزكِّين أنفسهم، فإنّ المسرَّة بالطاعة طاعة وذِكرُها شكر.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ أي: عن اتّباع الحقّ والثباتِ عليه.

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ أي: شيئًا قليلًا أو إعطاءً قليلًا ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ أي: قَطَع العطاء مِن قولهم: "أكدى الحافرُ" إذا بلغ الكُدية، أي: الصلابة كالصخرة، فلا يمكنه أن يحفر. قالوا: نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتّبع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فعيّره بعض المشركين، وقال له: «تركتَ دين الأشياخ وضلّلتهم؟»

---

[١] وفي هامش م: بأن لا يصدر عنها شيء منها أصلًا. «منه»».

[٢] مرويّ عن الكلبي ومقاتل في معالم التنزيل للبغوي، ٤١٣/٧؛ واللباب لابن عادل، ١٩٩/١٨؛ وبلا عزو في الكشّاف للزمخشري، ٣٢١/٤.

فقال: «أخشى عذاب الله»، فضمِن أن يتحمّل عنه العذاب إن أعطاه بعض ماله، فارتدّ وأعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي.[١] وقيل: نزلت في العاص بن وائل السهمي، لِما أنّه كان يُوافق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في بعض الأمور.[٢] وقيل: في أبي جهل كان ربّما يُوافق الرسول صلّى الله عليه وسلّم في بعض الأمور، وكان / يقول: «والله ما يأمرنا محمّد إلّا بمكارم الأخلاق»، وذلك قوله تعالى: [١٤٣و]
﴿وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ﴾.[٣]

والأوّل هو الأشهر المناسب لِما بعده مِن قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾... إلى آخره، أي: أعنده عِلم بالأمور الغيبيّة التي مِن جملتها تحمُّل صاحبه عنه يوم القيامة؟

﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ۝٤١﴾

﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ أي: وفر وأتمّ ما ابتُلِيَ به مِن الكلمات، أو أُمِر به، أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله. وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود، حتّى إنّه أتاه جبريلُ عليهما السلام حين يُلقى في النار فقال: «ألك حاجة؟» فقال: «أمّا إليك فلا»،[٤] وعلى ذبح الولد. ويُروى أنّه كان يمشي كلّ يوم فرسخًا يرتاد ضيفًا، فإن وافقه أكرمَه وإلّا نوى الصوم. وتقديم موسى لِما أنّ صُحفه التي هي التوراة أشهرُ عندهم وأكثرُ.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ أي: أنّه لا تحمِل نفس مِن شأنها الحَمْلُ حِمْلَ نفسٍ أخرى، على أنّ ﴿أَنۡ﴾ هي المخفّفة مِن الثقيلة، وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوفٌ، والجملةُ المنفيّة خبرُها، ومحلُّ الجملة الجرُّ على أنّها بدل مِن ﴿مَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾، أو الرفعُ على أنّه خبرُ مبتدأ محذوف، كأنّه قيل: ما في صحفهما؟

---

١ هذا السبب مذكور في معالم التنزيل للبغوي، ٤١٣/٧-٤١٤.

٢ مرويّ عن السدّي في معالم التنزيل للبغوي، ٤١٤/٧.

٣ مرويّ عن محمّد بن كعب القُرظي في معالم التنزيل للبغوي، ٤١٤/٧.

٤ في الكشّاف للزمخشري، ٣٢٢/٤.

فقيل: هو ألّا تزر... إلخ، والمعنى أنّه لا يؤاخَذ أحدٌ بذَنْب غيره ليتخلّص الثاني عن عقابه، ولا يقدح في ذلك قوله عليه السلام: «مَن سنَّ سنّة سيّئة فله وِزرُها ووِزرُ مَن عَمِل بها إلى يوم القيامة»،[1] فإنّ ذلك وِزر الإضلال الذي هو وِزره.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ بيان لعدم انتفاع الإنسان بعمل غيره مِن حيث جلبُ النفع إليه إثرَ بيان عدمِ انتفاعه به مِن حيث دفعُ الضرر عنه. وأمّا شفاعة الأنبياء عليهم السلام واستغفارُ الملائكة عليهم السلام ودعاءُ الأحياء للأموات وصدقتُهم عنهم وغيرُ ذلك ممّا لا يكاد يحصى مِن الأمور النافعة للإنسان، مع أنّها ليست مِن عمله قطعًا، فحيث كان مناطُ منفعة كلّ منها عملُه الذي هو الإيمان والصلاح ولم يكن لشيء منها نفعٌ ما بدونه جُعل النافع نفسَ عملِه / وإن كان بانضمام عَمِل غيره إليه. و﴿أَن﴾ مخفَّفة كأختها معطوفة عليها، وكذا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ أي: يُعرَض عليه ويُكشَف له يوم القيامة في صحيفته وميزانه مِن "أَرَيتُه الشيءَ". [١٤٣ظ]

﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ﴾ أي: يُجزى الإنسانُ سعيه، يقال: "جزاه الله بعَمَله" و"جزاه على عَمَله" و"جزاه عملَه" بحذف الجارّ وإيصالِ الفعل، ويجوز أن يُجعَل الضمير للجزاء ثمّ يفسَّر بقوله تعالى: ﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ أو يُبدَل هو عنه، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء، ٢١/٣].

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ أي: انتهاءُ الخلقِ ورجوعُهم إليه تعالى لا إلى غيره استقلالًا ولا اشتراكًا. وقُرئ بكسر ﴿أَنَّ﴾[2] على الابتداء.

---

[1] بمعناه في مسند أحمد، ٣٢٦/١٦ (١٠٥٥٦)؛ وصحيح مسلم، ٢٠٥٩/٤ (١٠١٧)؛ وسنن الترمذي، ٤٣/٥ (٢٦٧٥).

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن أبان وأبي السّمّال واليماني وابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٢.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾ أي: هو خَلَق قوّتَي الضحك والبكاء.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا﴾ لا يقدِر على الإماتة والإحياء غيرُه، فإنّ أثر القاتل نقضُ البنية وتفريقُ الاتّصال، وإنّما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۞ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ﴾ تُدفَق في الرَّحِم أو تُخلَق أو يُقدَّر منها الولد مِن "مَنَى" بمعنى "قدّر".

﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ أي: الإحياءَ بعد الموت وفاءً بوعده. وقُرِئ: "النَّشَاءَة"[١] بالمدّ، وهي أيضًا مصدر "نَشَأَ".

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ وأعطى القِنية وهي ما يُتأثّل مِن الأموال، وأفردها بالذِّكر لأنّها أشفّ الأموال، أو أرضى، وتحقيقُه جَعْل الرِّضا له قِنيةً.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ أي: ربّ معبودهم، وهي العَبُور وهي أشد ضياءً مِن الغُميصاء، وكانت خُزاعةُ تعبدها، سَنّ لهم ذلك أبو كَبْشة رجلٌ مِن أشرافهم، وكانت قريش تقول لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أبو كبشة تشبيهًا له عليه السلام به لمخالفته إيّاهم في دينهم.[٢]

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۞ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ۞ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ۞ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ۞ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۞﴾

[١٤٤و] ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ هي قوم هودٍ عليه السلام، / وعادٌ الأخرى إرَمُ، وقيل: الأُولى القدماء؛ لأنّهم أُولى الأمَم هلاكًا بعد قوم نوح،[٣] وقُرِئ: "عَادًا لُولَى"[٤] بحذف "الهمزة" ونقلِ ضمِّها إلى "اللام"، و"عَادَ لُّولَى"[٥] بإدغام التنوين في "اللام" وطرحِ همزة "أولى" ونقلِ حركتها إلى لام التعريف.

---

١ قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو. النشر لابن الجزري، ٢/٣٤٣.

٢ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤/٣٢٣. وقال الزيلعي تعليقًا عليه في تخريج أحاديث الكشّاف، ٣/٣٨٥: «كأنّه وهم، إنّما كانوا يقولون له: ابن أبي كبشة، كما في حديث أبي سفيان: لقد أمِر أمرُ ابن أبي كبشة»، وهو جزء مِن حديث طويل في صحيح البخاري، ١/٨ (٧)؛ وصحيح مسلم، ٣/١٣٩٣ (١٧٧٣).

٣ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٣٢٣.

٤ قراءة شاذّة، غير منسوبة. الكشّاف للزمخشري، ٤/٣٢٣.

٥ قرأ بها أبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب وورش وقالون بخلف عنه. النشر لابن الجزري، ١/٤١٠.

﴿وَثَمُودَاْ﴾ عطفٌ على ﴿عَادًا﴾؛ لأنّ ما بعده لا يعمل فيه. وقُرئ: "وثمودًا"[١] بالتنوين ﴿فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ أي: أحدًا مِن الفريقين.

﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ﴾ عطفٌ عليه أيضًا ﴿مِّن قَبۡلُ﴾ أي: مِن قبل إهلاك عادٍ وثمود ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ﴾ مِن الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفِّرون الناس عنه، وكانوا يُحذِّرون صبيانهم أن يسمعوا منه، وكانوا يضربونه عليه السلام حتّى لا يكون به حراك، وما أثّر فيهم دعاؤه قريبًا مِن ألف سنة.

﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ﴾ هي قرى قوم لوطٍ ائتفكت بأهلها، أي: انقلبت بهم. ﴿أَهۡوَىٰ﴾ أي: أسقَطها إلى الأرض بعد أن رَفعها على جناح جبريلَ عليه السلام إلى السماء.

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ مِن فنون العذاب، وفيه مِن التهويل والتفظيع ما لا غايةَ وراءه.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ تتشكّك، والخطاب للرسول صلّى الله عليه وسلّم، على طريقة قوله تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر، ٦٥/٣٩]، أو لكلّ أحد.[٢] وصيغة[٣] التفاعل وإن وُضعت[٤] لإفادة صدور الفعل عن المتعدِّد ووقوعِه عليه بحيث يكون كلٌّ مِن ذلك فاعلًا ومفعولًا معًا، لكنّها قد تُجرَّد عن المعنى الثاني فيُراد بها المعنى الأوّل فقط،[٥] وربّما[٦] تجرَّد عنه أيضًا فيراد[٧] مجرّد[٨] تعدُّد[٩] الفعل باعتبار[١٠] تعدُّد[١١] متعلَّقه، كما فيما نحن فيه، فإنّ المِراء متعدِّد بتعدّد الآلاء، فتدبّر. وتسميةُ الأمور المعدودة "آلاءً" مع أنّ بعضها نِقَم لِما أنّها أيضًا نِعَم مِن حيث إنّها نُصرة للأنبياء والمؤمنين وانتقامٌ لهم، وفيها عِظاتٌ وعِبَر للمعتبِرين.

---

[١] قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي وأبو جعفر وخلف. النشر لابن الجزري، ٢٨٩/٢.

[٢] س ي + وإسنادُ فعل التماري إلى الواحد باعتبار تعدُّده بحسب تعدُّد متعلَّقه، فإنّ.

[٣] س ي: صيغة.

[٤] س ي: كانت موضوعةً.

[٥] س ي + كما في "يتداعونهم"، أي: يدعونهم.

[٦] س ي: وقد.

[٧] س ي: فيُكتفى.

[٨] س ي - مجرّد.

[٩] س ي: بتعدُّد.

[١٠] س ي - باعتبار.

[١١] س ي: بتعدُّد.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ ﴿هَٰذَا﴾ إمّا إشارة إلى القرآن، و"النذير" مصدر، أو إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم، و"النذير" بمعنى المُنذِر، وأيًّا ما كان فالتنوين للتفخيم و﴿مِّنَ﴾ متعلِّقة بمحذوف هو نعت لـ﴿نَذِيرٌ﴾ مقرِّر له ومتضمِّن للوعيد، أي: هذا القرآن الذي تشاهِدونه نذيرٌ مِن قبيل الإنذارات المتقدِّمة التي سمعتُم عاقبتها، أو هذا الرسول منذِر مِن جنس المنذِرين الأوّلين، والأُولى[1] على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل، وقد علمتُم أحوال قومِهم المنذَرين.

وفي تعقيبه بقوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ﴾ إشعارٌ بأنّ تعذيبهم مؤخَّر إلى يوم القيامة، أي: دنتِ الساعة الموصوفة بالدنوّ في نحو قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر، ١/٥٤].

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي: ليس لها نفسٌ قادرة / على كشفها عند وقوعها إلّا الله تعالى لكنّه لا يكشفها، أو ليس لها الآن نفسٌ كاشفة بتأخيرها إلّا الله تعالى، فإنّه المؤخِّر لها، أو ليس لها كاشفة لوقتها إلّا الله،[2] كقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف، ١٨٧/٧]، أو ليس لها مِن غير الله تعالى كَشْف على أنّ "كاشفة" مصدر كـ"العافية". [١٤٤ظ]

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ۝٦٢﴾

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أي: القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ إنكارًا ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً مع كونه أبعدَ شيءٍ مِن ذلك ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ حزنًا على ما فرَّطتم في شأنه وخوفًا مِن أن يحيق بكم ما حاق بالأمم المذكورة.

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ أي: لاهون، أو مستكبِرون مِن "سمَد البعيرُ" إذا رفع رأسه، أو مُغنُّون لتشغلوا الناس عن استماعه مِن "السُّمود" بمعنى الغِناء على لغة حِمْيَر، أو خاشعون جامدون مِن "السُّمود" بمعنى الجُمود والخشوع

---

[1] س: والأدنى.

[2] س + تعالى.

كما في قول مَن قال:

رمى الحَدَثان نسوةَ آل سعدٍ بمِقدار سَمَدْنَ له سُمودا
فردّ شُعورَهنّ السُّودَ بِيضا وردّ وجوهَهنّ البِيضَ سُودا[1]

والجملة حال مِن فاعل ﴿لَا تَبْكُونَ﴾، خلا أنّ مضمونها على الوجه الأخير قيدٌ للمنفي والإنكارُ واردٌ على نفي البكاءِ والسُّمود معًا، وعلى الوجوه الأُوَل قيدٌ للنفي والإنكارُ متوجّهٌ إلى نفي البكاءِ ووجودِ السُّمود. والأوّلُ أوفى بحقّ المقام، فتدبّر.

و"الفاء" في قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ۩﴾ لترتيب الأمر أو موجَبه على ما تقرَّر مِن بطلان مقابلة القرآن بالإنكار والاستهزاء ووجوبِ تلقِّيه بالإيمان مع كمال الخضوع والخشوع، أي: وإذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله الذي أنزله واعبدوه.

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة والنجم أعطاه الله تعالى عشرَ حسناتٍ بعدد مَن صدّق بمحمّد وجَحَد به بمكّة».[2]

---

[1] هما لعبد الله بن الزَّبِير الأسدي في شرح الحماسة للتبريزي، ١/٣٩٠؛ وخِزانة الأدب للبغدادي، ٢/٢٦٤. ويُنسبان لآخرين غير عبد الله، وهما في ديوان أيمن بن خُريم الأسدي، ص ٣٠، وتخريجهما وذِكر الاختلاف في نسبتهما ثمّة.

[2] س + والحمد لله ربّ العالمين. | والحديث في الكشف والبيان للثعلبي، ٢٥/٦٦ (النجم، ٥٣/١)؛ والتفسير الوسيط للواحدي، ٤/١٩٢ (النجم، ٥٣/١)؛ والكشّاف للزمخشري، ٤/٣٢٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ١/٢٤٠.

٥٣

# سورة النجم

مكية، ثنتان وستون آية.

## بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والنَّجمِ﴾: الثُّرَيّا ﴿إذا هَوَى﴾: غابَ، ٢ ـ ﴿ما ضَلَّ صاحِبُكُم﴾ مُحمّد ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن طريق الهِداية، ﴿وما غَوَى﴾: ما لابس الغَيَّ ـ وهو جهلٌ من اعتقاد فاسد ـ ٣ ـ ﴿وما يَنطِقُ﴾ بما يأتيكم به ﴿عَنِ الهَوَى﴾: هوى نفسِه. ٤ ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿هُوَ إلاّ وَحيٌ يُوحَى﴾ إليه، ٥ ـ ٦ ـ ﴿عَلَّمَهُ﴾ إيّاه ملَكٌ ﴿شَدِيدُ القُوَى، ذُو مِرّةٍ﴾: قُوّة وشِدّة أو منظر حسن، أي: جِبريلُ ـ عليه السلام ـ ﴿فاستَوَى﴾: استقرّ، ٧ ـ ﴿وهُوَ بِالأُفُقِ الأعلَى﴾ أُفق الشمس،........................................

---

سورة النجم

قولُهُ: (الثُّرَيَّا) أو جنسِ النُّجومِ، وقيل: الزُّهرةُ.

قولُهُ: (غَابَ) أو طلعَ، أو القرآنُ إذا نُزِّلَ سُمِّيَ به لتفرُّقِهِ في النُّزولِ، أو للاهتداءِ به، أو النَّبيِّ ﷺ إذا ترقَّى أو تدلَّى.

قولُهُ: (مِنِ اعتِقَادٍ) الأخصرُ الأظهرُ: ما اعتُقِدَ باطلاً.

قولُهُ: (بِمَا يَأْتِيكُم بِهِ) أي: ما يصدرُ نطقُهُ بالقرآنِ.

قولُهُ: (مَا ﴿هوَ﴾) أي: القرآنُ، أو الَّذي ينطقُ به.

قولُهُ: (قُوَّةٍ) أي: إحكامٍ في عقلِهِ ورأيِهِ.

قولُهُ: (استَقَرَّ) واستَقامَ.

قولُهُ: (أُفُقِ الشَّمْسِ) أو أفقِ السَّماءِ.

أي: عِند مطلعها على صُورته التي خُلق عليها، فرآه النبيّ ﷺ وكان بحِراءٍ، قد سدَّ الأُفقَ إلى المغرب، فخرّ مَغشِيًّا عليه. وكان قد سأله أن يُريه نفسه على صُورته التي خُلق عليها، فواعده بحِراء، فنزل جِبريل ـ عليه السلام ـ له في صُورة الآدميّين.

٨ ـ ﴿ثُمَّ دَنا﴾: قرُبَ منه ﴿فتَدَلَّى﴾ زاد في القرب، ٩ ـ ﴿فكانَ﴾ منه ﴿قابَ﴾: قدرَ ﴿قوسَينِ أو أدنَى﴾ من ذلك، حتّى أفاق وسكن رُوعه، ١٠ ـ ﴿فأوحَى﴾ تعالى ﴿إلَى عَبدِهِ﴾ جِبريلَ ﴿ما أوحَى﴾ جِبريلُ إلى النبيّ ـ ولم يُذكر المُوحَى تفخيمًا لشأنه ـ ١١ ـ ﴿ما كَذَبَ﴾، بالتخفيف والتشديد: أنكرَ ﴿الفُؤادُ﴾ فُؤادُ النبيّ ﴿ما رَآهُ﴾ ببصره من صُورة جِبريل. ........................

---

قولُهُ: (عَلى صُورَتِهِ) متعلِّقٌ بـ﴿اسْتَوَى﴾.

قولُهُ: (فَرَآهُ النَّبِيُّ) مرَّةً في السَّماءِ ومرَّةً في الأرضِ، وكانَ يحبُّ أن يراهُ، وقيل: ما رآهُ في صورتِهِ غيرُ محمَّدٍ من الأنبياءِ.

قولُهُ: (فَنَزَلَ) أي: بعدَ ما رآهُ.

قولُهُ: (فِي صُورَةِ الآدَمِيِّينَ) والغالبُ على صُورةِ دحيةَ.

قولُهُ: (قَرُبَ مِنهُ) أي: من النبيِّ.

قولُهُ: (مِنهُ) أي: مكانِ جبريلَ كقولكَ: هو منِّي معقدَ الإزارِ، أو المسافة بينهُما.

قولُهُ: (مِنْ ذَلِكَ) على تقديرِ «كم» كقولِهِ: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] والمقصودُ كمالُ الاتِّصالِ، وتحقيقُ استماعِهِ لما أوحَى إليه جبريلُ، أو أوحى جبريلُ إلى عبدِ اللهِ، والإضمارُ لكونِهِ معلوماً.

قولُهُ: (جِبْرِيلَ) أو اللهِ، وقيل: الضَّمائرُ كلُّها للهِ تعالى، ودنوُّهُ منه برفعِ مكانتِهِ، وتدلِّيهِ: جذبُه بكلِّيَّتِهِ إلى حضرتِهِ، قال الصَّادقُ[1]: انقطعَتِ الكيفيَّةُ عن الدُّنوِّ.

قولُهُ: (والتَّشدِيدِ) هشامٌ[2].

قولُهُ: (مِنْ صُورَةِ جِبرِيلَ) أي: ما قالَ فؤادُه لمَّا رآهُ: لم أعرفْكَ، ولو قالَ ذلك لكانَ كاذباً؛ لأنَّه عرفَهُ؛ يعني: أنَّه رآهُ بعينِهِ وعرفَهُ بقلبِهِ، ولم يشُكَّ في أنَّ ما رآهُ حقٌّ، وقيل: المرئيُّ: هو اللهُ سبحانَهُ رآهُ بعينِ رأسِهِ أو بقلبِهِ[3].

---

(١) وانظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٢٨٤).

(٢) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٠).

(٣) قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٤٥١): هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، وكانت ليلة الإسراء، وقد قدمنا الأحاديث الواردة في الإسراء بطرقها وألفاظها في أول سورة (سبحان) بما أغنى عن =

١٢ ـ ﴿أفتُمارُونَهُ﴾: أتُجادلونه وتغلِبونه ﴿علَى ما يَرَى﴾؟ خِطاب للمُشركين المُنكرين رُؤية النبيّ لِجبريل. ١٣ ـ ١٤ ـ ﴿ولَقَد رَآهُ﴾ على صُورته ﴿نَزْلَةً﴾: مرّة ﴿أُخرَى، عِندَ سِدرةِ المُنتَهَى﴾ لمّا أُسرِيَ به في السماوات، وهي شجرة نَبْقٍ عن يمين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم، ١٥ ـ ﴿عِندَها جَنّةُ المأوَى﴾ تأوي إليها الملائكة أو أرواح الشهداء أو المُتقّون، ١٦ ـ ﴿إذ﴾ حينَ ﴿يَغشَى السِّدرةَ ما يَغشَى﴾ من طير وغيره، وإذ: معمولة لـ«رآه»، ١٧ ـ ﴿ما زاغَ البَصَرُ﴾ من النبيّ ﴿وما طَغَى﴾ أي: ما مال بصره عن مَرئيِّه المقصودِ له ولا جاوزه تلك الليلةَ. ١٨ ـ ﴿لَقَد رأى﴾ فيها ﴿مِن آياتِ رَبِّهِ الكُبرَى﴾ أي: العِظام، أي: بعضَها، فرأى من عجائب الملكوت رَفرفًا أخضرَ سدّ أُفق السماء، وجِبريلَ له ستُّمِائَةِ جناحٍ.

١٩ ـ ٢٠ ـ ﴿أفرَأَيتُمُ اللاتَ والعُزَّى، ومَناةَ الثّالِثَةَ﴾ للتين قبلها ﴿الأُخرَى﴾: صِفةُ ذمّ للثالثة؟.....

---

قولُهُ: (تُجادِلُونَهُ) تفسيرٌ لقراءةِ الجمهورِ(١).

قولُهُ: (وتَغلِبُونَهُ) أي: في الجدالِ، تفسيرُ قراءةِ حمزةَ والكسائيِّ: (أفتَمْرُونَهُ)(٢) من ماريْتُه فمريْتُه.

قولُهُ: (لا يَتَجَاوَزُهَا) وينتهي إليها علمُ الخلائقِ.

قولُهُ: (أوِ المُتَّقُونَ) الظَّاهرُ: المتَّقينَ؛ أي: أرواحُهُم، أو المتَّقونَ في المآلِ.

قولُهُ: (وغَيرِهِ) من الملائكةِ والأنوارِ.

قولُهُ: (ولا جَاوَزَهُ) أي: ما تجاوزَهُ، بل أثبتَهُ إثباتاً صحيحاً مستيقناً.

قولُهُ: (فِيهَا) أي: في تلك اللَّيلةِ.

قولُهُ: (أي: العِظَامِ) تفسيرٌ لـ﴿الكُبْرَى﴾.

قولُهُ: (أي: بَعضَهَا) فـ﴿مِنْ﴾ تبعيضيَّةٌ؛ أي: لقد رأى الكُبْرى من آياتِهِ وعجائبِهِ الملكيَّةِ والملكوتيَّةِ.

قولُهُ: (رَفْرَفاً) أي: بُسُطاً أو فُرُشاً.

قولُهُ: (صِفَةُ ذَمٍّ) يعني: (﴿الأخرى﴾) من التَّأخُّرِ في الرُّتبةِ، أو الصِّفتانِ للتَّأكيدِ؛ كقولِهِ تعالى: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

---

= إعادته هاهنا، وتقدم أن ابن عباس رضي الله عنهما، كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء، ويستشهد بهذه الآية، وتابعه جماعة من السلف والخلف، وقد خالفه جماعات من الصحابة، رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم.

(١) أي: غير حمزة والكسائي من السبعة، انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٠).

(٢) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٠).

وهي أصنام من حِجارة، كان المُشركون يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله. ومفعول «أرأيت» الأوّل: اللاّتَ وما عُطف عليه، والثاني محذوف. والمعنى: أخبِروني ألهذه الأصنام قُدرةٌ على شيء ما، فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره؟ ولمّا زعموا أيضًا أنّ الملائكة بنات الله مع كراهتهم للبنات نزل: ٢١ ـ ٢٢ ـ ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى؟ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾: جائرةٌ من: ضازَه يَضِيزُه، إذا ضامَه وجارَ عليه. ٢٣ ـ ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: ما المذكورات ﴿إِلاَّ أَسْمَاءٌ، سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي: سمّيتم بها ﴿أَنتُم وَآبَاؤُكُم﴾ أصنامًا تعبدونها، ﴿مَا أَنزَلَ اللهُ بِهَا﴾ أي: بعِبادتها ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾: حُجّةٍ وبُرهان. ﴿إِنْ﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في عِبادتها ﴿إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ﴾ ممّا زيّنه لهم الشيطان، من أنها تشفع لهم عند الله تعالى، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِن رَبِّهِمِ الهُدَى﴾ على لسان النبيّ ﷺ بالبُرهان القاطع، فلم يرجِعوا عمّا هم عليه.

---

قولُهُ: (مِنْ حجارةٍ) إلّا العُزّى؛ فهي سمرةٌ لغطفانَ كانوا يعبُدونَها، فبعثَ إليها رسولُ اللهِ ﷺ خالداً فقطَّعَها[1].

قولُهُ: (والثَّاني مَحذُوفٌ) أو ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأنثى﴾ إنكاراً لقولِهِم: الملائكةُ بناتُ اللهِ، وهذه الأصنامُ استوطَنَها جِنّيّاتٌ هن بناتُهُ، أو الأصنامُ هياكلُ الملائكةِ[2].

قولُهُ: (ضَازَه[3]) أي: ظلمَهُ.

قولُهُ: (أي: مَا المَذْكُورَاتُ) أو الأصنامُ مطلقاً؛ يعني: ما هي باعتبارِ الألوهيَّةِ إلّا أسماءٌ تطلِقونَها عليها؛ لأنّكُم تقولونَ: إنَّها آلهةٌ، وليسَ فيها شيءٌ من معنى الألوهيَّةِ.

قولُهُ: (سَمَّيْتُم) بهواكُم.

قولُهُ: (بُرهَانٍ) تتعلَّقونَ به.

قولُهُ تعالى: (﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾) إلّا توَهُّمَ أنَّ ما هم عليه حقٌّ توهُّماً باطلاً أو تقليداً.

قولُهُ: (مِمَّا زَيَّنَهُ) أي: وما تشتهيهِ أنفسُهُم ممَّا زيَّنَهُ.

قولُهُ: (عَلى لِسَانِ النَّبِيِّ) أو الكتابِ، أو الرَّسولِ، فترَكوهُ.

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٨٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٩٠٢)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٦٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٧٧) عن أبي الطفيل رضي الله عنه.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٥٩).

(٣) في الأصول: «ضَامَه» ولم أقف عليها في المطبوع، ولعل ما أثبته الصواب.

٢٤ ـ ﴿أم لِلإنسانِ﴾ أي: لكُلّ إنسان منهم ﴿ما تَمَنَّى﴾ من أنّ الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كذلك. ٢٥ ـ ﴿فلله الآخِرةُ والأُولَى﴾ أي: الدنيا، فلا يقع فيهما إلاّ ما يريده. ٢٦ ـ ﴿وكَم مِن مَلَكٍ﴾ أي: وكثيرٌ من الملائكة ﴿في السَّماواتِ﴾ وما أكرَمَهُم عِند الله! ﴿لا تُغني شَفاعتُهُم شيئًا، إلاّ مِن بَعدِ أن يأذَنَ اللهُ﴾ لهم فيها ﴿لِمَن يَشاءُ﴾ من عباده ﴿ويَرضَى﴾ عنه! كقوله: «ولا يَشفَعُونَ إلاّ لِمَن ارتَضَى». ومعلوم أنها لا تُوجد منهم إلاّ بعد الإذن فيها: «مَن ذا الَّذي يَشفَعُ عِندَهُ إلاّ بإذنِهِ»؟

٢٧ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ لَيُسَمُّونَ المَلائكةَ تَسمِيةَ الأُنثَى﴾، حيث قالوا: «هم بناتُ اللهِ»، ٢٨ ـ ﴿وما لَهُم بِهِ﴾: بهذا المقول ﴿مِن عِلمٍ. إنْ﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فيه ﴿إلاّ الظَّنَّ﴾ الذي تَخيّلوه، ﴿وإنَّ الظَّنَّ لا يُغنِي مِنَ الحَقِّ شَيئًا﴾ أي: عن العِلم فيما المطلوبُ فيه العِلمُ!

٢٩ ـ ﴿فأعرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَن ذِكرِنا﴾ أي: القرآنِ، ﴿ولَم يُرِدْ إلاّ الحَياةَ الدُّنيا﴾ ـ وهذا قبل الأمر بالجِهاد. ٣٠ ـ ﴿ذلِكَ﴾: طلب الدنيا ﴿مَبلَغُهُم مِنَ العِلمِ﴾ أي: نِهاية عِلمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة ـ........

---

قولُهُ: (لَيسَ الأَمرُ) يعني: (﴿أم﴾) منقطعةٌ، والهمزةُ فيها للإنكارِ.

قولُهُ: (مِنْ عِبَادِهِ) أن يشفعَ له، أو من الملائكةِ أن تشفَعَ.

قولُهُ: (عَنْهُ) أي: يراهُ أهلاً لذلك، فكيفَ تشفَعُ الأصنامُ لعبدَتِهِم.

قولُهُ: (بَنَاتُ اللهِ) أي: ليسمُّونَ كلَّ واحدٍ مِن الملائكةِ ﴿تسميةَ الأنثى﴾ بأن سمَّوهُ بنتاً.

قولُهُ: (عَنِ العِلمِ) فإنَّ الحقَّ الَّذي هو حقيقةُ الشَّيءِ لا يُدرَكُ إلَّا بالعلمِ.

قولُهُ: (فِيمَا المَطلُوبُ فِيهِ) أي: الظَّنُّ لا اعتبارَ له في المعارفِ الحقيقيَّةِ من الاعتقاديَّاتِ، وإنَّما العبرةُ به في العمليَّاتِ.

قولُهُ: (أي: القُرآنِ) فإنَّ مَن غفلَ عنِ اللهِ وأعرضَ عن ذكرِهِ وانهمَكَ في الدُّنيا بحيثُ كانَت منتهَى همَّتِهِ، ومبلغَ علمِهِ لا تزيدُهُ الدَّعوةُ إلَّا عناداً.

قولُهُ: (وَهَذا) إذا كانَ المرادُ إعراضَهُ عن القتالِ، وأمَّا إذا كانَ إعراضُهُ عن الدَّعوةِ بعدَ التَّبليغِ مراراً فلا نسخَ.

قولُهُ: (نِهَايَةُ عِلمِهِم) أي: لا يتجاوزُهُ ويقصرُ دونَهُ، وفيهِ إشارةٌ إلى أنَّ العلمَ لا نهايةَ له، ولذا قالَ تعالى لأعلمِ الخلقِ: ﴿وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ، وهُوَ أعلَمُ بِمَنِ اهتَدَى﴾ أي: عالمٌ بهما فيُجازيهما، ٣١ ـ ﴿ولله ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ أي: هو مالك لذلك، ومنه الضالّ والمُهتدي، يُضلّ من يشاء ويهدي من يشاء، ﴿لِيَجزِيَ الَّذِينَ أساؤوا بما عَمِلُوا﴾ من الشِّرك أو غيره، ﴿ويَجزِيَ الَّذِينَ أحسَنُوا﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿بِالحُسنَى﴾ أي: الجنّةِ، وبيَّن المُحسنين بقوله: ٣٢ ـ ﴿الَّذِينَ يَجتَنِبُونَ كَبائرَ الإثمِ والفَواحِشَ إلاّ اللَّمَمَ﴾ هو صغار الذنوب كالنظرة والقُبلة واللمسة. فهو استثناء منقطع. والمعنى: لكنّ اللممَ يُغفر باجتناب الكبائر. ﴿إنَّ رَبَّكَ واسِعُ المَغفِرةِ﴾ بذلك وبقبول التوبة.

---

قولُهُ: (أي: عَالِمٌ بِهِمَا) بل هو أعلمُ بهما منهُما ومِن غيرِهِما، فلا وجهَ للعدولِ، وإن أرادَ الحصرَ فهو غيرُ ظاهرٍ، إلّا أن يكونَ ادِّعائيًّا، وما الدّاعي إليه، وتقدَّمَ الباعثُ على تأويلِ (أعلمُ) بعالمٍ في سورةِ الأنعامِ[1].

قولُهُ: (مِنَ الشِّركِ) أي: بعقابِ ما عمِلوا، أو بمثلِهِ، أو بسببِهِ، فهو علّةٌ لما دلَّ عليهِ ما قبلَهُ؛ أي: قبلَ خلقِ العالمِ للجزاءِ.

قولُهُ: (أي: الجَنَّةِ) يعني: بالمثوبةِ الحُسنى، أو بما حسُنَ مِن أعمالِهِم، أو بسببِ الأعمالِ الحُسنى.

قولُهُ تعالى: (﴿كَبائِرَ الإثمِ﴾) ما يَكبُرُ عقابُهُ من الذُّنوبِ، وهو ما رُتِّبَ عليه الوعيدُ بخصوصِهِ، (﴿والفواحشَ﴾) ما فحُشَ من الكبائرِ خصُوصاً.

قولُهُ: (باجتِنَابِ الكَبَائرِ) وعبارةُ البيضاويِّ[2]: فإنَّهُ مغفورٌ من مجتنِبي الكبائرِ؛ أحسنُ، وتقدَّمَ تحقيقُ هذا المبحثِ في سورةِ النِّساءِ[3].

قولُهُ: (بذَلِكَ) أي: بغفرانِ الصَّغائرِ، أو المعنى: له أن يغفِرَ ما يشاءُ من الذُّنوبِ صغيرِها وكبيرِها، ولذا قالَ ﷺ: «إنْ تغفرِ اللَّهمَّ فاغفرْ جمًّا، وأيُّ عبدٍ لكَ لا ألمَّا»[4]، وقالَ لبعضِ أصحابِهِ: «قلِ: اللَّهمَّ مغفرتُكَ أوسعُ مِنْ ذنوبِي، ورحمتُكَ أرجى عندي مِنْ عملِي»[5] ويُنسَبُ إلى عليٍّ أنّه قالَ[6]:

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٧].

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٦٠).

(٣) عند الآية رقم: (٣١).

(٤) رواه الترمذي (٣٢٨٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٧٤٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٩٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧٢٤) من حديث عبيد الله بن محمد بن جابر بن عبد الله، عن أبيه، عن جده رضي الله عنهما، وقال الحاكم: حديث رواته عن آخرهم مدنيون ممن لا يعرف واحد منهم بجرح.

(٦) انظر: «ديوانه» (ص: ١٢٧).

ونزل فيمن كان يقول: «صلاتُنا صيامُنا حجُّنا»: ﴿هُوَ أعلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِكُم، إذ أنشَأكُم مِنَ الأرضِ﴾ أي: خلق أباكم من التراب، ﴿وإذ أنتُم أجِنَّةٌ﴾: جمع جَنين ﴿في بُطُونِ أُمَّهاتِكُم. فلا تُزَكُّوا أنفُسَكُم﴾: لا تمدحوها، أي: على سبيل الإعجاب. أمّا على سبيل الاعتراف بالنِّعمة فحسن. ﴿هُوَ أعلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنِ اتَّقَى﴾.

٣٣ ـ ﴿أفرَأيتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ عن الإيمان، أي: ارتدَّ لمّا عُيّر به، وقال: إنّي خَشيتُ عِقابَ الله. فضمِنَ له المُعيِّرُ أن يحمل عنه عذاب الله، إن رجَع إلى شركه، وأعطاه من ماله كذا، فرَجَعَ، ٣٤ ـ ﴿وأعطَى قَلِيلاً﴾ من المال المُسمَّى ﴿وأكدَى﴾: منع الباقيَ؟ مأخوذ من الكُدْية ـ وهي أرض صُلبة كالصخرة تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر ـ ٣٥ ـ ﴿أعِندَهُ عِلمُ الغَيبِ، فهُوَ يَرَى﴾ يعلم من جُملته أنّ غيره يتحمّل عنه عذاب الآخرة؟ لا. وهو الوليد بن المُغيرة أو غيرُه. وجُملة «أعنده»: المفعولُ الثاني لـ «أرأيتَ» بمعنى: أخبِرْني.

---

إلهي لئِنْ جلَّتْ وجمَّتْ خَطيئَتِي فعَفوكَ عن ذَنبي أجلُّ وأوسعُ

قولُهُ: (أي: عَالِمٌ) قالَ القاضي[١]: أعلمُ بأحوالِكُم منكُم، وفي «المدارِكِ»[٢]: فاكتَفوا بعلمِهِ عن علمِ النَّاسِ، وبجزائِهِ عن ثنائِهِم.

قولُهُ: (أي: لا تَمْدَحُوهَا) بزكاءِ العملِ، أو بالطَّهارةِ عن الرَّذائلِ.

قولُهُ: (عَالِمٌ) بل هو أعلمُ، فإنَّه يعلمُ التَّقيَّ وغيرَهُ منكُم قبلَ أن يخرجَكُم من صُلْبِ آدمَ.

قولُهُ: (عَنِ الإِيمَانِ) أي: عن الثَّباتِ عليه.

قولُهُ: (وقَالَ: إِنِّي) أي: لمَّا عيَّرَهُ بعضُ المشركينَ وقالَ: تركت دِينَ الأشياخِ وضلَّلتهُم فقال[٣].

قولُهُ: (وأَعطَاهُ) عَطفٌ على: (رجعَ) داخلٌ تحتَ الشَّرطِ.

قولُهُ: (الكُديَةِ) بالضمِّ.

قولُهُ: (وهُوَ الوَلِيدُ) عندَ الأكثرِ[٤].

قولُهُ: (أو غَيرُهُ) وهو العاصي بنُ وائلٍ[٥].

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٦٠).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٣٩٥).

(٣) في «زاد المسير» (٤/ ١٩١): تركتَ دين الأشياخ وضلَّلتَهم؟ قال: إنِّي خشيتُ عذابَ الله.

(٤) وانظر: «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٩).

(٥) انظر المصدر السابق.

٣٦ ـ ﴿أم﴾: بل ﴿لَم يُنَبَّأْ بِما في صُحُفِ مُوسَى﴾: أسفارِ التوراة أو صُحفٍ قبلها ٣٧ ـ ﴿و﴾ صُحف ﴿إبراهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾: تمّمَ ما أُمِر به ـ نحو «وإذِ ابتَلَى إبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فأتَمَّهُنَّ» ـ وبيانُ «ما»: ٣٨ ـ ﴿أنْ لا تَزِرُ وازِرةٌ وِزرَ أُخرَى﴾ إلى آخره، وأنْ: مُخفّفة من الثقيلة، أي: أنّه لا تحملُ نفسٌ ذنبَ غيرها، ٣٩ ـ ﴿وأنْ﴾ أي: أنّه ﴿لَيسَ لِلإنسانِ إلاّ ما سَعَى﴾ من خير، فليس له من سعيِ غيره الخيرِ شيء، ٤٠ ـ ﴿وأنَّ سَعيَهُ سَوفَ يُرَى﴾ أي: يُبصَرُ في الآخرة، ٤١ ـ ﴿ثُمَّ يُجزاهُ الجَزاءَ الأوفَى﴾: الأكملَ؟ يقال: جَزيتُه سعيَه وبسعيه.

٤٢ ـ ﴿وأنَّ﴾ ـ بالفتح عطفًا. وقُرئ بالكسر استئنافًا. وكذا ما بعدها. فلا يكون مضمون الجُمل في الصُّحف على الثاني ـ ﴿إلَى رَبِّكَ المُنتَهَى﴾ المَرجِعَ والمصير بعد الموت فيجازيهم، ٤٣ ـ ﴿وأنَّهُ هُوَ أضحَكَ﴾: من شاء أفرحه ﴿وأبكَى﴾: من شاء أحزنه، ٤٤ ـ ﴿وأنَّهُ هُوَ أماتَ﴾ في الدنيا ﴿وأحيا﴾ للبعث، ٤٥ ـ ٤٦ ـ ﴿وأنَّهُ خَلَقَ الزَّوجَينِ﴾: الصِّنفين ﴿الذَّكَرَ والأُنثَى مِن نُطفَةٍ﴾: مَنِيٍّ، ﴿إذا تُمنَى﴾ تُصبُّ في الرحِم،.......................................................

---

قولُهُ: (صُحُفِ) وتقديمُ موسى؛ لأنَّ صحفَهُ ـ وهي التَّوراةُ ـ كانَت أشهرَ وأكثرَ عندَهُم.

قولُهُ: (تَمَّمَ) أو أتمَّ ما التزمَهُ، أو بالغَ في الوفاءِ بما عهدَ اللهُ، وتخصيصُهُ بذلك لاحتمالِه ما لم يحتملْهُ غيرُهُ؛ كالصَّبرِ على نارِ نمروذَ وذبحِ الولدِ.

قولُهُ: (إلَى آخِرِهِ) في محلِّ الجرِّ بدلًا من: ﴿ما﴾، أو الرفعِ على هو.

قولُهُ: (شَيْءٌ) أي: أصالةً فلا ينافي سببيَّةَ الوزرِ والخيرِ، أو الأوَّلُ هو العدلُ والثَّاني هو الفضلُ.

قولُهُ: (سَعيَهُ) هذا غيرُ معروفٍ، ولذا قالَ القاضي[1]: نصبُ الجزاءِ بنزعِ الخافضِ.

قولُهُ: (عَلى الثَّانِي) مستدرَكٌ، ويمكنُ أن يكونَ في الصُّحفِ مع مضمونِ لفظِ ﴿أنَّ﴾، وهو الأحسنُ لتتوافَقَ القراءتانِ معنًى، أو يُقالُ: القراءةُ الشَّاذَّةُ لا تُقاوِمُ المتواترَ فدلالتُها غيرُ معتبَرةٍ.

قولُهُ: (المَرجِعَ) أو انتهاءَ فكرِ الخلائقِ ورجوعَهم.

قولُهُ: (للبَعثِ) أو ﴿وأحيا﴾ ابتداءً، وأُخِّرَ للفاصلةِ مع أنَّ الواوَ لا تقتَضِي التَّرتيبَ، وهذا الَّذي ظهرَ لي أوجَهُ؛ لئلَّا يتكرَّرَ مع قولِهِ: ﴿وأنَّ عَلَيهِ النَّشأَةَ الأُخرَى﴾.

قوله: (تُصَبُّ) أو تخلقُ، أو يقدَّرُ منها الولدُ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٦١).

٤٧ ـ ﴿وأنَّ علَيهِ النَّشاءَةَ﴾ ـ بالمدّ والقصر ـ ﴿الأُخرَى﴾: الخَلقةَ الآخِرة للبعث بعد الخَلقة الأُولى، ٤٨ ـ ﴿وأَنَّهُ هُوَ أغنَى﴾ الناسَ بالكفاية بالأموال ﴿وأقنَى﴾: أعطى المالَ المُتَّخذ قُنيةً، ٤٩ ـ ﴿وأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعرَى﴾. هو كوكب خلفَ الجوزاء، كانت تُعبد في الجاهليّة؟

٥٠ ـ ﴿وأَنَّهُ أهلَكَ عادًا الأُولَى﴾ ـ وفي قراءة بإدغامِ التنوين في اللام وضمِّها بلا همز ـ هي قوم هودٍ، والأُخرى قوم صالح ٥١ ـ ﴿وثَمُودًا﴾ ـ بالصرفِ اسمٌ للأب، وبلا صرفٍ اسمٌ للقبيلة. وهو معطوف على «عادًا» ـ..........................................

---

**قولُهُ:** (بالمَدِّ) مكِّيٌّ وبصريٌّ[1].

**قولُهُ:** (للبَعثِ) وفاءً بوعدِهِ.

**قولُهُ:** (بالأَموَالِ) أو بالمعارفِ والأحوالِ، أو بغناهُ عمَّا سواهُ.

**قولُهُ:** (أَعْطَى المَالَ) أي: أعطى القُنيَةَ، وهي بالكسرِ والضَّمِّ: ما اكتسبَ، فيكونُ إشارةً إلى نوعي المالِ، أو ﴿أقنى﴾ بمعنى: أرضَى، وتحقيقُهُ جعلَ له الرِّضا قنيةً، وهي ما يُتَأَثَّلُ من الأموالِ؛ أي: يُتَّخذُ أصلاً، وقيل: معناهُ: أفقرَ، فالهمزُ للسَّلبِ، قالَ الجُنيدُ[2]: أغنى قوماً به، وأفقرَ قوماً عنه.

**قولُهُ:** (تُعْبَدُ) عبدَها أبو كبشةَ، أحدُ أجدادِ الرَّسولِ ﷺ، وخالفَ قريشاً في عبادةِ الأوثانِ.

**قولُهُ:** (وَفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وبصريٍّ، لكنَّ قالونَ بقلبِ الواوِ همزاً حالَ النَّقلِ بدءاً وموصِلاً[3].

**قولُهُ:** (وضَمِّهَا) بنقلِ حركةِ الهمزةِ إليها.

**قولُهُ:** (بِلا هَمْزٍ) فإنَّهُ يسقطُ بعدَ نقلِ حركتِهِ لالتقاءِ السَّاكنينَ، وتعبيرُ القاضي[4]: وقُرِئَ بإدغامِ التَّنوينِ؛ ضعيفٌ.

**قولُهُ:** (هِيَ قَوْمُ هُودٍ) أو ﴿الأُولَى﴾ بمعنى: القدماءِ؛ لأَنَّهُم أُولى الأممِ هلاكاً بعدَ قومِ نوحٍ.

**قولُهُ:** (اسْمٌ للأَبِ) صوابُهُ: للحيِّ.

**قولُهُ:** (وبِلا صَرفٍ) عاصمٌ وحمزةُ[5].

**قولُهُ:** (عَلَى ﴿عادًا﴾) لأنَّ ما بعدَهُ لا يعملُ فيه.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٤٩).

(٢) وانظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٢٨٩).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠٤)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٢).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٦٢).

(٥) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٢).

﴿فما أبقَى﴾ منهم أحدًا، ٥٢ ـ ﴿وقَومَ نُوحٍ مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ عادٍ وثمودٍ أهلكناهم ـ ﴿إنَّهُم كانُوا هُم أظلَمَ وأطغَى﴾ من عاد وثمود لطولِ لَبثِ نوحٍ فيهم: «فلَبِثَ فِيهِم ألفَ سَنةٍ إلاّ خَمسِينَ عامًا»، وهم مع عدم إيمانهم به يؤذونه ويضربونه ـ ٥٣ ـ ﴿والمُؤتَفِكَةَ﴾ وهي قُرى قومِ لُوطٍ ﴿أهوَى﴾: أسقطَها بعد رفعها إلى السماء مقلوبةً إلى الأرض بأمره جِبريلَ بذلك، ٥٤ ـ ﴿فغَشّاها﴾ من الحِجارة بعد ذلك ﴿ما غَشَّى﴾؟ أُبهِمَ تهويلاً. وفي هود: «جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وأمطَرْنا علَيها حِجارةً مِن سِجِّيلٍ».

٥٥ ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكَ﴾: أنعُمِه الدالّةِ على وحدانيّته وقُدرته ﴿تتَمارَى﴾: تَتشكّكُ ـ أيها الإنسان ـ أو تُكذِّبُ؟ ٥٦ ـ ﴿هذا﴾ مُحمّدٌ ﴿نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى﴾: من جِنسهم، أي: رسول كالرسل قبله، أُرسل إليكم كما أُرسلوا إلى أقوامهم.

٥٧ ـ ﴿أزِفَتِ الآزِفةُ﴾: قَرُبَتِ القِيامةُ، ٥٨ ـ ﴿لَيسَ لَها مِن دُونِ اللهِ﴾ نفسٌ ﴿كاشِفةٌ﴾ أي: لا يكشفها ويُظهرها إلاّ هو كقوله تعالى: «لا يُجَلِّيها لِوَقتِها إلاّ هُوَ». ٥٩ ـ ﴿أفَمِن هذا الحَدِيثِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿تَعجَبُونَ﴾ تكذيبًا،..........................................

---

قولُهُ: (مِنهُم) الأظهرُ: منهُما؛ أي: الفريقينِ.

قولُهُ: (أَهلَكْنَاهُم) الظّاهرُ: أهلكَهُم؛ لأنَّهُ عطفٌ على: ﴿عَادًا﴾.

قولُهُ: (ويَضرِبُونَهُ) حتَّى لا يكونَ به حركةٌ ويُنَفِّرونَ عنه.

قولُهُ: (قُرَى قَومِ لَوْطٍ) الَّتي ائتفكَت بأهلِها؛ أي: انقلبَت.

قولُهُ: (إلى الأَرضِ) أي: إلى جِهتِها أو منتهيةً بذلك؛ أي: بالإهواءِ بعد الرَّفعِ والقلبِ.

قولُهُ: (﴿وَأَمطَرْنَا عَلَيهِمْ﴾) في هودٍ: ﴿عَلَيْهَا﴾ [٨٢]، وفي الحجرِ: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ [٧٤].

قولُهُ: (وقُدرَتِهِ) إشارةٌ إلى أنَّ المعدوداتِ وإن كانَتْ نِعماً ونقماً، لكن سمَّاها آلاءَ مِن جهةِ ما في نقمهِ مِن العِبَرِ والمواعظِ للمعتبرينَ، والانتقامِ للأنبياءِ والمؤمنينَ.

قولُهُ: (أيُّهَا الإِنسَانُ) أو الخطابُ للرَّسولِ، أو لكلِّ أحدٍ.

قولُهُ: (مُحَمَّدٌ) أي: هذا الرَّسولُ، أو هذا القرآنُ إنذارٌ مِن جنسِ الإنذاراتِ.

قولُهُ: (قَرُبَتِ) أي: دنَتِ السَّاعةُ الموصوفةُ بالدُّنوِّ.

قولُهُ: (نَفسٌ) قادرةٌ على كشفِها إذا وقعَت إلَّا الله تعالى، لكنَّهُ لا يكشِفُها، أو ليسَ لها كاشفةٌ لوقتِها إلَّا الله، ولا يطَّلِعُ عليه سواهُ، وهذا مرادُ المصنِّفِ، وهو الأظهرُ.

٦٠ ـ ﴿وتَضحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿ولا تَبكُونَ﴾ لسماع وعده ووعيده، ٦١ ـ ﴿وأنتُم سامِدُونَ﴾: لاهونَ غافلون عما يُطلب منكم؟ ٦٢ ـ ﴿فاسجُدُوا لِلهِ﴾ الذي خلقكم ﴿واعبُدُوا﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

---

قولُهُ: (لِسَمَاعِ وَعْدِهِ) شوقاً، ووعيدِهِ خوفاً.

قولُهُ: (لاهُونَ) أو مستكبرونَ، أو مُغَنُّونَ لتشتَغِلوا عن استماعِهِ، واللهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ.

* * *

# سُورَةُ وَٱلنَّجْمِ

وتُسمَّى أيضاً سورة النجم بدون واو، وهي مكية على الإطلاق، وفي «الإتقان»: استثني منها (ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ) إلى (ٱتَّقَىٰٓ)، وقيل: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾ الآيات التسع[1].

ومن الغريب حكايةُ الطبرسي عن الحسن أنَّها مدنية[2]. ولا أرى صحة ذلك عنه أصلاً.

وآيُها اثنتان وستون آية في الكوفي، وإحدى وستون في غيره[3].

وهي كما أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود أولُ سورةٍ أعلنَ النبيُّ ﷺ بقراءتها، فقرأها في الحرم والمشركون يسمعون[4].

وأخرج البخاريُّ ومسلم وأبو داود والنسائي عنه قال: أولُ سورةٍ أُنزلَت فيها سجدة «والنجم» فسجد رسولُ الله ﷺ وسجَدَ الناس كلُّهم إلا رجلاً رأيتُه أخذَ كفّاً من تراب فسجَدَ عليه، فرأيتُه بعد ذلك قُتِل كافراً[5]. وهو أمية بن خلف.

وفي «البحر» أنَّه عليه الصلاة والسلام سجَدَ وسجَدَ معه المؤمنون والمشركون

---

(١) الإتقان ١/ ٥٠.

(٢) مجمع البيان ٢٧/ ٣٩.

(٣) جاء في هامش الأصل: الاختلاف في قوله تعالى: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ﴿إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾.

(٤) عزاه لابن مردويه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢١.

(٥) صحيح البخاري (١٠٧٠)، وصحيح مسلم (٥٧٦)، وسنن أبي داود (١٤٠٦)، وسنن النسائي (المجتبى ٢/ ١٦٠)، وهو عند أحمد (٣٦٨٢).

والجنُّ والإنسُ غيرَ أبي لهبٍ، فإنَّه رَفَع حفنةً من تراب وقال: يكفي هذا[١]. فيحتمل أنه وأمية فَعَلَا كذلك.

وهي شديدةُ المناسبة لِمَا قبلها، فإنَّ «الطورَ» خُتِمَت بقوله تعالى: ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ وافتُتِحَت هذه بقوله سبحانه: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾. وأيضاً في مفتتحها ما يؤكِّدُ ردَّ الكفرة فيما نسبوه إليه ﷺ من التقوُّل والشعر والكهانة والجنون. وذكر أبو حيان أنَّ سبب نزولها قولُ المشركين: إنَّ محمداً عليه الصلاة والسلام يختلقُ القرآن[٢].

وذكر الجلال السيوطي[٣] في وجه مناسبتها: أنَّ الطور فيها ذكرُ ذريةِ المؤمنين وأنَّهم تبَعٌ لآبائهم، وهذه فيها ذكرُ ذرية اليهود في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ الآية؛ فقد أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني[٤] وأبو نعيم في «المعرفة» والواحدي عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: كانت اليهودُ إذا هلَكَ لهم صبيٌّ صغيرٌ قالوا هو صدِّيق، فبلَغَ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «كذَبت يهودُ، ما مِن نَسَمةٍ يخلُقُها الله في بَطْن أُمِّها إلا أنَّه شَقِيٌّ أو سعيد» فأنزل الله تعالى عند ذلك: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ الآية كلَّها[٥]، وأنَّه تعالى لمَّا قال هناك في المؤمنين: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] إلخ قال سبحانه هنا في الكفار، أو في الكبار[٦]: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] خلاف ما دخل[٧] في المؤمنين الصغار، ثم قال: وهذا وجهٌ بديعٌ في المناسبة من وادي التضادِّ.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ١٥٧.
(٢) المصدر السابق.
(٣) في تناسق الدرر ص ٨٠.
(٤) في الأصل و(م): والطبري، والصواب ما أثبتناه، وينظر التعليق الآتي.
(٥) المعجم الكبير للطبراني (١٣٦٨)، ومعرفة الصحابة (١٣٣٤)، وأسباب النزول للواحدي ص٤٢٢، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي نعيم السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٢٨، وفي تناسق الدرر ص ٨٠، والكلام منه.
(٦) في مطبوع تناسق الدرر: أو في بني الكفار، بدل: أو في الكبار.
(٧) في مطبوع تناسق الدرر: ذكر، بدل: دخل.

وفي صحة كون قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ الآية نَزَل لِمَا ذُكِر نَظَرٌ عندي، وكون قوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ في الصغار لم يتفق عليه المفسرون كما سمعتَ غير بعيدٍ، نعم مَن تأمَّل ظهر له وجوهٌ من المناسبات غير ما ذكر فتأمَّل.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ أقسمَ سبحانه بجنسِ النجم المعروف على ما رُوي عن الحسن ومعمَر بن المثنى، ومنه قوله:

فباتَتْ تَعُدُّ النجمَ في مُستَحِيرَةٍ سريعٍ بأيدي الآكِلين جُمُودُها[(١)]

ومعنى «هوى»: غَرب، وقيل: طَلَع؛ يقال: هَوَى يهوي كرمى يَرْمي، هَوِيّاً بالفتح في السقوط والغروب لمشابهتِهِ له؛ وهُوِيّاً بالضمِّ للعلوِّ والطلوع، وقيل: الهَوِيُّ بالفتح للإصعاد، والهُوِيُّ بالضم للانحدار؛ وقيل: الهوِي بالفتح والضم السقوط، ويقال: أَهْوَى بمعنى هَوَى، وفرَّق بعضُ اللغويِّين بينهما بأنَّ هَوَى إذا انقضَّ لغير صيد، وأَهوَى إذا انقضَّ له.

وقال الحسن وأبو حمزة الثمالي: أقسم سبحانه بالنجوم إذا انتثرت في القيامة.

وعن ابن عباس في روايةٍ: أقسمَ عز وجل بالنجوم إذا انقضَّت في إثر الشياطين.

وقيل: المرادُ بـ «النجم» معيَّنٌ؛ فقال مجاهد وسفيان: هو الثريَّا، فإن النجم صار عَلَمَاً بالغلبة لها، ومنه قوله ﷺ: «إذا طَلَع النجم صباحاً ارتفعَت العاهةُ»[(٢)].

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى ٢/ ٢٣٥، والبيت للراعي النميري عبيد بن حصين، وهو في ديوانه ص٩٢، قال الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٦٩ بعد أن أورد البيت: يصف قدراً كثيرةَ الدسم، ومعنى تعدُّ النجم، أي: من صفاء دسمها ترى النجوم فيه، والمستحيرة: القدر، فقال: يجمد على الأيدي الدسم من كثرته.

(٢) أخرجه أحمد (٨٤٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث حسن، وينظر الكلام عليه في حاشية المسند.

وقولُ العرب: طلَعَ النجمُ عشاءً فابتغَى الراعي كساءً. طلَعَ النجمُ غُدَيَّه فابتغى الراعي كسيه[١]. وفسَّر هوِيُّها بسقوطها مع الفجر.

وقيل: هو «الشعرى» المرادةُ بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٩]. والكهَّان يتكلمون على المغيبات عند طلوعها.

وقيل: الزهرة وكانت تُعبد.

وقال ابن عباس ومجاهد والفراء[٢] ومنذر بن سعيد: «النجم» المقدارُ النازلُ من القرآن على النبيِّ ﷺ، و«إذا هَوَى» بمعنى: إذا نَزَل عليه مع مَلَك الوحي جبريل عليه السلام.

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: هو النبيُّ ﷺ، وهوِيُّه نزوله من السماء ليلة المعراج. وجوِّز على هذا أنْ يُراد بهويِّهِ صعودُه وعروجُه عليه الصلاة والسلام إلى منقطع الأَيْن.

وقيل: هو الصحابةُ رضي الله عنهم.

وقيل: العلماءُ على إرادة الجنس، والمراد بهويِّهم قيل: عروجُهم في معارج التوفيق إلى حظائر التحقيق، وقيل: غوصُهم في بحار الأفكارِ لاستخراج دُرَر الأسرار.

وأظهرُ الأقوال القولُ بأنَّ المرادَ بالنجم جنسُ النجم المعروف، فإنَّ أصلَه اسمُ جنسٍ لكلِّ كوكب، وعلى القول بالتعيين فالأظهرُ القول بأنَّه الثريا، ووراء هذَين القولَين القولُ بأنَّ المرادَ به المقدارُ النازل من القرآن، وفي الإقسام بذلك على

---

(١) أدب الكتاب للصولي ص١٧٨، وتهذيب اللغة ١٠/ ٢٩٩، ومفردات الراغب (نجم)، وتفسير الثعلبي ٩/ ١٣٤، والكشاف ٤/ ٢٧، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٦، واللسان (شكا) و(نجم)، والبحر المحيط ٨/ ١٥٧. وجاء في غير البحر وأدب الكتاب: شُكَيَّه، بدل: كُسَيَّه. قال الأزهري: الشكية تصغير الشكوة - وهي وعاء من أدم للماء واللبن - وذلك أن الثريا إذا طلعت هذا الوقت من الزمان هبت البوارح ورَمِضت الأرض وعطش الرعيان، فاحتاجوا إلى شكاءٍ يستقون فيها لشفاههم، ويحقنون اللبن في بعضها ليشربوه بارداً قارصاً.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٩٤.

نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلالِ والغواية من البراعة البديعةِ وحُسْن الموقع ما لا غايةَ وراءه.

أما على الأوَّلَين: فلأنَّ النجم شأنُه أنْ يَهتدي به الساري إلى مسالك الدنيا، كأنَّه قيل: والنجم الذي تهتدي به السابلةُ إلى سواء السبيل ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ أي: ما عدل عن طريق الحقِّ الذي هو مسلكُ الآخرة، فهو استعارةٌ وتمثيلٌ لكونه عليه الصلاة والسلام على الصواب في أقواله وأفعاله ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ أي: وما اعتقَد باطلاً قطُّ؛ لأنَّ الغَيَّ الجهلُ مع اعتقادٍ فاسدٍ، وهو خلافُ الرُّشد، فيكون عطفُ هذا على «ما ضل» مِن عَطْفِ الخاصِّ على العام اعتناءً بالاعتقاد، وإشارةً إلى أنَّه المدارُ.

وأما على الثالث: فلأنَّه تنويهٌ بشأن القرآن، وتنبيهٌ على مناط اهتدائِهِ عليه الصلاة والسلام ومدارِ رَشاده، كأنَّه قيل: وما أُنزِلَ عليك من القرآن الذي هو عَلَمٌ في الهداية إلى مناهج الدين ومسالك الحقِّ واليقين ما ضَلَّ عنها محمدٌ ﷺ وما غَوَى، فهو من باب:

وثــنــايــاكِ إنَّــهــا إغــريــضُ(١)

والخطابُ لقريشٍ، وإيرادُه عليه الصلاة والسلام بعنوان المصاحبة لهم للإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفةِ، وإحاطتهم خُبْراً ببراءته ﷺ مما نُفِيَ عنه بالكلِّية، وباتِّصافه عليه الصلاة والسلام بغاية الهُدَى والرَّشاد، فإنَّ طولَ صُحْبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شُؤونِهِ العظيمة مقتضيةٌ لذلك حتماً، ففي ذلك تأكيدٌ لإقامة الحُجَّة عليهم.

واختلف في متعلَّق «إذا» قال بعضُهم: فاوضْتُ جارَ الله في قوله تعالى: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ) فقال: العاملُ فيه ما تعلَّق به الواو. فقلتُ: كيف يعملُ فعلُ الحال في المستقبل؟! وهذا لأنَّ معناه: أُقسِمُ الآن، لا: أُقسِمُ بعد هذا. فرجع وقال: العاملُ فيه مصدرٌ محذوفٌ، والتقدير: وهُوِيُّ النجم إذا هَوَى. فعرضْتُه على بعض المشايخ فلم يستحسن قولَه الثاني. والوجْهُ تعلُّقه بـ «أُقسِمُ» وهو قد انسلَخَ عنه معنى

---

(١) البيت لأبي تمام، وهو في ديوانه ٢/ ٢٨٧، وسلف ٢٢/ ١٢.

الاستقبال، وصار للوقت المجرَّد، ونحوُه: آتيكَ إذا احمرَّ البسرُ، أي: وقتَ احمرارِه.

وقال عبد القاهر: إخبارُ الله تعالى بالمتوقَّع يُقامُ مقامَ الإخبار بالواقع إذ[١] لا خُلْفَ فيه، فيجري المستقبل مجرَى المحقَّق الماضي[٢].

وقيل: إنَّه متعلِّق بعامل هو حالٌ من «النجم»، وأُوردَ عليه أنَّ الزمان لا يكونُ خبراً ولا حالاً عن جُثَّة كما هنا، وأنَّ «إذا» للمستقبل فكيف يكونُ حالاً إلا أنْ تكون حالاً مقدَّرة، أو تُجرَّد «إذا» لمطلَقِ الوقت، كما يُقال بصِحَّيَّة الحاليةِ إذا أفادَت معنًى معتدّاً به، فمجيءُ الزمانِ خبراً أو حالاً عن جثة ليس ممنوعاً على الإطلاق كما ذكره النحاة، أو «النجم» لتغيُّره طلوعاً وغروباً أَشبَهَ الحدَثَ.

والإنصافُ أنَّ جعْلَه حالاً كتعلُّقه بمصدر محذوفٍ ليس بالوجْهِ، وإنما الوجه ـ على ما قيل ـ ما سمعتَ مِن تعلُّقه بـ «أُقسمُ» منسلخاً عنه معنى الاستقبال، وهو الذي اختاره في «المغني»[٣].

وتخصيصُ القسم بوقت الهوِيِّ ظاهرٌ على الأخير من الأقوال الثلاثة، وأمَّا على الأوَّلَين فقيل: لأنَّ النجمَ لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط السماء، ولا يَعلمُ المشرقَ من المغرب ولا الشمال من الجنوب، وإنما يهتدي به عند هبوطِه أو صعوده، مع ما فيه من كمال المناسبةِ لِمَا سيُحْكَى من التدلِّي والدنوِّ.

وقيل: لدلالته على حدوثه الدالِّ على الصانع وعظيمِ قدرته عز وجل، كما قال الخليل على نبيِّنا وعليه أفضل الصلاة وأكمل السلام: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ [الأنعام:٧٦] وسيأتي إن شاء الله تعالى آخرَ الكتاب تمامُ الكلام في تحقيق إعراب مثل هذا التركيب[٤] فلا تغفل.

---

(١) في (م): إذا.
(٢) ينظر دلائل الإعجاز ص ٢٣٠-٢٣١.
(٣) مغني اللبيب ص ١٣٠، وحاشية الشهاب ٨/ ١٠٩.
(٤) ينظر ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ من سورة الشمس آية رقم (٣-٤).

﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ أي: النبيُّ ﷺ؛ لتقدُّم ذكره في قوله سبحانه: (صَاحِبُكُمْ) والنُّطقُ مضمَّنٌ معنَى الصدور، فلذا عُدِّي بـ «عن» في قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ وقيل: هي بمعنى الباء، وليس بذاك. أي: ما يصدرُ نطقُه فيما آتاكم به من جهته عز وجل كالقرآن، أو مِن القرآن، عن هَوَى نفسِه ورأيه أصلاً، فإنَّ المرادَ استمرارُ النَّفْي كما مرَّ مراراً في نظائره.

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما الذي ينطقُ به من ذلك، أو القرآن، وكلُّ ذلك مفهومٌ من السياق ﴿إِلَّا وَحْىٌ﴾ من الله عز وجل ﴿يُوحَىٰ﴾ يوحيه سبحانه إليه، والجملةُ صفةٌ مؤكِّدةٌ لـ «وَحْيٌ» رافعةٌ لاحتمال المجاز، مفيدةٌ للاستمرار التجدُّدي.

وقيل: ضميرُ «ينطقُ» للقرآن، فالآيةُ كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩] وهو خلافُ الظاهر.

وقيل: المرادُ: ما يصدر نطقه عليه الصلاة والسلام مطلقاً عن هوًى، وهو عائدٌ لِمَا ينطقُ به مطلقاً أيضاً.

واحتَجَّ بالآية على هذا التفسير مَن لم يَرَ الاجتهاد له عليه الصلاة والسلام كأبي عليٍّ الجبائي وابنه أبي هاشم، ووجهُ الاحتجاج أنَّ الله تعالى أَخبرَ بأنَّ جميعَ ما ينطقُ به وَحْيٌ، وما كان عن اجتهادٍ ليس بوَحْيٍ، فليس مما ينطقُ.

وأُجيبَ بأنَّ الله تعالى إذا سوَّغ له عليه الصلاة والسلام الاجتهادَ، كان الاجتهادُ وما يسند إليه وحياً لا نطقاً عن الهوى، وحاصلُه منع كبرى[1] القياس.

واعترض عليه بأنَّه يلزمُ أنْ تكونَ الأحكامُ التي يستنبطُها المجتهدون بالقياس وحياً. وأُجيبَ بأنَّ النبيَّ عليه الصلاة والسلام أُوحَي إليه أنْ يجتهدَ بخلاف غيره من المجتهدين.

---

(١) في (م): كبر، والمثبت من الأصل. ويقصد به قول المحتج: وما كان عن اجتهاد ليس بوحْيٍ.
وهي المقدمة الكبرى لاحتجاجه، والإجابة التي ذكرها الآلوسي بقوله: وأجيب بأن الله تعالى إذا. . .، هي منع المقدمة الكبرى.

وقال القاضي البيضاوي: إنَّه حينئذٍ بالوحي لا وحيٌ[1].

وتعقَّبه صاحب «الكشف» بأنَّه غيرُ قادحٍ؛ لأنَّه بمنزلة أنْ يقولَ الله تعالى لنبيِّه عليه الصلاة والسلام: متى ما ظننْتَ بكذا فهو حكمي، أي: كلُّ ما ألقيتُه في قلبك فهو مرادي، فيكونُ وحياً حقيقةً.

والظاهرُ أنَّ الآيةَ واردةٌ في أمر التنزيل بخصوصه، وإنْ كان مثلُه الأحاديثَ القدسيةَ، والاستدلالُ بها على أنَّه عليه الصلاة والسلام غيرُ متعبدٍ بالوحي محوجٌ لارتكاب خلافِ الظاهر، وتكلُّفٌ في دفع نَظَرِ البيضاوي عليه الرحمة كما لا يخفى على المنصف.

ولا يبعُدُ عندي أنْ يحملَ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ على العموم، فإنَّ مَن يَرَى الاجتهادَ له عليه الصلاة والسلام كالإمام أحمد وأبي يوسف عليهما الرحمة لا يقولُ بأنَّ ما ينطقُ به ﷺ مما أدَّى إليه اجتهادُه صادرٌ عن هوى النفسِ وشهوتها، حاشا حضرة الرسالةِ عن ذلك، وإنما يقولُ هو واسطةٌ بين ذلك وبين الوحي، ويجعلُ الضميرَ في قوله سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ﴾ للقرآن، على أنَّ الكلام جوابُ سؤالٍ مقدَّر، كأنَّه قيل: إذا كان شأنُه عليه الصلاة والسلام أنَّه ما ينطقُ عن الهوى، فما هذا القرآنُ الذي جاء به وخالفَ فيه ما عليه قومه، واستمالَ به قلوبَ كثيرٍ من الناس، وكثُرَت فيه الأقاويلُ؟ فقيل: ما هو إلا وحيٌ يُوحيه اللهُ عز وجل إليه ﷺ، فتأمل.

وفي «الكشف»: أنَّ في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ مضارعاً مع قوله سبحانه: ﴿مَا ضَلَّ﴾ ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ ما يدلُّ على أنَّه عليه الصلاة والسلام حيث لم يكن له سابقةُ غوايةٍ وضلالٍ منذ تميَّز وقَبْلَ تحنُّكه واستنبائه لم يكن له نطقٌ عن الهوى، كيف وقد تحنَّكَ ونُبِّئَ؟ وفيه حثٌّ لهم على أنْ يُشاهدوا منطقَه الحكيم.

﴿عَلَّمَهُۥ﴾ الضميرُ للرسول ﷺ، والمفعولُ الثاني محذوفٌ، أي: القرآنَ، أو

---

(١) تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب ٨/ ١١٠.

الوحيَ. وجوَّز أبو حيان كونَ الضمير للقرآن، وأنَّ المفعول الأول محذوفٌ، أي: علَّمه الرسولَ عليه الصلاة والسلام[١].

﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ هو جبريلُ عليه السلام كما قال ابن عباس وقتادة والربيع، فإنَّه الواسطةُ في إبداء الخوارق، وناهيك دليلاً على شدَّة قوته أنَّه قلَعَ قُرَى قومِ لوطٍ من الماء الأسود الذي تحت الثرى، وحمَلَها على جناحه ورَفَعها إلى السماء ثم قلبها، وصاح بثمودَ صيحةً فأصبحوا جاثمين، وكان هبوطُه على الأنبياء عليهم السلام وصعودُه في أسرع من رَجْعة الطرف، فهو لَعَمْرِي أسرعُ من حركة ضياء الشمس على ما قرَّروه في الحكمة الجديدة.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذو حصافَةٍ واستحكام في العقل كما قال بعضُهم، فكأنَّ الأوَّلَ وصفٌ بقوة الفعلِ، وهذا وصفٌ بقوة النظر والعقل، لكن قيل: إنَّ ذاك بيانٌ لِمَا وُضِعَ له اللفظ، فإنَّ العرب تقولُ لكلِّ قويِّ العقل والرأي: ذو مرة، مِن أَمررْتُ الحبل: إذا أحكمتَ فتلَه، وإلا فوصْفُ المَلَك بمثله غيرُ ظاهرٍ، فهو كنايةٌ عن ظهور الآثار البديعة.

وعن سعيد بن المسيب: ذو حكمة؛ لأنَّ كلامَ الحكماء متينٌ.

وروى الطَّستي أنَّ نافع بن الأزرق سألَ ابنَ عباس عنه فقال: ذو شدَّةٍ في أمر الله عز وجل. واسْتَشْهَد له[٢].

وحكى الطيبي عنه أنَّه قال: ذو مَنْظرٍ حسنٍ. واستصوبه الطبريُّ[٣]، وفي معناه قول مجاهد: ذو خَلْق حسن.

وهو في قوله ﷺ: «لا تَحِلُّ الصدقةُ لغنيٍّ ولا لِذِي مِرَّةٍ سَويٍّ»[٤] بمعنى: ذي

---

(١) البحر المحيط ٨/ ١٥٧.

(٢) ذكره عن الطستي السيوطي في الدر ٦/ ١٢٢، وأخرجه من طريقه في الإتقان ١/ ٣٩٦.

(٣) ينظر تفسيره ٢٢/ ١١.

(٤) أخرجه أحمد (٦٥٣٠)، والترمذي (٦٥٢)، وأبو داود (١٦٣٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال الترمذي: حديث حسن.

قوةٍ. وفي «الكشف»: إنَّ المِرَّةَ لأنَّها في الأصل تدلُّ على المَرَّة بعد المرة تدلُّ على زيادة القوة، فلا تغفل.

﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ أي: فاستقامَ على صورته الحقيقيةِ التي خلَقَه الله تعالى عليها، وذلك عند حِراء في مبادئ النبوة، وكان له عليه الصلاة والسلام كما في حديث أخرجه الإمام أحمد وعبد بن حُميد وجماعةٌ عن ابن مسعود: «ست مئة جناح، كلُّ جناحٍ منها يسدُّ الأُفُقَ»(١) فالاستواءُ هاهنا بمعنى اعتدال الشيء في ذاته كما قال الراغب(٢)، وهو المرادُ بالاستقامة، لا ضدّ الاعوجاج، ومنه استوى الثمر: إذا نَضِجَ.

وفي الكلام ـ على ما قال الخفاجي ـ طيٌّ؛ لأنَّ وصفَه عليه السلام بالقوَّة وبعضِ صفات البشر يدلُّ على أنَّ النبيَّ ﷺ رآه في غير هيئتِهِ الحقيقيةِ، وهذا تفصيلٌ لجواب سؤالٍ مقدَّرٍ، كأنَّه قيل: فهل رآه على صورته الحقيقية؟ فقيل: نعم رآه فاستوى.. إلخ(٣).

وفي «الإرشاد»: أنَّه عطفٌ على «عَلَّمه» بطريق التفسير، فإنَّه إلى قوله تعالى: ﴿مَآ أَوۡحَىٰ﴾ بيانٌ لكيفية التعليم(٤).

وتُعقِّبَ بأنَّ الكيفيةَ غيرُ منحصرةٍ فيما ذكر، ومن هنا قيل: إنَّ الفاء للسببية، فإنَّ تشكُّلَه عليه السلام بشكله يتسبَّبُ عن قوته وقدرته على الخوارق، أو عاطفة على «علَّمه» على معنى: علَّمه على غير صورته الأصلية، ثم استوى على صورته الأصلية.

وتُعقِّب بأنَّه لا يتمُّ به التئامُ الكلام ويحسُنُ به النظام.

وقيل: استوى بمعنى ارتَفَع، والعطفُ على علَّم، والمعنى: ارتفَعَ إلى السماء بعد أنْ علَّمه.

وأكثرُ الآثار تقتضي ما تقدَّم.

---

(١) مسند أحمد (٣٧٤٨)، وعزاه لعبد بن حميد السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٣. وأخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) دون قوله: «كلُّ جناحٍ منها يسدُّ الأفق».

(٢) في المفردات (سوى).

(٣) حاشية الشهاب ٨/ ١١٠.

(٤) إرشاد العقل السليم ٨/ ١٥٥.

﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ أي: الجهةِ العليا من السماء المقابلة للناظر، وأصلُه الناحيةُ، وما ذكره أهلُ الهيئة معنًى اصطلاحيٌّ، وينقسم عندهم إلى حقيقيٍّ وغيره كما فُصِّل في محلِّه، وأخرج ابنُ المنذر عن ابن عباس أنَّ المرادَ به هنا مطلعُ الشمس[١]. وفي معناه قول الحسن: هو أُفُقُ المشرق.

والجملةُ في موضع الحال من فاعل «استوى»، وقال الفراء والطبري[٢]: إنَّ «هو» عطفٌ على الضمير المستتر في «استَوَى»، وهو عائدٌ إلى النبي ﷺ، كما أنَّ ذلك عائدٌ لجبريل عليه السلام ـ وجوِّز العكس ـ والجارُّ متعلِّق بـ «استوى».

وفيه العطفُ على الضمير المرفوع من غير فصل، وهو مذهبُ الكوفيين مع أنَّ المعنى ليس عليه عند الأكثرين.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ أي: ثم قَرُب جبريلُ عليه السلام من النبيِّ ﷺ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ فتعلَّق جبريلُ عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الهواء، ومنه: تدلَّت الثَّمرةُ، و: دلَّى رجلَيه من السرير، والدوالي: الثَّمرُ المعلَّقُ كعناقيد العنب، وأنشدوا لأبي ذؤيب يصفُ مشتار عسل:

تـدَلَّـى عـلـيـهـا بـيـن سِـبٍّ وخَـيْـطَـةٍ　　　بجَرداءَ مثل الوَكْفِ يكبو غُرابُها[٣]

ومن أسجاع ابنةِ الخُسِّ: كُنْ حَذِراً كالقِرِلَّى: إنْ رأى خيراً تدلَّى، وإنْ رأى شرّاً تولَّى[٤].

---

(١) عزاه لابن المنذر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٣.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٩٥، وتفسير الطبري ٢٢/ ١٢.

(٣) ديوان الهذليين ص ٧٩، يصف الشاعر مشتار العسل، أراد: أنه تدلى من رأس جبل على خلية عسلٍ ليشتارها بحبل شده في وسطه، وقد أثبته في رأس جبل، بجرداء: يعني أرضاً ملساء لا تنبت شيئاً يكبو غراب الفاس عنها لصلابتها إذا حفرت، والوكف: النطع. انظر اللسان (سبب) و(وكف).

(٤) المستقصى ١/ ٦٢، ومجمع الأمثال ١/ ٢٢٨، واللسان (قرل). قال الزمخشري: القِرِلَّى طائر من بنات الماء صغير الجرم سريع الخطف، يرفرف على وجه الماء، ويهوي بإحدى عينيه إلى الماء والأخرى إلى الجو فَرَقاً من جارح، فإذا أبصر في الماء سمكة يستطيع الاستقلال بها انقض كالسهم المرسل فاختطفها من قعر الماء، وإن أبصر جارحاً مرَّ في الأرض. وابنة =

فالمرادُ بالتدلِّي دنوٌّ خاصٌّ، فلا قَلْبَ ولا تأويلَ بإرادة الدنوِّ كما في «الإيضاح»[(١)]، نعم إنْ جُعِلَ بمعنى التنزُّل من علوٍّ كما يُرشدُ إليه الإشتقاق كان له وجه.

﴿فَكَانَ﴾ أي: جبريلُ عليه السلام من النبيِّ ﷺ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أي: مِن قِسيِّ العرب؛ لأنَّ الإطلاق ينصرفُ إلى مُتعارَفِهم، والقابُ وكذا القِيبُ، والقادُ والقِيدُ، والقيس: المقدارُ.

وقرأ زيد بن علي: «قادَ»، وقرئ: «قَيْدَ»، و«قَدْرَ»[(٢)].

وقد جاء التقديرُ بالقوس كالرمح والذراع وغيرهما، ويقال على ما بين مَقْبِض القوسِ وسِيَتها، وهي ما عطف مِن طَرَفَيها، فلكلِّ قوسٍ قابان، وفُسِّر به هنا، قيل: وفي الكلام عليه قلبٌ، أي: فكان قابَي قوسٍ، وفي «الكشف»: لك أنْ تقولَ: قابا قوسٍ وقابَ قوسَين، واحدٌ دون قَلْبٍ.

وعن مجاهد والحسن: أنَّ قاب القوس ما بينَ وَترها ومَقْبضها. ولا حاجةَ إلى القلب عليه أيضاً، فإنَّ هذا على ما قال الخفاجي: إشارةٌ إلى ما كانت العرب في الجاهلية تفعلُه إذا تحالَفُوا، فإنَّهم كانوا يُخرجون قوسَين ويَلصقون إحداهما بالأخرى فيكونُ القابُ ملاصقاً للآخر، حتى كأنَّهما ذا قابٍ واحدٍ، ثم ينزِعونهما معاً ويرمونَ بهما سهماً واحداً، فيكون ذلك إشارةً إلى أنَّ رضا أحدهم رضا الآخر وسَخَطه سخَطُه لا يمكن خلافُه.

وعن ابن عباس: القوسُ هنا ذراعٌ يُقاسُ به الأطوال، وإليه ذهَبَ أبو[(٣)] رزين، وذكر الثعلبي: أنَّه من لغة الحجاز[(٤)].

---

= الخُسّ - بضم الخاء المعجمة وتشديد السين المهملة - اسمها هند الإيادية، وهي جاهلية قديمة، أدركت القلمَّس أحد حكام العرب في الجاهلية. خزانة الأدب ١٠/ ٢٦٠.

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ١/ ٧٩.

(٢) ذكر هذه القراءات الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٨.

(٣) في الأصل: ابن رزين، والمثبت من (م) والبحر المحيط ٨/ ١٥٨.

(٤) تفسير الثعلبي ٩/ ١٣٨.

وأيًّا ما كان فالمعنى على حَذْف مضاف، أي: فكان ذا قابِ قوسَين، ونحوه قوله:

فأدرَك إبقاءَ العَرادَة ظَلْعُها وقد جَعَلَتْني مِن حَزيمةَ إصْبَعًا[(١)]

فإنَّه على معنى: ذا مقدارِ إصبع، وهو القُرْب، فكأنَّه قيل: فكان قريباً منه. وجوِّز أنْ يكونَ ضمير «كان» للمسافة بتأويلها بالبُعد ونحوه، فلا حاجةَ إلى اعتبار الحذْفِ. وليس بذاك.

﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي: أو أقربَ من ذلك، و«أو» للشكِّ من جهة العباد على معنى: إذا رآه الرائي يقول: هو قابُ قوسَين أو أدنى، والمرادُ إفادةُ شدَّة القرب.

﴿فَأَوْحَىٰ﴾ أي: جبريل عليه السلام ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ أي: عبد الله وهو النبيُّ ﷺ، والإضمارُ ـ ولم يجر له تعالى ذِكرٌ ـ لكونه في غاية الظهور، ومثلُه كثيرٌ في الكلام، ومنه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

﴿مَآ أَوْحَىٰ ⑩﴾ أي: الذي أوحاه، والضميرُ المستترُ لجبريل عليه السلام أيضاً، وإبهامُ الموحَى به للتفخيم، فهذا نظيرُ قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].

وقال ابن زيد[(٢)]: الضميرُ المستتر لله عز وجل، أي: أوحَى جبريلُ إلى عبد الله ما أوحاه اللهُ إلى جبريلَ. والأوَّلُ مرويٌّ عن الحسن وهو الأحسنُ.

---

(١) البيت للكَلْحَبة العريني هبيرة بن عبد مناف العريني كما في المفضليات ص ٣٢، واللسان (حرم)، وخزانة الأدب ١/ ٣٨٨، ونسبه ابن يعيش في شرح المفصل للأسود بن يعفر ٣/ ٣١.

قوله: إبقاء، هو ما تبقيه الفرس من العَدْو، إذ من عتاق الخيل ما لا تعطي ما عندها من العَدو بل تبقي منه شيئاً إلى وقت الحاجة، يقال: فرس مبقية: إذا كانت تأتي بجريٍ عند انقطاع جريها وقت الحاجة، والعرادة: اسم فرس الكلحبة، وقوله: ظلعها، الظلوع في الإبل بمنزلة الغَمْزِ، أي: العرج اليسير. وحزيمة: هو ابن طارق كان رئيساً لبني تغلب. يقول: فاتني حزيمة وما بيني وبينه إلا قدر إصبع، وينظر خزانة الأدب.

(٢) في (م): أبو زيد، وهو خطأ، والمثبت من الأصل والبحر ٨/ ١٥٨، والكلام منه، وأخرجه بنحوه عن ابن زيد الطبري ٢٢/ ٢١.

وقيل: ضميرا[١] «أوحى» الأوَّل والثاني لله تعالى، والمرادُ بالعبد جبريلُ عليه السلام. وهو كما ترى.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ أي: فؤادُ محمدٍ ﷺ ﴿مَا رَأَىٰٓ ⑪﴾ ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام، أي: ما قال فؤادُه ﷺ لمَّا رآه ببصره: لم أعرِفْك، ولو قال ذلك لكان كاذباً؛ لأنَّه عَرَفه بقلبه كما رآه ببصره، فهو من قولهم: كَذَب، إذا قال كذباً، ف «ما كَذَب» بمعنى: ما قال الكذب.

وقيل: أي: ما كذَب الفؤادُ البصَرَ فيما حكاه له من صورة جبريل عليه السلام، وما في عالم الملكوت تدرك أولاً بالقلب ثم تنتقل منه إلى البصر.

قرأ أبو رجاء وأبو جعفر وقتادة والجحدري وخالد بن إلياس وهشام عن ابن عامر: «ما كذَّب» مشدَّداً[٢]، أي: صدَّقه ولم يشكَّ أنَّه جبريلُ عليه السلام بصورته.

وفي الآيات مِن تحقيق أمرِ الوحي ما فيها.

وفي «الكشف»: أنَّه لمَّا قال سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ﴾ أي: من عند الله تعالى ﴿يُوحَىٰ﴾، ذكر جل وعلا ما يصوِّر هذا المعنى ويُفصِّله ليتأكَّد أنَّه وَحْيٌ، وأنَّه ليس من الشعر وحديث الكهان في شيءٍ، فقال تعالى: علَّم صاحبَكم هذا الوحيَ مَن هو على هذه الصفات.

وقولُه تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ وحديثُ قيامِه بصورته الحقيقية ليؤكِّدَ أنَّ ما يأتيه في صورة دِحْيَةَ هو هو، فقد رآه بصورة نفسه، وعرَفه حقَّ معرفته، فلا يشتبهُ عليه بوجهٍ.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ تتْميمٌ لحديث نزوله إليه عليه الصلاة والسلام وإتيانه بالمنزل.

---

(١) في (م): ضمير.

(٢) قراءة أبي جعفر وهشام في التيسير ص ٢٠٤، والنشر ٢/ ٣٧٩، وقراءة أبي رجاء وقتادة والجحدري وخالد في القراءات الشاذة ص ١٤٦، وتفسير الطبري ٢٢/ ٢٦، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٨، والبحر المحيط ٨/ ١٥٩.

وقوله سبحانه: ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ أي: جبريل ذلك الوَحْيَ الذي مرَّ أنَّه مِن عند الله تعالى إلى عبد الله، وإنما قال سبحانه: ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ ولم يأت بالضمير تفخيماً لشأن المنزَل، وأنَّه شيءٌ يَجِلُّ عن الوصف، فأنَّى يستجيزُ أحدٌ من نفسه أنْ يقولَ: إنَّه شعرٌ أو حديثُ كاهن.

وإيثارُ «عبده» بَدَلَ: إليه ـ أي: إلى صاحبكم ـ لإضافة الاختصاص، وإيثارُ الضمير على الاسم العَلَم في هذا المقامِ لترشيحه، وأنَّه ليس عبداً إلا له عز وجل، فلا لَبْسَ؛ لشهرته بأنَّه عبد الله لا غير. وجاز أنْ يكونَ التقديرُ: فأوحَى الله تعالى بسببه ـ أي: بسبب هذا المُعلِّم ـ إلى عبده، ففي الفاء دلالةٌ على هذا المعنى، وهذا وجهٌ أيضاً سديدٌ.

ثم قال سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ على معنى أنَّه لمَّا عرَفَه وحقَّقَه لم يكذبه فؤادُه بعد ذلك ولو تصوَّر بغير تلك الصورة أنَّه جبريل، فهذا نَظْمٌ سريٌّ مرعيٌّ فيه النكتُ حقَّ الرعاية مطابقٌ للوجود، لم يعدل به عن واجب الوفاق بين البداية والنهاية. انتهى.

وهو كلام نفيسٌ يُرجَّح به ما روي عن عائشة ﵂، وسيأتي ذلك إن شاء الله عز وجل بما له وما عليه[1].

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ أي: أتكذِّبونه فتجادلونه على ما يراه معاينةً، فـ«تمارونه» عطف على محذوفٍ على ما ذهب إليه الزمخشري[2]، مِن المراء، وهو المجادلة، واشتقاقُه من مَرَى الناقة: إذا مسحَ ظهرَها وضَرْعها لِيَخْرُجَ لَبَنُها وتدرَّ به، فشبَّه به الجدال لأنَّ كلًّا من المتجادلَين يطلبُ الوقوفَ على ما عند الآخر ليُلزِمَه الحجَّةَ، فكأنه يستخرج درَّه.

وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه وعبد الله وابن عباس والجحدري ويعقوب

---

(١) في (م): بما له وعليه. وسيأتي ص١٢٣ من هذا الجزء.
(٢) في الكشاف ٤/ ٢٩.

وابن سعدان وحمزة والكسائي وخلف: «أفتَمْرُونه» بفتح التاء وسكون الميم[(١)] مضارع مَريتُ، أي: جحدْتُ، يقال: مريتُه حقَّه: إذا جحدتَه، وأنشدوا لذلك قول الشاعر:

لئن هَجَرْتَ أخا صِدْقٍ ومَكْرُمَةٍ     لقد مَرَيْتَ أخاً ما كان يَمْرِيْكَا[(٢)]

أو مضارع مَريتُه: إذا غلبتَه في المِراء على أنَّه من باب المغالبة، ويجوزُ حَمْل ما في البيت عليه، وعدِّي الفعلُ بـ «على» وكان حقُّه أنْ يُعدَّى بـ «في» لتضمينه[(٣)] معنى المغالبة، فإنَّ المجادِلَ والجاحد يقصدان بفعلهما غلبةَ الخَصْم.

وقرأ عبد الله فيما حكى ابنُ خالويه، والشعبيُّ فيما ذكر شعبة: «أفتُمْرُونه» بضم التاء وسكون الميم مضارع أمريتُ[(٤)]، قال أبو حاتم: وهو غلطٌ.

والمرادُ بـ «ما يَرَى» ما رآه من صورة جبريلَ عليه السلام، وعبَّر بالمضارع استحضاراً للصورة الماضية لِمَا فيها من الغَرابة، وفي «البحر»: جيء بصيغة المضارع وإنْ كانت الرؤية قد مضَت إشارةً إلى ما يمكن حدوثُه بعدُ[(٥)].

وقيل: المرادُ: أفتمارُونه على ما يرى مِن الصُّور التي يظهرُ بها جبريلُ عليه السلام بعدَ ما رآه قبلُ وحقَّقه، بحيث لا يشتَبِهُ عليه بأيِّ صورةٍ ظَهَر، فالتعبير بالمضارع على ظاهره.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ أي: رأى النبيُّ جبريلَ ﷺ في صورته التي خلَقَه الله تعالى عليها ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: مرَّةً أخرى من النزول، وهي «فَعْلَة» من النزول، أُقيمَت مقام المرة ونُصبَت نَصْبَها على الظرفية؛ لأنَّ أصل المرة مصدر مرَّ يمرُّ، ولشدَّة اتِّصال

---

(١) قراءة يعقوب وحمزة والكسائي وخلف في التيسير ص ٢٠٤، والنشر ٢/ ٣٧٩، وقراءة علي كرم الله وجهه وعبد الله وابن عباس رضي الله عنهم وابن سعدان في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩، والبحر المحيط ٩/ ١٥٩.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٩، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٢٣، والبحر المحيط ٨/ ١٥٩.

(٣) في الأصل: لتضمنه.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٤٦، والبحر المحيط ٨/ ١٥٩ والكلام منه.

(٥) البحر المحيط ٨/ ١٥٩.

الفعل بالزمان يُعبَّر به عنه، ولم يقل: مرةً، بدَلَها ليُفيدَ أنَّ الرؤيةَ في هذه المرة كانت بنزولٍ ودنوٍّ كالرؤية في المرة الأُولَى الدالِّ عليها ما مرَّ.

وقال الحوفي وابنُ عطية: إنَّ «نزلةً» منصوبٌ على المصدرية للحال المقدَّرة، أي: نازلاً نزلةً[١].

وجوَّز أبو البقاء كونَه منصوباً على المصدرية لـ «رأى» من معناه، أي: رؤيةً أُخرَى[٢]. وفيه نظر.

والمرادُ من الجملة القَسَمية نَفْيُ الريبة والشكِّ عن المرة الأخيرة، وكانت ليلةَ الإسراء.

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ١٤﴾ هي شجرةُ نَبِق عن يمين العرشِ في السماء السابعة على المشهور، وفي حديث أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وغيرهم في السماء السادسة[٣]، نَبِقُها كقِلال هَجَر، وأَوراقُها مثلُ آذانِ الفيلة[٤]، يسيرُ الراكبُ في ظلِّها سبعينَ عاماً لا يقطعُها[٥].

وأخرج الحاكم وصحَّحه عن أسماء بنتِ أبي بكر ﵄ مرفوعاً: «يسيرُ الراكبُ في الفَنَنِ منها مئةَ سنةٍ»[٦].

والأحاديث ظاهرةٌ في أنَّها شجرةُ نَبِقٍ حقيقةً، والنبات في الشاهد يكونُ ترابيّاً ومائيّاً وهوائيّاً؛ ولا يبعدُ من الله تعالى أنْ يخلُقَه في أيِّ مكانٍ شاء، وقد أخبر سبحانه عن شجرة الزقوم أنَّها تنبتُ في أصل الجحيم. وقيل: إطلاقُ السِّدرة

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.
(٢) إملاء ما من به الرحمن ٤/ ٣٥٧، ونقله المصنف عنه بواسطة أبي حيان في البحر ٨/ ١٥٩.
(٣) مسند أحمد (٣٦٦٥)، وصحيح مسلم (١٧٣)، وسنن الترمذي (٣٢٧٦) من حديث عبد الله بن مسعود ﵁.
(٤) ينظر حديث أنس ﵁ عند أحمد (١٢٥٠٥)، ومسلم (١٦٢)، وفيه: «... ثم ذُهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال...».
(٥) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٨.
(٦) المستدرك ٢/ ٤٦٩، وأخرجه الترمذي (٢٥٤١) وقال: هذا حديث حسن غريب.

عليها مجازٌ لأنَّها تجتمعُ عندها الملائكة عليهم السلام كما يجتمعُ الناس في ظلِّ السِّدرة.

و«المنتهى» اسمُ مكانٍ، وجوِّز كونُه مصدراً ميميّاً. وقيل لها «سِدْرَة المنتهى» لأنَّها كما أخرج عبد بنُ حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس: إليها ينتهي علمُ كلِّ عالمٍ، وما وراءها لا يعلمه إلا الله تعالى[1]. أو لأنَّها ينتهي إليها علمُ الأنبياء عليهم السلام ويعزُبُ عِلْمُهم عما وراءها. أو لأنَّها تنتهي إليها أعمالُ الخلائق، بأنْ تُعرَضَ على الله تعالى عندها. أو لأنَّها ينتهي إليها ما ينزِلُ مِن فوقها وما يصعدُ من تحتها. أو لأنَّها تنتهي إليها أرواحُ الشهداء، أو أرواحُ المؤمنين مطلقاً. أو لانتهاء مَن رُفع إليها في الكرامة. وفي «الكشاف»: كأنَّها منتهى الجنة وآخرُها[2].

وإضافة «سِدْرة» إلى «المُنتهَى» من إضافة الشيءِ لمحلِّه، كما في: أشجار البستان، وجوِّز أنْ تكونَ من إضافة المحلِّ إلى الحالِّ كما في قولك: كتاب الفقه.

وقيل: يجوزُ أنْ يكونَ المرادُ بـ «المنتهى» اللهَ عز وجل، فالإضافةُ من إضافة المُلْك إلى المالك، أي: سِدْرة الله الذي إليه المنتهى، كما قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ وعُدَّ ذلك من باب الحذفِ والإيصال. ولا يخفَى أنَّ هذا القولَ يكادُ يكون المنتهى في البعد.

﴿عِندَهَا﴾ أي: عند السدرة، وجوِّزَ أنْ يكونَ الضميرُ للنزلة، وهو نازلٌ عن رُتبة القَبول.

﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ التي يأوي إليها المتقون يوم القيامة كما روي عن الحسن، واستُدلَّ به على أنَّ الجنةَ في السماء.

وقال ابن عباس بخلافٍ عنه وقتادة: هي جنةٌ تأوي إليها أرواح الشهداء، وليست بالتي وُعِد المتقون.

---

(١) عزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٥، وأخرج الطبري ٢٢/ ٣٣ عن كعب الأحبار، أنه حدث به ابن عباس لما سأله ابن عباس عن سدرة المنتهى.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٩.

وقيل: هي جنةٌ تأوي إليها الملائكةُ عليهم السلام. والأول أظهرُ.

والمأوى على ما نصَّ عليه الجمهور اسمُ مكانٍ، وإضافة الجنة إليه بيانية.

وقيل: من إضافة الموصوفِ إلى الصفة كما في مسجد الجامع. وتعقِّب بأنَّ اسمَ المكان لا يوصَف به.

والجملةُ حاليةٌ، وقيل: الحالُ هو الظرفُ، و«جنةٌ» مرتفعٌ به على الفاعلية.

وقرأ عليٌّ كرم الله تعالى وجهه وأبو الدرداء وأبو هريرةَ وابنُ الزبير وأنسُ وزرٌّ ومحمد بنُ كعب وقتادةُ: «جَنَّهُ» بهاء الضمير[١]، وهو ضميرُ النبيِّ ﷺ، وجَنَّ: فعلٌ ماضٍ، أي: عندها ستَرَه إيواءُ الله تعالى وجميلُ صُنعِهِ به، أو ستَرَه المأوَى بظلاله ودَخَل فيه. على أنَّ «المأوَى» مصدرٌ ميميٌّ، أو اسمُ مكانٍ. وجنَّه بمعنى ستَرَه، قال أبو البقاء: شاذٌّ، والمستعملُ أجنَّه[٢]. ولهذا قالت عائشة ﵂ وكذا جَمْعٌ من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين: مَن قرأ به فأَجنَّه الله تعالى، أي: جعَلَه مجنوناً، أو أدخله الجَنَنَ وهو القبرُ. وأنت تعلمُ أنَّه إذا صحَّ أنَّه قرأ به الأمير كرم الله تعالى وجهه ومَن معه من أكابر الصحابة فليس لأحدٍ ردُّه من حيث الشذوذ في الاستعمال، وعائشة قد حُكيَ عنها الإجازة أيضاً[٣].

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾ متعلِّقٌ بـ «رآه». وقيل: بما بَعْدُ مِن الجملة المنفية، ولا يضرُّ التقدُّم على «ما» النافية؛ للتوسع في الظرف.

والغَشَيانُ بمعنى التغطية والستر، ومنه الغَواشي، أو بمعنى الإتيان؛ يقال: فلانٌ يغشَى زيداً كلَّ حينٍ، أي: يأتيه. والأولُ هو الأَليَقُ بالمقام.

وفي إبهام «ما يغشى» من التفخيم ما لا يخفَى، فكأنَّ الغاشي أمرٌ لا يحيطُ به نطاقُ البيان، ولا تَسَعُه أردانُ الأذهان. وصيغةُ المضارع لحكاية الحالِ الماضية

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٦، والمحتسب ٢/ ٢٩٣، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٩، والبحر المحيط ٨/ ١٥٩.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٤/ ٣٥٧.

(٣) البحر ٨/ ١٦٠.

استحضاراً لصورتها البديعة، وجوّز أنْ يكونَ للإيذان باستمرار الغشيان بطريق التجدُّد.

وورَدَ في بعض الأخبار تعيينُ هذا الغاشي، فعن الحسن: غَشِيَها نورُ ربِّ العزة جلَّ شأنُه فاستنارَت. ونحوُه ما روي عن أبي هريرةَ: يَغْشاها نورُ الخلَّاق سبحانه.

وعن ابن عباسٍ: غَشِيَها ربُّ العزة عز وجل، وهو من المتشابه.

وقال ابنُ مسعود ومجاهد وإبراهيم: يغشاها جرادٌ من ذهب.

وروي عن مجاهد: أنَّ ذلك تبدُّل أغصانها لؤلؤاً وياقوتاً وزبرجداً.

وأخرج عبدُ بن حميد عن سلمةَ قال: استأذنَت الملائكةُ الربَّ تبارك وتعالى أنْ ينظروا إلى النبيِّ ﷺ، فأَذِنَ لهم، فغَشِيَت الملائكةُ السِّدرةَ لينظروا إليه عليه الصلاة والسلام[١].

وفي حديث: «رَأَيتُ على كلِّ ورقةٍ مِن وَرَقِها ملكاً قائماً يُسبِّحُ الله تعالى»[٢].

وقيل: يغشاها رَفْرَفٌ مِن طيرٍ خُضرٍ، والإبهامُ على هذا كلِّه على نحو ما تقدَّم.

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ أي: ما مالَ بصَرُ رسول الله ﷺ عما رآه ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ وما تجاوَزَه، بل أثبتَهُ إثباتاً صحيحاً مستيقناً، وهذا تحقيقٌ للأمر ونَفْي للرَّيب عنه، أو: ما عدَلَ عن رؤية العجائبِ التي أُمِرَ برؤيتها وما جاوَزَها إلى ما لم يُؤمَر برؤيته.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ أي: واللهِ لقد رَأى الآياتِ الكبرى من آياته تعالى، وعجائبِهِ الملكية والملكوتية ليلةَ المعراج، فـ «الكبرى» صفةُ موصوفٍ محذوفٍ مفعول لـ «رأى» أُقيمَت مقامَه بعد حذفه، وقدِّر مجموعاً ليطابِقَ الواقع.

وجوِّز أنْ تكونَ «الكبرى» صفة المذكورِ على معنى: ولقد رَأى بعضاً من الآيات الكبرى، ورجِّح الأولُ بأنَّ المقامَ يقتضي التعظيمَ والمبالغة، فينبغي أنْ

---

(١) عزاه لعبد بن حميد السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٦.

(٢) أخرجه الطبري ٢٢/ ٤٢ عن عبد الرحمن بن زيد يرفعه إلى النبي ﷺ، قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٦٠-١٦١: وعبد الرحمن ضعيف، وهذا معضل.

يُصرَّح بأنَّ المَرئيَّ الآياتُ الكبرى، وجوَّزت الوصفيةُ المذكورةُ مع كون «مِن» مزيدةً، وأنت تعلم أنَّ زيادةَ «مِن» في الإثبات ليس مُجمَعاً على جوازه.

وجاء في بعض الأخبار تعيينُ ما رأى عليه الصلاة والسلام، أخرج البخاريُّ وابن جرير وابن المنذر وجماعة عن ابن مسعود أنَّه قال في الآية: رأى رَفْرفاً أخضرَ من الجنة قد سَدَّ الأفق[1].

وعن ابن زيد: رَأى جبريلَ عليه السلام في الصورة التي هو بها.

والذي ينبغي أنْ لا يُحمَلَ ذلك على الحصر كما لا يخفى، فقد رَأى عليه الصلاة والسلام آياتٍ كُبرَى ليلةَ المعراج لا تُحصَى، ولا تكادُ تُستقصَى.

هذا وفي الآيات أقوالٌ غيرُ ما تقدَّم، فعن الحسن: أنَّ «شديد القُوى» هو الله تعالى، وجمع «القُوى» للتعظيم، ويُفسَّر «ذو مِرَّة» عليه بذي حكمةٍ ونحوه مما يليقُ أنْ يكونَ وصفاً له عز وجل. وجعل أبو حيان الضميرَين في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۞ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ عليه له سبحانه أيضاً، وقال: إنَّ ذلك على معنى العظمةِ والقدرة والسلطان[2].

ولعلَّ الحسنَ يجعلُ الضمائر في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۞ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ له عز وجل أيضاً، وكذا الضميرُ المنصوب في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ فقد كان عليه الرحمة يحلفُ بالله تعالى، لقد رأى محمدٌ ﷺ ربَّه، وفُسِّر دنوُّه تعالى من النبيِّ ﷺ برَفْع مكانتِهِ ﷺ عنده سبحانه، وتَدلِّيه جل وعلا بجَذْبِهِ بشراشره إلى جناب[3] القدس، ويقال لهذا الجَذْبِ: الفناءُ في الله تعالى، عند المتألِّهين، وأُريدَ بنزوله سبحانه نوعٌ مِن دنوِّه المعنوي جل شأنه.

ومذهب السلف في مثل ذلك إرجاعُ عِلْمه إلى الله تعالى بعد نَفْي التشبيه.

---

(١) صحيح البخاري (٣٢٣٣) و(٤٨٥٨)، وتفسير الطبري ٢٢/ ٤٥، وعزاه لابن المنذر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٦.
(٢) البحر المحيط ٨/ ١٥٧.
(٣) في (م): جانب.

وجوّز أنْ تكونَ الضمائرُ في[1] «دنا فتدلَّى فكان قابَ قوسَين أو أدنى» على ما روي عن الحسن للنبيِّ ﷺ، والمرادُ: ثمَّ دنا النبيُّ عليه الصلاة والسلام من ربِّه سبحانه، فكان منه عز وجل قابَ قوسَين أو أدنى، والضمائرُ في «فأوحى» إلخ لله تعالى، وقيل: «إلى عبده» ولم يقل: إليه، للتفخيم، وأمرُ المتشابه قد عُلم.

وذهب غيرُ واحد في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ إلى أنَّه في أمر الوحي وتلقِّيه من جبريل عليه السلام على ما سمعت فيما تقدَّم، وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ إلخ إلى أنَّه في أَمْر العروجِ إلى الجناب الأقدس، ودنوِّه سبحانه منه ﷺ، ورؤيتِهِ عليه الصلاة والسلام إياه جل وعلا، فالضمائرُ في «دنا» و«تدلَّى» و«كان» و«أوحى» وكذا الضمير المنصوب في «رآه» لله عز وجل. ويشهدُ لهذا ما في حديث أنس عند البخاري من طريق شَرِيك بن عبد الله: «ثمَّ عَلَا به فوقَ ذلك بما لا يعلَمُه إلا الله، حتى جاءَ سدرةَ المنتهى، ودنا الجبَّارُ ربُّ العزة، فتدلَّى حتى كان منه قابَ قوسَين أو أدنى، فأوحَى إليه فيما أوحَى خمسينَ صلاةً» الحديث[2]، فإنَّه ظاهرٌ فيما ذكر.

واستدل بذلك مُثبتُو الرؤيةِ كحبر الأمةِ ابنِ عباس رضي الله عنهما وغيرِه، وادَّعت عائشةُ رضي الله عنها خلافَ ذلك.

أخرج مسلم عن مسروق قال: كنتُ متَّكئاً عند عائشةَ فقالت: يا أبا عائشةَ، ثلاثٌ مَن تكلَّم بواحدةٍ منهنَّ فقد أعظَمَ على الله تعالى الفريةَ. قلت: ما هنَّ؟ قالت: مَن زَعَم أنَّ محمداً رأى ربَّه، فقد أعظَمَ على الله الفرية. قال: وكنتُ متَّكئاً فجلستُ فقلت: يا أمَّ المؤمنين أَنظِريني ولا تَعجَلِيني، ألم يقُل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]؟ فقالت: أنا أولُ هذه الأمةِ سألَ عن ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «لا، إنَّما هو جبريلُ لم أَرَه على صورتِهِ التي خُلِقَ عليها غير هاتَين المرَّتَين، رأيتُه مُنهَبِطاً من السماء ساداً عِظَمُ خَلْقِهِ ما بين السماء إلى الأرض» الحديث[3].

---

(١) قوله: في، ليس في الأصل.

(٢) صحيح البخاري (٧٥١٧)، وأخرجه مسلم (١٦٢).

(٣) صحيح مسلم (١٧٧)، وأخرجه البخاري مختصراً (٣٢٣٥).

وفي رواية ابن مردويه من طريقٍ أُخرَى عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق: فقالت: أنا أولُ مَن سألَ رسولَ الله ﷺ عن هذا فقلتُ: يا رسولَ الله، هل رأيتَ ربَّك؟ فقال: «إنما رأيتُ جبريلَ مُنْهبِطاً»(١).

ولا يخفى أنَّ جوابَ رسولِ الله ﷺ ظاهرٌ في أنَّ الضمير المنصوبَ في «رآه» ليس راجعاً إليه تعالى، بل إلى جبريلَ عليه السلام، وشاعَ أنَّها تَنْفي أنْ يكونَ ﷺ رأى ربَّه سبحانه مطلقاً، وتستدلُّ لذلك بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣] وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى:٥١] وهو ظاهرُ ما ذكره البخاريُّ في «صحيحه» في تفسير هذه السورة(٢).

وقال بعضُهم: إنَّها تَنْفي رؤيةً تدل عليها الآية التي نحن فيها، وهي التي احتجَّ بها مسروق.

وحاصل ما روي عنها نَفْيُ صحةِ الاحتجاج بالآية المذكورة على رؤيته عليه الصلاة والسلام ربَّه سبحانه، ببيان أنَّ مَرجِعَ الضمير فيها إنَّما هو جبريلُ عليه السلام، على ما يدلُّ عليه جوابُ رسولِ الله ﷺ إيَّاها، وحَمْلُ قوله ﷺ في جوابها «لا» على أنَّه نَفْيٌ للرؤية المخصوصة، وهي التي يُظَنُّ دلالةُ الآية عليها، ويَرجِعُ إلى نَفْيِ الدلالة، ولا يلزمُ مِن انتفاءِ الخاصِّ انتفاءُ المطلَق.

والإنصافُ أنَّ الأخبار ظاهرةٌ في أنَّها تنفي الرؤيةَ مطلقاً، وتستدلُّ عليه بالآيتَين السابقتَين.

وقد أجاب عنهما مثبتو الرؤيةِ بما هو مذكورٌ في محلِّه.

والظاهرُ أنَّ ابن عباس لم يقُل بالرؤية إلا عن سماع، وقد أخرج عنه أحمدُ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ ربِّي»(٣) ذكره الشيخُ محمد الصالحي الشامي(٤)

---

(١) عزاه لابن مردويه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٤.
(٢) برقم (٤٨٥٥).
(٣) مسند أحمد (٢٥٨٠).
(٤) شمس الدين محمد الشامي، نزيل التربة البرقوقية، ألَّف السيرة النبوية التي جمعها من ألف =

تلميذُ الحافظ السيوطيِّ في «الآيات البينات» وصحَّحه.

وجمع بعضُهم بين قولَي ابن عباس وعائشةَ بأنَّ قولَ عائشةَ محمولٌ على نَفْي رؤيته تعالى في نوره الذي هو نورُه المنعوتُ بأنَّه لا يقوم له بصر، وقولَ ابنِ عباسٍ محمولٌ على ثبوت رؤيته تعالى في نوره الذي لا يذهبُ بالأبصار، بقرينة قوله في جواب عكرمة عن قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾: ويحَكَ ذاك إذا تجلَّى بنورِهِ الذي هو نورُه[1].

وبه يظهرُ الجمعُ بين حديثَي أبي ذرٍّ، أخرج مسلم من طريق يزيد بنِ إبراهيم، عن قتادةَ، عن عبد الله بن شَقِيق، عن أبي ذرٍّ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ هل رأيتَ ربَّك؟ قال: «نورٌ أنَّى أَرَاه». ومِن طريق هشام وهَمَّام كلاهما عن قتادة عن عبد الله قال: قلتُ لأبي ذرٍّ: لو رأيتُ رسولَ الله ﷺ لسألتُه. فقال: عن أيِّ شيءٍ كنتَ تسألُه؟ قال: كنتُ أسألُه هل رأيتَ ربك؟ فقال أبو ذرٍّ: قد سألتُه فقال: «رأيتُ نوراً»[2].

فيحمل النورُ في الحديث الأول على النور القاهرِ للأبصار، بجَعْل التنوينِ للنوعية أو للتعظيم، والنورُ في الثاني على ما لا يقومُ له البصرُ، والتنوين للنوعية، وإنْ صحَّت روايةُ الأول كما حكاه أبو عبد الله المازري بلفظ: «نُورَانيٌّ» بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء[3] لم يكن اختلافٌ بينَ الحديثَين، ويكون «نورانيٌّ» بمعنى المنسوب إلى النور على خلاف القياس؛ ويكونُ المنسوبُ إليه هو نورُه الذي هو نورُه، والمنسوبُ هو النورُ المحمول على الحجاب حَمْلَ مواطأةٍ في حديث السبحات في قوله عليه الصلاة والسلام: «حِجَابُه النُّورُ»[4]، وهو النورُ المانعُ من الإحراق الذي يقومُ له البصر.

---

= كتاب، وله: مرشد السالك إلى ألفية ابن مالك والنكت عليها، اقتضبه من نكت شيخه السيوطي عليها وعلى الشذور، والآيات البينات في معراج سيد أهل الأرض والسماوات. (ت ٩٤٢هـ). شذرات الذهب ١٠/ ٣٥٣.

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٧٩) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) صحيح مسلم (١٧٨): (٢٩١)، و(١٧٨): (٢٩٢).

(٣) المعلم بفوائد مسلم للمازري ١/ ٢٢٣-٢٢٤. وينظر إكمال المعلم للقاضي عياض ١/ ٥٣٣.

(٤) أخرجه أحمد (١٩٦٣٢)، ومسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ثم إنَّ القائلين بالرؤية اختلفُوا، فمنهم مَن قال: إنَّه عليه الصلاة والسلام رأى ربَّه سبحانه بعَيْنِهِ، ورَوَى ذلك ابنُ مردويه عن ابن عباس(١)، وهو مرويٌّ أيضاً عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد ابن حنبل(٢).

ومنهم مَن قال: رآه عز وجل بقلبه، ورُوي ذلك عن أبي ذرٍّ، أخرج النسائي عنه أنَّه قال: رأى رسول الله ﷺ ربَّه بقلبه ولم يَرَهُ ببصره(٣). وكذا رُوي عن محمد بن كعب القرظي، بل أخرج عبد بنُ حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه [عن بعض أصحاب النبي ﷺ] أنَّه قال: قالوا: يا رسول الله، رأيتَ ربك؟ قال: «رأيتُه بفؤادي مرَّتين ولم أَرَهُ بعيني» ثم قرأ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾(٤). وفي حديثٍ عن ابن عباس يرفعُه: «فجَعَلَ نورَ بَصَري في فؤادي فنظرتُ إليه بفؤادي»(٥)

---

(١) عزاه لابن مردويه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٤ وينظر التعليق الذي بعده.

(٢) قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٦/ ٥٠٩-٥١٠: الذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربَّه بفؤاده مرتين... والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد... ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه. وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية، وتارة يقول: رآه بفؤاده، ولم يقل أحد إنه سمع أحمد يقول: رآه بعينه، لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين.

وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدلُّ، كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنَّى أراه»، وقد قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى. وكذلك قوله: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾، ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى.

وقد ثبت بالنصوص الصحيحة واتفاق سلف الأمة أنه لا يرى اللهَ أحدٌ في الدنيا بعينه، إلا ما نازع فيه بعضهم من رؤية نبينا محمد ﷺ خاصة، واتفقوا على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة عياناً كما يرون الشمس والقمر. اهـ.

(٣) السنن الكبرى (١١٤٧٢).

(٤) عزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٥، وأخرجه الطبري ٢٢/ ١٩ وما بين حاصرتين منهما.

(٥) أخرجه الطبري ٢٢/ ٢٣، وذكره ابن كثير عند تفسير هذه الآية وقال: إسناده ضعيف.

وكأنَّ التقدير في الآية على هذا: ما كذَبَ الفؤادُ فيما رأى.

ومنهم مَن ذهَبَ إلى أنَّ إحدَى الرؤيَتَين كانت بالعين، والأُخرى بالفؤاد، وهي روايةٌ عن ابن عباس، أخرج الطبراني وابن مردويه عنه أنَّه قال: إنَّ محمداً ﷺ رَأى ربَّه عز وجل مرَّتَين مرَّةً ببصره ومرةً بفؤاده(١).

ونقل القاضي عياض عن بعض مشايخه أنَّه توقَّفَ، أي: في الرؤية بالعين، وقال: إنَّه ليس عليه دليلٌ واضحٌ(٢).

قال في «الكشف»: لأنَّ الروايات مصرِّحةٌ بالرؤية أما أنَّها بالعين فلا، وعن الإمام أحمد أنَّه كان يقول إذا سُئل عن الرؤية: رآه رآه. حتى ينقطعَ نفسُه، ولا يزيدُ على ذلك، وكأنَّه لم يثبُت عنده ما ذكرناه.

واختُلف فيما يقتضيه ظاهرُ النَّظم الجليل، فجَزَم صاحبُ «الكشف» بأنَّه ما عليه الأكثرون مِن أنَّ الدنوَّ والتدلِّي مقسَّم ما بين النبيِّ وجبريل صلاة الله تعالى وسلامه عليهما، أي: وأنَّ المرئيَّ هو جبريلُ عليه السلام، وإذا صحَّ خبرُ جوابه عليه الصلاة والسلام لعائشةَ ﵂ لم يكن لأحدٍ محيصٌ عن القول به.

وقال العلامةُ الطيبي: الذي يقتضيه النظمُ إجراءُ الكلام إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ على أمر الوحي وتلقِّيه من المَلَك ورفع شُبَه الخصوم، ومن قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ على أمر العروجِ إلى الجناب الأقدَسِ، ثم قال: ولا يخفَى على كلِّ ذي لُبٍّ إباءُ مقام «فأوحى» الحملَ على أنَّ جبريلَ أوحَى إلى عبد الله «ما أوحى»، إذ لا يذوقُ منه أربابُ القلوب إلا معنى المناغاة بين المتَسارَّين، وما يضيقُ عنه بساطُ الوهم ولا يُطيقُه نطاقُ الفهم. وكلمةُ «ثم» على هذا للتراخي الرُّتْبي، والفرقُ بين الوحْيَيْن أنَّ أحدَهما وَحْيٌ بواسطة وتعليم، والآخَرُ بغير واسطةٍ بجهة التكريم،

(١) المعجم الكبير (١٢٥٦٤)، وعزاه لابن مردويه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢، وفي إسناده مجالد بن سعيد، قال عنه ابن حجر في التقريب: ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره.
(٢) إكمال المعلم للقاضي عياض ١/ ٥٢٧، وشرح مسلم للنووي ٣/ ٤.

فيحصل عنه[١] عنده الترقّي من مقام ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] إلى مَخْدَع (قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ).

وعن جعفر الصادق عليه الرضا أنَّه قال: لمَّا قَرُبَ الحبيبُ غايةَ القرب نالَته غايةُ الهيبة، فلاطفَه الحقُّ سبحانه بغاية اللطف؛ لأنَّه لا تُتحمَّل غايةُ الهيبةِ إلا بغاية اللطف، وذلك قوله تعالى: (فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ) أي: كان ما كان وجرَى ما جرَى، قال الحبيبُ للحبيب ما يقول الحبيبُ لحبيبه، وألطفَ به إلطافَ الحبيب بحبيبه، وأسرَّ إليه ما يُسِرُّ الحبيب إلى حبيبه، فأخفَيَا ولم يُطْلِعا على سرِّهما أحداً، وإلى نحو هذا يشير ابنُ الفارض بقوله:

ولقد خلوتُ مع الحبيب وبيننا    سرٌّ أرقُّ من النسيم إذا سرى[٢]

ومعظمُ الصوفية على هذا، فيقولون بدنوِّ الله عز وجل من النبيِّ ﷺ، ودنوُّه منه سبحانه على الوجه اللائق، وكذا يقولون بالرؤية كذلك.

وقال بعضُهم في قوله تعالى: (مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ): ما زاغ بصرُ النبيِّ ﷺ، وما التفَتَ إلى الجنة ومُزَخْرفاتها، ولا إلى الجحيم وزَفَراتها، بل كان شاخصاً إلى الحقِّ، وما طغَى عن الصراط المستقيم.

وقال أبو حفص السهروردي: «ما زاغ البصرُ» حيث لم يتخلَّف عن البصيرة ولم يتقاصر، «وما طغَى» لم يسبق البصرُ البصيرةَ[٣] ويتعدَّى مقامه.

وقال سهل بنُ عبد الله التستري: لم يرجع رسولُ الله عليه الصلاة والسلام إلى شاهد نفسه وإلى مشاهدتها، وإنَّما كان مشاهداً لربِّه تعالى، يُشاهد ما يظهرُ عليه من الصفات التي أَوجبَت الثبوت في ذلك المحلِّ.

وأرجَعَ بعضُهم الضميرَ في قوله تعالى: (وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ) إلى النبيِّ عليه الصلاة والسلام، وهو مُنتهى وصولِ اللطائف، وفسَّر «سِدرةَ المنتهى» بما يكون منتهى سيرِ

---

(١) قوله: عنه، ليس في الأصل.
(٢) ديوان ابن الفارض ص ١٦٩، وسلف عند تفسير الآية (١٤٣) من سورة الأعراف.
(٣) في الأصل: تسبق البصيرة البصر، والمثبت من (م).

السالكين إليه، ولا يمكن لهم مجاوزتُه إلا بجذبةٍ من جذبات الحقِّ. وقالوا في «قابَ قوسَين» ما قالوا.

وأنا أقول برؤيته ﷺ ربَّه سبحانه، وبدنوِّه منه سبحانه على الوجه اللائق، ذهبْتَ فيما اقتضاه ظاهرُ النظم الجليلِ إلى ما قاله صاحبُ «الكشف»، أم ذهبتَ فيه إلى ما قاله الطيبي، فتأمَّل والله تعالى الموفق.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝٢٠﴾ هي أصنامٌ كانت لهم، فاللات كما قال قتادة: لثقيف بالطائف، وأنشدوا:

وَفَرَّتْ ثَقيفٌ إلى لاتِها ... بمُنْقَلَبِ الخائبِ الخاسرِ[1]

وقال أبو عبيدة وغيرُه: كان بالكعبة[2].

وقال ابنُ زيد: كان بنخلة عند سوقِ عُكاظ يعبدُه قريش.

ورجَّح ابنُ عطية قولَ قتادة[3]، وقال أبو حيان[4]: يمكنُ الجمعُ بأنْ يكونَ المسمَّى بذلك أصناماً فأُخبِرَ عن كلِّ صنمٍ بمكانه.

والتاء فيه قيل: أصليةٌ، وهي لام الكلمة كالباء في باب، وألفه مُنقلبةٌ فيما يظهرُ من ياء؛ لأنَّ مادة «ل ي ت» موجودةٌ، فإنْ وُجِدَت مادةُ «ل وت» جازَ أنْ تكونَ مُنقلبةً من واو.

وقيل: تاءُ العِوض، والأصل لَويَة بزِنَةِ فَعلَة من لَوَى؛ لأنَّهم كانوا يَلْوُون عليه ويعتكفُون للعبادة، أو يلتوون عليه، أي: يطوفُون، فخفِّف بحذف الياء وأُبدِلَت واوُهُ ألفاً، وعوِّضَ عن الياء تاءً، فصارَت كتاء أخت وبنت، ولذا وُقِفَ عليها بالتاء.

---

(١) البيت لضرار بن الخطاب الفهري كما في سيرة ابن هشام ١/ ٤٧، وهو دون نسبة في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠، والبحر المحيط ٨/ ١٦٠.
(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٣٦.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠.
(٤) في البحر المحيط ٨/ ١٦٠.

وقرأ ابن عباس ومجاهد ومنصور بنُ المعتمر وأبو صالح وطلحة وأبو الجوزاء ويعقوب وابن كثير في رواية بتشديد التاء[1] على أنَّه اسمُ فاعلٍ من لتَّ يلُتُّ إذا عَجَن؛ قيل: كان رجلٌ يلُتُّ السَّويق للحاجِّ على حَجَر، فلمَّا ماتَ عبدوا ذلك الحجَرَ إجلالاً له وسمَّوه بذلك.

وعن مجاهد أنَّه كان على صخرة في الطائف يصنعُ حَيساً، ويُطعم مَن يمرُّ من الناس، فلمَّا مات عبدوه.

وأخرجَ ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس: أنَّه كان يلُتُّ السَّويق على الحجر، فلا يشربُ منه أحدٌ إلا سَمِنَ فعبدوه[2].

وأخرج الفاكهي عنه: أنَّه لمَّا مات قال لهم عمرو بن لحي: إنَّه لم يَمُت ولكنَّه دَخَل الصخرة. فعبدوها وبنَوا عليها بيتاً[3].

وأخرج ابنُ المنذر عن ابن جريج أنَّه قال: كان رجلٌ من ثقيف يلُتُّ السويق بالزيت، فلمَّا تُوفي جعلوا قبرَه وثناً. وزعم الناس أنَّه عامرُ بن الظَّرِب أحدُ عَدْوان[4]. وقيل غيرُ ذلك.

«والعزَّى» لغطفان، وهي على المشهور سَمُرَةٌ بنخلةَ كما قال قتادة، وأصلُها تأنيثُ الأعزِّ، وأخرج النسائيُّ وابن مردويه عن أبي الطفيل قال: لمَّا فتَحَ رسولُ الله ﷺ مكة بعَثَ خالد بنَ الوليد إلى نخلةَ وكانت بها العزَّى، فأتاها خالد، وكانت ثلاثَ سَمُرات، فقطَعَ السَّمُرات وهدَمَ البيت الذي كان عليها، ثم أَتَى النبيَّ ﷺ فأخبره، فقال: ارجع فإنَّك لم تصنع شيئاً، فرجَعَ خالد فلمَّا أبصَرَته السَّدنة مضَوا وهم يقولون: يا عُزَّى يا عُزَّى، فأتاها فإذا امرأةٌ عُريانةٌ ناشرةٌ شعرها

---

(١) قراءة يعقوب في النشر ٢/ ٣٧٩، وهي رواية رويس عنه والكلام من البحر ٨/ ١٦٠، والمشهور عن ابن كثير تخفيف التاء كقراءة الباقين.

(٢) عزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٦، وأصله عند البخاري (٤٨٥٩) بلفظ: ﴿اللَّتَ﴾ رجلاً يلُتُّ سويق الحاج.

(٣) عزاه للفاكهي السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٦.

(٤) عزاه لابن المنذر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٦.

تحثو الترابَ على رأسها، فجعَلَ يضربها بالسيف حتى قتلَها، ثم رَجَع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال عليه الصلاة والسلام: «تلك العُزَّى»[١].

وفي روايةٍ أنَّه ﷺ بعَثَ إليها خالداً، فقطعها فخرجَت منها شيطانةٌ ناشرةٌ شعرَها، داعيةٌ ويلَها، واضعةٌ يدَها على رأسها، فضرَبَها بالسيف حتى قتلها وهو يقول:

يا عُزُّ كُفْرَانَك لا سبحانَك إنِّي رأيتُ الله قد أهانَكِ

ورجَعَ فأخبرَ رسولَ الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «تلك العزَّى ولن تعبدَ أبداً»[٢].

وقال ابنُ زيد: كانت العزَّى بالطائف. وقال أبو عبيدة: كانت بالكعبة[٣]. وأيَّده في «البحر» بقول أبي سفيان في بعض الحروب للمسلمين: لنا العزَّى ولا عُزَّى لكم[٤]. وذكَر فيه أنَّه صنمٌ، وجَمَعَ بمثل ما تقدَّم.

«ومناةَ» قيل: صخرة كانت لهذيل وخزاعة، وعن ابن عباس: لثقيف، وعن قتادة: للأنصار بقديد، وقال أبو عبيدة: كانت بالكعبة أيضاً[٥]. واستظهر أبو حيان أنَّها ثلاثتُها كانت فيها؛ قال: لأنَّ المخاطَب في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ قريشٌ[٦]. وفيه بحث.

و«مناة» مقصورةٌ قيل: وزنُها فَعْلَة، وسُمِّيت بذلك؛ لأنَّ دماءَ النَّسائِكِ كانت تُمنَى عندها، أي: تُراقُ.

---

(١) السنن الكبرى (١١٤٨٣)، وعزاه لابن مردويه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٦، وأخرجه أيضاً أبو يعلى (٩٠٢)، وأبو نعيم في الدلائل (٤٦٣).

(٢) أخرجها الواقدي في المغازي ٣/ ٨٧٣-٨٧٤، ومن طريقه الأزرقي في أخبار مكة ١/ ١٢٧-١٢٨.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٣٦.

(٤) البحر ٨/ ١٦١، وقول المصنف الآتي: وجمع بمثل ما تقدم، أي: جمع أبو حيان بين هذه الأقوال بمثل ما جمع بين الأقوال في اللات كما سلف قريباً.

(٥) مجاز القرآن ٢/ ٢٣٦.

(٦) البحر المحيط ٨/ ١٦١.

وقرأ ابن كثير على ما في «البحر»: «مناءَةَ» بالمدِّ والهمز[1]، كما في قوله:

أَلَا هـل أتـى تَـيْـمَ بـنَ عـبـدِ مَـنَـاءةٍ    على النأي فيما بيننا ابنُ تَميم[2]

ووزنُها مَفْعَلَة، فالألف منقلبة عن واو كما في مقالة، والهمزةُ أصلٌ، وهي مشتَّقةٌ من النَّوء، كأنَّهم كانوا يستمطرون عندها الأنواءَ تبرُّكاً بها.

والظاهرُ أنَّ «الثالثةَ الأُخرَى» صفتان لـ «مناة»، وهما على ما قيل: للتأكيد، فإنَّ كونَها ثالثةً وأُخرَى مغايرةً لِمَا تقدَّمها معلومٌ غيرُ محتاجٍ للبيان.

وقال بعضُ الأجلَّة: «الثالثة» للتأكيد، و«الأخرى» للذمِّ بأنَّها متأخِّرة في الرتبة وضيعةُ المقدار.

وتعقبه أبو حيان: بأنَّ «آخر» ومؤنَّثَهُ «أُخرى» لم يُوضعا لذمٍّ ولا لمدحٍ، وإنما يدلَّان على معنَى «غير»[3]. والحقُّ أنَّ ذلك باعتبار المفهوم الأصلي، وهي تدلُّ على ذمِّ السابقَتين أيضاً؛ قال في «الكشف»: هي اسمُ ذمٍّ يدلُّ على وَضاعة السابقتَين بوجهٍ أيضاً؛ لأنَّ «أُخرَى» تأنيثَ «آخر» تستدعي المشاركةَ مع السابق، فإذا أتَى بها لقصد التأخُّر في الرتبة عملاً بمفهومها الأصلي ـ إذ لا يمكن العملُ بالمفهوم العُرفي؛ لأنَّ السابقتَين ليستَا ثالثة أيضاً ـ استَدْعَت المشاركة قضاءً لحقِّ التفضيل، وكأنَّه قيل: «الأُخرَى» في التأخُّر. انتهى. وهو حَسَنٌ، وذكر في نكتة ذمِّ مناةَ بهذا الذمِّ أنَّ الكفرةَ كانوا يزعُمُون أنَّها أعظمُ الثلاثة، فأكْذَبهم الله تعالى بذلك.

وقال الإمام: «الأُخرَى» صفةُ ذمٍّ كأنَّه قال سبحانه: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ﴾ الذليلة، وذلك لأنَّ اللاتَ كان على صورةِ آدميٍّ، والعزَّى صورةُ نباتٍ، ومناة صورةُ صخرة، فالآدميُّ أشرفُ مِن النبات، والنبات أشرفُ من الجماد، فالجماد متأخِّرٌ، ومناة جمادٌ فهي في أُخريَات المراتب[4]. وأنت تعلم أنَّه لا يتأتَّى على كلِّ الأقوال.

---

(١) البحر ٨/ ١٦١، وهي في التيسير ص ٢٠٤، والنشر ٢/ ٣٧٩.

(٢) البيت لِهَوْبَر الحارثي كما في تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٧، واللسان (منى).

(٣) البحر المحيط ٨/ ١٦٢.

(٤) مفاتيح الغيب ٢٨/ ٢٩٦.

وقيل: «الأُخرَى» صفةٌ للعزَّى؛ لأنَّها ثانيةُ اللات، والثانيةُ يقال لها: «الأُخرَى»، وأُخِّرَت لموافقة رؤوس الآي.

وقال الحسين بن الفضل[1]: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، والتقدير: والعزَّى الأُخرى ومناة الثالثة. ولَعَمري إنَّه ليس بشيءٍ.

والكلامُ خطابٌ لعَبَدَةِ هذه المذكورات، وقد كانوا مع عبادتهم لها يقولون: إنَّ الملائكة عليهم السلام وتلك المعبوداتِ الباطلة بناتُ الله، تعالى عن ذلك علوًّا كبيراً، فقيل لهم توبيخاً وتبكيتاً: «أَفرَأَيتُم» إلخ والهمزةُ للإنكار، والفاءُ لتوجيهه إلى ترتيب الرؤيةِ على ما ذكر مِن شؤون الله تعالى المنافيةِ لها غايةَ المنافاة، وهي عِلْميةٌ عند كثير، ومفعولُها الثاني على ما اختاره بعضُهم محذوفٌ لدلالة الحال عليه، فالمعنى: أعقيب ما سمعتُم من آثار كمال عظمةِ الله عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته، وإحكامِ قدرته ونفاذِ أمره، رأيتُم هذه الأصنامَ ـ مع غاية حقارتها ـ بناتِ الله سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ توبيخٌ مبنيٌّ على ذلك التوبيخ، ومدارُه تفضيلُ جانب أنفسهم على جنابه عز وجل، حيث جعلوا له تعالى الإناثَ واختاروا لأنفسهم الذكورَ، ومناطُ الأوَّل نفسُ تلك النسبة.

وقيل: المعنى: أرأيتُم هذه الأصنامَ مع حقارتها وذِلَّتها شركاءَ لله سبحانه، مع ما تقدَّم من عظمته؟

وقيل: المعنى: أخبروني عن آلهتكم، هل لها شيءٌ من القدرة والعظمة التي وُصِف بها ربُّ العزَّةِ في الآي السابقة؟

وقيل: المعنى: أظننتُم أنَّ هذه الأصنامَ التي تعبدونها تنفعُكم؟

وقيل: المعنى: أفرأيتُم هذه الأصنامَ إنْ عبدتُموها لا تنفعُكم، وإنْ تركتُموها لا تضرُّكم.

---

(١) في الأصل و(م): الحسن بن المفضل، والمثبت من زاد المسير ٨/ ٧٣، وتفسير القرطبي ٢/ ٣٧، وهو الصواب، ووقع في مطبوع البحر ٨/ ١٦٢ (والكلام منه): الحسن بن الفضل.

ولا يخفَى أنَّ قولَه تعالى: (أَلَكُمُ) إلخ لا يلتئمُ مع ما قبله على جميع هذه الأقوال التئامَه على القول السابق.

وقيل: إنَّ قوله سبحانه: (أَلَكُمُ) إلخ في موضع المفعول الثاني للرؤية، وخُلوُّها عن العائد إلى المفعول الأول لِمَا أنَّ الأصلَ: أَخبروني أنَّ اللات والعزَّى ومناةَ ألكم الذكر وله هنَّ، أي: تلك الأصنام، فوضعَ موضعَها الأُنثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ. وهو على تكلُّفه يقتضي اقتصارَ التوبيخِ على ترجيح جانبهم الحقير الذليل على جناب الله تعالى العزيز الجليل من غير تعرُّضٍ للتوبيخ على نسبة الولد إليه سبحانه.

وفي «الكشف»: وجه النظم الجليل أنَّه بعدما صوَّر أمرَ الوحي تصويراً تامّاً، وحقَّقه بأنَّ ما يستمعُه وحيٌ لا شبهةَ فيه؛ لأنَّه رأى الآتي به وعرَفَه حقَّ المعرفة، قال سبحانه: (أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ) على معنى: أتلاحونَه بعد هذه البيانات على ما يَرَى من الآيات المحقَّقة؛ لأنَّه على بيِّنةٍ من ربِّه سبحانه هادياً مهديّاً، وأنَّى يبقَى للمِراء مجال، وقد رآه نزلةً أخرى، وعرَفَه حقَّ المعرفة، ثم قيل: «لقد رأى مِن آيات» إلخ تنبيهاً على أنَّ ما عُدَّ منها فهو أيضاً نَفْيٌ للضلالة والغواية، وتحقيقٌ للدراية والهداية. وقوله تعالى: «أفرأيتُم» عطف على «تمارونه» وإدخالُ الهمزة لزيادة الإنكار، والفاء لأنَّ القول بأمثاله مسبَّبٌ عن الطبع والعناد وعدمِ الإصغاء لداعي الحقِّ، والمعنى: أَبَعْدَ هذا البيان تستمرُّون على ما أنتم عليه من المِرَاء، فتَرَون اللاتَ والعزَّى ومناةَ أولاداً له تعالى ثمَّ أخسَّها، وسدَّ مسدَّ المفعول الثاني قولُه تعالى: (أَلَكُمُ) إلخ زيادةً للإنكار، فعلى هذا ليس «أفرأيتُم» في معنى الاستخبار، وجاز أنْ يكونَ في معناه على معنى: أفتُمارونَه فأخبروني هل لكم الذكرُ وله الأنثى؟ والقولُ مقدَّرٌ، أي: فقل لهم: أخبروني، والمعنى هو كذا تهكُّماً وتنبيهاً على أنَّه نتيجةُ مِرائهم، وأنَّ مَن كان هذا معتقدَه فهو على الضلال الذي لا ضلالَ بعدَه، ولا يبعدُ عن أمثاله نسبةُ الهادين المهديِّين إلى ما هو فيه من النقص. انتهى. وما ذكره أوَّلاً أَوْلَى، وهو ليس بالبعيد عما ذكرنا.

﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى القِسْمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية ﴿إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾

أي: جائرةٌ حيث جعلتُم له سبحانه ما تستنكِفُون منه، وبذلك فَسَّر «ضيزَى» ابنُ عباس وقتادة، وفي معناه قولُ سفيان: منقوصةٌ، وابن زيد: مخالفةٌ، ومجاهد ومقاتل: عوجاءُ، والحسنُ: غيرُ معتدلة.

والظاهرُ أنَّه صفةٌ، واختُلِفَ في يائه فقيل: منقلبةٌ عن واو، وقيل: أصليةٌ، ووَزنُهُ فُعْلَى بضم الفاء كحُبْلى وأنثى، ثم كُسِرَت لتسلم الياء كما فُعل ذلك في بِيْض جمعِ أَبيض، فإنَّ وزْنَه فُعْل بضم الفاء كحُمْر، ثم كُسِرَت الفاء لِمَا ذكر، ومثلُه شائع، ولم يُجعَل وزنُه فِعْلَى بالكسر ابتداءً لِمَا ذهب إليه سيبويه مِن أنَّ فِعْلَى بالكسر لم يجئ عن العرب في الصفات[١]. وجعلَه بعضُهم كذلك متمسِّكاً بورود ذلك؛ فقد حَكَى ثعلب: مشيةٌ حِيْكَى[٢]، ورجل كِيْصَى[٣]، وغيره: امرأة عِزْهَى[٤] وامرأة سِعْلَى[٥]، ورُدَّ بأنَّه من النوادر، والحملُ على الكثير المطَّرد في بابه أَوْلَى، وأيضاً يمكن أن يقال في حِيْكى وكِيْصَى ما قيل في ضِيْزَى؛ ويمنع ورود عِزْهى وسِعْلى، فإنَّ المعروف عِزْهاةٌ وسِعْلاةٌ.

وجوز أنْ يكونَ «ضيزى» فِعْلَى بالكسر ابتداءً على أنَّه مصدرٌ كذِكْرى، وَوُصِفَ به مبالغةً، ومجيءُ هذا الوصفِ في المصادر كما ذكر، والأسماء الجامدة كدِفْلَى وشِعْرَى[٦]، والجموع كحِجْلَى كثيرٌ.

وقرأ ابنُ كثير: «ضِئزَى» بالهمز[٧] على أنَّه مصدرٌ وُصِفَ به، وجوِّز أنْ يكونَ

---

(١) يُنظر الكتاب ٤/ ٣٦٤ و٣٨٩، ونقله المصنف عنه بواسطة الشهاب في الحاشية ٨/ ١١٣.

(٢) مشية حِيْكَى: إذا كان فيها متبختراً. ينظر اللسان (حيك).

(٣) رجل كِيْصَى: يأكل وحده وينزل وحده ولا يهمه غير نفسه. ينظر اللسان والقاموس (كيص).

(٤) امرأة عِزْهى: والعِزْهاة كسِعْلاة: المرأة أسنَّت ونفسُها تُنازعها إلى الصِّبا. القاموس (عزه).

(٥) امرأة سِعْلَى: استسعَلَت المرأة: صارت كالسِّعلاة خبثاً وسلاطةً، يقال ذلك للمرأة الصخابة البذية، السِّعلا يمد ويقصر. اللسان (سعل).

(٦) الدِّفْلَى: نبتٌ مرٌّ، زهره كالورد الأحمر، وحمله كالخرنوب. وشِعْرَى: جبل عند حرة بني سليم. القاموس (دفل) و(شعر).

(٧) التيسير ص ٢٠٤، والنشر ١/ ٣٩٥.

وصفاً، وهو مضمومٌ عُومل معاملةَ المعتلِّ؛ لأنَّه يَؤُول إليه.

وقرأ ابنُ زيد: «ضَيْزَى» بفتح الضاد وبالياء[١]، على أنَّه كدَعْوى أو كسَكْرى، ويقال: ضُؤزى بالواو والهمز وضم الفاء، وقد حكى الكِسائي: ضَأَزَ يَضْأَزُ ضأزاً بالهمز، وأنشد الأخفش:

فإنْ تَنْأَ عنها تقتنِصْكَ وإنْ تَغِبْ فسهمُكَ مَضْؤوزٌ وأنفُكَ راغمُ[٢]

والأكثرُ «ضازَ» بلا همزٍ كما في قول امرئ القيس:

ضازَت بنو أسدٍ بحُكمِهمُ إذ يجعلونَ الرأسَ كالذَّنبِ

وأنشده ابنُ عباس على تفسيره السابق[٣].

﴿إِنْ هِيَ﴾ الضميرُ للأصنام، أي: ما الأصنامُ باعتبار الأُلوهية[٤] التي تدَّعونها ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ محضةٌ ليس فيها شيءٌ ما أصلاً من معنى الأُلوهية.

وقوله تعالى: ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ صفةٌ للأسماء، وضميرُها لها لا للأصنام، والمعنى: جعلتموها أسماءً، فإنَّ التسمية نسبةٌ بين الاسم والمسمَّى، فإذا قِيْسَت إلى الاسم فمعناها: جَعله اسماً للمسمَّى، وإنْ قيسَت إلى المسمَّى فمعناها: جعله مسمًّى للاسم، وإنما اختير هاهنا المعنى الأولُ من غير تعرُّضٍ للمسمَّى، لتحقيق أنَّ تلكَ الأصنامَ التي يسمُّونها آلهةً أسماءٌ مجرَّدةٌ ليس لها مسمَّياتٌ قطعاً، كما في قوله سبحانه: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً﴾ الآية [يوسف: ٤٠] لا أنَّ هناك مسمياتٍ لكنَّها لا تستحقُّ التسمية.

---

(١) نسبها أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ١٦٢ لزيد بن علي.

(٢) الصحاح (ضيز)، وتهذيب اللغة ١٢/ ٥٢، وتفسير الطبري ٢٢/ ٥٢، واللسان (ضيز)، والبحر المحيط ٨/ ١٦٢.

(٣) يعني: جائرة، وخبر ابن عباس أخرجه الطستي في مسائله كما في الدر المنثور ٦/ ١٢٧، ومن طريقه السيوطي في الإتقان ١/ ٤١٠، وهو من جواب ابن عباس عن سؤالات نافع بن الأزرق، ولم نقف على البيت في ديوان امرئ القيس، وهو دون نسبة في تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٨، والبحر المحيط ٨/ ١٥٤.

(٤) في هامش الأصل: أي: إطلاق اسم الإلهية عليها. اهـ.

وقيل: هي للأسماء الثلاثة المذكورة، حيث كانوا يُطلقونها على تلك الأصنامِ، لاعتقادهم أنَّها تستحقُّ العكوفَ على عبادتها والإعزازَ والتقرُّبَ إليها بالقرابين، وتُعقِّب بأنَّه لو سلِّم دلالةُ الأسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للأصنام، فليس في سلبها عنها مزيدُ فائدة، بل إنما هي في سَلْب الأُلوهية عنها، كما هو زعمُهم المشهورُ في حقِّ جميع الأصنام على وجهٍ برهانيٍّ، فإنَّ انتفاءَ الوصف بطريق الأولَوية، أي: ما هي شيءٌ من الأشياء إلا أسماءٌ خالية عن المسمَّيات وضعتموها ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ بمقتضى الأهواء الباطلة.

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ برهانٍ يتعلَّقون به.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ أي: ما يتَّبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بها ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إلا توهُّمَ أنَّ ما هم عليه حقٌّ تَوَهُّماً باطلاً، فالظنُّ هنا مرادٌ به التوهُّمُ وشاع استعمالُه فيه، ويُفهم من كلام الراغب أنَّ التوهُّم من أفراد الظنِّ(١).

﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ أي: والذي تشتهيه أنفسُهم الأمَّارةُ بالسوء، على أنَّ «ما» موصولةٌ وعائدُها مقدَّر، و«أل» في «الأنفس» للعهد، أو عِوَضٌ عن المضاف إليه، وجوِّز كونُ «ما» مصدرية، وكذا جوِّز كونُ «أل» للجنس، والنفسُ من حيث هي إنما تهوَى غيرَ الأفضلِ؛ لأنَّها مجبولةٌ على حبِّ الملاذِّ، وإنما يسوقُها إلى حسن العاقبة العقلُ.

والالتفات في «يتبعون» إلى الغيبة للإيذان بأنَّ تعدادَ قبائحهم اقتضَى الإعراضَ عنهم، وحكايةَ جناياتهم لغيرهم.

وقرأ ابن عباس وابن مسعود وابن وثاب وطلحة والأعمش وعيسى بن عمر: «تتبعون» بتاء الخطاب(٢).

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ حالٌ من ضمير «يتَّبعُونَ» مقرِّرةٌ لبطلان ما هم عليه من اتباع الظنِّ والهوى، والمرادُ بـ «الهدى» الرسول ﷺ، أو القرآن العظيم، على

---

(١) مفردات الراغب (ظن).

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠١، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٩، والبحر المحيط ٨/ ١٦٢-١٦٣.

أنَّه بمعنى الهادي، أو جعَلَه هدًى مبالغةً، أي: ما يتبعون إلا ذلك والحال لقد جاءهم من ربِّهم جلَّ شأنه ما ينبغي لهم معه تركُه واتِّباعُ سبيل الحقِّ، وحاصله: يتَّبعون ذلك في حال يُنافيه.

وجوِّز أنْ تكونَ الجملة معترضةً، وهي أيضاً مؤكِّدة لبطلان ذلك.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾﴾ «أم» منقطعة مقدَّرة بـ «بل» ـ وهي للانتقال من بيان أنَّ ما هم عليه غيرُ مستندٍ إلا إلى توهُّمهم وهوَى أنفسِهم إلى بيان أنَّ ذلك مما لا يُجدي نفعاً أصلاً ـ والهمزةِ وهي للإنكار والنفي، أي: بل ليس للإنسان كلُّ ما يتمناه وتشتهيه نفسُه، ومفادُه قيل: رفعُ الإيجاب الكلِّي، ومرجعُه إلى سالبةٍ جزئية، وإليه يُشير قول بعضهم: المرادُ نَفْي أنْ يكونَ للكفرة ما كانوا يطمعون فيه من شفاعة الآلهة والظَّفَر بالحسنى عند الله تعالى يوم القيامة، وما كانوا يشتهونه من نزول القرآنِ على رجل من إحدى القريتَين عظيم ونحو ذلك.

ويُفهَم من كلام بعضِ المحققين أنَّ المرادَ السلبُ الكلِّي، والمعنى: لا شيءَ مما يتمناه الإنسانُ مملوكاً له مختصّاً به، يتصرَّف فيه حسب إرادته، ويتضمَّن ذلك نَفْيَ أنْ يكونَ للكفرة ما ذُكِرَ وليس الإنسان خاصّاً بهم كما قيل.

وقوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ تعليلٌ لانتفاء ذلك، فإنَّ اختصاصَ مِلْك أمورِ الآخرة والأُولَى جميعاً به تعالى مقتضٍ لانتفاء أنْ يكونَ للإنسان أمرٌ من الأمور، بل ما شاء الله تعالى له كان وما لم يشأ لم يكن، وقدِّمَت «الآخرة» اهتماماً بردِّ ما هو أهمُّ أطماعهم عندهم من الفوز فيها.

ولذا أردف ذلك بقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ وإقناطُهم عما طَمِعوا به من شفاعة الملائكة عليهم السلام موجبٌ لإقناطهم عن شفاعة الأصنام بطريق الأولوية. و«كم» خبريةٌ مفيدةٌ للتكثير، محلُّها الرفعُ على الابتداء، والخبرُ الجملة المنفية، وجمع الضمير في «شفاعتُهم» مع إفراد «المَلَك» باعتبار المعنى، أي: وكثيرٌ من الملائكة لا تغني شفاعتُهم عند الله تعالى شيئاً من الإغناء في وقت من الأوقات ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ لهم في الشفاعة ﴿لِمَن

﴿يَشَآءُ﴾ أنْ يشفعوا له ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ ويراه سبحانه أهلاً للشفاعة من أهل التوحيد والإيمان، وأما مَن عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من إذن الله تعالى بمعزل. وعنه بألف ألفِ منزل.

وجوّز أنْ يكون المرادُ: إلا من بعد أنْ يأذنَ الله لمن يشاء من الملائكة بالشفاعة، ويراه عز وجل أهلاً لها. وأيَّاما كان فالمعنى على أنَّه إذا كان حالُ الملائكة في باب الشفاعة كما ذُكر، فما ظنُّهم بحال الأصنام؟ والكلامُ قيل: من باب:

على لاحبٍ لا يهتدَى بمنارِهِ[1]

فحاصلُه: لا شفاعةَ لهم ولا غناءَ بدون أنْ يأذنَ الله سبحانه.. إلخ. وقيل: هو واردٌ على سبيل الفرض فلا يخالفُ قولَه تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقرأ زيد بن علي: «شفاعته» بإفراد الشفاعة والضمير، وابنُ مقسم: «شفاعاتهم» بجمعهما[2]، وهو اختيار صاحب «الكامل» أبي القاسم الهذلي، وأُفردَت الشفاعة في قراءة الجمهور، قال أبو حيان: لأنَّها مصدرٌ؛ ولأنَّهم لو شفع جميعُهم لواحد لم تغنِ شفاعتهم عنه شيئاً[3].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ المنزَّهين عن سمات النقصان على الإطلاق ﴿تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ فإنَّهم كانوا يقولون: الملائكةُ بنات الله، سبحانه وتعالى عما يقولون، و«الملائكة» في معنى استغراق المفرد، فيكون التقديرُ: ليسمُّون كلَّ واحدٍ من الملائكة تسمية الأنثى، أي: يسمونه بنتاً؛ لأنَّهم إذا قالوا ذلك فقد جعلوا كلَّ واحدٍ منهم بنتاً، فالكلام على وزان: كَسَانا الأميرُ حلةً، أي: كسا كلَّ واحد منَّا حلةً،

---

(١) سلف ١/ ٤٥٧.

(٢) القراءتان في البحر المحيط ٨/ ١٦٣.

(٣) البحر المحيط ٨/ ١٦٣، وعنه نقل المصنف كلام أبي القاسم الهذلي.

والإفرادُ لعدم اللَّبس، ولذا لم يقل: تسميةَ الإناث، فلا حاجةَ إلى تأويل «الأنثى» بالإناث، ولا إلى كون المراد: الطائفة الأنثى، وما ذكر أولاً قيل: مبنيٌّ على أنَّ تسميةَ الأنثى في النظم الجليل ليس نصباً على التشبيه، وإلا فلا حاجةَ إليه أيضاً.

وفي تعليق التسمية بعدم الإيمان بالآخرة إشعارٌ بأنَّها في الشناعة والفظاعة واستتباعِ العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترئ عليها إلا مَن لا يؤمن بها رأساً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ حالٌ من فاعل «يسمُّون» وضميرُ «به» للمذكور من التسمية، وبهذا الاعتبار ذكِّر، أو باعتبار القول، أي: يسمُّونهم إناثاً، والحالُ أنَّهم لا علمَ لهم بما يقولون أصلاً.

وقرأ أبيٌّ: «بها»[1] أي: بالتسمية، أو بالملائكة.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ أي: ما يتبعون في ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي: التوهُّمَ الباطل ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ﴾ أي: جنسَ الظنِّ، كما يلوح به الإظهارُ في موقع الإضمار، وقيل: الإظهارُ ليستقلَّ الكلامُ استقلال المثل ﴿لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ من الإغناء، فإنَّ الحقَّ الذي هو عبارةٌ عن حقيقة الشيء وما هو عليه، إنما يُدرَك إدراكاً معتدّاً به إذا كان عن يقينٍ، لا عن ظنٍّ وتوهُّم، فلا يعتدُّ بالظنِّ في شأن المعارف الحقيقية، أعني المطالبَ الاعتقادية التي يلزم فيها الجزمُ ولو لم يكن عن دليل، وإنما يعتدُّ به في العمليات وما يؤدِّي إليها.

وفسَّر بعضهم «الحق» بالله عز وجل لقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: ٦٢].

واستَدلَّ بالآية مَن لم يَعتبر التقليدَ في الاعتقاديات، وفيه بحث، والظاهريةُ على إبطاله مطلقاً، وإبطالُ القياس وردُّه على أتمِّ وجه في الأصول.

وما أخرج ابن أبي حاتم عن أيوب قال: قال عمر بنُ الخطاب: احذروا هذا الرأيَ على الدّين، فإنَّما كان الرأيُ من رسول الله ﷺ مصيباً؛ لأنَّ الله تعالى كان

(١) الكشاف ٤/ ٣٢، وتفسير أبي السعود ٨/ ١٦٠.

يُريه، وإنما هو منَّا تكلفٌ وظنٌّ ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[١] = هو أحدُ أدلتهم على إبطال القياس أيضاً.

وقد حكى الآمدي في «الإحكام» نحوه عن ابن عمر رضي الله عنهما، فقال: قال ابن عمر: اتَّهِموا الرأيَ على الدّين، فإنَّ الرأيَ منَّا تكلُّفٌ وظنٌّ ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾. وأجابَ عنه بأنَّ غايتَه الدلالةُ على احتمال الخطأ فيه، وليس فيه ما يدلُّ على إبطاله، وأنَّ المرادَ بقوله: «وإنَّ الظنَّ» إلخ استعمالُ الظنِّ في مواضع اليقين، وليس المرادُ به إبطالَ الظنِّ، بدليل صحة العمل بظواهر الكتاب والسنة. ويقال نحوُ هذا في كلام عمرَ رضي الله عنه، وقد ذكر جملةً من الآثار استَدلَّ بها المبطلُ على ما زعمَه وردَّها كلَّها، فمَن أراد ذلك فليراجعه[٢].

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: عنهم، ووضع الموصول موضعَ ضميرهم، للتوسُّل به إلى وصفهم بما في حيِّز صلتِهِ من الأوصاف القبيحة، وتعليلِ الحُكْمِ بها، أي: فأعرِضْ عمَّن أعَرضَ عن ذكرنا المفيدِ للعلم الحقِّ، وهو القرآنُ العظيم، المنطوي على بيان الاعتقادات الحقَّة، المشتملُ على علوم الأوَّلين والآخِرين، المذكِّرُ للآخرة وما فيها من الأمور المرغوبِ فيها والمرهوبِ عنها. والمرادُ بالإعراض عنه تركُ الأخذ بما فيه وعدمُ الاعتناء به.

وقيل: المرادُ بالذكر الرسولُ ﷺ وبالإعراض عنه تركُ الأخذ بما جاء به.

وقيل: المراد به الإيمان.

وقيل: هو على ظاهره والإعراضُ عنه كنايةٌ عن الغفلة عنه عز وجل.

﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ راضياً بها قاصراً نظَرَه عليها، جاهداً فيما يُصلِحُها، كالنضر بن الحارث والوليد بن المغيرة، والمرادُ من الأمر المذكور النهيُ عن المبالغة في الحرص على هداهم، كأنَّه قيل: لا تبالغ في الحرص على هدى مَن تولَّى عن ذكرنا، وانهمَكَ في الدنيا بحيث كانت منتهَى هِمَّتِه وقُصارَى سعيه.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ١٢٧.

(٢) ينظر الإحكام للآمدي ٤/ ٤٨ وما بعد.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: أمرُ الحياة الدنيا المفهومُ من الكلام، ولذا ذكّر اسم الإشارة، وقيل: أي: ما أدَّاهم إلى ما هم فيه من التولِّي وقصر الإرادة على الحياة الدنيا.

وقيل: «ذلك» إشارةٌ إلى الظنِّ الذي يتَّبعونه. وقيل: إلى جَعْلِهم الملائكةَ بنات الله سبحانه. وكلا القولَين كما ترى.

﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي: منتَهى علمهم لا عِلْمَ لهم فوقَه، اعتراضٌ مقرِّرٌ لمضمون ما قبلها مِن قَصْر الإرادة على الحياة الدنيا. والمرادُ بالعلم مطلَقُ الإدراك المنتظِم للظنِّ الفاسد، وضميرُ «مبلغهم» لـ «مَن»، وجُمع باعتبار معناه، كما أنَّ إفرادَه قبلُ باعتبار لفظِه.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ تعليلٌ للأمر بالإعراض، وتكرير قوله تعالى: «هو أعلم» لزيادة التقرير والإيذانِ بكمال تباينِ المعلومَين، والمرادُ بـ «مَن ضل»: مَن أصرَّ على الضلال ولم يرجع إلى الهدى أصلاً، و«بمَن اهتدَى»: من شأنه الاهتداءُ في الجملة، أي: هو جل شأنه المبالغُ في العلم بمَن لا يرْعَوي عن الضلال أبداً، وبمن يقبلُ الاهتداء في الجملة، لا غيرُه سبحانه، فلا تُتْعب نفسَك في دعوتهم ولا تبالغ في الحرص عليها، فإنَّهم من القبيل الأول.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: له ذلك على الوجه الأتمِّ، أي: خَلْقاً ومُلْكاً، لا لغيره عز وجل أصلاً، لا استقلالاً ولا اشتراكاً، ويُشعر بفعلٍ يتعلَّق به قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ أي: خَلَق ما فيهما ليجزِيَ الضالِّين بعقاب ما عملوا من الضلال، الذي عبَّر عنه بالإساءة بياناً لحاله، أو بمثل ما عملوا، أو بسبب ما عملوا، على أنَّ الباء صلةُ الجزاء بتقدير مضافٍ أو للسببية بلا تقدير ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ أي: اهتدوا ﴿بِٱلْحُسْنَى﴾ أي: بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة، أو بأحسن من أعمالهم، أو بسبب الأعمال الحسنى، تكميلٌ لِمَا قَبْلُ؛ لأنَّه سبحانه لمَّا أمره عليه الصلاة والسلام بالإعراض نَفَى توهُّم أنَّ ذلك لأنَّهم يُتركون سُدًى.

وفي العدول عن ضمير ربك إلى الاسم الجامع ما يُنبئُ عن زيادة القدرة، وأنَّ الكلامَ مسوقٌ لوعيد المعرضين، وأنَّ تسويةَ هذا المُلْك العظيم لهذه الحكمة، فلا بدَّ من ضالٍّ ومهتدٍ، ومن أنْ يلقَى كلٌّ ما يستحقُّه. وفيه أنَّه ﷺ يلقَى الحسنى جزاءً لتبليغه، وهم يلقون السُّوأَى جزاءً لتكذيبهم.

وكرَّر فعلَ الجزاء لإبراز كمالِ الاعتناء به، والتنبيهِ على تباُين الجزاءَين.

وجوَّز أنْ يكونَ معنى «فأعرِضْ» إلخ: لا تقابِلْهم بصنيعهم وَكِلْهم إلى ربك، إنَّه أعلمُ بك وبهم، فيجزي كلًّا ما يستحقُّه، ولا يخفَى ما في العدول عن الضميرَين في «بمَن ضَلَّ» و«بمَن اهتدَى»، وجُعِلَ قوله تعالى: «ليجزِيَ» على هذا متعلِّقاً بما يدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ إلخ، أي: ميَّز الضالَّ عن المهتدي وحَفِظ أحوالَهم ليجزي.. إلخ، وقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ جملةٌ معترضةٌ تؤكِّدُ حديثَ أنَّهم يُجزَون البتة ولا يُهمَلُون، كأنَّه قيل: هو سبحانه أعلمُ بهم، وهم تحت مُلْكه وقدرته، وجوَّز على ذلك المعنى أنْ يتعلَّق «ليجزيَ» بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ كما تقدَّم على تأكيد أمرِ الوعيد، أي: هو أعلمُ بهم، وإنما سوَّى هذا المُلْكَ للجزاء. ورجح بعضُهم ذلك المعنى بالوجهَين المذكورَين على ما مرَّ.

وجوَّز في جملة «لله ما في السماوات» كونُها حالاً من فاعل «أعلم» سواء كان بمعنى: عالم، أو لا، وفي «ليجزِيَ» تعلُّقُه بـ «ضَلَّ» و«اهتدَى» على أنَّ اللام للعاقبة، أي: هو تعالى أعلمُ بمَن ضَلَّ ليؤول أمرُه إلى أنْ يجزيَه اللهُ تعالى بعمله، وبمَن اهتدَى ليؤول أمرُه إلى أنْ يجزيَه بالحسنى. ولا يخفى بُعْدُه، وأَبعدُ منه بمراحلَ تعلُّقُه بقوله سبحانه: ﴿لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ﴾ كما ذكره مكِّي[1].

وقرأ زيد بن عليٍّ: «لنجزي» «ونجزي» بالنون فيهما[2].

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ بدلٌ من الموصول[3] الثاني، وصيغةُ الاستقبال في

---

(١) في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٩٤.

(٢) البحر المحيط ٨/ ١٦٤.

(٣) في الأصل: الموصوف، والمثبت من (م) وتفسير أبي السعود ٨/ ١٦٢.

صلته للدلالة على تجدُّد الاجتنابِ واستمرارِه، أو بيانٌ، أو نعتٌ، أو منصوبٌ على المدح، أو مرفوعٌ على أنَّه خبرُ محذوفٍ.

و«الإثم»: الفعل المبطئ عن الثواب وهو الذنبُ. وكبائرُه ما يكبر عقابُه.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف: «كبيرَ الإثم»(١) على إرادة الجنس أو الشرك.

و﴿الفواحش﴾: ما عظُمَ قُبحُه من الكبائر، فعَطْفُه على ما تقدَّم من عطف الخاصِّ على العامِّ. وقيل: الفواحش والكبائر مترادفان.

﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ ما صَغُرَ من الذنوب، وأصلُه ما قلَّ قَدْرُه، ومنه لِمَّةُ الشَّعر؛ لأنَّها دون الوَفْرَة، وفسَّره أبو سعيد الخدْري بالنظرة والغمزة والقُبلة، وهو من باب التمثيل.

وقيل: معناه: الدنوُّ من الشيء دون ارتكابٍ له، من أَلْمَمْتُ بكذا، أي: نزلتُ به وقاربتُه من غير مواقعةٍ، وعليه قولُ الرمَّاني: هو الهمُّ بالذنب وحديثُ النفس دون أنْ يواقع. وقول ابن المسيب: ما خطَرَ على القلب.

وعن ابن عباس وابن زيد: هو ما أَلَمُّوا به من الشرك والمعاصي في الجاهلية قبل الإسلام. والآية نزلَت لقول الكفار للمسلمين: قد كنتُم بالأمس تعملون أعمالَنا، فهي مثل قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ﴾ [النساء: ٢٣] على ما في «البحر»(٢).

وقيل: هو مطلَق الذنب.

وفي روايةٍ عن ابن عباس: أنَّه ما يلمُّ به المرء في الحين من الذنوب ثم يتوبُ. والمعظمُ على تفسيره بالصغائر.

والاستثناء منقطعٌ، وقيل: إنَّه لا استثناء فيه أصلاً، و«إلا» صفةٌ بمعنى: «غير»، إما لجعل المضافِ إلى المعرَّف باللام الجنسية أعني «كبائر الإثم» في حكم النكرة،

---

(١) التيسير ص ١٩٥، والنشر ٢/ ٣٦٧.

(٢) ٨/ ١٦٤، وذكر سبب النزول أيضاً أبو الليث السمرقندي في تفسيره ٣/ ٢٩٣، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٤.

أو لأنَّ «غير» و«إلا» التي بمعناها قد يتعرَّفان بالإضافة كما في ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ [الفاتحة: ٧].

وتعقَّبه بعضُهم بأنَّ شرط جوازِ وقوع «إلا» صفةً كونُها تابعةً لجمعٍ منكَّر غيرِ محصورٍ، ولم يوجد هنا.

ورُدَّ بأنَّ هذا ما ذهب إليه ابنُ الحاجب، وسيبويه يَرَى جوازَ وقوعها صفةً مع جواز الاستثناء، فهو لا يشترطُ ذلك، وتَبِعَه أكثرُ المتأخِّرين[١]، نعم كونُها هنا صفةً خلافُ الظاهر، ولا داعي إلى ارتكابه.

والآيةُ عند الأكثرين دليلٌ على أنَّ المعاصي منها كبائرُ ومنها صغائر، وأنكر جماعةٌ من الأئمة هذا الانقسامَ وقالوا: سائرُ المعاصي كبائر، منهم الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وإمام الحرمَين في «الإرشاد»[٢]، وتقيُّ الدين السُّبكي، وابنُ القشيري في «المرشد»، بل حكاه ابنُ فورَك عن الأشاعرة، واختاره في تفسيره فقال: معاصي الله تعالى كلُّها عندنا كبائر، وإنما يقال لبعضها صغيرةٌ وكبيرةٌ بالإضافة، وحَكَى الانقسام عند المعتزلة، وقال: إنَّه ليس بصحيح.

وقال القاضي عبد الوهاب: لا يمكنُ أنْ يقالَ في معصيةٍ إنَّها صغيرةٌ إلا على معنى أنَّها تَصغُرُ باجتناب الكبائر، ويوافق ذلك ما رواه الطبراني عن ابن عباس ـ لكنَّه منقطعٌ ـ أنَّه ذُكِرَ عنده الكبائر فقال: كلُّ ما نَهَى الله تعالى عنه فهو كبيرةٌ[٣]. وفي

---

(١) حاشية الشهاب ٨/ ١١٥.

(٢) ص ٣٢٨، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن حجر الهيتمي في الزواجر ص ٤، والكلام منه.

(٣) المعجم الكبير ١٨/ (٢٩٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٠٣: رجاله ثقات إلا أن الحسن مدلس وعنعنه.
وأخرجه الطبري ٦/ ٦٥٠، والبيهقي في الشعب (٢٩٢) و(٧١٥٠)، من طريق ابن سيرين عن ابن عباس، وإسناده منقطع، فإن محمد بن سيرين لم يسمع من ابن عباس فيما قاله علي بن المديني وأحمد كما في المراسيل لابن أبي حاتم ص ١٥٠.

رواية: كلُّ شيء عُصِيَ اللهُ تعالى فيه فهو كبيرةٌ[١].

والجمهورُ على الانقسام؛ قيل[٢]: ولا خلافَ في المعنى، وإنما الخلافُ في التسمية والإطلاق؛ لإجماع الكلِّ على أنَّ مِن المعاصي ما يقدحُ في العدالة، ومنها ما لا يقدحُ فيها، وإنَّما الأَوَّلُون فرُّوا من التسمية، فكرهوا تسميةَ معصيةِ الله تعالى صغيرةً نظراً إلى عظمة الله عز وجل، وشدَّةِ عقابه سبحانه، وإجلالاً له جل شأنُه عن تسمية معصيتِه صغيرةً؛ لأنَّها بالنظر إلى باهر عظمتِهِ كبيرةٌ أيُّ كبيرةٍ، ولم ينظر الجمهورُ إلى ذلك؛ لأنَّه معلومٌ، وقسَّموها إلى ما ذُكِرَ لظواهر الآيات والأحاديث، ولذلك قال الغزاليُّ: لا يليقُ إنكارُ الفرق بينَ الكبائر والصغائر، وقد عُرِفَتَا من مدارك الشرع[٣].

ثم القائلون بالفَرْق اختلفوا في حدِّ الكبيرة فقيل: هي ما لَحِقَ صاحبَها عليها بخصوصها وعيدٌ شديدٌ بنصِّ كتابٍ أو سنةٍ. وهي عبارةُ كثيرٍ من الفقهاء.

وقيل: كلُّ معصيةٍ أوجبَت الحدَّ. وبه قال البغوي وغيرُه، والأولُ أوفقُ بِمَا[٤] ذكروه في تفصيل الكبائر، إذ عدُّوا الغيبةَ والنميمةَ والعقوقَ وغيرَ ذلك منها، ولا حدَّ فيه، فهو أصحُّ من الثاني وإنْ قال الرافعيُّ: إنَّهم إلى ترجيحه أَمْيَلُ. وقد يقال: يَرِدُ على الأول أيضاً أنَّهم عدُّوا من الكبائر ما لم يَرِد فيه بخصوصه وعيدٌ شديدٌ.

وقيل: هي كلُّ ما نصَّ الكتابُ على تحريمه، أو وَجَب في جنسه حدٌّ، وتركُ فريضةٍ تجبُ فوراً، والكذبُ في الشهادة والروايةِ واليمين، زاد الهروي وشريح: وكلُّ قولٍ خالفَ الإجماع العامَّ.

---

(١) أخرجها الطبري ٦/ ٦٥٢ من طريق عبد الله بن معدان، عن أبي الوليد، عن ابن عباس، وعبد الله بن معدان قال عنه الأزدي كما في اللسان ٣/ ٣٦٥: متروك الحديث، وإسناده ليس بالقائم.

(٢) القائل هو ابن حجر الهيتمي.

(٣) ينظر إحياء علوم الدين ٤/ ١٧، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن حجر الهيتمي في الزواجر ص ٤.

(٤) في الأصل و(م): لما، والمثبت من الزواجر.

وقيل: كلُّ جريمةٍ تُؤذن بقلَّة اكتراثِ مرتكبها بالدِّين ورقَّة الديانةِ، وهو المحكيُّ عن إمام الحرمين[(١)]، ورجَّحه جمعٌ لِمَا فيه من حسنِ الضبط.

وتُعقِّبَ بأنَّه بظاهره يتناول صغيرةَ الخِسَّةِ، والإمامُ ـ كما قال الأَذْرَعي ـ إنما ضبَطَ به ما يُبطل العدالةَ من المعاصي الشاملةِ لذلك، لا الكبيرة فقط، نعم هو أشملُ من التعريفَين الأوَّلَين.

وقيل: هي ما أوجَبَ الحدَّ أو توجَّه إليه الوعيدُ، ذكره الماوردي في «حاويه»[(٢)].

وقيل: كلُّ محرَّمٍ لعينه منهيٌّ عنه لمعنى في نفسه، فإنْ فَعَلَه على وجهٍ يجمع وجهَين أو وجوهاً من التحريم كان فاحشةً، فالزنى كبيرةٌ، وبحليلة الجارِ فاحشةٌ، والصغيرةُ تَعاطي ما تَنقُصُ رتبتُه عن رتبتِهِ المنصوص عليه، أو تعاطيه على وجهٍ دون المنصوص عليه، فإنْ تعاطَاه على وجهٍ يجمَعُ وجهَين أو أكثرَ من التحريم كان كبيرةً، فالقُبْلةُ واللَّمسُ والمفاخَذة صغيرةٌ، ومع حليلة الجار كبيرةٌ، كذا نقلَه ابنُ الرفعة وغيرُه عن القاضي حسين عن الحليمي.

وقيل: هي كلُّ فعلٍ نصَّ الكتابُ على تحريمه، أي: بلفظ التحريم، وهو أربعةُ أشياءَ: أكلُ الميتةِ، ولحمِ الخنزير، ومال اليتيم، والفرارُ من الزَّحف، ورُدَّ بمنع الحصر.

وقيل: إنَّها كلُّ ذنبٍ قُرِنَ به حدٌّ أو وعيدٌ أو لعنٌ بنصِّ كتابٍ أو سنةٍ، أو عُلِمَ أنَّ مفسدتَه كمفسدة ما قُرِنَ به ذلك أو أكثر، أو أَشعرَ بتهاون مرتكبه في دينه إشعاراً صغَّر الكبائرَ المنصوصَ عليها بذلك، كما لو قَتَلَ مَن يعتقدُه معصوماً فظهَرَ أنَّه مستحِقٌّ لدمه، أو وَطِئ امرأةً ظانّاً أنَّه زانٍ بها، فإذا هي زوجتُه أو أمتُه، وإليه ذهب شيخ الإسلام البارزي وقال: هو التحقيق.

وقيل غير ذلك.

---

(١) في الإرشاد ص ٣٢٩.

(٢) في الأصل و(م): فتاويه، والمثبت من الزواجر، وهو الصواب، والكلام في الحاوي للماوردي ١٧/ ١٤٩.

واعتمد الواحدي أنَّها لا حدَّ لها يحصُرُها فقال: الصحيحُ أنَّ الكبيرةَ ليس لها حدٌّ يعرِفُها العبادُ به، وإلا لاقْتَحَم الناسُ الصغائرَ واستباحوها، ولكنَّ الله تعالى أخفَى ذلك عنهم ليجتهدوا في اجتناب المنهيِّ عنه رجاءَ أنْ تُجتَنَبَ الكبائرُ، ونظيرُ ذلك إخفاءُ الاسم الأعْظَمِ، والصلاةِ الوسطى، وليلةِ القدر، وساعةِ الإجابة.

وقال العلامة ابن حجر الهيتَمي[1]: كلُّ ما ذُكِرَ من الحدود إنما قُصِدَ به التقريب فقط، وإلا فهي ليسَت بحدودٍ جامعة، وكيف يمكنُ ضبطُ ما لا مطمَعَ في ضبطه؟

وذهبَ جمعٌ إلى تعريفها بالعدِّ؛ فعن ابن عباس أنَّها ما ذكره الله تعالى في أول سورةِ النساء إلى قوله سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: ٣١].

وقيل: هي سبعٌ، وروي ذلك عن عليٍّ كرَّم الله تعالى وجهَه وعطاء وعبيد بن عمير، واستدلَّ له بما في الصحيحين: «اجْتَنبوا السَّبعَ الموبقات: الإشراكَ بالله تعالى، والسِّحرَ، وقَتْلَ النفسِ التي حرَّمَ اللهُ تعالى إلا بالحقِّ، وأكلَ مال اليتيمِ، وأكلَ الرِّبا، والتولِّي يوم الزحفِ، وقَذْفَ المحصَنات الغافلاتِ المؤمناتِ»[2].

وقيل: خمْسَ عشرةَ، وقيل: أربعَ عشرة، وقيل: أربع، وعن ابن مسعود: ثلاث. وفي رواية أخرى: عشرة.

وقال شيخُ الإسلام العلائي: المنصوصُ عليه في الأحاديث أنَّه كبيرةٌ خمسٌ وعشرون، وتعقَّبه ابنُ حجر بزيادةٍ على ذلك[3]، وقال أبو طالب المكي: هي سبعَ عشرةَ؛ أربعٌ في القلب: الشركُ، والإصرار على المعصية، والقنوطُ، والأمنُ من المكر، وأربعٌ في اللسان: القذفُ، وشهادةُ الزور، والسحرُ وهو كلُّ كلام يُغيِّرُ الإنسانَ أو شيئاً من أعضائه، واليمينُ الغموس وهي التي تُبطل بها حقّاً أو تُثبتُ بها باطلاً، وثلاثٌ في البطن: أكلُ مالِ اليتيمِ ظُلماً، وأكلُ الربا، وشُرْب كلِّ

(١) في الزواجر ص ٧.
(٢) صحيح البخاري (٢٧٦٦)، وصحيح مسلم (٨٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٣) الزواجر ص ٨.

مسكرٍ، واثنان في الفرج: الزنى، واللواط، واثنتان في اليد: القتلةُ والسرقةُ، وواحدةٌ في الرجل: الفرارُ من الزحف، وواحدةٌ في جميع الجسد عقوقُ الوالدَين. وفيه ما فيه.

وروى الطبرانيُّ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنَّ رجلاً قال له: كم الكبائر، سبعٌ هي؟ فقال: هي إلى سبع مئة أقربُ منها إلى سبعٍ، غيرَ أنَّه لا كبيرةَ مع الاستغفار ولا صغيرةَ مع الإصرار(١).

وقد ألَّفَ فيها غيرُ واحدٍ من العلماء، وفي كتاب «الزواجر» تأليف العلامة ابن حجر ما فيه كفايةٌ فليراجَع(٢)، والله تعالى الموفِّقُ، وإنا لنستغفرُه ونتوبُ إليه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ حيث يَغفرُ الصغائرَ باجتناب الكبائرِ، فالجملةُ تعليلٌ لاستثناء اللَّمَم، وتنبيهٌ على أنَّ إخراجَه عن حكم المؤاخذةِ ليس لخلوِّه عن الذنب في نفسه، بل لسعةِ المغفرةِ الربانية.

وجوَّزَ أنْ يكونَ المعنى: له سبحانه أنْ يغفرَ لمن يشاء من المؤمنين ما يشاءُ من الذنوب صغيرِها وكبيرِها، ولعلَّ تعقيبَ وعيدِ المسيئين ووَعْد المحسنين بذلك حينئذٍ لئلَّا ييأسَ صاحبُ الكبيرة من رحمته تعالى، ولا يتوهَّمَ وجوبَ العقاب عليه عز وجل.

وزَعْمُ بعضٍ جوازَ كونِ الموصول مبتدأً، وهذه الجملةُ خبره، والرابطُ محذوفٌ، أي: واسعُ المغفرة لهم، ليس بشيء كما لا يخفى.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أي: بأحوالكم من كلِّ أحدٍ ﴿إِذْ أَنشَأَكُم﴾ في ضمن إنشاءِ أبيكم آدمَ عليه السلام ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ إنشاءً إجماليّاً حسبما مرَّ تحقيقُه.

وقيل: إنشاؤهم من الأرض باعتبار أنَّ المنيَّ الذي يتكوَّنون منه من الأغذية التي منشؤُها من الأرض.

---

(١) لم نقف عليه عند الطبراني، وأخرجه الطبري ٦/ ٦٥١، وابن أبي حاتم ٣/ ٩٣٤.
(٢) ينظر الزواجر ص ٣ وما بعدها، وجميع ما سبق نقله المصنف عنه.

وأيّاً ما كان ف «إذ» ظرفٌ لـ «أعلم» وهو على بابه من التفضيل. وقال مكي: هو بمعنى عالم[(١)]، إذ تعلَّقُ علمِه تعالى بأحوالهم في ذلك الوقت لا مشاركَ له تعالى فيه. وتُعقِّب بأنَّه قد يتعلَّق علمُ مَن أطلَعَه الله تعالى مِن الملائكة عليه. وقيل: «إذ» منصوبٌ بمحذوفٍ، والتقدير: اذكروا إذ أنشأكم. وهو كما ترى.

﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ ووقت كونكم أجنَّةً ﴿فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ على أطوارٍ مختلفةٍ مترتِّبةٍ لا يخفى عليه سبحانه حالٌ من أحوالكم، وعملٌ من أعمالكم التي من جملتها اللَّمَم الذي لولا المغفرةُ الواسعةُ لأصابكم وبالُه، فالجملةُ استئنافٌ مقرِّرٌ لِمَا قبلَها، وذكر «في بطون أمهاتكم» مع أنَّ الجنينَ ما كان في البطن للإشارة إلى الأطوار كما أشرنا إليه، وقيل: لتأكيد شأنِ العلم؛ لِمَا أنَّ بَطْنَ الأمِّ في غاية الظلمة.

والفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبَقَ، من أنَّ عدمَ المؤاخذةِ باللَّمَم ليس لعدم كونِهِ من قبيل الذنوب، بل لمحضِ مغفرتِهِ تعالى مع علمه سبحانه بصدوره عنكم، أي: إذا كان الأمرُ كذلك فلا تُثنُوا على أنفسكم بالطهارة عن المعاصي بالكلِّية، أو بزكاء العمل وزيادةِ الخير، بل اشكرُوا الله تعالى على فضله ومغفرته جل شأنه.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ المعاصيَ جميعاً، وهو استئنافٌ مقرِّرٌ للنهي، ومشعرٌ بأنَّ فيهم مَن يتَّقيها بأسرها كذا في «الإرشاد»[(٢)]. وقيل: اتَّقى الشركَ. وقيل: اتَّقى شيئاً من المعاصي.

والآية نزلَت على ما قيل: في قومٍ من المؤمنين كانوا يعملون أعمالاً حسنةً ثم يقولون: صلاتُنا وصيامنا وحجُّنا، وهذا مذمومٌ منهيٌّ عنه إذا كان بطريق الإعجاب أو الرياء، أمَّا إذا لم يكن كذلك فلابأسَ به، ولا يُعَدُّ فاعلُه من المزكِّين أنفسَهم، ولذا قيل: المسرَّةُ بالطاعة طاعةٌ، وذِكْرُها شكرٌ.

---

(١) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٩٣.
(٢) إرشاد العقل السليم ٨/ ١٦٢.

ولا فرقَ في التزكية بين أنْ تكونَ عبارةً وأنْ تكونَ إشارةً، وعُدَّ منها التسميةُ بنحو برَّة. أخرج أحمد ومسلم وأبو داود وابن مردويه وابن سعد عن زينبَ بنتِ أبي سلمة أنَّها سُمِّيَت برَّةً، فقال رسول الله ﷺ: «لا تزكُّوا أنفسَكم الله أعلمُ بأهل البرِّ منكم، سَمُّوها زينب»[1]، وكذا غيَّر عليه الصلاة والسلام إلى ذلك اسم برَّةَ بنتِ جحش[2]، وتغييرُ مثل ذلك مستحَبٌّ، وكذا ما يُوقعُ نَفْيُه بعضَ الناس في شيء من الطِّيَرة كـ : بركة ويَسار، والنهيُ عن التسمية به للتنزيه، وقوله ﷺ كما روى جابر: «إنْ عِشْتُ إنْ شاء الله أنهى أمتي أنْ يُسَمُّوا نافعاً وأفلَحَ وبَرَكة»[3] محمولٌ كما قال النووي على إرادةِ: أنهَى نَهيَ تحريم[4].

والظاهرُ أنَّ كراهةَ ما يُشعرُ بالتزكية مخصوصةٌ بما إذا كان الإشعار قويّاً، كما إذا كان الاسمُ قبل النقل ظاهرَ الدلالة على التزكية مستعمَلاً فيها، فلا كراهةَ في التسمية بما يُشعرُ بالمدح إذا لم يكن كذلك كسعيد وحَسَن، وقد كان لعمرَ ؓ ابنةٌ يقال لها: عاصية، فسمَّاها رسول الله ﷺ جميلة[5]، كذا قيل.

والمقامُ بعدُ لا يخلو عن بحث فليراجَع.

وقيل: معنى «لا تزكوا أنفسكم»: لا يُزكي بعضُكم بعضاً، والمرادُ النهيُ عن تزكية السمعةِ أو المدح للدنيا، أو تزكيةٍ على سبيل القطع، وأما التزكيةُ لإثبات الحقوق ونحوه فهي جائزةٌ.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ الآية نزلَت في اليهود، أخرج الواحدي وابن المنذر وغيرُهما عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: كانت اليهودُ إذا هلَكَ لهم صبيٌّ

---

(١) مسند أحمد (٩٥٦٠)، وصحيح مسلم (٢١٤٢)، وسنن أبي داود (٤٩٥٣)، وطبقات ابن سعد ٨/ ٤٦١، وعزاه لابن مردويه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٨. وهو عند أحمد من حديث أبي هريرة ؓ، وعند الباقين من حديث زينب، وأخرجه من حديث أبي هريرة أيضاً البخاري (٦١٩٢).

(٢) قطعة من حديث زينب بنت أبي سلمة عند مسلم (٢١٤٢): (١٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٣٨)، وأبو داود (٤٩٦٠)، واللفظ له.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٤/ ١١٩.

(٥) أخرجه مسلم (٢١٣٩) من حديث ابن عمر ؓ.

صغيرٌ قالوا: هو صدِّيقٌ. فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «كذَبت يهودُ، ما مِن نسمةٍ يخلُقها الله تعالى في بطن أمِّها إلا يعلمُ سعادتَها أو شقاوتَها» فأنزل الله سبحانه عند ذلك ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ الآية[1].

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝٣٣﴾ أي: عن اتِّباع الحقِّ والثبات عليه ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ أي: شيئاً قليلاً، أو إعطاءً قليلاً ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ أي: قطَعَ العطاء، من قولهم: حَفَر فأكدَى: إذا بلَغَ إلى كُديةٍ، أي: صلابةٍ في الأرض فلم يُمكنه الحفر.

قال مجاهد وابن زيد: نزلَت في الوليد بن المغيرة، كان قد سمعَ قراءةَ رسول الله ﷺ، وجلَسَ إليه ووَعَظه فقرب من الإسلام، وطمِعَ فيه رسولُ الله ﷺ، ثم إنَّه عاتَبَه رجلٌ من المشركين، وقال له: أَتتْرُك ملَّة آبائك؟! ارجِعْ إلى دينك واثبُتْ عليه، وأنا أتحمَّل عنك كلَّ شيءٍ تخافُه في الآخرة، لكن على أنْ تُعطيَني كذا وكذا من المال، فوافَقَه الوليدُ على ذلك، ورجع عمَّا هَمَّ به من الإسلام وضلَّ ضلالاً بعيداً، وأعطى بعضَ المال لذلك الرجل ثمَّ أمسك عنه وشحَّ[2].

وقال الضحاك: هو النضر بن الحارث أعطى خمسَ قلائصَ لفقيرٍ من المهاجرين حتى ارتَّد عن دينه وضَمِن له أنْ يَحمِل عنه مأثَمَ رجوعِهِ.

وقال السدي: نزلَت في العاص بن وائل السَّهمي، كان يوافقُ النبيَّ ﷺ في بعض الأمور.

وقال محمد بن كعب: في أبي جهل؛ قال: والله ما يأمرُ محمدٌ إلا بمكارم الأخلاق.

والأوَّلُ هو الأشهرُ الأنسبُ لِمَا بعده من قوله سبحانه: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ﴾ إلى آخره، وأمَّا ما في «الكشاف»: من أنَّها نزلَت في عثمان بن عفان ﷺ، كان يُعطي مالَه في الخير فقال له عبد الله بنُ سعد بن أبي سَرْح: يُوشك أنْ لا يبقَى لك شيءٌ.

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص ٤٢٢، وعزاه لابن المنذر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٨. وأخرجه الطبراني في الكبير (١٣٦٨).

(٢) أخرجه الطبري ٢٢/ ٧١-٧٢، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٢٣.

فقال عثمان: إنَّ لي ذُنوباً وخطايا، وإنِّي أطلبُ بما أصنعُ رضا الله تعالى، وأرجُو عفوَه. فقال عبد الله: أعطني ناقتَكَ برحْلِها وأنا أحملُ عنك ذُنوبَك كلَّها. فأعطاه وأشهَدَ عليه وأمسَكَ عن العطاء[1] = فباطلٌ كما قال ابن عطية، ولا أصل له، وعثمانُ ﷺ منزَّهٌ عن مثل ذلك[2].

و«أفرأيتَ» هنا على ما في «البحر» بمعنى: أخبرني، ومفعولُها الأولُ الموصول، والثاني الجملةُ الاستفهامية[3].

والفاء في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ للتسبُّب عما قبلَه، أي: أعندَه علمٌ بالأمور الغيبية فهو بسبب ذلك يعلمُ أنَّ صاحبَه يتحمَّل عنه يومَ القيامة ما يخافُه، وقيل: يرى أنَّ ما سمعَه من القرآن باطلٌ.

وقال الكلبي: المعنى: أأُنْزِل عليه قرآنٌ فرأى أنَّ ما صنعَه حقٌّ.

وأيًّا ما كان فـ «يرى» من الرؤية القلبية، وجوِّز أنْ تكونَ من الرؤيةِ البصرية، أي: فهو يُبصرُ ما خفي عن غيره مما هو غيبٌ.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ أي: بل ألم يُخبَّر ﴿بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ وهي التوراة ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ وبما في صحف إبراهيم التي نزلَت عليه ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ أي: وَفَّرَ[4] وأتمَّ ما أُمِرَ به، أو بالغ في الوفاء بما عاهدَ عليه اللهَ تعالى.

وقال ابن عباس: وفَّى بسهام الإسلام كلِّها، ولم يوفِّها أحدٌ غيرُه، وهي ثلاثون سهماً، منها عشرةٌ في «براءة»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ الآيات [التوبة:١١١-١١٢]، وعشرةٌ في «الأحزاب»: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآيات [الأحزاب:٣٥]، وستٌّ في ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ الآيات التي في أولها، وأربعٌ في سأل سائل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ الآيات [٢٦ وما بعدها].

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٣.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٥.
(٣) البحر المحيط ٨/ ١٦٧.
(٤) من التوفير وهو التكثير، فتكثيره لفِعْلِه وأمرِ الغير به، أو لمبالغته في كيفيته. حاشية الشهاب ٨/ ١١٦.

وفي حديثٍ ضعيف عن أبي أمامة يرفعُه: «وَفَّى بأربعِ ركعاتٍ كان يُصلِّيهنَّ في كلِّ يومٍ»[1] وفي روايةٍ: «يصلِّيهنَّ أوَّلَ النهارَ»[2].

وأخرج أحمدُ من حديث معاذ بن أنس مرفوعاً أيضاً: «ألا أخبركم لِمَ سمَّى اللهُ تعالى إبراهيمَ خليلَه الذي وفَّى؟ إنَّه كان يقول كلَّما أصبحَ وأمسَى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ الآية [الروم: ١٧]»[3].

وقال عكرمة: «وفَّى» بتبليغ هذه العشرة (أَلَّا تَزِرُ) إلى آخره. وقيل وقيل.

والأَوْلى العمومُ، وهو مرويٌّ عن الحسن قال: ما أَمَره الله تعالى بشيءٍ إلا وفَّى به. وتخصيصُه عليه السلام بهذا الوصْفِ لاحتماله ما لا يحتملُه غيرُه، وفي قصة الذبح ما فيه كفاية.

وخُصَّ هذان النبيَّان عليهما السلام بالذكر قيل: لأنَّه فيما بين نوحٍ وإبراهيمَ كانوا يأخذون الرجلَ بابنه وبأبيه وعمِّه وخاله، والزوجَ بامرأته، والعبدَ بسيدِه، فأَوَّلُ من خالَفَهم إبراهيمُ، وقرَّر ذلك موسى، ولم يأتِ قبلَه مقرِّرٌ مثله عليه السلام، وتقديمُه لِمَا أنَّ صُحفَه أشهرُ عندهم وأكثر.

وقرأ أبو أمامة الباهلي وسعيد بن جبير وأبو مالك الغفاري وابن السميفع وزيد بن علي: «وَفَى» بتخفيف الفاء[4].

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ أي: أنَّه لا تحملُ نفسٌ مِن شأنها الحملُ حمْلَ نفسٍ أُخرى، على أنَّ «أن» هي المخفَّفة من الثقيلة، وضميرُ الشأن الذي هو اسمُها محذوفٌ، والجملةُ المنفيةُ خبرُها، ومحلُّ الجملة الجرُّ على أنَّها بدلٌ من «ما في

---

(١) أخرجه الدوري في جزء قراءات النبي (١٠٩)، والطبري ٢٢/ ٧٨ من طريق جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة به، وذكره ابن كثير عند تفسير هذه الآية، وقال: رواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير، وهو ضعيف.

(٢) أخرجها البغوي ٤/ ٢٥٤ بالإسناد المذكور.

(٣) مسند أحمد (١٥٦٢٤).

(٤) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢/ ٢٩٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٦، والبحر المحيط ٨/ ١٦٧.

صُحف موسى»، أو الرفعُ على أنَّه خبرُ مبتدأ محذوفٍ، والاستئنافُ بيانيٌّ، كأنَّه قيل: ما في صحفهما؟ فقيل: هو أن لا تزر.. إلخ، والمعنى أنَّه لا يؤاخَذُ أحدٌ بذنب غيرِه ليتخلَّصَ الثاني عن عقابه، ولا يقدحُ في ذلك قوله ﷺ: «مَن سَنَّ سنةً سيِّئةً فعليه وِزْرُها ووِزْرُ مَن عَمِلَ بها إلى يوم القيامة»(١) فإنَّ ذلك وزْرُ الإضلال الذي هو وِزْرُه لا وِزْرُ غيره.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ بيانٌ لعدم إثابة الإنسان بعمل غيرِه إِثْر بيان عدمِ مؤاخذتِه بذنب غيره، و«أنْ» كأختها السابقة، و«ما» مصدرية، وجوِّز كونُها موصولةً، أي: ليس له إلا سعيُه، أو إلا الذي سَعَى به وفَعَلَه.

واستشكل بأنَّه وردَت أخبارٌ صحيحة بنفع الصدقةِ عن الميِّت، منها ما أخرجه مسلم والبخاري وأبو داود والنسائي عن عائشة أنَّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إنَّ أُمِّي افتُلِتَت نفسُها، وأظنُّها لو تكلَّمَت تصدَّقَت، فهل لها أجرٌ إنْ تصدَّقْتُ عنها؟ قال: «نعم»(٢).

وكذا بنفع الحجِّ، أخرج البخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس قال: أتى رجلٌ النبيَّ ﷺ فقال: إنَّ أُختي نذَرَت لأن تحجَّ، وإنَّها ماتَت؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «لو كان عليها دينٌ أكنتَ قاضيَهُ»؟ قال: نعم. قال: «فحقُّ الله أحق بالقضاء»(٣).

وأُجيبَ بأنَّ الغير لمَّا نَوَى ذلك الفعلَ له صارَ بمنزلة الوكيل عنه، القائم مقامَه شرعاً، فكأنَّه بسعيه، وهذا لا يتأتَّى إلا بطريق عمومِ المجاز، أو الجمعِ بين الحقيقة والمجاز عند مَن يُجوِّزُه.

وأُجيبَ أيضاً بأنَّ سَعْيَ غيره لمَّا لم ينفعْهُ إلا مبنيّاً على سَعْي نفسِه مِن الإيمان، فكأنَّه سعيُه، ودلَّ على بنائه على ذلك ما أخرجه أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه

---

(١) سلف ٢٢/ ٢٨٢.

(٢) صحيح البخاري (١٣٨٨)، وصحيح مسلم (١٠٠٤)، وسنن أبي داود (٢٨٨١)، وسنن النسائي ٦/ ٢٥٠.

(٣) الخبر بنحوه في صحيح البخاري (٦٦٩٩)، وسنن النسائي ٥/ ١١٦، ولم نقف عليه عند مسلم.

عن جده أنَّ العاص بنَ وائل نذَرَ في الجاهلية أنْ ينحرَ مئةَ بدنةٍ، وأنَّ هشاماً ابنَه نحرَ حصَّتَه خمسين، وأنَّ عمراً سألَ النبيَّ ﷺ عن ذلك فقال: «أما أبوك فلو كان أقرَّ بالتوحيد فصُمْتَ وتصدَّقْتَ عنه نفعَه ذلك»(١).

وأُجيبَ بهذا عما قيل: إنَّ تَضْعيفَ الثوابِ الواردِ في الآيات يُنافي أيضاً القصْرَ على سعيه وحده. وأنت تعلمُ ما في الجواب من النظر.

وقال بعضُ أجلَّة المحقِّقين: إنَّه ورد في الكتاب والسنة ما هو قطعيٌّ في حصول الانتفاع بعمل الغير، وهو يُنافي ظاهرَ الآية، فتُقيَّد بما لا يَهبُهُ العامل، وسألَ والي خراسان عبدُ الله بنُ طاهر الحسينَ بنَ الفضل عن هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] فقال: ليس له بالعدل إلا ما سعَى، وله بالفضل ما شاء الله تعالى. فقبَّلَ عبدُ الله رأسَ الحسين(٢).

وقال عكرمةُ: كان هذا الحكمُ في قوم إبراهيمَ وموسى عليهما السلام، وأما هذه الأمةُ فللإنسان منها سعيُ غيرِه، يدلُّ عليه حديثُ سعد بن عبادة: هل لأمِّي إذا تطوَّعْتُ عنها؟ قال ﷺ: «نعم»(٣).

وقال الربيعُ: الإنسانُ هنا الكافرُ، وأما المؤمنُ فلَه ما سعَى وما سعَى له غيرُه.

وعن ابن عباس أنَّ الآيةَ منسوخةٌ بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] وقد أخرج عنه ما يُشعرُ به أبو داود والنحاس كلاهما في «الناسخ»، وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه(٤).

---

(١) مسند أحمد (٦٧٠٤)، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣/ ٣٨٦-٣٨٧، وأبو داود (٢٨٨٣).

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٦، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٣٥-١٣٦، والبحر المحيط ٨/ ١٦٨.

(٣) أخرجه بنحوه البخاري (٢٧٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، أينفعها شيء إن تصدقت به عنها، قال: «نعم»، الحديث، ولفظ المصنف منقول من البحر المحيط ٨/ ١٦٨.

(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/ ٣٥-٣٦، وتفسير الطبري ٢٢/ ٨٠، وعزاه لأبي داود وابن المنذر وابن مردويه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣٠.

وتعقَّبَ أبو حيان روايةَ النسخ بأنَّها لا تصحُّ؛ لأنَّ الآيةَ خبرٌ لم تتضمَّن تكليفاً[(١)]، ولا نسْخَ في الأخبار. وما يُتوهَّمُ جواباً من أنَّه تعالى أخبرَ في شريعة موسى وإبراهيم عليهما السلام أنْ لا يُجعلَ الثوابُ لغير العامل، ثم جَعَلَه لمن بعدهم من أهل شريعتنا، مرجعُه إلى تقييد الأخبارِ لا إلى النسخ، إذ حقيقتُه أنْ يُراد المعنى، ثم مِن بعد ذلك ترتفعُ إرادتُه، وهذا تخصيصُ الإرادة بالنسبة إلى أهل الشرائع فافهمه.

وقيل: اللام بمعنى «على» أي: ليس على الإنسان غيرُ سعيه. وهو بعيدٌ من ظاهرها ومِن سياق الآية أيضاً، فإنَّها وعظٌ للذي تولَّى وأعطَى قليلاً وأكدَى.

والذي أميلُ إليه كلام الحسين، ونحوه كلامُ ابن عطية قال: والتحريرُ عندي في هذه الآية أنَّ ملاكَ المعنى هو اللام من قوله سبحانه: ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾ فإذا حقَّقْت الشيءَ الذي حَقُّ الإنسان أنْ يقولَ فيه: لي كذا، لم تجدْهُ إلا سعيَه، وما يكونُ من رحمةٍ بشفاعة، أو رعايةِ أبٍ صالحٍ، أو ابنٍ صالحٍ، أو تضعيفِ حسناتٍ، أو نحو ذلك، فليس هو للإنسان، ولا يَسَعُه أنْ يقولَ: لي كذا وكذا، إلا على تجوُّز وإلحاق بما هو حقيقةٌ[(٢)]. انتهى.

ويُعلم من مجموع ما تقدَّم أنَّ استدلال المعتزلةِ بالآية على أنَّ العبدَ إذا جعلَ ثوابَ عمله ـ أيَّ عملٍ كان ـ لغيره لا يَنْجَعلُ ويلغُو جعلُه = غيرُ تامٍّ؛ وكذا استدلالُ الإمام الشافعيِّ بها على أنَّ ثوابَ القراءة لا تلحقُ الأمواتَ، وهو مذهبُ الإمام مالك، بل قال الإمام ابنُ الهمام: إنَّ مالكاً والشافعيَّ لا يقولان بوصول العباداتِ البدنية المحضة كالصلاة والتلاوة، بل غيرها كالصدقة والحجِّ[(٣)].

وفي «الأذكار» للنووي عليه الرحمة المشهورُ من مذهب الشافعي رضي الله عنه وجماعةٍ أنَّها لا تصلُ، وذهب أحمد بنُ حنبل وجماعةٌ من العلماء ومِن أصحاب الشافعيِّ

---

(١) البحر المحيط ٨/ ١٦٨.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٦-٢٠٧.

(٣) فتح القدير لابن الهمام ٢/ ٣٠٨.

إلى أنَّها تصل، فالاختيارُ أنْ يقولَ القارئ بعد فراغه: اللهمَّ أَوْصِلْ ثوابَ ما قرأته إلى فلان[١].

والظاهرُ أنَّه إذا قال ذلك ونحوَه، ك: وهبتُ ثوابَ ما قرأتُه لفلان، بقلبه كفَى، وعن بعضهم اشتراطُ نيةِ النيابةِ أوّل القراءة، وفي القلب منه شيءٌ.

ثم الظاهرُ أنَّ ذلك إذا لم تكن القراءةُ بأجرةٍ، أما إذا كانت بها كما يفعلُه أكثرُ الناس اليومَ، فإنَّهم يُعطُون حَفَظَةَ القرآن أُجرةً ليقرؤوا لموتاهم، فيقرؤون لتلك الأجرة، فلا يصلُ ثوابُها، إذ لا ثوابَ لها ليصلَ، لحرمةِ أخْذِ الأُجرة على قراءة القرآن، وإنْ لم يَحرُم على تعليمه، كما حقَّقه خاتمةُ الفقهاء المحقِّقين الشيخُ محمد الأمين ابن عابدين الدمشقي رحمه الله تعالى[٢].

وفي «الهداية» من كتاب الحج عن الغير إطلاقُ صحةِ جَعْلِ الإنسان عملَه لغيره ـ ولو صلاةً وصوماً ـ عند أهل السنة والجماعة[٣]. وفيه ما علمت مما مرّ[٤] آنفاً.

وقال الخفاجي: هو محتاجٌ إلى التحرير، وتحريرُه أنَّ محلَّ الخلاف العبادةُ البدنية، هل تَقبل النيابةَ فتسقُطَ عمَّن لزمتْهُ بفعل غيره، سواء كان بإذنه أم لا، بعدَ حياته أم لا، فهذا وَقَع في الحجِّ كما ورد في الأحاديث الصحيحة، أما الصومُ فلا، وما ورَدَ في حديث: «مَن ماتَ وعليه صيامٌ صامَ عنه وليُّهُ»[٥] وكذا غيرُه من العبادات، فقال الطحاوي: إنَّه كان في صدر الإسلام ثم نُسِخَ، وليس الكلامُ في الفدية وإطعامِ الطعام، فإنَّه بدلٌ، وكذا إهداءُ الثواب سواءٌ كان بعينه أو مثله، فإنَّه دعاءٌ، وقبوله بفضله عز وجل كالصدقة عن الغير فاعرفه[٦]. انتهى فلا تغفل.

---

(١) الأذكار ص ١٤٠.
(٢) حاشية ابن عابدين ٦/ ٥٥.
(٣) الهداية مع فتح القدير ٢/ ٣٠٨.
(٤) في (م): ما مرَّ.
(٥) أخرجه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٦) حاشية الشهاب ٨/ ١١٧، وينظر شرح مشكل الآثار للطحاوي ٦/ ١٨٠.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝﴾ أي: يُعرض عليه ويُكشف له يومَ القيامة في صحيفته وميزانه، مِن أَريتُه الشيءَ، وفي «البحر»: يراه حاضِرُو القيامة ويطّلعون عليه تشريفاً للمحسن وتوبيخاً للمسيء[1].

﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ﴾ أي: يُجزى الإنسانُ سعيَه، يقال: جزاه الله عز وجل بعمله، وجزاهُ على عمله، وجزاهُ عملَه، بحذف الجارِّ وإيصال الفعل؛ وقوله تعالى: ﴿الْجَزَآءَ الْأَوْفَىٰ﴾ مصدرٌ مبيِّنٌ للنوع، وإذا جاز وصفُ المجزيِّ به بـ «الأوْفى» جازَ وصفُ الحدث عن[2] الجزاء لملابسته له، وجوِّز كونُه مفعولاً به بمعنى المجزي به، وحينئذٍ يكونُ الفعلُ في حكم المتعدِّي إلى ثلاثة مفاعيل، ولابأسَ لأنَّ الثاني بالحذف والإيصال لا التوسُّعِ فيجيءَ فيه الخلافُ، وبعضُهم يجعلُ «الجزاءَ» منصوباً بنزع الخافضِ، وجوِّز أنْ يكونَ الضمير المنصوب في «يجزاه» للجزاء لا للسعي، و«الجزاءَ الأَوْفى» عليه عطفُ بيانٍ أو بدلٌ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء: ٣].

وتعقبه أبو حيان بأنَّ فيه إبدالَ الظاهر من الضمير، وهي مسألةٌ خلافيةٌ، والصحيحُ المنعُ[3].

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝﴾ أي: إنَّ انتهاءَ الخلقِ ورجوعَهم إليه تعالى لا إلى غيره سبحانه استقلالاً ولا اشتراكاً، والمرادُ بذلك رجوعُهم إليه سبحانه يوم القيامة حين يُحشَرون، ولهذا[4] قال غيرُ واحدٍ: أي: إلى حساب ربِّك، أو إلى ثوابه تعالى من الجنة وعقابِه من النار الانتهاءُ.

وقيل: المعنى: أنَّه عز وجل مُنتهَى الأفكار، فلا تزالُ الأفكارُ تسيرُ في بيداء حقائقِ الأشياء وماهِياتها والإحاطة بما فيها، حتى إذا وُجِّهَت إلى حَرَم ذات الله عز وجل وحقائقِ صفاته سبحانه وقَفَت وحَرَنَت وانتهى سيرُها.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ١٦٨.
(٢) في الأصل: أعني، والمثبت من (م).
(٣) البحر المحيط ٨/ ١٦٨.
(٤) في الأصل: ولذا.

وأُيِّد بما أخرجه البغويُّ عن أُبيٍّ بن كعب عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال في الآية: «لا فكرةَ في الربِّ»[(١)]، وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» عن سفيان الثوري[(٢)].

ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام: «إذا ذُكِر الربُّ فانتهوا»[(٣)].

وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال: مرَّ النبيُّ ﷺ على قومٍ يتفكرون في الله فقال: «تفكَّرُوا في الخلق ولا تفكَّروا في الخالق، فإنَّكم لن تقدروه»[(٤)].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٥. وفي معناه ما أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤) من حديث أبي هريرة ﷺ بلفظ: «يأتي الشيطانُ أحدكم فيقول: مَن خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربَّك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينتَهِ».

(٢) العظمة (٦).

(٣) أخرجه بنحوه إسحاق بن راهويه في مسنده (٣٩٥)، والطبراني في مسند الشاميين (٢٣٥٠) من طريق عطاء الخراساني عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواية عطاء عن أبي هريرة مرسلة كما في تهذيب التهذيب ٣/ ١٠٨.
وأخرجه ابن عدي في الكامل ٣/ ١١٩٣ من حديث أنس ﷺ، وفي إسناده سنان بن سعد، ويقال سعد بن سنان، قال يحيى بن معين: ثقة. وقال محمد بن سعد والنسائي: منكر الحديث. وقال أحمد بن حنبل: روى خمسة عشر حديثاً منكرة كلها، ما أعرف منها واحداً. تهذيب التهذيب ١/ ٦٩٣.

(٤) لم نقف عليه في سنن ابن ماجه، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥) من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة عن رجل حدثه عن ابن عباس مرفوعاً. وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن ابن عباس.
وأخرجه موقوفاً على ابن عباس أبو الشيخ في العظمة (٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦١٨)، وسنده جيد كما قال الحافظ في الفتح ١٣/ ٣٨٣.
وأخرجه بنحوه الطبراني في الأوسط (٦٣١٩)، وأبو الشيخ في العظمة (١)، والبيهقي في الشعب (١٢٠) من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً، وفي إسناده الوازع بن نافع العقيلي، قال عنه البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك الحديث، وقال أحمد وابن معين: ليس بثقة. الميزان ٤/ ٣٢٧.
وأخرجه بنحوه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٦٦-٦٧ من حديث عبد الله بن سلام، وفي إسناده عبد الجليل بن عطية، وهو صدوق قال البخاري عنه: ربما يهم. ينظر ميزان الاعتدال ٢/ ٥٣٥. وفيه أيضاً شهر بن حوشب قال الحافظ في التقريب: صدوق كثير الإرسال والأوهام.
وقال صاحب كشف الخفاء ١/ ٣٧٢ بعد أن ذكر للحديث طرقاً وروايات كثيرة:
=

وأخرج أبو الشيخ عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «تفكَّروا في خَلْق الله ولا تَفَكَّروا في الله فتهلَكُوا»[1].

واستَدلَّ بذلك مَن قال باستحالةِ معرفتِهِ عز وجل بالكُنْه، والبحثُ في ذلك طويلٌ، وأكثرُ الأدلة النقلية على عدم الوقوع.

وقرأ أبو السمال: «وإنَّ» بالكسر هنا وفيما بعد، على أنَّ الجملَ منقطعةٌ عما قبلها، فلا تكون مما في الصحف[2].

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ خلَق فِعْلَي الضَّحك والبُكاء، وقال الزمخشريُّ: خَلَق قوَّتَي الضَّحك والبكاء[3]. وفيه دسيسةُ اعتزالٍ.

وقال الطيبي: المرادُ: خَلَق السرورَ والحُزْن، أو ما يَسرُّ ويُحزن من الأعمال الصالحة والطالحة، ولذا قُرِنَ بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ وعليه فهو مجازٌ، ولا يخفَى أنَّ الحقيقةَ أيضاً تُناسبُ الإماتَةَ والإحياءَ، لاسيما والموتُ يعقبُهُ البكاءُ غالباً، والإحياء عند الوِلادِ الضحك، وما أحسنَ قوله:

وَلَدتْكَ أمُّك يا ابنَ آدمَ باكياً والناسُ حولَك يضحكون سروراً
فاجْهَدْ لنفسكَ أنْ تكونَ إذا بكَوا في يوم مَوتِكَ ضاحكاً مسروراً[4]

وقال مجاهد والكلبي: أضحَكَ أهلَ الجنة، وأبكَى أهلَ النار.

وقيل: أضحَكَ الأرضَ بالنبات، وأبكى السماء بالمطر.

---

= وأسانيدها ضعيفة، لكن اجتماعها يكسبه قوةً ومعناه صحيح، وفي صحيح مسلم [برقم: (١٣٤): (٢١٢)] عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لايزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا، خلقَ اللهُ الخلقَ، فمَن خلقَ الله؟ فمن وجد مِن ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله». اهـ.

(١) العظمة (٤)، وفيه سيف بن محمد الكوفي ابن أخت سفيان، قال الحافظ في التقريب: كذبوه.

(٢) البحر المحيط ٨/ ١٦٨.

(٣) الكشاف ٤/ ٣٤.

(٤) الكشكول للعاملي ٢/ ١٣٢ دون نسبة، وهما في تفسير القرطبي ٢/ ٣١٧ بنحوهما.

وتقديمُ الضمير وتكريرُ الإسناد للحصر، أي: إنَّه تعالى فَعَل ذلك لا غيرُه سبحانه، وكذا في «أنَّه هو أماتَ وأحيا» فلا يقدِرُ على الإماتة والإحياء غيرُه عز وجل، والقاتلُ إنَّما ينقُضُ البنيةَ الإنسانيةَ ويفرِّقُ أجزاءها، والموتُ الحاصلُ بذلك فعلُ الله تعالى على سبيل العادة في مثله، فلا إشكالَ في الحصر.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ من نوع الإنسانِ وغيرِه من أنواع الحيوانات، ولم يذكر الضمير على طَرْز ما تقدَّم؛ لأنَّه لا يتوهَّم نسبةُ خَلْق الزوجَين إلى غيره عز وجل.

﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ أي: تُدفَق في الرحم يقال: أَمنَى الرجلُ ومَنَى بمعنًى، وقال الأخفشُ: أي: تُقدَّر، يقال: مَنَى لك الماني، أي: قدَّر لك المقدِّر[1]. ومنه المَنَا الذي يُوزَن به فيما قيل، والمَنِيَّة وهي الأجل المقدَّر للحيوان.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ أي: الإحياءَ بعد الإماتةِ وفاءً بوعده جل شأنه، وفي «البحر»: لمَّا كانت هذه النشأةُ يُنكرها الكفَّارُ بُولِغَ بقوله تعالى: (عَلَيْهِ) كأنَّه تعالى أوجَب ذلك على نفسه[2].

وفي «الكشاف»: قال سبحانه: (عَلَيْهِ) لأنَّها واجبةٌ في الحكمة ليجازي على الإحسان والإساءة[3]. وفيه مع كونه على طريق الاعتزال نظرٌ.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «النشاءة» بالمدِّ[4]، وهي أيضاً مصدر نَشَأَه الثلاثي.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ وأعطى القِنْيَة، وهو ما يبقَى ويدومُ من الأموال ببقاء نفسِه أو أصله، كالرياض والحيوان والبناء، وإفرادُ ذلك بالذكر مع دخوله في قوله تعالى: (أَغْنَىٰ) لأنَّ القنية أنْفَسُ الأموال وأشرفُها، وفي «البحر»: يقال: قنيتُ المال، أي: كسبتُه. ويُعدَّى أيضاً بالهمزة والتضعيف فيقال: أَقْنَاهُ الله تعالى مالاً، وقَنَّاه الله تعالى مالاً، وقال الشاعر:

---

(١) البحر المحيط ٨/ ١٦٨.
(٢) البحر المحيط ٨/ ١٦٨.
(٣) الكشاف ٤/ ٣٤.
(٤) التيسير ص ١٧٣، والنشر ١/ ٤٦٠.

كم مِن غنيٍّ أصابَ الدهرُ ثروتَه ومِن فقيرٍ يُقَنَّى بعدَ إقلالِ

أي: يُقْنَى المالَ[١].

وعن ابن عباس: «أغْنَى»: مَوَّلَ، و«أقْنَى»: أَرْضَى. وهو بهذا المعنى مجازٌ من القنية، قال الراغب: وتحقيقُ ذلك أنَّه جَعَل له قِنْيةً مِن الرضا والطاعة، وذلك أعظمُ القنائن[٢]. ولله تعالى درُّ مَن قال:

هل هي إلا مدةٌ وتَنقضي ما يغلبُ الأيامَ إلا مَن رَضِي[٣]

وعن ابن زيد والأخفش: «أقنى» أفقر. ووُجِّهَ بأنَّهما جَعَلا الهمزةَ فيه للسلب والإزالة، كما في «أشكى». وقيل: إنَّهما جعلا «أَقْنَى» بمعنى: جعل له الرضا والصبرَ قِنْيةً، كنايةً عن ذلك، ليظهرَ فيه الطباقُ كما في «أمات وأحيا» و«أضحك وأبكى».

وفسَّره بـ «أفقر» أيضاً الحضرميُّ، إلا أنَّه ـ كما أخرج عنه ابنُ جرير وأبو الشيخ ـ قال: أغنَى نفسَه سبحانه، وأفقَرَ الخلائقَ إليه عز وجل[٤]. والظاهرُ على تقدير اعتبارِ المفعول في جميع الأفعال المتقدِّمةِ أنْ يكونَ من المحدَثات الصالحة لتعلُّقِ الفعل، وعندي أنَّ أغنَى سبحانه نفسَه، كـ : أَوْجَد جل شأنه نفسَه، لا يخلو عن سماجةٍ وإيهامِ محذورٍ، وإنما لم يُذكَرُ مفعولٌ لأنَّ القَصْدَ إلى الفعل نفسِه.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ هي «الشِّعرَى» العَبُور بفتح العين المهملة والباء الموحدة والراء المهملة بعد الواو، وتقال: «الشِّعرَى» أيضاً على الغُمَيْصاء بغينٍ معجمة مضمومة، وميمٍ مفتوحة، بعدها ياءٌ مثناةٌ تحتية، وصادٌ مهملة ومدٌّ.

والأُولَى في الجوزاء، وإنما قيل لها: العَبُور؛ لأنَّها عَبَرَت المجرَّة فلقِيَتْ

---

(١) البحر ٨/ ١٦٨، والبيت في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧، واللباب ١٨/ ٢١٥.

(٢) مفردات الراغب (قني).

(٣) نفحة الريحانة ١/ ٥٥١.

(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ٨٤، والعظمة (١٧٦).

سُهيلاً؛ ولأنَّها تراه إذا طَلَع كأنَّها ستعبُرُ، وتُسمَّى أيضاً كَلْب الجبار؛ لأنَّها تَتْبع الجوزاء المسماة بالجبار كما يَتْبعُ الكلبُ الصائدَ أو الصيدَ.

والثانية في ذراع الأسد المبسوطة، وإنَّما قيل لها الغُمَيْصاء؛ لأنَّها بكَتْ مِن فراق سُهيل، فغُمِصَت عينُها، والغَمْصُ ما سال من الرَّمَص، وهو وسخٌ أبيضُ يجتمع في المُوق، وذلك مِن زَعْم العرب أنَّهما أختا سهيل.

وفي «القاموس»: من أحاديثهم: أنَّ الشِّعرَى العَبُور قطَعَت المجرَّة فسُمِّيت عَبُوراً، وبكَت الأخرى على إثْرِها حتى غَمصَت، ويقال لها: الغَمُوصُ أيضاً[1].

وقيل: زعموا أنَّ سهيلاً والشِّعرى كانا زوجَين، فانحدَرَ سهيل وصارَ يمانيّاً، فاتَّبعه الشِّعرَى فعَبَرت المجرةَ، فسمِّيت العَبُور، وأقامَت الغُمَيْصاء وسمِّيت بذلك لأنَّها دون الأولى ضياءً، وكلُّ ذلك من تخيُّلاتهم الكاذبة التي لا حقيقةَ لها.

والمتبادر عند الإطلاق وعدم الوصف العَبُور؛ لأنَّها أكبرُ جرماً وأكثرُ ضياء، وهي التي عُبدَت من دون الله سبحانه في الجاهلية.

قال السدي: عبدتها حِميرُ وخُزاعة. وقال غيره: أوَّلُ مَن عبدَها أبو كبشة رجلٌ من خزاعة، أو هو سيدُهم واسمُه: وَخْزُ[2] بن غالب، وكان المشركون يقولون للنبيِّ ﷺ: ابنُ أبي كبشة، شبَّهوه به لمخالفته قومَه في عبادة الأصنام. وذكر بعضُهم أنَّه أحدُ أجداده عليه الصلاة والسلام مِن قبل أُمِّه، وأنَّهم كانوا يزعمون أنَّ كلَّ صفةٍ في المرء تسري إليه من أحد أصوله، فيقولون: نزَعَ إليه عرقُ كذا، وعرقُ الخال نزَّاع.

وقيل: هو كنيةُ وَهْب بنِ عبد مناف جدِّه ﷺ مِن قِبَلِ أمِّه، وقولهم له عليه الصلاة والسلام ذلك على ما يقتضيه ظاهرُ «القاموس»[3] لأنَّه ﷺ في الشَّبه الخَلْقي دون المخالفة.

(١) القاموس المحيط (غمص).
(٢) كذا في الأصل و(م)، وفي المؤتلف والمختلف للدارقطني ٤/ ٢٢٩١: وَجْز.
(٣) مادة (كبش).

وقيل: كنيةُ زوجِ حليمةَ السعدية مرضعتِهِ عليه الصلاة والسلام. وقيل: كنيةُ عمٍّ ولدها[١].

ولكونها عُبِدَت من دونه عز وجل خُصَّت بالذكر، ليكون ذلك تجهيلاً لهم بجعل المربوب ربّاً، ولمزيد الاعتناء بذلك جيء بالجملة على ما نطَقَ به النظمُ الجليل.

ومن العرب مَن كان يُعظِّمها ويعتقدُ تأثيرَها في العالم، ويزعمون أنَّها تقطعُ السماء عرضاً، وسائرُ النجوم تقطعها طولاً، ويتكلَّمون على المغيبات عند طلوعها، ففي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ إشارةٌ إلى نَفْي تأثيرها.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ أي: القدماء لأنَّهم أُوْلَى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح كما قاله ابن زيد والجمهور.

وقال الطبري: وُصِفَت بالأولى لأنَّ في القبائل عاداً أخرى، وهي قبيلةٌ كانت بمكة مع العماليق، وهم بنو لُقَيْم بن هزَّال[٢].

وقال المبرد: عادٌ الأخرى هي ثمود[٣].

وقيل: الجبَّارون.

وقيل: عادٌ الأُولَى وَلَدُ عادِ بن إرَم بنِ عوف بن سام بن نوح، وعادٌ الأخرى من ولد عادٍ الأولى.

وفي «الكشاف»: الأولى قومُ هودٍ، والأخرى إرَمُ. والله تعالى أعلم، وجوَّز أنْ يُرادَ بالأولى المتقدِّمون الأشراف[٤].

وقرأ قومٌ: «عاداً الولى» بحذف الهمزة ونقل ضمها إلى اللام قبلها[٥].

---

(١) ينظر الخلاف في ذلك في الروض الأُنف ٢/ ٢٢٨، وفتح الباري ١/ ٤٠، والقاموس (كبش).
(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٨٧-٨٨.
(٣) البحر المحيط ٨/ ١٦٩.
(٤) الكشاف ٤/ ٣٤.
(٥) البحر المحيط ٨/ ١٦٩.

وقرأ نافع وأبو عمرو: «عاداً لُّولَى» بإدغام التنوين في اللام المنقول إليها حركةُ الهمزة المحذوفة[1]، وعاب هذه القراءةَ المازنيُّ والمبرد، وقالت العرب في الابتداء بعد النقل: الحَمْرَ، ولَحْمَر، فهذه القراءة جاءت على لَحْمَر، فلا عيبَ فيها[2].

وأتى قالون بعد ضمَّةِ اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو[3] كما في قوله:

أَحَـبُّ الـمـؤقـدَيـن إلـيَّ مـؤسـى[4]

وكما قرأ بعضهم: «على سؤقه»[5] وفيه شذوذ. وفي حرف أبيٍّ: «عاد» غير مصروف[6] للعَلَمية والتأنيث، ومَن صَرَفه فباعتبار الحيِّ، أو عامَلَه معاملةَ هند لكونه ثلاثيًّا ساكن الوسط.

﴿وَثَمُودَا﴾ عطف على «عاداً» ولا يجوز أنْ يكونَ مفعولاً لـ «أبقى» في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ لأنَّ «ما» النافية لها صدرُ الكلام، والفاءُ ـ على ما قيل ـ مانعةٌ أيضاً، فلا يتقدَّمُ معمولُ ما بعدَها. وقيل: هو معمول لـ «أهلك» مقدَّر. ولا حاجةَ إليه.

---

(١) التيسير ص ٢٠٤، والنشر ١/ ٤١٠، وهي قراءة أبي جعفر ويعقوب.
(٢) ذكر السمين في الدر المصون ١٠/ ١١٠ في هذه المسألة كلاماً مفيداً، ولا بأس بذكره للتوضيح، قال: وأما قراءة مَن أدغم التنوين في لام التعريف ـ وهما نافع وأبو عمرو ـ فوَجْهُه الاعتدادُ بحركة النقل، وذلك أن من العرب مَن إذا نَقَل حركة الهمزة إلى ساكنٍ قبلها ـ كـ : لام التعريف ـ عامَلَها معاملتَها ساكنةً، ولا يَعْتدُّ بحركة النقل، فيكسِرُ الساكن الواقع قبلها، ولا يُدغم فيها التنوين، ويأتي قبلها بهمزة الوصل، فيقول: لم يذهبِ لَحْمَر، و: رأيت زياداً لَعْجم، من غير إدغام التنوين، والَحْمَر والَعْجَم بهمزة الوصل؛ لأن اللام في حُكْم السكون، وهذه هي اللغة المشهورة. ومنهم مَن يَعتدُّ بها، فلا يكسِرُ الساكن الأول، ولا يأتي بهمزة الوصل، ويدغم التنوين في لام التعريف، فيقول: لم يذهبْ لَحْمر، بسكون الباء، ولَحْمَر ولَعْجَم من غير همز، وزياد لَّعجم بتشديد اللام، وعلى هذه اللغة جاءت هذه القراءة.
(٣) التيسير ص ٢٠٤، والنشر ١/ ٤١٠.
(٤) البيت لجرير كما في المحتسب ١/ ٤٧، والخصائص ٢/ ١٧٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٨، وشرح أبيات المغني للبغدادي ٨/ ٧٨، ودون نسبة في الحجة للفارسي ١/ ٢٣٩، والبحر ٨/ ١٦٩، وفي المصادر عدا الحجة والبحر: لحب، بدل: أحب.
(٥) وهو قنبل عن ابن كثير كما في التيسير ص ١٦٨، والنشر ٢/ ٣٣٨، وسلفت القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٩].
(٦) البحر المحيط ٨/ ١٦٩.

وقرأ عاصم وحمزة: «ثمود» بلا تنوين، ويقفان بغير ألف[1]. والباقون بالتنوين ويقفون بالألف.

والظاهر أنَّ متعلق «أبقى» يرجعُ إلى «عاد» و«ثمود» معاً، أي: فما أبقَى عليهم، أي: أخذَهم بذنوبهم، وقيل: أي: ما أبقى منهم أحداً، والمراد: ما أبقى من كفارهم.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ عطف على «عاداً» أيضاً ﴿مِّن قَبْلُ﴾ أي: من قبل إهلاك عادٍ وثمودَ، وصرَّح بالقَبْلية لأنَّ نوحاً عليه السلام آدمُ الثاني، وقومه أولُ الطاغين والهالكين.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ أي: من الفريقَين حيث كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكاد يتحرك، وكان الرجلُ منهم يأخذُ بيد ابنه يتمشَّى به إليه يُحذِّره منه ويقول: يا بنيَّ إنَّ أبي مشى بي إلى هذا وأنا مثلك يومئذ، فإياك أنْ تُصدِّقه. فيموت الكبيرُ على الكفر وينشأ الصغير على وصية أبيه، ولم يتأثَّروا من دعائه وقد دعاهم ألفَ سنة إلا خمسين عاماً.

وقيل: ضمير «إنهم» يعودُ على جميع مَن تقدَّم: «عاد» و«ثمود» و«قوم نوح» أي: كانوا أظلمَ من قريش وأطغى منهم، وفيه من التسلية للنبيِّ عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى.

و«هم» يجوز أنْ يكونَ تأكيداً للضمير المنصوب، ويجوز أنْ يكونَ فصلاً؛ لأنَّه واقعٌ بين معرفة وأفعَلَ التفضيل، وحذفُ المفضول مع الواقع خبراً لـ «كان» لأنَّه جارٍ مجرى خبرِ المبتدأ، وحذفُه فصيحٌ فيه، فكذلك في خبر «كان».

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ هي قُرى قومِ لوطٍ، سمِّيت بذلك لأنَّها ائتفكَت بأهلها، أي: انقلَبَت بهم، ومنه الإفكُ لأنَّه قلبُ الحقِّ، وجوَّز أنْ يُراد بـ «المؤتفكة» كلُّ ما انقلَبَت مساكنُه ودَثَرَت أماكنُه.

وقرأ الحسن: «والمؤتفكات» جمعاً[2].

---

(١) التيسير ص ٢٠٥، والنشر ٢/ ٢٨٩، وهي قراءة يعقوب.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩، والبحر المحيط ٨/ ١٧٠.

﴿أَهْوَىٰ﴾ أي: أسقطَها إلى الأرض بعد أنْ رفَعَها على جناح جبريل عليه السلام إلى السماء، وقال المبرِّد: جعلها تهوي[١].

والظاهر أنَّ «أهوى» ناصبٌ للمؤتفكة، وأُخِّر العاملُ لكونه فاصلةً، وجوِّز أنْ يكونَ «المؤتفكة» معطوفاً على ما قبله، و«أهوى» مع فاعله جملةً في موضع الحال بتقدير «قد» أو بدونه توضِّح كيفيةَ إهلاكهم.

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾ فيه تهويلٌ للعذاب وتعميمٌ لِمَا أصابهم منه؛ لأنَّ الموصولَ من صيغ العموم، والتضعيف في «غشَّاها» يحتملُ أنْ يكونَ للتعدية فيكون «ما» مفعولاً ثانياً، والفاعل ضميرُه تعالى، ويحتملُ أنْ يكون للتكثير والمبالغة فـ «ما» هي الفاعل.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾ تتشكَّكُ، والتفاعل هنا مجرَّدٌ عن التعدُّد في الفاعل والمفعول للمبالغة في الفعل، وقيل: إنَّ فعلَ التَّماري للواحد باعتبار تعدُّد متعلَّقه، وهو الآلاء المتمارَى فيها، والخطاب قيل: لرسول الله ﷺ على أنَّه من باب الإلهاب والتعريض بالغير، وقيل: للإنسان على الإطلاق، وهو أظهرُ، والاستفهام للإنكار.

و«الآلاء» جمعُ إلَى[٢]: النِّعَم، والمرادُ بها ما عُدَّ في الآيات قبلُ، وسمَّى الكلَّ بذلك مع أنَّ منه نِقَماً، لِمَا في النقم من العِبَر والمواعظ للمعتبرين والانتفاع للأنبياء والمؤمنين، فهي نِعَمٌ بذلك الاعتبار أيضاً.

وقيل: التعبير بـ «الآلاء» للتغليب. وتُعقِّب بأنَّ المقامَ غيرُ مناسبٍ له.

وقرأ يعقوب وابن محيصن: «ربك تَّمارى» بتاءٍ مشدَّدة[٣].

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾ الإشارةُ إلى القرآن، وقال أبو مالك: إلى الأخبار عن الأمم، أو الإشارةُ إلى الرسول ﷺ. و«النذيرُ» يجيءُ مصدراً ووَصْفاً،

---

(١) البحر المحيط ٨/ ١٧٠.
(٢) وتجمع أيضاً على: أَلْي وإِلْي. إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٢.
(٣) قراءة يعقوب في النشر ١/ ٣٠٠، والكلام من البحر ٨/ ١٧٠.

و«النذر» جمعُه مطلقاً، وكلٌّ من الأمرَين محتَملٌ هنا، ووَصْفُ «النذر» جمعاً للوَصْفِ بـ «الأُولى» على تأويل الفرقة أو الجماعة، واختير على غيره رعايةً للفاصلة، وأيّاً ما كان فالمرادُ: هذا نذير من جنس النُّذُر الأُولى.

وفي «الكشف»: أنَّ قولَه تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ إلخ فذلكةٌ للكلام إما لِمَا عدَّد من المشتمل عليه الصحف، وإما لجميع الكلام من مفتَتَح السورة. فتدبر ولا تغفل.

﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝٥٧﴾ أي: قربَت الساعة الموصوفةُ بالقرب في غير آية من القرآن، فـ «أل» في «الآزفة» للعهد[1] لا للجنس. وقيل: «الآزفة» عَلَمٌ بالغلبة للساعة هنا. وقيل: لابأسَ بإرادة الجنس، ووصف القريب بالقرب للمبالغة.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غير الله تعالى، أو: إلا الله عز وجل ﴿كَاشِفَةٌ﴾ نفسٌ قادرةٌ على كشفها إذا وقَعَت، لكنَّه سبحانه لا يكشِفُها؛ والمرادُ بالكشف الإزالة، وقريبٌ من هذا ما روي عن قتادة وعطاء والضحاك، أي: إذا غَشِيَت الخلْقَ أهوالُها وشدائدُها لم يكشِفْها ولم يَرُدَّها عنهم أحدٌ.

أو: ليس لها الآن نفسٌ كاشفةٌ، أي: مزيلةٌ للخوف منها، فإنَّه باقٍ إلى أنْ يأتيَ الله سبحانه بها، وهو مرادُ الزمخشري بقوله: أو: ليس لها الآن نفسٌ كاشفةٌ بالتأخير[2]. وقيل: معناه: لو وقَعَت الآن لم يردَّها إلى وقتها أحدٌ إلا الله تعالى. فالكشف بمعنى التأخير، وهو إزالةٌ مخصوصةٌ.

وقال الطبري والزجَّاج: المعنى: ليس لها من دون الله تعالى نفسٌ كاشفةٌ تكشِفُ وقتَ وقوعها وتُبيِّنُه؛ لأنَّها من أخفَى المُغيَّبات[3]. فالكشفُ بمعنى التبيين، والآيةُ كقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

---

(١) في (م): كاللعهد.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٥.

(٣) بنحوه في تفسير الطبري ٢٢/ ٩٥-٩٦، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٨، وينظر البحر المحيط ٨/ ١٧٠.

والتاء في «كاشفة» على جميع الأوجه للتأنيث، وهو لتأنيث الموصوفِ المحذوف كما سمعتَ، وبعضُهم يُقدِّر الموصوفَ «حالٌ»[١]، والأول أَوْلَى.

وجوِّز أنْ تكونَ للمبالغة مثلها في علَّامة. وتُعقِّب بأنَّ المقام يأباه؛ لإيهامه ثبوتَ أصل الكشف لغيره عز وجل، وفيه نظر.

وقال الرمَّاني وجماعة: يحتملُ أنْ يكون «كاشفة» مصدراً كالعافية، وخائنة الأعين، أي: ليس لها كَشْفٌ من دون الله تعالى.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ أي القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ إنكاراً ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً مع كونه أبعدَ شيءٍ من ذلك ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ حُزْناً على ما فرَّطتُم في شأنه، وخوفاً من أنْ يحيقَ بكم ما حاقَ بالأُمم المذكورة ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ أي: لاهون، كما روي عن ابن عباس جواباً لنافع بن الأزرق، وأنشد عليه قول هزيلة بنت بكرٍ وهي تبكي قومَ عاد:

لَيتَ عاداً قَبِلُوا الحقَّ ... ولم يُبدُوا جُحودا
قيل قُمْ فانظُرْ إليهم ... ثم دَعْ عنك السُّمُودا[٢]

وفي رواية أنَّه ﷺ سئل عن السُّمود، فقال: البَرْطَمَة. وهي رفعُ الرأس تكبُّراً، أي: وأنتم رافعون رؤوسَكم تكبُّراً، وروي تفسيرُه بالبرطمة عن مجاهد أيضاً.

وقال الراغبُ: السَّامدُ: اللَّاهي الرافعُ رأسَه، مِن سَمَدَ البعيرُ في سيره: إذا رَفَع رأسه[٣].

وقال أبو عبيدة: السُّمود: الغناء بلغة حِمْيَر؛ يقولون: يا جاريةُ اسمُدي لنا، أي: غنِّي لنا[٤]. وروي نحوُه عن عكرمةَ، وأخرج عبد الرزاق والبزار وابن جرير والبيهقي في «سننه» وجماعة عن ابن عباس أنَّه قال: هو الغناء باليمانية، وكانوا إذا

(١) في (م): حالاً.
(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣٢ للطستي والطبراني، وأخرجه في الإتقان ١/ ٣٨٨.
(٣) مفردات الراغب (سمد).
(٤) البحر المحيط ٨/ ١٥٥.

سمعوا القرآنَ غنَّوا تشاغُلاً عنه[١]. وقيل: يفعلون ذلك ليشغلوا الناسَ عن استماعه.

والجملةُ الاسمية على جميع ذلك حالٌ من فاعل «لا تبكون»، ومضمونها قيدٌ للنفي، والإنكار متوجِّهٌ إلى نَفْي البكاء ووجودِ السُّمود.

وقال المبرِّد: السُّمود: الجمودُ والخشوع، كما في قوله:

رَمَى الحِدْثانُ نِسْوَةَ آلِ سَعْدٍ ... بمقدارٍ سَمِدْنَ له سُمودا

فردَّ شعورَهنَّ السُّودَ بيضاً ... وردَّ وجوهَهُنَّ البيضَ سودا[٢]

والجملةُ عليه حالٌ من فاعل «تبكون» أيضاً إلا أنَّ مضمونَها قيدٌ للمنفي، والإنكار واردٌ على نَفْي البكاء والسُّمود معاً. فلا تغفل.

وفي حرف أبيٍّ وعبد الله: «تضحكون» بغير واو[٣]. وقرأ الحسن: «تُعجِبون تُضحِكون» بغير واو وضمِّ التاءَين وكسر الجيم والحاء[٤].

واستُدل بالآية كما في «أحكام القرآن» على استحباب البكاءِ عند سماع القرآن وقراءته، أخرج البيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي هريرة قال: لمَّا نزلت: (أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ) الآية بكى أصحابُ الصُّفَّة حتى جَرَت دموعُهم على خدودهم، فلمَّا سمع رسول الله ﷺ حنينَهم بكى معهم، فبكينا ببكائه، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا يلجُ النارَ مَن بكى من خشية الله تعالى، ولا يدخل الجنةَ مصرٌّ على معصيته، ولو لَمْ تُذْنبُوا لجاءَ الله تعالى بقومٍ يُذنبون فيستغفرون فيغفرُ لهم»[٥].

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٥٥، والبزار (٢٢٦٤ - كشف)، وتفسير الطبري ٢٢/ ٩٧، والسنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٢٢٣.

(٢) البيت اختلف في نسبته، فنسبه المرزباني في معجم الشعراء ص ١٧٧، وابن قتيبة في عيون الأخبار ٣/ ٦٧ إلى فضالة بن شريك، ونسبه القالي في ذيل الأمالي ٣/ ١١٥ إلى الكميت الأسدي، ونسبه المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ٢/ ٩٤١ لعبد الله بن الزبير الأسدي، وسلف ٤/ ٣٥٨.

(٣) البحر المحيط ٨/ ١٧١.

(٤) المصدر السابق.

(٥) شعب الإيمان (٧٩٨) وقوله: «ولو لم تذنبوا لجاء...» أخرجه مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرج أحمد في «الزهد» وابن أبي شيبة وهنَّاد وغيرهم عن صالح أبي الخليل قال: لمَّا نزلت هذه الآية ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ ما ضحك النبيُّ ﷺ بعد ذلك إلا أنْ يتبسَّم. ولفظ عبدِ بن حميد: فما رُئيَ النبيُّ عليه الصلاة والسلام ضاحكاً ولا متبسِّماً حتى ذهب من الدنيا[1]. وفيه سدٌّ باب الضحك عند قراءة القرآن ولو لم يكن استهزاءً، والعياذ بالله عز وجل.

﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۝٦٢﴾ الفاء لترتيب الأمر أو موجبه، على ما تقرَّر من بطلان مقابلةِ القرآن بالتعجُّب والضحك، وحَقِّيَّةِ مقابلته بما يليقُ به، ويدلُّ على عظم شأنه، أي: وإذا كان الأمرُ كذلك فاسجدوا لله تعالى الذي أنزله واعبدوه جلَّ جلاله، وهذه آيةُ سجدةٍ عند أكثر أهل العلم، وقد سجَدَ النبيُّ ﷺ عندها.

أخرج الشيخان وأبو داود والنسائي وابن مردويه عن ابن مسعود قال: أولُ سورةٍ أنزلَت فيها سجدةٌ «والنجم» فسجَدَ رسول الله ﷺ، وسجَدَ الناسُ كلُّهم إلا رجلاً، الحديث[2].

وأخرج ابنُ مردويه والبيهقي في «السنن» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ فقرأ «النجم» فسجد بنا فأطال السجود[3].

وكذا عمر رضي الله عنه؛ أخرج سعيد بن منصور عن سبرة قال: صلَّى بنا عمر بنُ الخطاب الفجرَ فقرأ في الركعة الأولى سورةَ يوسف، ثم قرأ في الثانية سورة النجم فسجَدَ، ثم قام فقرأ «إذا زلزلت» ثم ركع[4].

ولا يرى مالكٌ السجودَ هنا، واستدلَّ له بما أخرجه أحمدُ والشيخان وأبو داود

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٣/ ٢٣٤، والزهد لهناد ١/ ٢٧١ (٤٧٣)، وعزاه لأحمد في الزهد وعبد بن حميد السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣١.

(٢) صحيح البخاري (٤٨٦٣)، وصحيح مسلم (٥٧٦)، وسنن أبي داود (١٤٠٦)، وسنن النسائي (المجتبى) ٢/ ١٦٠، وعزاه لابن مردويه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢١، وسلف في بداية هذه السورة.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٣/ ١٨٢، وعزاه لابن مردويه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢١.

(٤) عزاه لسعيد بن منصور السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣٢.

والترمذي والنسائي والطبراني وغيرهم عن زيد بن ثابت قال: قرأتُ النجمَ عند النبي ﷺ فلم يسجُد فيها[١].

وأُجيبَ بأنَّ الترك إنَّما يُنافي وجوبَ السجود، وليس بمجمَعٍ عليه، وهو عند القائل به على التراخي في مثل ذلك على المختار، وليس في الحديث ما يدلُّ على نَفْيه بالكلِّية، فيحتمل أنَّه عليه الصلاة والسلام سجَدَ بَعْدُ، وكذا زيدٌ ﷺ، نعم التأخيرُ مكروه تنزيهاً، ولعله فُعِل لبيان الجواز، أو لعذرٍ لم نطَّلع عليه، وما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس من قوله: إنَّ رسول الله ﷺ لم يسجد في شيءٍ من المفصَّل منذ تحوَّل إلى المدينة. نافٍ وضعيف، وكذا قوله فيما رواه أيضاً عنه: كان رسول الله ﷺ يسجد في «النجم» بمكة، فلمَّا هاجر إلى المدينة تركها[٢]. على أنَّ الترك إنما ينافي ـ كما سمعتَ ـ الوجوبَ، والله تعالى أعلم.

---

(١) المسند (٢١٥٩١)، وصحيح البخاري (١٠٧٢) و(١٠٧٣)، وصحيح مسلم (٥٧٧)، وسنن أبي داود (١٤٠٤)، وسنن الترمذي (٥٧٦)، وسنن النسائي (المجتبى) ٢/ ١٦٠، والمعجم الكبير (٤٨٢٩).

(٢) الحديثان عزاهما لابن مردويه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢١.

# ( سورة النجم )

## (اثنتان وستون آية) مكيّة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾

﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ **(أقسم بالثريا أو بجنس النجوم)** ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا غرب **(أو انتثر يوم القيامة)** وجواب القسم ﴿مَا ضَلَّ﴾ عن قصد الحق ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ أي محمد ﷺ **(والخطاب لقريش)** ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ في اتباع الباطل. وقيل: الضلال نقيض الهدى

---

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

**قوله**: **(سورة النجم)** وفي نسخة سورة والنجم. **قوله**: **(اثنتان وستون آية)** وثلاثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف. **قوله**: **(أقسم بالثريا)** العرب تُسمي الثريا نجمًا وإن كانت في العدد نجومًا يُقال إنها سبعة أنجم ستة ظاهرة وواحدة خفيّة يمتحن الناس بها أبصارهم وفي الشفاء للقاضي عياض أن النبيّ ﷺ كان يرى في الثريا أحد عشر نجمًا. **قوله**: **(أو بجنس النجوم)** أي لام والنجم للجنس والاستغراق. **قوله**: **(أو انتثر يوم القيامة)** قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ أي تساقطت متفرّقة فحينئذٍ يكون المراد بالنجم الجنس لا الثريا فقط. **قوله**: **(والخطاب لقريش)** والتعبير بصاحبكم لكمال التوبيخ على ما ينسبون إليه بأنه عليه السلام نشأ بين أظهركم ولم تشاهدوا منه إلّا الدوام على الصراط السوي والأدب القوي والخلق العليّ حتى اشتهر بينكم أنه صادق أمين فما تنسبون إليه

والغي نقيض الرشد أي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال والغي.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه إنما هو وحي من عند الله يوحى إليه. ويحتجّ بهذه الآية مَن لا يرى الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام، ويجاب بأن الله تعالى إذا سوّغ لهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحي لا نطقًا عن الهوى. ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ علم محمدًا عليه السلام ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ **(ملك شديد قواه)** والإضافة غير حقيقية لأنها إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور، ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين.

﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ **(ذو منظر حسن عن ابن عباس)** ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي، وكان ينزل في صورة **(دحية)** وذلك أن رسول الله ﷺ أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الأفق الأعلى وهو أفق الشمس فملأ الأفق. وقيل: ما رآه أحد من

---

ليس إلّا للتعنّت والعناد والإصرار على الإفساد والفساد فلا جرم أنكم مؤاخذون بالعذاب.

**قوله: (ملك شديد قواه)** أشار إلى أن ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ من إضافة الصفة المشبّهة إلى فاعلها مثل حسن الوجه وأن موصوفها محذوف هو الملك وقيل: هو الباري تعالى كقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ [الرّحمٰن: الآيتان ١، ٢].

**قوله: (ذو منظر حسن عن ابن عباس)** رضي الله تعالى عنهما عبارة الخازن ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي ذو قوة وشدة. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ذو منظر حسن. وقيل: ذو خلق طويل حسن.اهـ. **قوله: (دحية)** بكسر دال وسكون حاء مهملة ومثناة تحت وعند ابن ماكولا بفتح دال ابن خليفة بن فروة بن فضالة بن

الأنبياء عليهم السلام في صورته الحقيقية سوى محمد ﷺ مرتين **(مرة في الأرض ومرة في السماء)**. ﴿وَهُوَ﴾ أي جبريل عليه السلام (﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾) مطلع الشمس ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ جبريل من رسول الله ﷺ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ فزاد في القرب، والتدلّي هو النزول بقرب الشيء.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾

(﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾) مقدار **(قوسين عربيتين)**. وقد جاء التقدير بالقوس

---

زيد بن امرىء القيس بن الخزرج بفتح الخاء وسكون الزاي وبعدها جيم ابن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللّات ابن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبيّ صاحب رسول الله ﷺ شهد أُحدًا وما بعدها. **قوله**: **(مرّة في الأرض)** أي في جبل حرّاء. وقيل: بأجياد وهو جبل بمكّة المعظّمة زادها الله تعظيمًا وتشريفًا طلع جبريل عليه السلام عليه من جانب المشرق وهو الأُفق الأعلى فملأ الأفق وسدّ الأرض وملأ الأرض فخرّ رسول الله ﷺ مغشيًا عليه فنزل جبريل عليه السلام في صورة الآدمي فضمّه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه. **قوله**: **(ومرّة في السماء)** أي ورآه أخرى بتلك الصورة وهو في السماء عند سدرة المنتهى وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم: الآيتان ١٣، ١٤]. **قوله**: (﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾) الأُفق الناحية وجمعه آفاق والمراد الجهة العليا من السماء المقابلة للناظر لا مصطلح أهل الهيئة. اهـ شهاب.

**قوله**: (﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾) من قِسِيّ العرب أي مقدارهما في القرب وذكر القوس لأن القرآن نزل بلغة العرب والعرب تجعل مساحة الأشياء بالقوس. وفي معالم التنزيل معنى قوله: كان بين جبريل ومحمد عليهما السلام مقدار قوسين أنه كان بينهما مقدار ما بين الوتر والقوس كأنه غلب القوس على الوتر وهذا إشارة إلى تأكيد القرب وأصله أن الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا يريدان بذلك أنهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه. وقيل: قدر ذراعين وسُمي الذراع قوسًا لأنه يُقاس به المذروع أي يقدر فلم يكن قريبًا قرب التصاق ولا بعيدًا بحيث لا يتأتى معه الإفادة والاستفدة وهو الحد المعهود في مجالسة الأحياء المتأدّبين. **قوله**: **(قوسين عربيتين) في لسان العرب**

والرمح والسوط والذراع **(والباع)** ومنه: «لا صلاة إلى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين»، **(وفي الحديث: «لقاب قوس أحدكم من الجنّة وموضع قدّه خير من الدنيا وما فيها». والقِدّ)** السوط وتقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين **(فحذفت)** هذه **(المضافات ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي على تقديركم)** كقوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: الآية ١٤٧] وهذا لأنهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رمحين أو أنقص. وقيل: بل أدنى.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾

﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ **(إلى عبد الله وإن لم يجر لاسمه ذكر لأنه لا يلتبس كقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾)** [فاطر: الآية ٤٥] ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾

---

القوس معروفة عجميّة وعربيّة. اهـ. **قوله: (والباع)** في المصباح قال أبو حاتم: هو مذكر يُقال هذا باع وهو مسافة ما بين الكفّين إذا بسطتهما يمينًا وشمالًا. اهـ. وفي الصحاح الباع قدر مدّ اليدين. اهـ. **قوله: (وفي الحديث «لقاب قوس أحدكم من الجنّة وموضع قدّه خير من الدنيا وما فيها». والقِدّ)** بالكسر السوط وهو في الأصل سَيْر يُقَدّ من جلد غير مدبوغ أي قدر سوط أحدكم وقدر الموضع الذي يَسع سوطَه من الجنة خير من الدنيا وما فيها. **قوله: (فحُذفت المضافات)** محذوفة يضطرّ لتقديرها أي فكان مقدار مسافة قربه منه مثل مقدار مسافة قاب قوسين. اهـ جمل. **قوله: (﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي على تقديركم)** يعني أن كلمة ﴿أَوْ﴾ فيه للشك من جهة العباد كما أن كلمة لعل كذلك في مواضع من القرآن أي لو رآهما راءٍ منكم لقال: هو قدر قوسين في القرب أو أدنى لا يلتبس عليه مقدار القرب. وكما في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧﴾ [الصّافات: الآية ١٤٧] فإنه تعالى عالم بمقادير الأشياء فخاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة بيننا.

**قوله: (إلى عبد الله وإن لم يجر لاسمه ذكر لأنه لا يلتبس كقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾)** أي إضمار ما يعود على الله لكونه معلومًا إذ العبد لا يكون الإلٰه وهذا مستغنٍ عن البيان كقوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ [فاطر: الآية ٤٥] حيث أضمر الأرض مع أنه لم يجر لها ذكر لفظًا أصلًا لكنه لكونه معلومًا بقرينة قوله: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ [الأنعام: الآية ٣٨] مذكور حكمًا وكذا ما نحن فيه.

**(تفخيم للوحي الذي أُوحي إليه)**. قيل: أُوحي إليه إن الجنّة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أُمتك ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ فؤاد محمد ﴿مَا رَأَىٰٓ﴾ ما رآه ببصره **(عن صورة جبريل** عليه السلام**)** أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك، ولو قال ذلك لكان كاذبًا **(لأنه عرفه)** يعني أنه رآه بعينه وعرفه **(بقلبه)** ولم يشك في أن ما رآه حق. وقيل: المرئي هو الله سبحانه، رآه بعين رأسه وقيل: بقلبه.

---

**قوله: (تفخيم للوحي الذي أُوحي إليه)** إذ الإبهام يفيد التعظيم كقوله: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: الآية ٧٨]. **قوله: (لأنه عرفه بقلبه)** كما رآه بصره.

**قوله: (عن صورة جبريل عليه السلام...)** الخ عبارة الخازن واختلفوا في الذي رآه فقيل: رأى جبريل وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعائشة وقيل: هو الله عزّ وجلّ ثم اختلفوا في معنى الرؤية فقيل: جعل بصره في فؤاده وهو قول ابن عباس. رَوى مسلم عن ابن عباس ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾. قال: رأى ربّه بفؤاده مرتين، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه حقيقة وهو قول أنس بن مالك والحسن وعكرمة قالوا: رأى محمد ربّه عزّ وجلّ وروى عكرمة عن ابن عباس. قال: إن الله عزّ وجلّ اصطفى إبراهيم بالخلّة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدًا بالرؤية. وقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلّم موسى مرتين ورآه محمد مرتين. أخرجه الترمذي بأطول من هذا، وكانت عائشة تقول: لم يرَ رسول الله ﷺ ربّه. وتحمل الآية على رؤية جبريل عن مسروق. قال: قلت لعائشة: يا أُمّاه هل رأى محمد ربّه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدًا رأى ربّه فقد كذب ثم قرأت ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣]. ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: الآية ٥١]. ومَن حدّثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: الآية ٣٤] ومَن حدثك أنه كتم أمرًا فقد كذب ثم قرأت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: الآية ٦٧]، ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين. أخرجاه في الصحيحين. رَوى مسلم عن أبي ذرّ قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ أفتجادلونه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه **(من مري)** الناقة **(كان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه، ﴿أفتمرونه﴾ حمزة وعلي وخلف ويعقوب)**، أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة

---

قال: نورٌ أنى أراه. اهـ بحروفها. وفي الخطيب وحاصل المسألة أن الصحيح ثبوت الرؤية وهو ما جرى عليه ابن عباس حبر الأمة وهو الذي يرجع في المعضلات وقد راجعه أبو عمرو فأخبره أنه رآه، ولا يقدح في ذلك حديث عائشة لأنها لم تخبر أنها سمعت رسول الله ﷺ أنه قال: لم أرَ وإنما اعتمدت على الاستنباط مما تقدّم وجوابه ظاهر، فإن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يُحاط به. وإذا ورد النصّ بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة. وأُجيب عن احتجاجها بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: الآية ٥١] الآية، بأنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام وبأنه عام مخصوص بما تقدّم من الأدلّة.

وأما قوله صلّى الله عليه وسلّم: «نورٌ أنّى أراه»، فقال الماوردي: الضمير في أراه عائد إلى الله تعالى ومعناه أنه خالق النور المانع من رؤيته أي رؤية إحاطة كما مرّ إذ من المستحيل أن تكون ذات الله نور إذ النور من جملة الأجسام والله تعالى منزّه عن ذلك. اهـ بحروفه.

**قوله**: **(من مري)** الناقة إذا مسح ظهرها وضرعها ليخرج لبنها وتدرّ به. **قوله**: **(كان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه)** إشارة إلى وجه الشبه. **وقوله**: **(يمري)** أي يطلب الوقوف على ما عند صاحبه ليلزمه الحجة ويغلب عليه فكأنه استخرج درّه. **قوله**: **(﴿أفتَمرونه﴾)** بفتح التاء وسكون الميم بلا ألف على أنه من فعله المسند إلى الغالب في باب المغالبة أو من مريته حقه إذا علمته وجحدته إياه وعُدي بـ ﴿عَلَىٰ﴾ لتضمنه معنى الغلبة **(حمزة وعليّ)** الكسائي **(وخلف)** بن هشام البزار وليس من السبعة. وله اختيار **(ويعقوب)** بن إسحق الحضرميّ وليس من السبعة، والباقون بضمّ التاء وفتح الميم وألف بعدها من ماراه يماريه مراء جادله.

قال: ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ فعدي بـ «على» كما تقول غلبته على كذا. وقيل: أفتُمرونه أفتجحدونه يقال: مريته حقه إذا جحدته وتعديته بـ «على» لا تصحّ إلا على مذهب التضمين.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ رأى محمد جبريل عليه السلام ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها أي نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أُخرى في صورة نفسه فرآه عليها **(وذلك ليلة المعراج)** ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ **(الجمهور على أنها شجرة نبق)** في السماء السابعة عن يمين العرش. (و﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ **بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء)** كأنها في منتهى الجنّة وآخرها، وقيل: لم يجاوزها أحد وإليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها. وقيل: تنتهي إليها أرواح الشهداء.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾ أي الجنّة التي يصير إليها المتقون. وقيل: تأوي إليها أرواح الشهداء ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ أي رآه إذ يغشى السدرة ما يغشى، وهو تعظيم وتكثير لما يغشاها، فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالّة على عظمة الله تعالىٰ وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف. وقد قيل: يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالىٰ عندها. وقيل: يغشاها فراش من ذهب ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ بصر رسول الله ﷺ ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر

---

**قوله: (وذلك ليلة المعراج)** من المعلوم أن المعراج كان قبل الهجرة بسنة وأربعة أشهر أو بثلاث سنين على الخلاف والرؤية الأولى كانت في بدء البعثة فبين الرؤيتين نحو عشر سنين. اهـ جمل. **قوله: (الجمهور على أنها شجرة نبق)** بكسر الباء ثمر السدر الواحدة نبقة، ويُقال فيه: نبق بفتح النون وسكون الباء ذكرها يعقوب في الإصلاح وهي لغة البصريين والأولى أفصح وهي التي ثبتت عن النبيّ ﷺ. **قوله: (و﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء)** فالمنتهى اسم مكان أو مصدر ميمي.

برؤيتها ومكن منها ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ وما جاوز ما أمر برؤيته ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ والله لقد رأى ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ (ٱلْكُبْرَىٰٓ)﴾ الآيات التي هي كبراها وعظماها يعني حين رقي به إلى السماء فأري عجائب الملكوت.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ أي أخبرونا عن هذه الأشياء التي تعبدونها من دون الله ﷿ هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزّة؟ اللات والعزى ومناة أصنام لهم وهي مؤنثات، فاللات كانت **(لثقيف)** بالطائف. وقيل: كانت **(بنخلة)** تعبدها قريش **(وهي فعلة من لوي)** لأنهم كانوا **(يلوون)** عليها ويعكفون للعبادة، والعزى كانت **(لغطفان)** وهي **(سمرة)** وأصلها تأنيث الأعزّ وقطعها **(خالد بن الوليد)**، ومناة صخرة كانت

---

**قوله**: (﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾) فيه وجهان أحدهما وهو الظاهر أن ﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ مفعول به لـ ﴿رَأَىٰٓ﴾ ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ﴾ حال مقدمة والتقدير، لقد رأى الآيات الكبرى حال كونها من جملة آيات ربّه. والثاني أن ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ﴾ مفعول لـ ﴿رَأَىٰٓ﴾ و﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ صفة لـ ﴿ءَايَٰتِ رَبِّهِ﴾. وهذا الجمع يجوز وصفه بوصف المؤنثة الواحدة وحسنه هنا كونه فاصلة. اهـ سمين.

**قوله**: **(لثقيف)** في الصحاح ثقيف أبو قبيلة من هوازن واسمه قسيّ والنسب إليه ثقفيّ. اهـ. **قوله**: **(بنخلة)** أي ببطن نخلة. في الصحاح بطن نخلة موضع بين مكة والطائف. اهـ. **قوله**: **(وهي فعلة من لوي)** أي من لوى على الشيء يَلوي إذا عكف عليه أو من لوى الرجل رأسه إذا أماله فإنهم كانوا يعكفون عليها ويميلون أعناقهم إليها أصله لوية فخفّف بحذف الياء، وأُبدلت واوه ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار لات. **قوله**: **(يلوون)** أي يطوفون. **قوله**: **(لغَطَفان)** بالغين المعجمة بفتحات. في الصحاح أبو قبيلة وهو غطفان بن سعد بن قيس عيلان. اهـ. **قوله**: **(سمرة)** بفتح السين المهملة وضم الميم شجر معروف. **قوله**: **(خالد بن الوليد)** بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أبو سليمان. وقيل: أبو الوليد القرشيّ المخزوميّ أمه لبابة الصغرى وهي بنت الحارث بن حزن الهلالية وهي أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبيّ ﷺ وكان أحد أشراف قريش في الجاهلية وكان إسلامه

**(لهذيل)** و**(خزاعة)**. وقيل: لثقيف وكأنها سميت مناة لأن دماء **(النسائك)** كانت تمنى عندها أي **(تراق ﴿ومناءة﴾ مكيّ مفعلة من النوء)** كأنهم كانوا يستمطرون عندها **(الأنواء)** تبركًا بها ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ هي صفة ذم **(أي المتأخرة)** الوضيعة المقدار. كقوله: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٣٨] أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم، ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله **(مع وأدهم البنات)** وكراهتهم لهن فقيل لهم.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ أي جعلكم لله البنات ولكم البنين قسمة ضميزى أي جائزة من ضازه يضيزه إذا

---

وهجرته بعد الحديبية وقبل خيبر وكانت الحديبية في ذي القعدة سنة ست وخيبر بعدها في المحرم سنة سبع وسمّاه رسول الله ﷺ سيف الله تُوفي سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: **(لهذيل)** في الصحاح هذيل حيّ من مضر وهو هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر. اهـ. **قوله**: **(خزاعة)** حيّ من الأزد. اهـ. **قوله**: **(النسائك)** في الصحاح النسيكة الذبيحة والجمع نسك ونسائك. اهـ. **قوله**: **(تراق)** أي تصب. **قوله**: **(﴿ومَنَاءة﴾)** بهمزة مفتوحة بعد الألف **(مكيّ)** أي ابن كثير المكيّ والباقون بغير همز. **قوله**: **(مفعلة من النوء)** أصله منوأة فنقلت حركة الواو إلى النون قبلها فقلبت ألفًا ومعناه موضع الاستمطار من الأنواء، والنوء سقوط نجم من المنازل الثماني والعشرين في المغرب عند طلوع الفجر مع طلوع رقيبه من المشرق بمقابلة ما سقط من ساعة وسقوطه وذلك في ثلاثة عشر يومًا ما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يومًا. وكانت العرب تُضيف الأمطار والرياح والحرّ والبرد إلى الساقط منها. وقال الأصمعيّ إلى الطالع منها فتقول: مطرنا بنوء كذا والجمع نواء فوزن الكلمة حينئذٍ مفعلة فألفها عن واو وهمزتها أصلية وميمها زائدة. **قوله**: **(الأنواء)** أي النجوم الساقطة أو الطالعة عندها. **قوله**: **(أي المتأخرة)** في الرتبة. **قوله**: **(مع وأدهم البنات)** في الصحاح وأد ابنته يئدها وأدًا فهي موؤودة أي دفنها في القبر وهي حيّة. هـ.

(ضامه. و﴿ضِيزَىٰٓ﴾ فعلى إذ لا فعلى في النعوت) فكسرت الضاد للياء كما قيل: «بيض» وهو بوض مثل حمر وسود، (﴿ضئزى﴾ بالهمز: مكيّ) من ضأزه مثل ضازه.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِنْ هِيَ﴾ (ما الأصنام) ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ ليس تحتها في الحقيقة مسميات لأنكم تدعون الإلـٰهية لما هو أبعد شيء منها وأشد منافاة لها ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي سميتم بها يقال سميته زيدًا وسميته بزيد ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حجة ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إلا توهم أن ما هم عليه حق ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ وما تشتهيه

---

**قوله**: (ضامه) في الصحاح الضيم الظلم وقد ضامه يضيمه واستضامه فهو مضيم ومستضام أي مظلوم وقد ضمت أي ظلمت علم ما لم يسم فاعله وفيه ثلاث لغات ضيم وضيم وضوم كما قلنا في بيع. اهـ وقوله: كما قلناه في بيع قال في فَصْل الباء تقول: بيع الشيء على ما لم يسم فاعله إن شئت كسرت الباء وإن شئت ضممتها ومنهم مَن يقلب الياء واوًا فيقول: بوع الشيء وكذلك القول في كيل. وقيل: وأشباههما. اهـ بحروفه. **قوله**: (و﴿ضِيزَىٰٓ﴾ فعلى) بضم الفاء (إذ لا فعلى) بالكسر (في النعوت) فإن الصفات في المؤنث لا تأتي إلّا على فعلى بضم الفاء كحبلى بفتح الفاء كسكرى وعطشى ولا تأتي على فعلى بالكسر إلّا في بناء الأسماء كالشعرى والدفلى، وفي المصدر كالذكرى فظهر أن أصل ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ بضم الضاد من ضاز في الحكم يضيز ضيزًا أي جار وضازه حقه يضيزه أي بخسه ونقصه ثم كسروا الضّاد لتسلم الياء كما كسروا الباء من بيض أصله بيض جمع أبيض مثل حمر جمع أحمر وسود جمع أسود ولو أبقيت الضمّة على حالها وأبدلت الياء واوًا لزم الثقل لأن الكسرة والياء أخفّ عندهم من الضمّة والواو مع عدم اللبس إذ ليس في الصفات فعلى بالكسر. **قوله**: (ضئزى بالهمز) الساكنة (مكيّ) أي ابن كثير المكيّ والباقون بياء مكان الهمزة.

**قوله**: (ما الأصنام) أي ﴿إِنْ﴾ نافية.

أنفسهم ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ الرسول والكتاب فتركوه ولم يعملوا به ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾﴾ **(هي «أم» المنقطعة)** ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي ليس للإنسان يعني الكافر ما تمنى من شفاعة الأصنام أو من قوله: (﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾) [فصلت: الآية ٥٠]. وقيل: هو تمنّي بعضهم أن يكون هو النبيّ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ أي هو مالكهما وله الحكم فيهما يعطي النبوّة والشفاعة مَن شاء وارتضى لا مَن تمنّى.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ يعني أن أمر الشفاعة ضيق فإن الملائكة مع قربتهم وكثرتهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تغن شفاعتهم شيئًا قط، ولا تنفع إلا إذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمَن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلًا لأن يشفع له فكيف تشفع الأصنام إليه **(لعبدتهم)** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ **(أي كل واحد منهم)** ﴿تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ لأنهم إذا قالوا للملائكة بنات الله فقد سمّوا كل واحد منهم بنتًا وهي تسمية الأنثى.

---

**قوله**: **(هي «أم» المنقطعة)** فهي مقدّرة ببل والهمزة. **قوله**: (﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾) أي ولئن قامت الساعة على التوهّم كان لي عند الله الحالة الحسنى.

**قوله**: **(لعبدتهم)** في لسان العرب عبد الله يعبده عبادة ومَعْبَدًا ومَعْبَدَةً تألّه له ورجل عابد من قوم عَبَدة وعبُد وعباد. اهـ. وفي المصباح عبدت الله أعبده عبدة وهي الانقياد والخضوع والفاعل عابد والجمع عباد وعبدة مثل كافر وكفار وكفرة. ثم استعمل فيمن اتخذ إلـهًا غير الله وتقرّب إليه، فقيل عابد الوثن والشمس وغير ذلك. اهـ. **قوله**: **(أي كل واحد منهم)** أي اللام للاستغراق بمعنى الكل الإفرادي لا بمعنى الكل المجموعي، ولذلك قيل: تسمية الأنثى دون الإناث وبالجملة استغرق الجمع هنا في معنى استغراق المفرد لما عرفته وهذا بناء على أن تسمية الأنثى في النظم ليس عليه التشبيه فيكون التقدير يسمون الملائكة أنثى بتسميتهم

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ﴾ **(أي بما يقولون)** وقُرىء بها أي بالملائكة أو التسمية ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ﴾ هو تقليد الآباء ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ أي إنما يعرف الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ فأعرض عمن رأيته معرضًا عن ذكر الله أي القرآن ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ﴾ أي اختيارهم الدنيا والرضا بها ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ﴾ منتهى علمهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي هو أعلم بالضالّ والمهتدي ومجازيهما.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ **(بعقاب ما عملوا من السوء أو بسبب ما عملوا من السوء)** ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾

---

بَنات الله فإن قولهم: الملائكة بنات الله قول منهم بأن كل واحد واحد بنته تعالى وهي تسمية الأنثى فإن حكم الكل المجموعي مستلزم على الحكم على كل واحد واحد في مثل هذا كقولهم كسانا الأمير حلة أي كسا كل واحد منا حلة.

**قوله**: **(أي بما يقولون)** وهو قولهم الملائكة بنات الله تعالى وأنهم أنثى فالتذكير باعتبار التأويل بما يقولون إن جعل المرجع التسمية والجملة حال من فاعل يسمّون أي يسمّون تسمية الأنثى حال كونهم غير عالمين بما يقولون، أي في حال يُنافي ذلك وقرىء بها أي وقرىء ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ﴾ بدل به فيكون ضمير به إما للملائكة أو للتسمية على حذف المضاف أي ما لهم بأنوثة الملائكة أو بمطابقة التسمية لهم من علم فإنهم جاهلون بكل واحد من الأمرين معتقدون اعتقادًا لا بطابع الواقع. **وعبارة الكشّاف** وفي قراءة أبيّ بها. اهـ.

**قوله**: **(بعقاب ما عملوا)** فالباء صلة الجزاء بتقدير مُضاف. **قوله**: **(من السوء)** بقرينة ﴿أَسَٰٓـُٔوا۟﴾. **قوله**: **(أو بسبب ما عملوا من السوء)** فالباء سببية.

**(بالمثوبة الحسنى)** وهي الجنّة **(أو بسبب الأعمال الحسنى، والمعنى أن الله** عز وجل **إنما خلق العالم)** وسوى هذه الملكوت ليجزي المحسن من المكلفين والمسيء منهم إذ الملك أهل لنصر الأولياء وقهر الأعداء.

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ (٣٢)﴾

﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل أو في موضع رفع على المدح أي هم الذين ﴿يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ أي الكبائر من الإثم **(لأن ﴿ٱلۡإِثۡمِ﴾ جنس)** يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي يكبّر عقابها، **(﴿كبير﴾ حمزة وعلي)** أي النوع الكبير منه ﴿وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ ما فحش من الكبائر كأنه قال: والفواحش منها خاصة. قيل: الكبائر ما أوعد الله عليه النار والفواحش ما شرع فيها الحد ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ أي الصغائر والاستثناء منقطع لأنه ليس من الكبائر والفواحش وهو **(كالنظرة والقبلة)** واللمسة **(والغمزة)** ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ فيغفر ما يشاء من الذنوب من غير توبة ﴿هُوَ أَعۡلَمُ

---

**قوله**: **(بالمثوبة الحسنى)** فالحسنى صفة بمعنى الحسنة وموصوفها مقدّر وهو المثوبة والباء صلة الجزاء. **قوله**: **(أو بسبب الأعمال الحُسنى)** فالباء سببية. **قوله**: **(والمعنى أن الله عزّ وجلّ إنما خلق العالم...)** الخ يعني أن قوله تعالى: ﴿لِيَجۡزِيَ﴾ متعلّق بمحذوف وهو قوله: خلق العالم دلّ عليه قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٩] فإن اللام فيه للملك والملك إنما يكون بالخلق.

**قوله**: **(لأن ﴿ٱلۡإِثۡمِ﴾ جنس...)** الخ. وقد تقرّر أن المضاف إليه إذا كان جنس المضاف تكون الإضافة بمعنى من كخاتم فضة. **قوله**: **(«كبير»)** بكسر الباء الموحّدة بلا ألف ولا همز على التوحيد **(حمزة وعليّ)** الكسائي والباقون بفتح الباء ثم ألف فهمزة على الجمع. **قوله**: **(كالنظرة)** في لسان العرب النظرة اللمحة بالعجلة ومنه الحديث أن النبيّ ﷺ قال لعليّ رضي الله عنه: لا تُتْبع النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة.اهـ. **قوله**: **(والقبلة)** في لسان العرب القبلة اللثمة معروفة والجمع القُبَل وفعله التقبيل.اهـ. **قوله**: **(والغمزة)** في مختار الصحاح

بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم﴾ أي أباكم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ (أَجِنَّةٌ﴾ **جمع جنين)** ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات، أو إلى الزكاة والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها **(واهضموها)** فقد علم الله الزكي منكم والتقي أولًا وآخرًا قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه السلام، وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم. وقيل: كان ناس يعملون أعمالًا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجّنا فنزلت. وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء لا على سبيل الاعتراف بالنعمة فإنه جائز لأن المسرّة بالطاعة طاعة **(وذكرها شكر)** ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾ أعرض عن الإيمان ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾ قطع عطيته وأمسك، وأصله إكداء **(الحافر)** وهو أن تلقاه **(كدية)** وهي صلابة كالصخرة

---

غمز[1] الشيء بيده وغمزه بعينه. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [المطفّفين: الآية ٣٠] ومنه الغمزة بالناس وغمزت الدابّة من رجلها وباب الثلاثة ضرب. اهـ. **قوله**: (﴿أَجِنَّةٌ﴾ **جمع جنين)** مثل أسرّة وسرير والجنين الولد ما دام في بطن أمه وهو فعيل بمعنى مفعول من جنه إذا ستره وإذا خرج من بطن أمه لا يُسمى إلّا ولدًا أو سقطًا. فإن قيل: إذا كان الجنين اسمًا للولد ما دام في بطن أمه فما فائدة قوله: ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [الزُمَر: الآية ٦]. قلنا: فائدته المبالغة في بيان كمال علمه وقدرته فإن بطون الأمهات في غاية الظلمة والخفاء فمن علم حال الجنين فيها لا يُخفى عليه شيء من أحواله. **قوله**: **(واهضموها)** في لسان العرب الهضم التواضع. وفي حديث الحسن وذكر أبا بكر رضيّ الله تعالى عنه فقال: والله إنه لخيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه أي يضع من قدره تواضعًا. اهـ. **قوله**: **(وذكرها شكر)** لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: الآية ١١].

**قوله**: **(الحافر)** اسم فاعل بمعنى مَن يحفر البئر بدليل قوله: فيمسك عن الحفر. **قوله**: **(كدية)** في المصباح الكدية الأرض الصلبة والجمع كدى مثل مدية

---

(١) الغمز الأخذ باليد.

فيمسك عن الحفر. عن ابن عباس ﵄: فيمن كفر بعد الإيمان. وقيل: في **(الوليد بن المغيرة)** وكان قد اتبع رسول الله ﷺ فعيّره بعض الكافرين وقال له: تركت **(دين الأشياخ)** وزعمت أنهم في النار. قال: إني خشيت عذاب الله. فضمن له إن هو أعطاه شيئًا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله ففعل وأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل به ومنعه ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝٣٥﴾ **(أهو يعلم أن ما ضمنه من عذاب الله حق)**.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ يخبر ﴿بِمَا فِى﴾ (﴿صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ **أي التوراة**) ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ أي وفي صحف إبراهيم ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ أي **(وفر)** وأتمّ كقوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: الآية ١٢٤] وإطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية. **(وقرىء مخففًا)** والتشديد مبالغة في الوفاء. **(وعن الحسن)**: ما أمره الله بشيء إلا وفى به، **(وعن عطاء بن السائب)**: عهد أن لا يسأل مخلوقًا فلما قذف في النار قال له جبريل: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. وعن النبيّ ﷺ: وفّى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى، ورُوِيَ ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى؟ كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى (﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾) إلى (﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾) [الروم: لآية ١٨]

---

ومدى .اهـ. **قوله**: **(الوليد بن المغيرة)** بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. **قوله**: **(دين الأشياخ)** المراد بالأشياخ رؤساء الكفار. **قوله**: **(أهو يعلم أن ما ضمنه من عذاب الله حق)** أي ﴿يَرَىٰٓ﴾ بمعنى يعلم حذف مفعولاه لدلالة المقام عليه.

**قوله**: (﴿صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ **أي التوراة**) يعني أسفار التوراة وفي الكواشي عن النبيّ ﷺ أنه أنزل على إبراهيم عليه السلام عشر صحائف وعلى موسى عشر صحائف قبل التوراة. **قوله**: **(وفر)** من التوفير. **قوله**: **(وقُرىء مخففًا)** في الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب. ومن ذلك قراءة النبيّ ﷺ «الذي وَفى» خفيفة. واختلف عنه وهي قراءة أبي أمامة وسعيد بن جبير وابن السميقع وأبي ملك .اهـ. **قوله**: **(وعن الحسن)** البصري. **قوله**: **(وعن عطاء بن السائب)** بن يزيد الثقفي الكوفيّ مات سنة ست وثلاثين. **قوله**: (﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ

وقيل: وفي سهام الإسلام وهي ثلاثون: **(عشرة في «التوبة»** ﴿التَّٰٓئِبُونَ﴾) [التوبة: الآية ١١٢]، **(وعشرة في «الأحزاب»** ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾) [الآية: الآية ٣٥] **(وعشرة في «المؤمنين»** ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾﴾) [المؤمنون: الآية ١].

---

حِينَ تُمۡسُونَ﴾) إلى (﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾) **في تفسير الجلالين في سورة الروم** (﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾) أي سبّحوا الله بمعنى صلّوا (﴿حِينَ تُمۡسُونَ﴾) أي تدخلون في المساء وفيه صلاتان المغرب والعشاء (﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾) تدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح (﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾) اعتراض ومعناه يحمده أهلها (﴿وَعَشِيّٗا﴾) عطف على حين وفيه صلاة العصر (﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾) تدخلون في الظهيرة وفيه صلاة الظهر.

**قوله**: **(عشرة في التوبة** ﴿التَّٰٓئِبُونَ﴾**) في تفسير الجلالين في سورة التوبة** (﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾) وقع على المدح بتقدير مبتدأ من والنفاق (﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾) المخلصون العبادة لله (﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾) على كل حال (﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾) الصائمون (﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾) أي المصلّون (﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾) لأحكامه بالعمل بها (﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾) بالجنة. اهـ.

**قوله**: **(وعشرة في الأحزاب** ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾**) في تفسير الجلالين في سورة الأحزاب** (﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ﴾) المطيعات (﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ **في الإيمان** ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾) على الطاعات (﴿وَٱلۡخَٰشِعِينَ﴾) المتواضعين (﴿وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ﴾) فروجهم (﴿وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ﴾) عن الحرام (﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ﴾) للمعاصي (﴿وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾). اهـ.

**قوله**: **(وعشرة في المؤمنين** ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾﴾**) في تفسير الجلالين في سورة المؤمنين**. (﴿قَدۡ﴾) للتحقيق (﴿أَفۡلَحَ﴾) فاز (﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾) متواضعون (﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ﴾) من الكلام وغيره (﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾) مؤدّون (﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾﴾) عن الحرام (﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾) أي من

.......................................................................

زوجاتهم (﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾) أي السراري (﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾) في إتيانهن (﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾) من الزوجات والسراري كالاستمناء بيده (﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾) المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم (﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾) جمعًا ومفردًا (﴿وَعَهْدِهِمْ﴾) فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها (﴿رَٰعُونَ﴾) حافظون (﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾) جمعًا ومفردًا (﴿يُحَافِظُونَ﴾) يقيمونها في أوقاتها (﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾) لا غيرهم (﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾) هو جنة أعلى الجنان (﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾). اهـ.

وعبارة الكشّاف وقيل: وفي سهام الإسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الأحزاب إن المسلمين وعشرة في المؤمنون قد أفلح المؤمنون. اهـ بحروفها وهكذا في تفسير الخطيب في سورة النجم.

وعبارة الخازن في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [الآية ١٢٤] واختلفوا في تلك الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام قال ابن عباس: هي ثلاثون سهمًا هن شرائع الإسلام لم يبتل بها أحد فأقامها كلها إلا إبراهيم فكتب الله له البراءة، فقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: الآية ٣٧] ومعنى هذا الكلام أنه لم يبتل أحد قبل إبراهيم فأما بعده فقد أتى الأنبياء بجميع ما أُمروا به من الدين خصوصًا نبيّنا محمدًا ﷺ فقد أتى بجميع ما أُمر به وهي عشرة مذكورة في سورة براءة في قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] الآية. وعشرة في سورة الأحزاب في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] الآية. وعشرة في سورة المؤمنون في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [الآيتان ١، ٢] الآيات. وهي مذكورة أيضًا في سورة ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج: الآية ١]. اهـ بحروفها.

وعبارة مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير في سورة البقرة قال بعضهم: ابتلاه بثلاثين خصلة من خصال الإسلام عشر منها في سورة براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] إلى آخر الآية. وعشر منها في سورة الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ

.................................................................................................

﴿وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] إلى آخر الآية. وعشر منها في المؤمنون ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠] وروى عشر في ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤﴾ [المعارج: الآيات ١ ـ ٣٤] فجعلها أربعين سهمًا عن ابن عباس. اهـ بحروفها.

وعبارة البيضاويّ في سورة البقرة والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسّرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥] إلى آخر الآيتين. وقوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠]. اهـ بحروفها.

وعبارة حاشية العلّامة شيخ زاده على تفسير البيضاوي والظاهر أن طريق توزيع الخصال الثلاثين على السور الثلاث اشتمال كل واحد من تلك السور على عشر خصال فإن سورة براءة مشتملة عليها بأن يعد الإيمان المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية ١١٢] خصلة مستقلّة واشتمال سورة الأحزاب عليها ظاهر. وأما اشتمال سورة المؤمنون عليها فبأن يعتبر كل واحد من الإيمان والخشوع في الصلاة والإعراض عن اللغو وفعل الزكاة وحفظ الفرج عن الحرام وقربان الأزواج وقربان المملوكات ورعاية الأمانة ورعاية العهد ومحافظة الصلاة خصلة مستقلّة وكون الإيمان معدودًا في السورتين المعدودتين الأخيرتين لا ينافي كون مجموع الخصال ثلاثين لأنه لما كان المذكور في كل سورة عشرًا كاملة بناء على أن شيئًا من الخصال لم يذكر مكرّرًا في شيء من السور كان المذكور في مجموع السور الثلاث ثلاثين خصلة والتكلّف اللازم لما اختاره المصنّف أهون مما لزم لما اختاره صاحب الكشّاف فلذا عدل عنه المصنّف. اهـ بحروفها.

وعبارة المصنّف رحمة الله تعالى عليه في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ الآية ١٢٤] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هي ثلاثون سهمًا من الشرائع عشر في براءة التائبون الآية. وعشر في

..........................................................................................

الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] الآية. وعشر في المؤمنون والمعارج إلى قوله: ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [الآية ٩]. اهـ بحروفها.

قوله: (والمعارج) أي وسورة المعارج وتُسمى سورة سأل سائل. وعبارة الكشّاف في سورة البقرة، قيل: ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين سهمًا عشر في براءة (التائبون العابدون) وعشر في الأحزاب (إن المسلمين والمسلمات) وعشر في المؤمنون وسأل سائل. اهـ بحروفها.

وعبارة الخطيب في سورة البقرة واختلفوا في الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فقال عكرمة: عن ابن عباس هي ثلاثون من شرائع الإسلام عشر في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢]... الخ وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥]... الخ وعشر في المؤمنون إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الآية ٩] وفي ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [المعَارج: الآيات ١ ـ ٣٣]. اهـ بحروفها.

وعبارة تفسير العلّامة أبي السعود رحمه الله في تفسير سورة البقرة. قال عكرمة عن ابن عباس: ولم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه كله إلا إبراهيم ابتلاه الله تعالى بثلاثين خصلة من خصال الإسلام عشر منها في سورة براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾... الخ وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥]... الخ وعشر في المؤمنون و﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعَارج: الآيات ١ ـ ٣٤]. اهـ بحروفهم.

وعبارة تفسير النيسابوري في سورة البقرة وقيل: ابتلاه الله تعالى من شرائع الإسلام بثلاثين سهمًا عشر في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] الآية وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] وعشر في المؤمنون ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعَارج: الآيات ١ ـ ٣٤]. اهـ بحروفها.

وعبارة معالم التنزيل للعلّامة محيي السنة ناصر الحديث أبي محمد بن مسعود البغوي رحمه الله في سورة البقرة. واختلفوا في الكلمات التي ابتلى الله بها

..........................................................................

إبراهيم عليه السلام. قال عكرمة عن ابن عباس هي ثلاثون سهمًا من شرائع الإسلام لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه كله إلّا إبراهيم فكتب له البراءة، فقال ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: الآية ٣٧] عشر في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] إلى آخرها. وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] إلى آخرها. وعشر في المؤمنون و﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج: الآية ١] و﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١]. وقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: الآية ٢٢] في سأل سائل. اهـ بحروفها.

وفي حاشية الكشّاف للعلّامة التفتازاني رحمه الله. قوله: عشر في براءة بأن يُضم إلى التسعة المذكورة الإيمان المشار إليه بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٣] أو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١١١] وعشر في الأحزاب من قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] وعشر في المؤمنون ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج: الآية ١] من قوله: في ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ٩] فإن قيل: المذكور في السورتين أربعة عشر ست في المؤمنون وثمانية في ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج: الآية ١] وإذا أسقط المكرر وجعل الدائمون على الصلاة هم المحافظون عليها والذين في أموالهم حق معلوم غير الفاعلين للزكاة لشموله ما يوصل به الأقارب والأبعاض ليرجع ما في السورتين إلى عشر لم يتحقق في كل من براءة والأحزاب عشر لتكرار المؤمنين. قلنا: يجوز أن يجعل الدائمون أيضًا غير المحافظين أو يجعل الدائمون للأمانات والعهد اثنين يتحقق في السورتين أحد عشر وفي براءة والأحزاب تسعة عشر فيصير المجموع ثلاثين لكن لا يبقى حينئذٍ في كل من براءة والأحزاب عشر. اهـ بحروفها.

وفي حاشية تفسير البيضاوي لمولانا عبد الحكيم السيلكوتي رحمه الله. قوله: بالثلاثين المحمودة المذكورة. اهـ. أخرجه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عشر منها في سورة براءة من قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ

..............................................................

﴿ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] إلى آخر الآية. وعشر منها في سورة الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾ إلى آخرها وعشر منها في ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠]. كذا في التفسير الكبير فالعشرة المذكورة في سورة براءة التوبة والعبادة والحمد والسياحة والركوع والسجود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفظ لحدود الله والإيمان المستفاد، من قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البَقَرة: الآية ٢٢٣] أو من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التّوبَة: الآية ١١١] والعشرة المذكورة في سورة الأحزاب الإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصيام والحفظ للفروج والذكر، والعشرة المذكورة في المؤمنون الإيمان والخشوع والتصدّق والقيام والحفظ في الصلاة والإعراض عن اللغو والزكاة والحفظ للفروج إلا على الأزواج أو الإماء ثلاثة والرعاية للعهد والأمانة اثنين والمحافظة على الصلاة ولزوم التكرار في بعض الخصال بعد جمع العشرة المذكورة كالإيمان والحفظ للفروج لا ينافي كونها ثلاثين تعداد إنما ينافي تغايرها ذاتًا ألا يرى أنه روى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها أربعون بينها بضم ما وقع في سأل سائل، كما في التفسير الكبير وأن التسمية عدت مائة وثلاث عشر آيات عند الشافعية باعتبار تكرارها في كل سورة، وأما ما وقع في الكشّاف قيل: ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين منها عشرة في براءة ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] وعشرة في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية ٣٥].اهـ. وعشرة في المؤمنون و﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعَارج: الآية ١] إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: الآية ٩] وهو رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على ما في المعنى فمبني على اعتبار التغاير بالذات وإسقاط المكررات وعدة العاشرة البشارة للمؤمنين في سورة براءة وجعل الدوام على الصلاة والمحافظة عليها واحد، والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم غير الفاعلين للزكاة لشموله صدقة التطوّع وصلة الأقارب. وبما ذكرنا ظهر لك اندفاع الشكوك التي عُرضت للناظرين في هذا الكتاب وتوهمهم مخالفته لما في الكشّاف.اهـ بحروفها.

................................................................

وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب قوله: فسّرت بالخصال الثلاثين... الخ هذه الثلاثين جعلها في الكشّاف عشرًا منها في سورة براءة وعشرًا في سورة الأحزاب وعشرًا في سورتي المؤمنون و﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ [المعارج: الآية ١] وآية براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [الآية ١١٢] وآية المؤمنون ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الآيات ١ - ٩] وآية الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥﴾ [الآية ٣٥] وآية ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ [المعارج: الآية ١] ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٣١ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤﴾ [المعارج: الآيات ٢٢ - ٣٤] والمذكور في السور الثلاث ست وثلاثون وهي التوبة والعبادة والحمد والسياحة والركوع والسجود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ حدود الله والصلاة والخشوع وترك اللغو والزكاة وحفظ الفرج وحفظ الأمانة وحفظ العهد والمحافظة على الصلاة والإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والصدقة والصوم وحفظ الفرج وكثرة ذكر الله ومداومة الصلاة وإعطاء السائل والمحروم والتصديق بيوم الدين والإشفاق من العذاب وحفظ الفرج وحفظ العهد وحفظ الأمانة والقيام بالشهادة والمحافظة على الصلوات، وأنت إذا أسقطت المكرر حصل منه ثلاثون كما في الكشاف والمصنّف رحمه الله لما نظر إلى المكرر

..........................................................................................

وكأنه لاحظ فيه مغايرات اعتبارية بقيود خارجية فأسقط السورة الثالثة، وخالف ما صنعه الزمخشريّ ولا يخفى أنه إن كان هذا مأثورًا في أحدهما فلا وجه للآخر وإن لم يكن كذلك، فالأولى ترك هذه التكلّفات. اهـ بحروفها.

وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة القنوي رحمه الله تعالى قوله: فلذلك فسّرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥] إلى آخر الآيتين. وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠] وقوله: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ [الآية ١١٢] الآية في سورة براءة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾ [الآية ٣٥] الآية في سورة الأحزاب. وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠] ولما كان الآيات متعددة هنا احتاج إلى بيان غايتها بخلاف الأوليين والمذكور في السور المذكورة ست وثلاثون خصلة وهي التوبة والعبادة والحمد والسياحة والركوع والسجود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ حدود الله والصلاة والخشوع وترك اللغو والزكاة وحفظ الفرج وحفظ الأمانة وحفظ العهد والمحافظة على الصلاة والإسلام والإيمان والقنوت والصدقة والصوم وحفظ الفرج وكثرة ذكر الله ومداومة الصلاة وإعطاء السائل والمحروم والتصديق بيوم الدين والإشفاق من العذاب وحفظ الفرج وحفظ العهد وحفظ الأمانة والقيام بالشهادة والمحافظة على الصلوات، وأنت إذا أسقطت المكرّر حصل منه ثلاثون بين كلام المصنّف وبين بيان الزمخشري نوع مخالفة حيث قال الزمخشري: وقيل ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين سهمًا عشر في براءة ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾ [الآية ٣٥] وعشر في المؤمنون و﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعارج: الآيات ١ ـ ٣٤] والمصنّف لما نظر أن المذكور في السورتين الأخريين أربعة عشر، ست في المؤمنين وثمان في سأل سائل وإذا أسقط المكرر وجعل الدائمون على الصلاة هم المحافظين عليها ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج: الآيتان ٢٤، ٢٥] غير الفاعلين للزكاة لشمولها ما [illegible]

..............................................

الأقارب والأبعاض ليرجع ما في السورتين إلى عشر لم يتحقق في كل من البراءة والأحزاب عشر لتكرر المؤمنين. وإن جعل الدائمون أيضًا غير المحافظين أو جعل الراعون للأمانات اثنين لتحقق في السورتين أحد عشر وفي براءة والأحزاب تسعة عشر فيصير المجموع ثلاثين لم يبق في كل من براءة والأحزاب عشر. كما هو مدعاه لم يتعرّض لسأل سائل بل أخذ الثلاثين من ثلث لكنه لم يسقط المكرر بل أخذ العشرين من الآيتين والعشر من قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: الآية ١] إلى آخر ما ذكر حيث اعتبر كلًّا من الإيمان والخشوع في الصلاة والإعراض عن اللغو وفعل الزكاة وحفظ الفرج عن الحرام وقربان المملوكات ورعاية الأمانة ورعاية العهد ومحافظة الصلاة خصلة مستقلّة فخصلة الإيمان قد تكرّرت، كذا قيل. وفي اللباب، وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه كله إلا إبراهيم عليه السلام ابتلاه بثلاثين خصلة من خصال الإسلام عشر منها في سورة براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ [الآية ١١٢] إلى آخرها وعشر في سورة الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] إلى آخرها وعشر في المؤمنون ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠] وكذا في التفسير الكبير لكن لم يذكر عكرمة حيث قال: أخرجه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والمصنّف اختار ذلك بناء على هذه الرواية وأما ما اختاره الزمخشري من ضم ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج: الآية ١] فمقتضاه كون الخصال أربعين.

وفي اللباب ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أربعون فزادها وعشر في ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: الآيات ١ ـ ٣٤] لا كلام في أن الخصال المذكورة في سورة الأحزاب عشرة. وأما في سورة التوبة فكونها عشرة بناء على أن الإيمان المذكور في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٣] معتبر فيها لكونه آخر الآية. والقول الإيمان المأخوذ من قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١١١] الآية ضعيف. لأنه ليس من آية التائبون وكذا القول بأن الجهاد معدود منها لأن التائبون مرفوع على المدح أي

.....................................................................................

هم التائبون، والمراد بهم المؤمنون المذكورون لأنه خارج عن آية التائبون خبرًا للمبتدأ إذ مقدرات القرآن كونها من القرآن مقالات بين الثقات على أنه يحتمل أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من أهل الجنة وإن لم يجاهدوا أو خبره ما بعده أي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال. كذا قاله المصنّف هناك وأما في سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [المؤمنون: الآية ١] فبناء على أنه لم يسقط المكرّر واعتبر كل واحد من الإيمان والخشوع في الصلاة والإعراض عن اللغو وفعل الزكاة وحفظ الفرج عن الحرام وقربان الأزواج وقربان المملوكات ورعاية الأمانة ورعاية العهد ومحافظة الصلاة خصلة مستقلّة وتكرّر خصلة الإيمان لكونه موقوفًا عليه على أنه في الحقيقة ليس بمتكرّر لأن المذكور الأمر بتبشير المؤمنين في البراءة وأخبار الفلاح في المؤمنون وفي الأحزاب بإعداد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا.

بهذا الاعتبار لم يتمحض في التكرار ثم المراد بالتوبة المعدودة من الخصال التوبة عن الزلّات وما ذكره المصنّف في تفسير الآية المذكورة من قوله: أي التائبون عن الكفر فهو بالنسبة إلى آحاد المؤمنين. وكذا المراد بالصلاة والصوم والزكاة ما شرع له في شرعه لا ما شرع في هذه الأمة والقول بأنه يجوز توافق الشرعين في تلك الفروع غير ظاهر إذ الظاهر أن صوم رمضان مختصّ بهذه الأمة. وإن قيل بعدم اختصاصه وصلاة العشاء الأخيرة مختصّة بهذه الأمة على ما ورد في الحديث والأسلم أن يُقال: إن الخصال التي كلّف بها إبراهيم عليه السلام نوع ما ذكرت في هذه الآيات الثلاث لا خصوصها في الجميع وإن صح الخصوص في بعضها. اهـ بحروفها.

وعبارة تفسير الإمام العلّامة الحافظ عماد الدين أبي الفضل إسماعيل بن عمر بن كثير البصراوي الشافعي رحمهم الله في تفسير سورة البقرة. وقال داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: ما ابتلي بهذا الدين فقام به كلّه إلا إبراهيم. قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: الآية ١٢٤].

..................................................................

قلت له: وما الكلمات التي ابتلى الله إبراهيم بهن فأتمهن؟ قال الإسلام ثلاثون سهمًا منها عشر آيات في براءة ﴿التَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] إلى آخر الآية. وعشر آيات في أول سورة ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾ [المؤمنون: الآية ١] و﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١﴾ [المعارج: الآية ١]، وعشر آيات في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] إلى آخر آية فأتمهن كلهن فكتب له براءة. قال الله تعالى ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧﴾ [النجم: الآية ٣٧] هكذا رواه الحاكم وأبو جعفر بن جرير وأبو محمد بن أبي حاتم بأسانيدهم إلى داود بن أبي هند به. وهذا اللفظ ابن أبي حاتم. اهـ بحروفها.

وعبارة تفسير الدرّ المنثور للعلّامة الجلال السيوطي رحمه الله في تفسير سورة البقرة وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس قال: ما ابتلى أحد بهذا الدين فقام به كله إلا إبراهيم، قال: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ [البقرة: الآية ١٢٤]، قيل: ما الكلمات؟ قال: سهام الإسلام ثلاثون سهمًا عشرة في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] إلى آخر الآية. وعشر في أول سورة ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾ [المؤمنون: الآية ١] و﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ [المعارج: الآية ١] ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦﴾ [المعارج: الآية ٢٦] الآيات، وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] إلى آخر الآية، فأتمهن كلهنْ فكتب له براءة. قال الله تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧﴾ [النجم: الآية ٣٧]. اهـ بحروفها.

وعبارة التفسير المذكور في سورة النجم، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧﴾ [النجم: الآية ٣٧] قال: وفي سهام الإسلام كلها ولم يوفّها أحد قبله غيره، وهي ثلاثون سهمًا منها عشرة في براءة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم﴾ [الآية ١١١] الآية كلها، وعشرة في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] الآية كلها، وستة في ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾ [المؤمنون: الآية ١] من أوّلها الآيات كلها، وأربع في ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ [المعارج: الآية ١] ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧﴾

ثم أعلم بما في صحف موسى وإبراهيم فقال:

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ تزر من وزر يزر إذا اكتسب وزرًا وهو الإثم، و«إن» مخففة من الثقيلة والمعنى أنه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل «أن» وما بعدها الجر بدلًا من ﴿ما في صحف موسى﴾ أو الرفع على هو أن لا تزر كأن قائلًا قال: وما في صحف موسى وإبراهيم؟ فقيل: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ **(أي)** لا تحمل نفس ذنب نفس.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ إلا **(سعيه)** وهذه أيضًا مما في صحف إبراهيم وموسى، وأما ما صح في الأخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد قيل: إن سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبنيًا على سعي نفسه **(وهو أن يكون مؤمنًا)**

---

[المعارج: الآيتان ٢٦، ٢٧] الآيات كلها، فذلك ثلاثون سهمًا فمن وافى الله بسهم منها فقد وافاه بسهم من سهام الإسلام ولم يوافه بسهام الإسلام كلها إلا إبراهيم عليه السلام. قال الله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: الآية ٣٧].اهـ بحروفها. وعبارة تيسير في علم التفسير للعلّامة نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي الحنفي المتوفّى بسمرقند سنة سبع وثلاثين وخمسمائة رحمه الله في سورة البقرة. وقال محمد بن علي الترمذي رحمه الله الكلمات هي الخصال التي بني عليها الإسلام وهي اثنان وثلاثون سهمًا عشر منها في سورة الأحزاب ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الآية ٣٥] الآية، وعشر في سورة الرعد ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾ [الآية ١٩]، الآيات. وست في أول سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠] وست في أول سورة البقرة. ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: الآيات ٢ ـ ٥].اهـ بحروفها. فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

**قوله**: **(أي سعيه)** إشارة إلى أن ما مصدريّة على أن المراد بالسعي الحاصل بالمصدر وهو الذي فعله وسعى في تحسينه. **قوله**: **(وهو أن يكون مؤمنًا)** عبارة الكشّاف وهو أن يكون مؤمنًا صالحًا.اهـ.

كان سعي غيره كأنه سعي نفسه لكونه تابعًا له وقائمًا بقيامه، ولأن سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه ولكن إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣﴾

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠﴾ أي يرى هو سعيه يوم القيامة في ميزانه ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ﴾ ثم يجزى العبد سعيه. يقال: جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وإيصال الفعل، ويجوز أن يكون الضمير للجزاء. ثم فسّره بقوله: ﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ أو أبدله عنه ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ هذا كله في الصحف الأولى. والمنتهى **(مصدر)** بمعنى الانتهاء أي ينتهي إليه الخلق ويرجعون إليه كقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: الآية ٢٨] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣﴾ خلق الضحك والبكاء. وقيل: خلق الفرح والحزن. وقيل: أضحك المؤمنين في العقبى بالمواهب وأبكاهم في الدنيا **(بالنوائب)**.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝٤٧ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝٤٨ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ۝٤٩﴾

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤﴾ قيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء، أو أمات بالكفر وأحيا بالإيمان، أو أمات هنا وأحيا ثمة ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦﴾ **(إذا تدفق في الرحم)** يقال: منى وأمنى ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝٤٧﴾ الإحياء بعد الموت.

---

**قوله**: (مصدر) ميمي. **قوله**: **(بالنوائب)** في المصباح النائبة النازلة والجمع نوائب. اهـ. وأيضًا فيه النازلة المصيبة الشديدة تنزل بالناس. اهـ.

**قوله**: **(إذا تدفق في الرحم)** يقال: منى المنيّ وأمناه أي أنزله وأراقه وصبّه.

**وقوله**: **(في الرحم)** في المصباح الرحم موضع تكوين الولد ويخفف بسكون الحاء مع فتح الراء ومع كسرها أيضًا في لغة بني كلاب وفي لغة لهم بكسر الحاء اتباعًا لكسر الراء. اهـ.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ وأعطى القنية **(وهي المال)** الذي **(تأثلته)** وعزمت أن لا تخرجه من يدك ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ هو كوكب يطلع بعد **(الجوزاء)** في شدّة الحر **(وكانت خزاعة تعبدها)**، فأعلم الله أنه رب معبودهم هذا.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ (عَادًا ٱلۡأُولَىٰ) ﴿٥٠﴾﴾ هم قوم هود وعاد الأخرى إرم ﴿عادًا الأولى﴾ **(مدني)** وبصري غير سهل بإدغام التنوين في اللام

---

**قوله: (وهي المال تأثلته)** في المغرب تأثّل المال جمعه واتخذه لنفسه أَثْلَةً أي أصلًا. اهـ. وفي مختار الصحّاح التأثّل اتخاذ أصل مال. اهـ.

**قوله: (الجوزاء)** نجم. **قوله: (وكانت خزاعة تعبدها)** وأول مَن سنّ لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة وهو أحد أجداد النبيّ ﷺ من قبل أمهاته عبدها، وقال: لأن النجوم تقطع السماء عرضًا والشعرى تقطعها طولًا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة، فلما خرج رسول الله ﷺ على خلاف العرب في الدين سمّوه ابن أبي كبشة تشبيهًا له به في خلافه إياهم كما خالفه أبو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يُضيء خلف الجوزاء ويُسمى كلب الجبار أيضًا وهما اثنتان يمانية وشامية، يُقال لإحداهما العبور بفتح العين المهملة والباء الموحّدة والراء المهملة بعد الواو، ومن العبور بمعنى الدخول والأخرى الغميصاء بغين معجّمة مضمومة وميم مفتوحة وصاد مهملة من الغمص بفتحتين وهو سيلان دمع العين فصلت المجرّة أي كهكشان بينهما لزعم العرب أن الشعريين أُختا سهيل وإن الثلاثة كانت مجتمعة فانحدر سهيل نحو اليمن وتبعته العبور فعبرت المجرة ولقيت سهيلًا وأقامت الغميصاء فبكت[1] لفقد سهيل فغمصت عينها أي كانت أقل نورًا من العبور وأخفى، وأراد بالشعرى في الآية الكريمة العبور.

**قوله: (﴿عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ مدني)** أي نافع بن عبد الرحمٰن. وكذا أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني وليس من السبعة. وبصري أي أبو عمرو بن العلاء

---

(١) وهو من تخيلات العرب الكاذبة. اهـ. شهاب ١٢ منه رحمه الله.

**(وطرح)** حمزة ﴿أولى﴾ ونقل ضمتها **(إلى لام التعريف** ﴿وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾) حمزة **(وعاصم الباقون** ﴿وَثَمُودًا﴾) وهو معطوف على ﴿عادًا﴾ ولا ينصب بـ ﴿فما أبقى﴾ لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبله لا تقول: زيدًا فضربت، وكذا ما بعد النفي لا يعمل فيما قبله، والمعنى وأهلك ثمود فما أبقاهم.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أي أهلك قوم نوح ﴿مِّن قَبْلُ﴾ من قبل عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ من عاد وثمود لأنهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به **(حراك)** وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ والقرى التي ائتفكت بأهلها أي انقلبت وهم قوم لوط **(يقال: أفكه فأتفك)** ﴿أَهْوَىٰ﴾ أي رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثم أهواها إلى الأرض أي أسقطها و﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ منصوب بـ ﴿أَهْوَىٰ﴾ ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ ألبسها ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ تهويل وتعظيم لما صبّ عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر **(المنضود)**.

---

وكذا يعقوب بن إسحٰق وليس من السبعة غير سهل بن محمد البصري السجستاني وليس من السبعة بإدغام التنوين أي بعد قلبه لامًا في اللام أي لام التعريف **(وطرح)** أي حذف همزة ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم: الآية ٥٠] ونقل ضمتها **(إلى لام التعريف)** واختلف عن قالون من طريقيه في همز الواو غير أن الهمز أشهر عن الحلواني وعدمه أشهر عن أبي نشيط كما في النشر، والباقون بتنوين الدال وكسر التنوين وسكون اللام وبعدها همزة مضمومة فإن التنوين إذا وقع بعده ساكن يكسر لالتقاء الساكنين نحو: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: الآية ١]. **قوله**: (﴿وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ **وعاصم**) بغير تنوين للدال في الوصل وسكون الدال في الوقف **(الباقون** ﴿وَثَمُودَا﴾) بالتنوين في الوصل والوقف على الألف.

**قوله**: **(حراك)** في المصباح الحراك مثل سلام الحركة. اهـ. **قوله**: **(يُقال: أفكه فائتفك)** أي قلبه فانقلب. **قوله**: **(المنضود)** المتتابع.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾ أيها المخاطب ﴿تَتَمَارَىٰ﴾ تتشكك بما أولاك من النعم أو بما كفاك من النقم، أو بأي نعم ربك الدالّة على وحدانيته وربوبيته تشكك ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ أي محمد منذر ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ من المنذرين الأولين. **(وقال: ﴿ٱلْأُولَىٰٓ﴾ على تأويل الجماعة)** أو هذا القرآن نذير من النذر الأولى **(أي إنذار من جنس الإنذارات)** الأولى التي أنذر بها من قبلكم.

﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾﴾

﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾ قربت الموصوفة بالقرب في قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: الآية ١] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ أي ليس لها نفس كاشفة أي مبينة متى تقوم كقوله: (﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾) [الأعراف: الآية ١٨٧]. **(أوليس لها نفس كاشفة أي قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله تعالىٰ غير أنه لا يكشفها)** ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أي القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ **(إنكارًا)** ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ خشوعًا

---

**قوله**: **(وقال: ﴿ٱلْأُولَىٰٓ﴾ على تأويل الجماعة)** أي تأنيث الأولى على تقدير كونه صفة للنذر بمعنى المنذرين لكون ﴿ٱلنُّذُرِ﴾ [النجم: الآية ٥٦] بمعنى الجماعة. **قوله**: **(أي إنذار من جنس الإنذارات)** جعل النذير مصدرًا بمعنى الإنذار على تقدير كون هذا إشارة إلى القرآن لأن القرآن إنما يتعلق به الإنذار باعتبار اشتماله على اقتصاص عاقبة المكذّبين ولا شك أن اقتصاصها ليس بمنذر بل هو إنذار وتخويف بخلاف الرسول عليه الصلاة والسلام، فإنه منذر ليس إلّا.

**قوله**: (﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾) يظهرها (﴿لِوَقْتِهَآ﴾) اللام بمعنى في (﴿إِلَّا هُوَ﴾). **قوله**: **(أوليس لها نفس كاشفة أي قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله تعالى)** أي ﴿كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: الآية ٥٨] صفة لنفس، ولذلك أنث قوله قادرة إلى المراد نفي القدرة لا نفي الكشف مع القدرة عليه. **قوله**: **(غير أنه لا يكشفها)** أي لا يزيلها ويعدمها بعد وقوعها لحكمة دعت إلى بقائها وهي الجزاء للمكلفين. **قوله**: **(إنكارًا)** قيّده به لأنه قد يكون استحسانًا إذ التعجب حيرة تعرض للإنسان لجهله

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ غافلون أو لاهون لاعبون، وكانوا إذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ أي فاسجدوا لله **(واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة)** والله أعلم.

---

بسبب المتعجب منه فهو غالب في الاستحسان. فالمراد هنا الإنكار بقرينة ما بعده.

**قوله**: **(واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة)** مستفاد من لام التخصيص وأيضًا العبادة مع عبادة غيره كلا عبادة.

**تمّ هنا ما يتعلق بسورة النجم والحمد لله ربّ العالمين**
**وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم**